



دولة الإمارات العربية المتحدة  
جامعة الوصل

# مجلة جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية

( صدر العدد الأول في 1410 هـ - 1990 م )

العدد الثاني والستون

البريد الإلكتروني: [research@alwasl.ac.ae](mailto:research@alwasl.ac.ae)

الموقع الإلكتروني: [www.alwasl.ac.ae](http://www.alwasl.ac.ae)

62

ذو القعدة - يونيو

1442 هـ / 2021 م











## مَجَلَّةُ جَامِعَةِ الْوَصْلِ

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد الثاني والستون

ذو القعدة ١٤٤٢ هـ - يونيو ٢٠٢١ م

المشرف العام

أ. د. محمد أحمد عبدالرحمن

مدير الجامعة

رئيس التحرير

أ. د. خالد توكال

نائب رئيس التحرير

د. لطيفة الحمادي

أمين التحرير

د. عبد السلام أحمد أبو سمحة

هيئة التحرير

د. مجاهد منصور - د. عماد حمدي

د. عبد الناصر يوسف

لجنة الترجمة: أ. صالح العزام، أ. داليا شنواني، أ. مجدولين الحمد

ردمد: ٢٠٩x-١٦٠٧

المجلة مفهسة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٦٠١٦

البريد الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae, research@alwasl.ac.ae

## الهيئة العلمية الاستشارية للمجلة

أ. د. صلاح فضل

جامعة عين شمس - رئيس مجمع اللغة العربية - القاهرة

أ. د. قطب الريسوني

جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. بن عيسى بظاهر

جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. صالح بن محمد صالح الفوزان

جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية

أ. د. جميلة حيدة

جامعة وجدة - المملكة المغربية

## جامعة الوصل في سطور

«جامعة الوصل» مؤسسة جامعية من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة، وقد تحوّلت بموجب قرار وزاري رقم (١٠٧) لعام ٢٠١٩، من «كلية الدراسات الإسلامية والعربية» - الاسم السابق - إلى: جامعة الوصل - المسمى الاسم.

**وقد مرت الجامعة بمرحلتين أساسيتين:**

### المرحلة الأولى:

نشأت النواة الأساسية للجامعة سنة ١٩٨٦-١٩٨٧ م بمسمى «كلية الدراسات الإسلامية والعربية»، عند تأسيسها من السيد جمعة الماجد وتعهدها بالإشراف والرعاية مع فئة مخلصه من أبناء هذا البلد آمنت بفضل العلم وشرف التعليم.

♦ رعت حكومة دبي هذه الخطوة المباركة وجسدها قرار مجلس الأمناء الصادر في عام ١٤٠٧ هـ الموافق العام الجامعي ١٩٨٦ / ١٩٨٧ م.

♦ وبتاريخ ٢ / ٤ / ١٤١٤ هـ الموافق ١٨ / ٩ / ١٩٩٣ م أصدر معالي سموّ الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات القرار رقم (٥٣) لسنة ١٩٩٣ م بالترخيص لها بالعمل في مجال التعليم العالي.

### برنامج البكالوريوس:

♦ صدر القرار رقم (٧٧) لسنة ١٩٩٤ م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية والعربية بالدرجة الجامعية الأولى في الدراسات الإسلامية.

♦ ثم صدر القرار رقم (٥٥) لسنة ١٩٩٧ م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في اللغة العربية الممنوحة بالدرجة الجامعية الأولى في هذا التخصص.

♦ بقرار من مجلس الأمناء، بتاريخ ٢٤ / ٥ / ٢٠١٧، فتحت أبواب التسجيل في الدراسات العليا أمام الطلاب الذكور، تخصص الشريعة، واللغة العربية بدءاً من ٢٠١٧ / ٢٠١٨.

♦ احتفلت بتخريج الرعيل الأول من طلابها في ٢٣ شعبان ١٤١٢ هـ الموافق ٢٦ / ١٢ / ١٩٩٢ م تحت رعاية صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رحمه الله.

♦ واحتفلت بتخريج الدفعة الثانية من طلابها والأولى من طالباتها في ٢٩ / ١٠ / ١٤١٣ هـ الموافق ٢١ / ٤ / ١٩٩٣ م.

♦ تخرج منذ تأسيسها في العام الجامعي الأول في ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ الموافق ل ١٩٨٦ / ١٩٨٧ م إلى نهاية عام ٢٠١٩ - ٢٠٢٠ م؛ ١٢٤٧٣؛ منهم ٩٨٨٣ طالبة و ٢٥٩٠ طالباً.

♦ تخرج فيها إلى غاية يونيو ٢٠٢٠: واحد وثلاثون (٣١) دفعة من الطلاب، وثلاثون (٣٠) دفعة من الطالبات في تخصص الدراسات الإسلامية. سبعة عشر (١٧) دفعة من الطلاب، ثلاثة وعشرون (٢٣) دفعة من الطالبات في تخصص اللغة العربية.

### برنامج الدراسات العليا:

♦ أنشئ برنامج الدراسات العليا بها في العام الجامعي ١٩٩٥ / ١٩٩٦ م يخوّل للملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها والتسجيل فيما بعد في برنامج الدكتوراه؛ حيث شرع فيه بدءاً من العام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م.

♦ اعتمدت بدءاً من العام ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ برنامج الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في شعبي الأدب والنقد واللغة والنحو.

♦ وقد صدر قرار معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي رقم (٥٦) لسنة ١٩٩٧ م بمعادلة درجة الدبلوم العالي في الفقه الإسلامي التي تمنحها بدرجة الدبلوم العالي في هذا التخصص.

♦ كما صدر القرار رقم (٥٧) لسنة ١٩٩٧ م بمعادلة درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية (الفقه) و(أصول الفقه) الممنوحة بدرجة الماجستير في هذين التخصصين.



- ♦ وفي ٢٤ / ٢ / ٢٠١٧، يعلن مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، عن منحها علامة دبي للوقف .
- ♦ بلغ المجموع الكلي للخريجين والخريجات في الدراسات العليا الي تاريخ صدور العدد: ٢٧٥ خريجاً وخريجة؛ منهم ١٩٣ بشهادة الماجستير و ٨٢ بشهادة الدكتوراه .

**المرحلة الثانية: تطورت من (كلية الدراسات الإسلامية والعربية) بقرار وزاري رقم ١٠٧ لعام ٢٠١٩، إلى مسمى (جامعة الوصل)، لتحمل عدة مُستجدات في:**  
**الرؤية:**

تطمح جامعة الوصل أن تكون لها الصدارة إقليمياً ودولياً، وتمتيزة في برامجها وطرائقها وأثرها في البحث العلمي .

#### **الرسالة:**

تحرص جامعة الوصل على تقديم برامج ذات جودة عالية في البكالوريوس والدراسات العليا، تعزز القدرات البحثية وتطور التفكير الإيجابي، في بيئة جامعية تنسم بالأصالة والحدائثة والابتكار .

#### **مجلس الأمناء:**

يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على الشؤون العامة للجامعة وتوجيهها لتحقيق أهدافها، ويضم المجلس إضافة إلى رئيسه (مؤسس الجامعة) عدداً من الشخصيات المتميزة التي تجمع بين العلم والمعرفة والرأي والخبرة، ممن يمثلون الفعاليات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في دولة الإمارات العربية المتحدة .

#### **كليات الجامعة: تشمل الجامعة الأتية:**

- ♦ كلية الدراسات الإسلامية .
- ♦ كلية الآداب .
- ♦ كلية الإدارة .

#### **نظام الدراسة:**

- ♦ مدة الدراسة للحصول على درجة الإجازة (البكالوريوس) أربع سنوات لحاملي الشهادة الثانوية الشرعية أو الثانوية العامة بفرعيها: العلمي والأدبي أو ما يعادلها .
- ♦ تقوم الدراسة في الجامعة على أساس النظام الفصلي وقد طُبّق منذ العام الجامعي ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ .
- ♦ يلتزم الطالب بالحضور ومتابعة الدروس والبحوث المقررة .
- ♦ نظام الدراسة في الدراسات العليا، ومدة برنامج الماجستير سنتان والدكتوراه ثلاث سنوات، مع سنة تمهيدية متضمنة في كليهما .

#### **البحث العلمي والخدمة المجتمعية: يهتم البحث العلمي بعدد من المحاور منها:**

- ١- المؤتمرات: تقيم الجامعة عددًا من المؤتمرات العلمية المحكمة سنويًا منها:
  - ♦ ندوة علمية دولية في الحديث الشريف كل سنتين، وقد كانت ندوتها العاشرة في ٢٠٢٠-٢٠٢١ م .
  - ♦ مؤتمر اللغة العربية الدولي، ويقام كل سنتين، وعقد المؤتمر الأول ٢٠٢٠ م .
  - ♦ مؤتمر الدراسات الإسلامية الدولي، ويقام كل سنتين .
  - ♦ مؤتمر الدراسات العليا الدولي، ويقام كل سنتين، وعقد المؤتمر الأول ٢٠١٩ م .
  - ♦ الندوة الدولية للسانيات، وتقام في كل عام، عقدت الندوة الأولى ٢٠٢١ م .
- ٢- المجلة المحكمة: تصدر الجامعة هذه المجلة، وهي علمية محكمة، مرتين كل عام وتسمى باسمها، وتنشر بحوثاً ودراسات جادة للأستاذة والعلماء من داخل الجامعة وخارجها .

٣- الكتاب العلمي: تشرف الجامعة على مشروع الكتاب العلمي الذي صدر منه لحد الآن (٢٩) مؤلفاً .

٤- مشروع طباعة الرسائل الجامعية المميزة: تسهر الجامعة على طباعة الرسائل العلمية الجامعية المتميزة وتوزيعها مجاناً .

## قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي / اشتراكنا في مجلة جامعة الوصل لمدة (.....).

سنة، ابتداء من:.....

– الاسم الكامل:.....

– العنوان:.....

– الهاتف:.....

– البريد الإلكتروني:.....

– قيمة الاشتراك:.....

## رسوم الاشتراك

قيمة الاشتراك			نوع الاشتراك		مصدر الاشتراك
الطلبة	الأفراد	المؤسسات	الكمية	الفترة	
٥٠ درهم إماراتي	٨٠ درهم إماراتي	١٠٠ درهم إماراتي	٢	سنة واحدة	داخل دولة الإمارات العربية المتحدة
١٠٠ درهم إماراتي	١٥٠ درهم إماراتي	٢٠٠ درهم إماراتي	٤	سنتان	
٣٠ دولار أمريكي	٤٠ دولار أمريكي	٥٠ دولار أمريكي	٢	سنة واحدة	خارج دولة الإمارات العربية المتحدة
٦٠ دولار أمريكي	٨٠ دولار أمريكي	١٠٠ دولار أمريكي	٤	سنتان	

### طريقة الدفع:

– داخل دولة الإمارات العربية المتحدة: نقدًا (مكتب المجلة بالحرم الجامعي)، أو حوالة مصرفية.

– خارج دولة الإمارات العربية المتحدة: تحويل مصرفي.

– البيانات: جامعة الوصل.

بنك دبي الإسلامي – دبي

رقم الأيبان: AE030240001520816487801

يُرسل وصل الإيداع على العنوان العادي: (رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل  
ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة. هاتف: ٠٠٩٧١٤٣٧٠٦٥٥٧)

أو العنوان الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae



## قواعد النشر

### أولاً:

تنشر المجلة البحوث العلمية باللغات العربية، والإنجليزية والفرنسية؛ تحريراً أو ترجمةً، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

### ثانياً:

١. يراعى في البحث أن يتميز بالأصالة وأن يضيف إضافة جديدة للعلم والمعرفة، وأن يكون مستوفياً للجوانب العلمية بما في ذلك عرض الأسس النظرية والأهداف الخاصة من إجراء البحث والإجراءات المستخدمة في استخلاص النتائج وعرض النتائج والمناقشة.
٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:
٣. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلاً من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهداً خطياً بذلك عند إرساله إلى المجلة.
٤. تقبل البحوث التي تكون جزءاً من رسالة جامعية لم تناقش بعد.
٥. لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير، وإلا تكفل الباحث بسداد التكلفة المالية لتحكيم بحثه خلال الدورة التحكيمية.
٦. يراعى ضبط الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، إن استشهد بها في البحوث.
٧. يكتب البحث بمسافات (مفردة)، على ألا يقل عدد صفحاتها عن (٢٠) صفحة بواقع (٥٠٠٠) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (٣٠) صفحة في (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة، وحجم الخط (١٦) نوع (Simplified Arabic)، وإذا زاد البحث عن (٣٠) صفحة، فعلى الباحث دفع تكاليف الطباعة للصفحات الزائدة؛ وهي (٥) دولارات عن كل صفحة.
٨. ترسل من البحث نسخة إلكترونية، وفق برنامج "Word ٢٠١٠" وتكتب أسماء الباحثين

باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، بحسب كشف البيانات المرفق؛ وذلك (بغرض التوثيق الدولي).

٩. يُرفق مع البحث ملخص باللغة العربية (في حدود ١٢٠ كلمة) وآخر باللغة الإنجليزية (في حدود ١٥٠ كلمة)، ويتضمن على الأقل أهداف البحث وإشكاليته، ومنهجه وأهم نتائجه، وإسهامات البحث، وخمسة كلمات مفتاحية.

١٠. يُرفق بالبحث الترجمة الكاملة لقائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية؛ وذلك بغرض التوثيق الدولي.

١١. ترقم الجداول والأشكال والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في متن البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه، وتقدم بأوراق منفصلة.

١٢. يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:

◆ يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة آلياً توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا: (١) (٢)) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.

◆ تذكر بيوغرافيا (معلومات الكتاب) في أول ورد لها في البحث على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها بـ (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلا يشار إليه بـ (د.ت). أما بحوث الدوريات فتكون المعلومات على النحو الآتي: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من... إلى...)).

◆ إذا تكررت بعد أول إيراد له يُكتفى باسم المؤلف وعنوان المصدر، فإن تكرر مباشرة في الصفحة نفسها يكتب: (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة يكتب: (المرجع السابق).

◆ يشار إلى الشروح والملاحظات في متن البحث بنجمة (هكذا: ×) أو أكثر.

◆ تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.

١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.

١٤. يحرص الباحث على تدقيق بحثه لغوياً، ولا تقبل المجلة بحوثاً غير مدققة لغوياً.

### ثالثاً: الشروط الإضافية على البحوث المترجمة:

١. أن ترفق مع الترجمة المادة المترجمة بلغتها الاصلية.
٢. يرفق مع الترجمة ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، على ألا يتجاوز كل ملخص (١٢٠) كلمة، مع الكلمات المفتاحية.
٣. تكون المادة المترجمة محكمة، أو منشورة في إحدى المجالات المحكمة، أو قد تكون جزءاً من كتاب محكم.
٤. لا يتجاوز عدد صفحاتها / ٢٠ صفحة / من الحجم العادي (A٤) (٦٠٠٠ كلمة) ولا يقل عن / ٧ صفحات / .
٥. المحافظة على النص الأصيل وتفادي الاختزال ما لم يُشر إلى ذلك وبهدف تحسين الترجمة.
٦. أن تكون الجمل مترابطة ومتناسكة وتخدم المعنى المقصود في المادة الاصلية.
٧. يذكر في أول إحالة في الترجمة اسم المؤلف الأصلي مع نبذة عن إسهاماته.
٨. تشمل الترجمة على مقدمة في سطور تبين الأهمية العلمية للمادة المترجمة، وأهم النتائج المتوقعة

### رابعاً:

١. ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.
٢. البحوث المرسلّة إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
٣. يخضع نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية، بحسب خطة النشر.
٤. يحق للمجلة - عند الضرورة - إجراء بعض التعديلات الشكلية على البحوث المقبولة للنشر دون المساس بمضمونها.
٥. يحق للمجلة نشر البحوث المقبولة إلكترونياً، والمشاركة بها في قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية.
٦. يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسخة إلكترونية (PDF) من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومستلة (PDF) لبحثه.

## خامساً: رسوم النشر:

◆ إسهاماً من مجلة جامعة الوصل في إثراء الحركة البحثية في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص، وكل الأقطار العربية والإسلامية بشكل عام، فإن المجلة لا تحمل الباحثين أية رسوم، إلا ما سبق الإشارة إليه في بند (٧) ثانياً.

◆ ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل

ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٠٠٩٧١٤٣٧٠٦٥٥٧ - فاكس ٠٠٩٧١٤٣٩٦٤٣٨٨

أو البريد الإلكتروني: [research@alwasl.ac.ae](mailto:research@alwasl.ac.ae), [awuj@alwasl.ac.ae](mailto:awuj@alwasl.ac.ae)

- الافتتاحية
- رئيس التحرير..... ١٧-١٩
- كلمة المشرف: المكتبات ومصادر المعلومات .... والعبور نحو المستقبل
- المشرف العام..... ٢٠-٢٢
- البحوث..... ٢٣
- الأداء بالسُّكَّت في العَرَبِيَّة والقُرآن الكَرِيم بَيَانًا وَبِلَاغَةً
- د. علي بن يحيى عبد الرحيم ..... ٢٥-٧٤
- البعد التداولي للنص القانوني قانون الطفل في دولة الإمارات نموذجًا
- د. رانية أحمد رشيد شاهين ..... ٧٥-٩٨
- التربية الحوارية في ضوء السنة النبوية مفهومها، مقاصدها، سبل تفعيلها  
في ضوء الواقع المعاصر
- د. عماد حمدي إبراهيم ..... ٩٩-١٣٢
- «التقدير الموضوعي للأداء الوظيفي الأسري للأُم العاملة» (دراسة  
استطلاعية تحليلية مطبقة على أمهات عاملات مُتمدرسات بجامعة  
عجمان الإمارات العربية المتحدة أنموذجًا)
- د. آمال محمد بايشي ..... ١٣٣-١٦٦
- الرجوع عن القسمة الرضائية وأحكامه الفقهية - دراسة مقارنة
- د. عروة عكرمة صبري ..... ١٦٧-٢١٦
- السرديات والتحويلات الثقافية «نحو نظرية سرد ثقافية»
- د. أحمد علواني ..... ٢١٧-٢٥٨



● **الفرائد الواردة في سياق الحديث عن الإعراض عن القرآن الكريم - دراسة دلالية وصفية**

د. محمود علي عثمان عثمان ..... ٢٥٩-٢٠٤

● **مصطلح المعادل الموضوعي - قراءة ثانية**

أ. د. فتحي «محمد رفيق» أبو مراد - أ. د. ناصر حسن عيد يعقوب ..... ٣٠٥-٣٦٤

● **مكافحة الجرائم الإلكترونية وعقوباتها - دراسة فقهية مقارنة بأحكام القانون الجنائي الإماراتي والمصري**

أ. د. أحمد المرضي سعيد عمر - د. محمد النذير الزين عبد الله ..... ٣٦٥-٤٠٢

● **منهج العلامة محمد بن إبراهيم سعيد كعباش في كتابه «شرح الصدور لتفسير سورة النور» - دراسة في أثر الدلالة اللغوية في كشف المعاني التفسيرية**

د. إبراهيم براهمي ..... ٤٠٣-٤٥٤

## الإفتاحية

أ. د. خالد توكال

رئيس التحرير



تتعدد المجالات المعرفية التي يحملها العدد الثاني والستون بين طياته. فهو يعرض لدراسات جادة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية والتربية والقانون؛ مما يقدم مؤشراً واضحاً على أن مجلة جامعة الوصل قد بدأت تتوسع في نشر الأبحاث التي تقع ضمن مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. مع تقدم واضح في نوعية الأبحاث المنشورة؛ نتيجة لرفع معايير التحكيم لتصل إلى المستوى العالمي.

وهذا التطوير في الحقيقة إنما هو جزء من استراتيجية عامة اختطتها الجامعة لنفسها، إكمالاً لرسالتها التي تعمل على إنجازها، وتحقيقاً لرؤيتها التي تتبناها، لتتبوأ بذلك مكانة متميزة بين الجامعات الإماراتية. لقد بدأت جامعة الوصل - بجانب تطوير استراتيجية البحث العلمي - في توعية البرامج التي تقدمها لخدمة المجتمع الإماراتي وتحقيقاً لطموحاته نحو الرقي التعليمي والعلمي، فطرحت بالأمس القريب برنامج المكتبات وعلوم المعلومات التابع لكلية الإدارة، وتخطط لطرح برامج أخرى في كلياتها قريباً. ضاربة بذلك مثلاً لكل جامعة تريد أن تتخذ التحدي وسيلة والتقدم هدفاً، والتحسين منهجاً، وخدمة المجتمع غاية.

وهذه النتائج الملموسة في جميع المجالات، وهذه الثمار التي يشهدها العيان، تبرز ما توليه إدارتها من اهتمام للرؤية المستقبلية بما تحمل من حرص دائم على العمل والإنتاج.

لقد احتوى العدد الثاني والستون على عشرة أبحاث رُتبت ألفبائياً كما يأتي:

**البحث الأول: الأداء بالسكت في العربية والقرآن الكريم، بياناً وبلاغة**

يبرز هذا البحث (السكت) بوصفه عنصراً أدائياً له دور في بيان الرسالة اللغوية المنطوقة، وفي الفصل بين حدود التراكيب المتداخلة، بالإضافة إلى دوره البلاغي. وقد رصد الباحث إشارات تراثية دالة على ذلك، مركزاً على بلاغة السكت في القرآن الكريم؛ ليحصل على نتائج يمكن أن نجملها في أن لكل سكتة بلاغتها ومقاصدها البيانية الظاهرة فيها؛ مما يصل بنا إلى نتيجة عامة تتمثل في أن الأداء بالسكت في الخطاب المنطوق له دوره البارز في تحقيق الوظائف الاتصالية والتأثيرية للغة.

**البحث الثاني: البعد التداولي للنص القانوني، قانون الطفل في دولة الإمارات نموذجاً**

بحث في اللسانيات التداولية، يتغيا إبراز البعد التداولي للنص القانوني، متخذاً من قانون الطفل في دولة الإمارات العربية المتحدة أنموذجاً، مظهرًا ذلك عن طريق مرتكزات البعد التداولي الثلاثة، وما يتبعه من تأثير في المتلقي، وإنجاز المطلوب وفقاً للآلية الحجاجية المتبعة في النصوص المحررة.

البحث الثالث: التربية الحوارية في ضوء السنة النبوية: مفهومها، مقاصدها، سبل تفعيلها في ضوء الواقع المعاصر.

ولأن الاختلاف والتنوع أمر حتمي، فكان لا بد من البحث عن سبل التوافق والتوصل؛ لتوحيد الرؤى العامة في الفروع والجزئيات. ومن هناك برزت أهمية هذه الدراسة التي سعت إلى بيان أهمية التربية الحوارية لمد جذور هذا التواصل وذاك التفاهم؛ فينتج التقارب والتعايش بين أفراد وطوائف المجتمع، فكانت هذه الدراسة التي أصلت تأصيلًا علميًا لمفهوم التربية الحوارية في السنة النبوية الشريفة، وسبل تفعيلها في ظل واقعنا المعاصر.

البحث الرابع: التقدير الموضوعي للأداء الوظيفي الأسري للأُم العاملة، دراسة استطلاعية تحليلية مُطبقة على أمهات عاملات مُتمدرسات بجامعة عجمان-الإمارات العربية المتحدة أنموذجًا.

وكما يبدو من عنوان هذا البحث فإنه في مجال التربية، ولتحقيق هدف البحث فقد طبقت الباحثة منهج المسح الاجتماعي على أمهات عاملات منتسبات إلى جامعة عجمان خلال العام الجامعي (٢٠١٩-٢٠٢٠)، ومن نتائجها أن الدراسة توصلت إلى توجيه الانتباه إلى تعميم المقياس والنظر في متطلبات تحقيق التوافق بين الأداء الوظيفي في الأسرة والعمل بوصفها قيمة عالية في الحياة الأسرية.

البحث الخامس: الرجوع عن القسمة الرضائية وأحكامه الفقهية، دراسة مقارنة.

دراسة تناولت أحكام الرجوع عن القسمة الرضائية، فبينت معنى القسمة وأنواعها وتكييفها بين كونها بيعًا أو إفرارًا، ومتى يُرجع عن القسمة، وخاصة عند ظهور حقوق متعلقة بالتركة كالدين أو الوصية أو ظهور وارث...؛ إلا إذا أمكن سداد الدين أو تنفيذ الوصية بما لا يؤثر عن حقوق المتقاسمين أو صاحب الدين أو الوصية.

البحث السادس: السرديات والتحويلات الثقافية

يسلط هذا البحث الضوء على إشكالات تطبيق مناهج السرديات في دراسة النصوص، موضحة النتائج السلبية لتغييب الدور الوظيفي بوصفه محورًا للعملية النقدية؛ وقد انطلق البحث من تقدير واضح للنصوص السردية لأنها نصوص إنسانية حيوية متأثرة بالأنساق الثقافية، ولذلك فإن البحث يرى أنه لا بد من إعادة النظر في مناهج السرد؛ لمواكبة تطور وتحول المجتمع، وقد أسهم البحث في استخراج المعاني المضمرّة، عبر رؤية نقدية موضوعية، ودعا إلى صياغة نظرية سرد ثقافية.

البحث السابع: الفرائد الواردة في سياق الحديث عن الإعراض عن القرآن الكريم، دراسة دلالية وصفية.

يبحث البحث على الكشف عن ظاهرة التمكّن الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم، متخذًا من المنهج الوصفي التحليلي وسيلة للوصول إلى نتائج ذات صلة يمكن أن نوجزها

في أن ظاهرة التمكن الدلالي للفرائد القرآنية ترتبط بعلاقات مكنت الفريدة من التفرد في سياقها لتؤدي المعنى المراد بدقة ولا يغني عنها غيرها في ذلك؛ ليثبت بذلك بناؤها الفني. ولم يفت البحث أن يوصي بمواصلة رصد ظواهر التمكن الدلالي للفرائد القرآنية في موضوعات أخرى.

#### البحث الثامن: المعادل الموضوعي، قراءة ثانية.

تهدف هذه الدراسة إلى سبر غور حقيقة مصطلح المعادل الموضوعي، عن طريق رصد ترجماته المختلفة إلى اللغة العربية، وكشف طبيعته، ومفهومه، ومكوناته الأساسية، وجوهره، مستعينة في ذلك بآليات ووسائل المنهج التكاملي في الوصف والتحليل، وقد خلصت الدراسة إلى نتائج متعددة منها أن المصطلح يدور حول إيجاد معادلات حسية خارجية لحالات الشعور الداخلي، وأن الممارسات العلمية لمعطياته تتمحور حول استقطاب أدوات فنية وأسلوبية قادرة على التعبير والتشكيل والتصور.

#### البحث التاسع: مكافحة الجرائم الإلكترونية وعقوباتها، دراسة فقهية مقارنة بأحكام القانون الجنائي الإماراتي والمصري.

يهدف هذا البحث إلى إبراز مكافحة الجرائم الإلكترونية، فعرف ماهية الجريمة الإلكترونية، والأخطار الناجمة عنها، وتصنيف المجرمين الإلكترونيين، وتنوع الجرائم، وأسباب صعوبة الكشف عنها، وقد أورد في كل ذلك أنموذجاً للجرائم الإلكترونية، وبين عقوباتها المشددة والبديلة وفقاً لأحكام القانون الإماراتي والمصري، مشتملاً على مقدمة وخمسة ومباحث وخاتمة، وذاكراً أهم النتائج والتوصيات.

#### البحث العاشر: منهج العلامة محمد بن إبراهيم سعيد كعباش في كتابه (شرح الصدور لتفسير سورة النور)، دراسة في أثر الدلالة اللغوية في كشف المعاني التفسيرية.

وهو بحث يهدف إلى إبراز أثر الدلالة اللغوية في كشف المعاني التفسيرية في كتاب شرح الصدور لتفسير سورة النور لمؤلفه العلامة محمد كعباش، مبرزاً أهمية الدلالة اللغوية في علم التفسير عامة، ومبيناً مصادرها عند العلامة محمد كعباش، متخذاً من المنهج الوصفي التحليلي وسيلة لذلك. وقد وقع البحث في مقدمة وخمسة ومباحث وخاتمة، ثم كانت أهم النتائج التي توصل إليها.

## كلمة المشرف: المكتبات ومصادر المعلومات .... والعبور نحو المستقبل

بقلم: الأستاذ الدكتور محمد أحمد عبد الرحمن

المكتبات هي التي تحافظ على التراث الثقافي والحضاري، والإنساني، بما تحتويه من كتب ومصادر للمعرفة الإنسانية في مختلف التخصصات، بمختلف اللغات، كما أنها الأداة لتكوين أجيال واعية، مثقفة، تتحمل مسؤولياتها الاجتماعية، بل الحياتية بوجه عام.

ولكن دور المكتبة لا يقتصر فقط على ذلك التراث المحفوظ بين جدرانها؛ إنها مسؤولة أيضا عن إثراء الحوار الثقافي بما يمكن أن تقوم به من فعاليات مختلفة مثل: الندوات التثقيفية؛ والحلقات النقاشية، والأمسيات الشعرية، الداعية إلى الحوار البناء لبناء نمط التفكير الذي ينفع الفرد ويؤسس لمجتمع قادر على التعامل مع القضايا المختلفة التي تموج بها المجتمعات، سواء كان التعامل مع المكتبة من خلال المحيط المكاني، أو الافتراضي؛ فهذه الأخيرة قد زادت وساعدت على اكتساب المعارف المختلفة، وممارسة المهارات المتعددة؛ وبذلك تعد المكتبات مؤشراً فاعلاً من مؤشرات تقدم الدول والمجتمعات، وتطورها، وقدرتها على التخطيط للعبور نحو المستقبل دائماً.

والمكتبات الجامعية لا بد أن تشتق رؤيتها ورسالتها وأهدافها من رؤية الجامعة ورسالتها وأهدافها، ويقع على عاتقها مواكبة أحدث الاتجاهات العلمية للمكتبات العالمية، التي تسعى لتوفير مصادر المعلومات، وتحديث سياساتها وإجراءاتها تبعاً لما نشهده جميعاً من تطوير تكنولوجي ومعرفي متسارع في عصرنا هذا، رابطة في ذلك بين نشاطها في توفير مصادر المعلومات وسياسة المجتمعات التي ترنو نحو التنمية عامة، والثقافية بوجه خاص. ومن هنا تأتي أهمية تفاعل المكتبة مع نظرائها من مراكز المعلومات فتكسب بذلك من الخبرات ما يجعلها متنامية قادرة على تلبية حاجات المستفيدين.

المكتبات في دولة الإمارات العربية المتحدة:

تعمل دولة الإمارات العربية المتحدة على تحقيق الريادة والتفوق عالمياً في كل المجالات، ومنها المجال الذي يهدف إلى تعزيز البحث العلمي، وتميز الإبداع الفكري والثقافي، عن طريق تطبيق أحدث الممارسات العالمية وأفضلها، وأكثرها تطوراً وتحقيقاً للهدف المنشود، ومن أجل ذلك عملت على تطوير المكتبات المدرسية والعامة، وتحديث مراكز المعلومات، وتنويع مصادرها، وتزويدها بأحدث الإصدارات العالمية في جميع التخصصات والمجالات، ولم تغفل دور التكنولوجيا، بل سارعت في إنشاء الببليوجرافيا الوطنية لدولة الإمارات العربية المتحدة، وهي قاعدة تحتوي على بيانات ومعلومات كل كتاب ومجلة تتعلق بدولة الإمارات، كما عملت على تدشين دليل الإمارات الوطني للمكتبات، لتوفير الإحصاءات الوطنية والمؤشرات

في مجال المكتبات، من خلال التعاون الفعال والشراكات، باستخدام أحدث الوسائل التكنولوجية. وكذلك عملت على إنشاء مكتبة الإمارات الرقمية، وهي منصة إلكترونية تسعى إلى دعم وتعزيز إمكانات ودعائم صناعة ونشر المعرفة بين أفراد المجتمع الإماراتي، من خلال إبراز الإنتاج الفكري والمعرفي بالإمارات، وتعزيز دوره في دعم البنية التحتية للاقتصاد التنافسي القائم على المعرفة. ثم إن هناك المكتبة الذكية وهي مركزٌ لمصادر المعرفة باللغتين العربية والإنجليزية، تسعى فيه إلى توفير موارد المعرفة في شكل كتب ومجلات، والمواد المرجعية. وفهرس الإمارات الوطني للمكتبات، الذي يهدف إلى تطوير المكتبات والمعلومات الميدانية في الدولة لتعزيز الحياة الثقافية.

وبالإضافة إلى ذلك فقد اهتمت القيادة الرشيدة للدولة بتغذية المكتبات العامة بمصادر معلومات مختلفة الورقية والإلكترونية، هذا بجانب مبادرات المؤسسات من مثل مؤسسة محمد بن راشد للمعرفة، ومركز جمعة الماجد للتراث والثقافة.

#### جامعة الوصل . . . عالم فعال متناغم مع استراتيجيات الدولة:

وبما أنه يجب على جامعة الوصل التناغم الفعال مع هذا التطور المستمر الذي تشهده دولة الإمارات العربية المتحدة، فإنها قد أنشأت نيابة للبحث العلمي، واضعة ضمن خطتها الاستراتيجية الاهتمام بالمكتبة ومصادر المعلومات، من خلال تطوير وتعزيز سياسات وإجراءات العمل المكتبي، عن طريق تبني معايير مرجعية قياسية تسير المكتبة على هديها، وتطوير الإحاطة الشاملة التي تقدمها المكتبة لأعضاء هيئة التدريس، وللطلاب، وكذلك الاهتمام بالعنصر البشري عن طريق تنمية قدراته المعرفية والمهارية بإيفاده إلى دورات متنوعة ومختلفة، والاشتراك في قواعد بيانات عالمية وشبكات المعلومات التي تربط الجامعات في دولة الإمارات، ووضعت خطة لعقد الندوات العلمية والمناقشات الثقافية، والمسابقات البحثية، وهي تعمل على تنفيذ ذلك بالفعل على أرض الواقع، ناهيك عن حرص الجامعة على تزويد المكتبة بمصادر المعرفة أولاً فأول.

#### مكتبة جامعة الوصل الإلكترونية:

وإيماناً من الجامعة بأهمية التطور التكنولوجي العالمي الحادث في مجال أوعية المعلومات، فقد أطلقت الجامعة المرحلة الأولى من مشروعها مكتبة جامعة الوصل الإلكترونية، بالتعاون من مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ويهدف هذا المشروع إلى إطلاق خمسة عشر ألف كتاب إلكتروني (15000) على شبكة الإنترنت، كما أنها تسعى لإتاحة فهرس آلي على صفحاتها عن مصادر المعلومات الورقية والإلكترونية بنظام سيمفوني.

## برنامج علوم المكتبات والمعلومات.

وما تقوم به جامعة الوصل لا يتوقف فقط عند الاهتمام بالمكتبة ومصادر المعلومات بل إنها فكرت كيف تمارس دورها بوصفها مركزاً أكاديمياً متميزاً في دولة الإمارات، فكرت في إنشاء برنامج تعليمي لتخريج متخصصين في علوم المكتبات ومصادر المعلومات يلبون تلك الحاجة المتزايدة في سوق العمل الإماراتي والخليجي لهذا التخصص. فشرعت في إعداد دراسة جدوى عن البرنامج. كما كشفت دراسة الجدوى أن طرح برنامج في علوم المكتبات والمعلومات؛ بهدف تأهيل كوادر بشرية مؤهلة ذات كفاءة معرفياً ومهارياً للعمل في سوق العمل الإماراتي والعربي، يُعد ضرورة ملحة خاصة في ظل اقتصاد المعرفة، وتضاعفها كل ساعتين تقريباً، وفي ظل اعتماد الاقتصاد العالمي على الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي معاً. خاصة مع ما تتمتع به دولة الإمارات من وجود آلاف المؤسسات التعليمية من الروضة إلى الجامعة، ولكل منها مكتبتها المختصة في مجالها، ووجود مئات المؤسسات التابعة للوزارات وخاصة وزارة الثقافة بما تضمه من مكتبات عامة منتشرة في ربوع الدولة.

وبناء على ذلك فقد شرعت الجامعة في إنشاء قسم علوم المكتبات والمعلومات، وكونت لجنة متخصصة استعانت فيها بخبراء من خارج الجامعة، وآخرين من داخل دولة الإمارات وخارجها؛ لإعداد دراسة ذاتية لهذا البرنامج، وتقدمت به الجامعة إلى وزارة التربية والتعليم، وتم اعتماده بالفعل ليبدأ العمل به في الفصل الدراسي الثاني من هذا العام الدراسي.

ولا أملك في نهاية هذه الكلمة إلا أن أتوجه بالشكر والعرفان والتقدير لمعالي السيد جمعة الماجد، مؤسس الجامعة وراعيها منذ بدايتها في نهايات القرن المنصرم، بكل إخلاص وحماس، منذلا كافة المعوقات؛ ومنميا روح التحدي ورغبة الإنجاز، لينفتح الطريق أمام التطوير والتحسين؛ للوصول بجامعة الوصل إلى مصاف الجامعات الكبرى عالمياً.

# البحوث





الأداءُ بالسَّكْتِ في العَرَبِيَّةِ والقُرْآنِ الكَرِيمِ  
بَيَانًا وَبَلَاغَةً

**The Eloquent and Rhetoric Role of Pause in  
Enunciation of Arabic and in the Holy Qur'an**

د. علي بن يحيى عبد الرحيم  
جامعة تبوك - المملكة العربية السعودية

**Dr. Ali Yahya Nasr Abdel Rahem**  
Tabuk University- KSA

<https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.01>





## Abstract

In the situations of Arabic text enunciation, the importance of the pause in reading comes as an effective element in the disengagement of the limits of the interference of the meanings, to achieve communication between the (sender) and (receiver).

It is clear that the performance by pause is not far from the classified rhetoric mind as a method of meanings formation, and by examining the effect of performance by pauses in the eloquence of successive structures, and well as based on The complete anagrams, the research reached the rhetorical role that this color of performance performs, and the research also dealt with the eloquence of Pause in the Holy Qur'an, focusing on the analysis of its four positions in the reading of Imam Hafs, to finally conclude that each pause has its rhetoric, Hence, the research proves that performance by pause in spoken discourse has a prominent role in achieving communicative and influential functions of language.

**Keywords:** Performance/Pause/linguistics/phonetic rhetoric/verbal communication.

## ملخص البحث

يبرز (السكت) عنصراً أدائياً فاعلاً، له دوره في بيان الرسالة اللغوية المنطوقة، وفي فض الاشتباك بين حدود التراكيب المتداخلة، فضلاً عن الدور الذي يؤديه في تحقيق الأثر البلاغي لدى المستمع، عند أداء التراكيب المبنية على القطع والاستئناف، وتأصيلاً لهذا الدور، فقد قام البحث برصد بعض الإشارات التراثية التي تبين من خلالها أن هذا النمط من الأداء لم يكن بعيداً عن البيان العربي تصنيفاً واستعمالاً، ومن خلال بحث أثر الأداء بالسكت في بلاغة التراكيب المتعاقبة المبنية على ما يُعرف بلاغياً بشبه كمال الاتصال، وكمال الانقطاع مع الإيهام، وكذا المبنية على الجناس التام المركب، توصل البحث إلى الدور البلاغي الذي يؤديه هذا اللون من الأداء، وتناول البحث أيضاً بلاغة السكت في القرآن الكريم، مركزاً على تحليل مواضعه الأربعة في قراءة الإمام حفص، ليتوصل أخيراً إلى أن لكل سكتة بلاغتها، فضلاً عن المقاصد البيانية الظاهرة فيها، ومن ثم، يثبت البحث أن الأداء بالسكت في الخطاب المنطوق له دوره البارز في تحقيق الوظائف الاتصالية والتأثيرية للغة.

الكلمات المفتاحية: الأداء، السكت، اللسانيات، البلاغة الصوتية، الاتصال اللفظي.



## مقدمة

الحمد لله حتّى يبلغ الحمد منتهاه، والصّلاة والسّلام على رسول الله، سيّدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فهذه مقاربة لسانية، تتوجّه صوبَ ظاهرة صوتية من ظواهر الخطاب المنطوق في اللغة العربية، كما تقاربُ نمطًا مخصوصًا من أنماط أداء القرآن الكريم، ألا وهو الأداء بـ(السكّت)؛ لما له من أثر بارز في بيان المعاني وبلورتها، ولما له من دور كبير في تحقيق الأثر البلاغي وإدراكه في بعض التراكيب، ولا يخفى أنّ اللغة العربية في سبيل تحقيق أغراضها الإبداعية والإمتاعية والإقناعية، تعتمد على الخطاب الشفهي المنطوق، مثلما تعتمد على النصّ المكتوب تمامًا بتمام، وإذا كانت اللغة المكتوبة تتميز عن المنطوقة بالاستمرارية، وتجاوز حدود الزمان والمكان، فإنّ للغة المنطوقة لها عليها ميزة الحركة والحياة، وفي كثير من حالات أداء الخطاب المنطوق، يتوقّف بيان المعاني وتشكيلها، وإدراك الأثر البلاغي لها على النمط الصوتي الذي يُودى به الكلام.

والحقيقة أنّ بحث موضوع (السكّت) وبيان أثره في الدلالة ليس بالأمر الجديد في محيط دراسات العربية، فقد تطرّق إليه الأقدمون كما سيشير البحث في التأميل للظاهرة، كما تناوله المحدثون ضمن دراسات لغوية موسّعة، كدراسة د. مصطفى النحاس (١٩٩٥ م) «من قضايا اللغة»، التي تناولت الفواصل الصوتية في الكلام، وأثرها في المواقع النحوية (دراسة في الوقف والسكّت)، وذلك ضمن ثماني قضايا شملتها الدراسة، تمثل فروع اللغة المختلفة من: نحو، وصرف، وأصوات، ودلالة<sup>(١)</sup>. كما أشار د. حمدان أبو عاصي (٢٠٠٩ م) إلى دور الوقفات (Pauses) بوجه عام في تشكيل المعنى، وذلك في بحثه الموسوم

١- ينظر: د. مصطفى النحاس: من قضايا اللغة، ص٧، وما بعدها، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥ م.

بـ «الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى»، وهو بحث قائم على ما يعرف بـ (اللغة الجانبية) التي تصاحب الكلام وتسهم في تحديد معناه، من: الوقفات، والتنغيم، والنبر، والتزمين، والإيقاع، والسياق، والحركة الجسدية المصاحبة للكلام<sup>(١)</sup>.

وُدُرس (السَّكت) أيضاً في بحث مستقل قام به الباحث علي الخيكانى (٢٠١٥م) تحت عنوان: «مفهوم السَّكت في العربية وأثره في الإعراب والمعنى»، وقد ركزت هذه الدراسة على تحديد مفهوم (السَّكت) مقارنة بالمصطلحات المتداخلة معه في المفهوم: كالوقف، والمفصل، والاستراحة، وعلى علاقة السكت بالإعراب، ومواضع السكت، والأغراض الدلالية له<sup>(٢)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ما سيُعنى به البحث ههنا هو دور السَّكت وأثره في الكلام حين يكون الأداء به مسلماً إلى حسن البيان، وسبيلاً إلى تحقيق بلاغة القول وإدراك أثرها في الخطاب العربي المنطوق، فضلاً عن تأصيل هذا الدور من خلال الرؤية البيانية التراثية، ومن خلال القرآن الكريم، كون السَّكت يمثل أحد أنماط الأداء فيه، لا سيما السكتات الأربعة المعروفة في قراءة الإمام حفص عن عاصم، التي سوف يتلمَّس البحث في أدائها لطائف بلاغية متنوعة، وبهذا التوجّه يرجو الباحث أن يضيف إلى دائرة البحث البلاغي نقطة جديدة، وهذا ما لم يتطرق إليه أيُّ من الدراسات السابقة المشار إليها آنفاً.

ومن ثمَّ يأتي البحث في هذا الموضوع محاولاً الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما المراد بالأداء؟ وما مفهوم السكت؟ وهل عرفت العربية في تراثها هذا النمط

١- ينظر: د. حمدان رضوان أبو عاصي: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص ٥٧-٩٠، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٩م.

٢- ينظر: د. علي سعيد جاسم الخيكانى: مفهوم السَّكت في العربية وأثره في الإعراب والمعنى، ص ٢١٩-٢٤٢، مجلة العميد، السنة الرابعة، المجلد الرابع، العدد ١٦، كانون الأول ٢٠١٥م.

من الأداء؟ وهل ثمة علاقة بين الأداء بالسكت وبين البيان؟ وما دور السكت في نظم المعاني وتشكيلها، وفي تحقيق الأثر البلاغي؟ وماذا عن السكت في الأداء القرآني؟

أمّا عن منهج الدراسة، فقد سلك البحث سبيل المنهج الوصفي حيناً، والتحليلي حيناً آخر، وجاء في ثلاثة مباحث، يسبقها تمهيد، تناول تحديد مفهوم (الأداء، والسكت)، وتلحقها خاتمة، تضمنت نتائج الدراسة، أمّا المباحث الثلاثة فهي:

المبحث الأول: السكت في التراث البياني العربي .

المبحث الثاني: الأداء بالسكت بين البيان والبلاغة .

المبحث الثالث: بلاغة السكت في الأداء القرآني .



## تمهيد

الأداء: في اللغة يدور حول معنى القيام بالشيء وقضائه، وإتمامه وإنهائه؛ يقول ابن منظور (ت ٧١١هـ): «أَدَى الشيءَ: أَوْصَلَهُ، والاسم الأداءُ...»، ويقال: أَدَى فلان ما عليه أداءً، وتَأْدِيَةً، وتَأْدَى إليه الخَبْرُ، أي: أنتهى»<sup>(١)</sup>، والأداء في اللغة له وجه ارتباط بالنطق ومخارج الحروف؛ ففي معجم تاج العروس: «يقال: هو حَسَنُ الأداءِ، إذا كان حَسَنَ إِخْرَاجِ الحُرُوفِ من مَخارجِها»<sup>(٢)</sup>.

وفي تراثنا العربي، يطلق (الأداء) على الممارسة الصوتية للقرآن الكريم؛ فقد ورد في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: «الأداء عند القراءة، يطلق على أخذ القرآن عن المشايخ»<sup>(٣)</sup>، أمّا في محيط الدراسات اللسانية، فالأداء هو: فنّ النطق<sup>(٤)</sup>، أو فنّ إلقاء الكلام؛ يقول د. كمال بشر (ت ١٤٣٦هـ): «الكلام بمعنى عملية أداء الرسالة اللغوية نطقاً، أو كيفية إلقائها، فن من الفنون التي يصعب على كثير من الناس إدراك أهميتها، وتذوق قيمتها، وأسرار أبعادها، وتأثيرها في التواصل»<sup>(٥)</sup>، والأداء بهذا المعنى، يُقصد به: «المهارة الفنية في استغلال الصوت، بما يخدم الإنسان في تعامله واتصاله بالآخرين، في شكل جميل وممتع ومثير»<sup>(٦)</sup>.

من خلال ما تقدّم يمكن للباحث تعريف (الأداء) إجرائياً بأنّه: «عبارة عن ممارسة النطق باللغة بطريقة معبّرة، في مواقف اتّصالية، ضمن سياق معيّن».

- ١- لسان العرب، مادة (أدى) ١/ ١٠١، تح. أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ٢- الزبيدي: مادة (أدى) ٣٧/ ٥٧، تح. مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ضمن سلسلة التراث العربي (١٦)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ٣- محمد علي النهانوي: ١/ ١٢٧، تح. د. علي دحروج عناية، و د. عبد الله الخالدي، ترجمة: د. جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ٤- ينظر: د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ٣٤٨، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.
- ٥- فن الكلام: ١٦٥ بتصرف يسير، دار غريب، القاهرة (د. ط)، ٢٠٠٣م.
- ٦- د. عبد الحميد حسن: فن الإلقاء، ٢٧، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، (د. ط، د. ت).

السكّت: في اللغة خلاف النطق؛ يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): «السين والكاف والتاء، يدل على خلاف الكلام»<sup>(١)</sup>، وفي لسان العرب: «السكّت، والسكوت: خلاف النطق، وقد سَكَتَ يَسْكُتُ، سَكْتًا، وسكّاتًا، وسكوتًا»<sup>(٢)</sup>، وفي تهذيب اللغة: «... والسكّت من أصول الألحان: شبه تنفس بين نغمتين من غير تنفس، يراد بذلك فصل ما بينهما»<sup>(٣)</sup>. وإذا كان كل من (السكّت) و(السكوت) يدل على خلاف النطق، فإن ثمة فرقًا لطيفًا بين الكلمتين، يبيّنه الراغب الأصفهاني بقوله: «السكّت يختص بسكون النفس، أما السكوت فإنه مختص بترك الكلام»<sup>(٤)</sup>، ويتضح الفرق جليًا بين (السكّت) و(السكوت) عندما يلحق كل منهما بالأسرة الدلالية المنتمية إليها في المعاجم اللغوية<sup>(٥)</sup>؛ إذ يتصل (السكوت) من قريب أو من بعيد بالألفاظ الدالة على ترك الكلام، كالصمت، والإنصات، والإطراق، والوجوم، أما (السكّت) فلاختصاصه بسكون النفس، يقترن بالألفاظ الدالة على قطع الصوت في أثناء الكلام، كالوقف، والقطع، ومن ثم ارتبط مصطلح (السكّت) في التراث العربي بعلم الأداء والتجويد، على أنه نط مخصوص من أنماط الأداء القرآني.

والسكّت في اصطلاح علماء تجويد القرآن الكريم «عبارة عن قطع الصوت زمنًا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس»<sup>(٦)</sup>، وبهذا التعريف يميّز المتأخرون

- ١- معجم مقاييس اللغة، مادة (س ك ت): ٨٩/٣. تخ. عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).
- ٢- ابن منظور، مادة (س ك ت): ٣٠٣/٦.
- ٣- أبو منصور الأزهري: ٤٨/١٠، تخ. علي حسن هلال، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت).
- ٤- المفردات في غريب القرآن: ٢٣٦، تخ. محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت (د.ت).
- ٥- صمت و أصمّت: أطل السكوت، أما الإطراق فهو السكوت عامة، وقيل: السكوت من فرّق، والإطراق: أن يُقبل ببصره إلى صدره ويسكّت، والإنصات: هو السكوت للاستماع، أو السكوت والاستماع، والوجوم: السكوت على غيظ. لسان العرب (صمت: ٤٠٠/٧)، (طرق: ١٥٣/٨)، (نصت: ١٥٨/١٤)، (وجم: ٢٢٣/١٥).
- ٦- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ١/٢٤٠، راجعه: علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

من علماء التجويد<sup>(١)</sup> مصطلح (السّكت) عن كل من مصطلحي: (الوقف)، و(القطع) بالزمن المستغرق في الأداء؛ فيعرّفون (الوقف) بأنه: «عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنًا يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة»<sup>(٢)</sup>، أمّا (القطع) فيعرّفونه بأنه: «عبارة عن: قطع القراءة رأساً، فهو كالانتهاء؛ فالقارئ به كالمعرض عن القراءة»<sup>(٣)</sup>. وهكذا حدّد علماء التجويد بدقّة مفهوم (السّكت) في الأداء القرآني.

أمّا المحدثون، فمنهم من أقرّ (السّكت) بمفهومه لدى الأقدمين، مع إضفاء البعد التنغمي في أدائه، حيث يقول د. كمال بشر: «السّكتة في اصطلاحنا أخفّ من الوقفة، وأدنى منها زمنًا، وهي في حقيقة الأمر لا تعني إلا مجرد تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته، إشعاراً بأن ما يسبقها من كلام مرتبط أشد ارتباطاً بما يلحقها، ومتعلق به»<sup>(٤)</sup>، وكذلك يرى د. مصطفى النحاس، الذي يعرف السّكت بأنه: «نوع من الوقف بمفهومه العام، لا بمفهومه الاصطلاحي في علم وقف القرآن؛ وذلك لأنّ السّكت فيه قطع الصوت كالوقف، والفرق بينهما في الزمن، والطريقة، وأداء المعنى، فالسّكت يصحبه تنغيم معين، وزمنه أقل من زمن الوقف، ولا تنفس فيه؛ لأنه لا يدل على تمام المعنى، كما أن حركة الإعراب باقية معه، أمّا الوقف فلا بد فيه من قطع النفس، والزمن فيه حرّ غير مقيد، فقد يطول وقد يقصر، لكنه لا يصل إلى زمن السّكت، كما أنه يدل على كمال المعنى، وفيه كسر الإعراب بإحلال السكون محل الحركة»<sup>(٥)</sup>، فالسّكت إذن بوصفه نمطاً من أنماط الأداء اللغوي داخل في

- ١- ذكر الإمام ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) أن (الوقف)، و(السّكت)، و(القطع)، هذه العبارات جرت عند كثير من المتقدمين مراداً بها الوقف غالباً، ولا يريدون بها غير الوقف إلا مقيدة، وأمّا عند المتأخرين وغيرهم من المحققين فإنّ كلاً من المصطلحات الثلاث له تعريف يميزه عن الآخر، ينظر: السابق: نفسه.
- ٢- ابن الجزري، مرجع سابق: ١ / ٢٣٩.
- ٣- السابق: نفسه.
- ٤- د. كمال بشر: علم الأصوات، ٥٧٧، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٥- من قضايا اللغة: ١١٢.

إطار التنعيم، وهو شكل من أشكاله. ومن المحدثين من يطلق على هذا النمط من الأداء مصطلح (الوقفة)<sup>(١)</sup>، أو (المفصل)؛ حيث يقول د. أحمد مختار عمر: «المفصل.. عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي، بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما، أو مقطع ما، وبداية آخر»<sup>(٢)</sup>، وإن كان بعضهم يطلق مصطلح (المفصل) ليشمل: الوقفات، والسكتات، والاستراحات<sup>(٣)</sup>.

من خلال ما تقدّم ندرك أنّ (السكت) نوع من أنواع الوقف بين أجزاء الكلام المنطوق المتتابع، والفرق بينه وبين الوقف في الأداء لطيف جداً، ذلك أنّ خفة الأداء، وعدم التنفس، وقلة الزمن التي تميّز (السكت) عن (الوقف) أمور نسبية، لا يمكن ضبطها بضابط دقيق، كما أنها تختلف من متكلم إلى آخر، ومن ثمّ يبدو لنا تداخل ما بين مصطلحات (الوقف)، و(السكت)، و(المفصل) حتى عند علماء اللغة المتخصّصين<sup>(٤)</sup>، والمعول عليه في التفريق بين (السكت) و(الوقف) هو التنعيم المصاحب للأداء بالسكت، الذي يُشعر بارتباط لاحق الكلام بسابقه ارتباطاً شديداً، ويتفق الباحث في تصوّر السكت والأداء به مع رؤية د. كمال بشر<sup>(٥)</sup> في كون السكتة لا تعني إلا مجرد تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته، إشعاراً

- ١- ينظر: د. حسام سعيد النعيمي: أبحاث في أصوات العربية، ٧٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ود. عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ٣٧٩، دار صفاء، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ود. غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ٢٦٣، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ٢- دراسة الصوت اللغوي: ٢٣١، وينظر ماريو باي: أسس علم اللغة، ٩٥، ترجمة د. أحمد مختار عمر، طرابلس، ١٩٧٣م.
- ٣- ينظر د. حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، ٢٤٧، نشر زهراء الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ٤- تمّا توصل إليه الباحث علي سعيد الخيكاني أنّ هذه الظواهر الصوتية بينها تداخل كبير، فالوقف، والسكت، والمفصل، والاستراحة، كلها تدل على قطع الكلام مع وجود تفاوت في ذلك، فالوقف ما يحسن الابتداء بعده، وتمتد مدته حتى عدّ ما قبله تاماً ولا يحتاج إلى ما بعده، والمفصل يجمع بين الوقف والسكت على السواء، والسكت أو السكتة قطع الصوت من دون تنفس دلالة على اتصال ما قبلها بما بعدها، فهي فاصلة في النطق، واصلة في المعنى، والاستراحة هي فرصة لمجرد أخذ النفس ولا ضابط لها. انظر: «مفهوم السكت في العربية وأثره في الإعراب والمعنى» ص ٢٣٧.
- ٥- راجع: علم الأصوات، ص ٥٥٥، و٥٧٧.

بأن ما يسبقها من كلام مرتبط أشدّ ارتباطاً بما يلحقها، ومتعلق به، وأنها تكون مصحوبة بنغمة صاعدة دليلاً على عدم تمام الكلام.

### المبحث الأول: السكت في التراث البياني العربي

إذا كان الأداء بالسكت يمثّل شكلاً من أشكال التنغيم في اللغة المنطوقة، فإنّ من الباحثين المحدثين<sup>(١)</sup> من يرى أنّ الفكر العربيّ المصنّف لم يلتفت أصلاً إلى دور (التنغيم) في اللغة العربية، متأثرين في ذلك برأي المستشرق الألماني برجشتراسر (ت: ١٣٥٢هـ)، الذي يرى أنه باستثناء الإشارات إلى ما يشبه النغمة لدى علماء التجويد، فإنه لا يوجد نصّ في التراث العربي يمكن الاستناد عليه في إجابة مسألة: كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن؟<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الأقدمون لم ينصّوا على (التنغيم) مصطلحاً في دراساتهم اللغوية، فالحقيقة أنّ العديد من الدراسات اللغوية المعاصرة<sup>(٣)</sup> أثبتت معرفة القوم بالمفهوم العام للتنغيم، حيث يقول د. أحمد كشك: «إنّ قدامى العرب، وإن لم يربطوا ظاهرة (التنغيم) بتفسير قضاياهم اللغوية، وهم إن تاه عنهم تسجيل قواعد لها، فإنّ ذلك لم يمنع من وجود خطرات ذكية لماحة تعطي إحساساً عميقاً بأنّ رفض هذه الظاهرة تماماً أمر غير وارد، وإن لم يكن لها حاكم من القواعد»<sup>(٤)</sup>.

- ١- من هؤلاء: د. تمام حسان، الذي يرى أنّ العربية الفصحى لم تعرف دراسة التنغيم في قديمها، وأنّ القدماء لم يسجلوا لنا شيئاً عن هذه الظاهرة، وكذلك يرى الباحث محمد الأنطاكي، الذي استنتج من عدم إشارة النحاة إلى قواعد التنغيم في كتبهم أنّ هذه القواعد قديماً كانت مجهولة تماماً، ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٩٧، ١٩٨، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٧٩م، ودراسات في فقه اللغة العربية: ١٩٧، دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، (د.ت).
- ٢- انظر: برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ٤٦، ٤٧، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، مطبعة السماح، القاهرة، ١٩٢٩م.
- ٣- ينظر: د. أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، ط. القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، و د. هائل محمد الطالب: ظاهرة التنغيم في التراث العربي، منشور في مجلة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد (٩١)، السنة الثالثة والعشرون، رجب ١٤٢٤هـ/ سبتمبر ٢٠٠٣م.
- ٤- من وظائف الصوت اللغوي، ٥٧، ٥٨.

والحقيقة أنّ ما ذهب إليه (برجشتراسر) ومن سار في فلكه من محدثي اللغويين العرب من أنّ الفكر العربيّ المصنّف لم يلتفت إلى دور (التنغيم) في اللغة العربية الفصيحة لا يمكن قبوله والتسليم به على عمومه، ذلك أنّ بعض الأنماط التنغيمية ك(السكت) مثلاً كان معروفاً على مستوى التنظير اللغوي العربي، لكونه مصطلحاً له مفهوم محدد في علم الأداء والتجويد القرآني، كما كان معروفاً في الواقع اللغوي العربي التداولي تطبيقاً واستعمالاً؛ وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: عُرف (السكت) بوصفه مصطلحاً في التراث العربي في نطاق علم الأداء والتجويد، على أنه نمط مباين للوقف في الزمن وطريقة الأداء كما مرّ آنفاً، وإن كان غالب المتقدمين من أهل هذا العلم لا يميّز بينه وبين مصطلح (الوقف) أو (القطع)؛ حيث يقول ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ): «(الوقف)، و(السكت)، و(القطع)، هذه العبارات جرت عند كثير من المتقدمين مراداً بها الوقف غالباً، ولا يريدون بها غير الوقف إلا مقيدة»<sup>(١)</sup>، والتفريق الدقيق بين هذه المصطلحات لم يُعرف إلا عند المتأخرين، كما ذكر ابن الجزري<sup>(٢)</sup>.

ولم تكن الدراسات البيانية القديمة بمنأى عن إدراك أهمية الفصل بين مقاطع الكلام وحدوده في جودة الإفهام وحسن البيان، سواء في أداء الكلام المنطوق، أو في رسم النص المكتوب، حيث عقد أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) الباب العاشر من كتابه (الصناعتين) على ذكر (مبادئ الكلام ومقاطعها، والقول في حسن الخروج والفصل والوصل، وما يجري مجرى ذلك)، وفي حديثه عن المقاطع، والفصل والوصل، ذكر أبو هلال عدة مقولات منسوبة لبعض المعنيين بالبيان في الجاهلية والإسلام، يمكن للمتأمل أن يدرك من خلالها أن المقصود

١- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ١ / ٢٤٠.

٢- انظر: السابق، نفسه.

بالفصل بين مقاطع الكلام، إمّا الأداء بالسكّنة والوقفه بين حدود الجمل المتداخلة في الكلام المنطوق، أو ما يقوم مقام ذلك في رسم النص المكتوب؛ فمن المقولات التي تشير إلى دور الفصل بين مقاطع الكلام في أداء النص المنطوق، ما يأتي:

١- «قال الأحنف بن قيس: ما رأيت رجلاً تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام، ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص، كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام... حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبعته من الألفاظ»<sup>(١)</sup>.

٢- «لما أقام أبو جعفر صالحاً خطيباً بحضرة شبيب بن شيبه وأشراف قريش فتكلم، أقبل شبيب فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت كالיום أبين بيانا، ولا أربط جنانا، ولا أفصح لسانا، ولا أبلّ ريقاً، ولا أغمض عروقا، ولا أحسن طريقاً، إلا أن الجواد عسير لم يرض... وايم الله لو عرف في خطبته مقاطع الكلام لكان أفصح من نطق بلسان»<sup>(٢)</sup>.

ومن المقولات التي أورها العسكري تشير إلى أهمية الفصل بين المقاطع في رسم النص المكتوب ما يأتي:

١- «كان أكثم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتّابه: افصلوا بين كل معنى منقضى، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً ببعضه ببعض»<sup>(٣)</sup>.

٢- «كان الحارث بن أبي شمر الغساني يقول لكتّابه المرقش: إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه، ففصل بينه وبين تبعته من الألفاظ، فإنك إن مذقت ألفاظك بغير ما يحسن أن تمذق به نفرت القلوب عن وعيها، وملتها

١- أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، ٣٤٩، مطبعة محمود بك، الأستانة، الطبعة الأولى، ١٣٢٠هـ.

٢- السابق: ٣٥١.

٣- السابق: نفسه.

الأسماع، واستثقلتها الرواة»<sup>(١)</sup>.

فمن خلال تلك النصوص، ندرك مدى تقدير المعنيين بالبيان العربي قديماً لدور الفصل بين مقاطع الكلام نطقاً وكتابةً، وإن شئت قل: إنهم عُنوا بالأداء بـ(السكت: الوقف) عنصرًا مائزًا بين مقاطع الكلام المنطوق، كما ورد في وصف الأحنف بن قيس أداء عمرو بن العاص، وإطرائه عليه بأنه (كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبعته من الألفاظ)، كما عُنوا بالتمييز بين مقاطع الكلام في رسم النص المكتوب، وذلك واضح في تنبيهات أكثم بن صيفي الذي أوصى كتابه بالفصل بين كل معنى منقوض، والوصل إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعض، الأمر الذي تطوّر فيما بعد، وتبلور في صورة (علامات الترقيم)، وهي علامات اصطلاحية توضع بين الكلمات والجمل أو العبارات؛ لتفك الاشتباك الدلالي بينها، ولترشد إلى حدودها الدلالية، ولتنظم العلاقة بينها وتوضحها<sup>(٢)</sup>، غير أن هذه الإشارات وإن استثمرها البلاغيون في بناء مبحث الفصل والوصل فيما بعد، وفي تصنيف العلاقات بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب، إلا أن هذه الإشارات ونحوها لم تُدرس على نحو تحليلي واسع ومفصل، كما أنها لم تأخذ حظها الكافي من الدراسات الصوتية البيانية لدى المتأخرين من البلاغيين.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أنه في نطاق التصنيف البلاغي لدى المتأخرين في مبحث (الفصل والوصل)، وردت إشارة لافتة تؤكد على دور الأداء بالسكت تحديداً في دفع الإيهام الناشئ عن تغاير طبيعة التراكيب المتجاورة، حيث نصّ ابن عرفة الدسوقي (ت: ١٢٣٠هـ) على أن (السكت) يقوم مقام (الواو) فيما يعرف لدى البلاغيين بالوصل لكمال الانقطاع مع الإيهام، من مثل

١- السابق: نفسه.

٢- د. عبد الرحمن محمد القعود: الإيهام في شعر الحدائث العوامل والمظاهر وآليات التأويل، ٢٨٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ضمن سلسلة عالم المعرفة، العدد: ٢٧٩، ذو الحجة ١٤٢٢هـ/ مارس ٢٠٠٢م.



قولهم في المحاورات عند قصد النفي لشيء تقدم، مع الدعاء للمخاطب بالرحمة أو بالتأييد مثلاً: (لا ويرحمك الله)، (لا وأيدك الله)، حيث قال: «واعلم أن دفع الإيهام لا يتوقف على خصوص العطف، بل لو سكت بعد قوله: لا، أو تكلم بما يدفع الاتصال، ثم قال: يرحمك الله، أو: أيدك الله من غير عطف، لكان الكلام خالياً عن الإيهام، وقد فصل بعض القراء بين (عوجا) و (قيما) دفعا لتوهم أن قيما صفة لعوجا»<sup>(١)</sup>.

وإذا تأملت وجدت أن نصّ الدسوقي يحوي كلاماً نفيساً يدل على مدى إدراك قائله لخصائص الخطاب المنطوق، فضلاً عن إدراكه للوظيفة التواصلية للغة، «وهذا كلام جيد، قوي التحديد، ومزيل للحصر الذي كان قائماً في دفع الإيهام بالعطف؛ إذ الأمر قائم بين المتكلم والسامع، والسامع يستطيع بسهولة ويسر أن يرتب معاني ما يسمعه إذا ما سكت المتكلم، أو تكلم بما يدفع الاتصال، وهذا أمر مشاهد ومتخيل الوقوع كثيراً»<sup>(٢)</sup>.

كما تبّه بعض المتأخرين من النحويين إلى دور (السكت) في الإفهام النحوي، حيث عقب الشيخ يس صاحب (حاشية شرح التصريح على التوضيح) على توكيد الحرف قائلاً: «الحرف إن كان جوابياً، أو مفصلاً بسكتة، أو باعترافية، أو بعاطف فلا شرط، نحو: (لا، لا أبوح بحب بثنة إنها)، ونحو: (فما، ما من حمام أحد معتصماً)، ونحو: (ليت، وهل ينفع شيئاً ليت)، ونحو: (ليت شعري هل، ثم هل آتينهم)»<sup>(٣)</sup>.

- ١- حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ٦٧/٣، مؤسسة دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الهادي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ٢- د. يحيى محمد يحيى: دراسات وتطبيقات في علم المعاني، ١٧٢/٢، مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- ٣- حاشية يس، مطبوع بهامش شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهرى: ١٣٠/٢، دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي وشركاه) بمصر (د.ت، د.ط).

والحقيقة أن تلك الإشارات كان ينقصها ضربة بمعول آخرة حتى تتفجر ينبيعها، ولو أنها نما عودها، وتشعبت فروعها، لآتت أكلها، ولامتدّت إلى ما هو أبعد من (السكت) من مظاهر الأداء الخطابي، أقول: لو تنبّه المشتغلون بالدراسات اللغوية والبيانية إلى مثل هذه الإشارات وغيرها، لكننا قد توصلنا اليوم إلى نظريات لسانية عربية خالصة، سابقة للسانيات الغربية ومتفوقة عليها.

ثانياً: أمّا عن الاستعمال، فإنّ الباحث يزعم أن تطبيق مفهوم السكت بين حدود الجمل ومقاطع الكلام كان معروفاً وممارساً في أداء اللغة العربية قديماً وحديثاً، سواء سمي سكتاً أو وقفاً، بل أقول: إنه لا يتصور أبداً أداء اللغة المنطوقة بدونها، حيث إنه يمثّل ظاهرة فيزيولوجية ضرورية للناطق لأخذ النفس من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه لا غنى عنه للفصل بين حدود المعاني، وتمييز مقاطع الكلام، وكما يقول د. تمام حسان: «اللغة العربية الفصحى في عصرها الأول ككل لغات العالم، ربما أهملت أن تذكر الأدوات في الجملة اتكالا على التعليق بالنغمة، فكان من الممكن مثلاً أن نفهم معنى الدعاء من قولهم (لا وشفاك الله) بدون (الواو) اتكالا على ما في تنعيم الجملة من وقفة واستئناف»<sup>(١)</sup>.

لكن توظيف هذا النمط من الأداء في تشكيل المعاني، وفي تحقيق البلاغة والبيان وحسن الإفهام، لا يبلغ شأوه إلا أرباب الفصاحة والبيان، فها هي ذي السيدة عائشة - رضي الله عنها - تصف أفصح بيان بشري بقولها: «ما كان رسول الله - ﷺ - يسرد كسر دكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بيّنه، فُصّل، يحفظه من جلس إليه»<sup>(٢)</sup>، ومعنى يسرد كسر دكم «أي: يتابعه، ومثله: فلان يسرد الصيام

١- د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٢٧.

٢- رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح. سنن الترمذي: ٦ / ٣٧، تخ. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، ١٩٩٨ م.

سرداً، أي: يواليه»<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على تميّز البيان النبوي في أدائه بميزة السّكت والتوقف بين حدوده ومقاطعته، حتى يتبيّن من يسمعه فيتمكن من حفظه، فضلاً عن فهمه ووعيه وإدراك بلاغته، فقد نفت السيدة عائشة - رضي الله عنها - السرد عن كلام النبي - ﷺ - وأكدت ذلك بقولها: «ولكنّه كان يتكلم بكلام يبيّنهُ، فَصْلٌ، يحفظه من جلس إليه» بما يعني أنّ كلامه - ﷺ - كان محدّد المقاطع، بين المفاصل، بعيداً عن التابع والتداخل، وذلك شأن البيان النبوي الرفيع، وشأن كل بيان منطوق يبتغي استمالة القلوب، وجذب الانتباه، وإصغاء السامعين.

### المبحث الثاني: الأداء بالسّكت بين البيان والبلاغة

#### أولاً: السّكت والبيان

لا شك في أنّ إيصال الرسالة اللغوية واضحة جليّة، دون تداخل يُفضي إلى لبس أو غموض، هو المعنى الأول الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظة (البيان)، وفي حالات كثيرة من أداء الخطاب المنطوق، يتوقف فهم المعنى وبيانه على الطريقة الصوتية التي يُودى بها الكلام، وهنا يأتي دور (السّكت) حين يوظفه المتكلم في فضّ الاشتباك بين المعاني المتداخلة؛ ليحقّق به لسامعه الإفهام وحسن البيان.

وإذا كانت المعاني تتشكل في الذهن أولاً، ثم تظهر في صورة لفظية عند النطق بها، فإنّه ينبغي أن تتطابق الصورة اللفظية المنطوقة للمعاني مع صورتها في الذهن، وهنا يظهر دور الأداء بالسّكت ليسهم في بلورة معاني النحو وتشكيلها في الخطاب المنطوق، ولا شك في أنّ النحو هو الركيزة الأساسية التي تركز عليها المعاني في تشكيلها وبلورتها، و«من وظائف النحو الرئيسة - إن لم تكن

١ - الإمام البغوي: شرح السنة، ٢٥٦/١٣، تخ. شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

هذه وظيفته الرئيسة - أن يعين لنا ترابط أجزاء النص، وأن يحدد بأيّ كلمة أو جملة أو عبارة تتصل هذه الكلمة، أو هذه الجملة، أو هذه العبارة، داخل توالي أو تتابع وحدات النص<sup>(١)</sup>.

ومما يبرهن على أهمية الأداء بالسكت، ويبيّن دوره الحيوي في العملية البيانية، أنّ المعنى أحياناً قد يغمض على السامع أو يلتبس عند أداء التراكيب المتداخلة دونما سكت بين حدود مقاطعها، وإن شئت فتأمل ما وقع فيه الكسائي (ت ١٨٩هـ) من خلط في فهم المعنى النحوي وتوجيهه؛ بسبب غياب هذا النمط من الأداء، عندما «سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد، فقال: انظر، أفي هذا الشعر عيب؟ وأنشده:

لا يكون العَيْرُ مهراً      لا يكون المهرُ مهر

فقال الكسائي: قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي: انظر فيه! فقال: أقوى؛ لا بدّ أن ينصب (المهر) الثاني على أنه خبر لـ (يكون)، فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض، وقال: أنا أبو محمد، الشعر صواب، إنما ابتداءً فقال: «المهرُ مهر»<sup>(٢)</sup>.

فمن الواضح في هذه الواقعة، أنّ اليزيدي كان بصدد الإيقاع بالكسائي في حضرة الخليفة العباسي هارون الرشيد؛ لإثبات تفوق علمي ما، ومن ثمّ ألبس بأدائه دون السكت على الكسائي بناء البيت وإعرابه، مما جعل الكسائي يتوهم أنّ فيه عيباً من عيوب القوافي هو: (الإقواء)<sup>(٣)</sup>؛ ومن ثمّ قال: «أقوى»، يعني

- ١- د. عبد الرحمن محمد القعود: الإبهام في شعر الحدائة، ٢٦٢.
- ٢- السيوطي: الأشباه والنظائر، ٣/ ٢٤٥، تخ. إبراهيم محمد عبد الله، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٨٦ م. والخبر مذكور في ترجمة: علي بن حمزة الكسائي، في معجم الأدباء، لياقوت الحموي، انظره: ٤/ ١٧٤٢، تخ. د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.
- ٣- الإقواء: هو اختلاف حركة الروي في قصيدة واحدة، انظر: الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص ١٦٠، تخ. الحساني حسن عبد الله، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ م.

الشاعر؛ ذلك أن البيت كما فهمه الكسائي مبني على فتح حرف الروي (الراء) من كلمة (مهر)، باعتبار أنها خبر لـ (يكون)، والبيت الذي قبله مبني على ضم حرف الروي (الراء) من كلمة (صقر) لأنها فاعل (نقر)، وهو<sup>(١)</sup>:

مَارَأَيْنَا خَرَبًا نَقَّرَ      عَنْهُ الْبَيْضَ صَقْر

ويبدو أن وسيلة (اليزيدي) للنيل من منافسه (الكسائي) كانت بأداء البيت دوغما سكت بين مقاطعه المتداخلة، وإيهامه بأن عبارة (لا يكون المهرُ مهرٌ) مبنية على جملة واحدة، من مضارع (كان) المنفية مع اسمها وخبرها، وهذا غير صحيح، لأن التركيب مكون من جملتين، أولاهما: جملة (لا يكون)، والأخرى: جملة (المهر مهر) الاستثنائية، وعلى هذا فإن (مهر) الثانية حقها الرفع، لا النصب، حيث يقول ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ): «رفعت - يعني مهر الثانية - على أنها خبر لـ (مهر)، و (لا يكون) تأكيد للأولى، وقوله: (المهر مهر) كلام مستجد»<sup>(٢)</sup>، ولأن التفريق بين النمطين من التراكيب لا يكون إلا بأداء الأولى مفصولة بسكتة عن الثانية، حدث ما حدث ووقع الكسائي في حيلة اليزيدي، ولنا أن نتخيل كيف أدى اليزيدي البيت بعد ذلك بالسكت موضحاً طبيعته التركيبية، فضلاً عن إزالته اللبس الذي ألبس به على الكسائي وأوقعه فيه من قبل، وعندئذ يمكن القول بأن اليزيدي أدى البيت بأداء مختلف، من الممكن أن نتخيله فيه أنه يسكت على (لا يكون) الثانية بأداء تنغمي صاعد، وبنبرة ضاغطة، مع مط صوتي للمد بالواو ربماً، إشعاراً بأنها مرتبطة بما قبلها ومؤكدة له، وأن تعلقها بما قبلها من الكلام، لا بما بعدها، وهنا يتأكد لنا أثر السكت الجلي في البيان، كما تتأكد ضرورة الأداء بالسكت بين حدود التراكيب المتداخلة؛ لإبراز طبيعتها التركيبية، ولتجنب السامع الخلط في فهم معانيها.

١- معجم الأدباء (سابق): ٤ / ١٧٤٢.

٢- ابن هشام الأنصاري: الألفاظ النحوية، ٤٢، تخ. موفق فوزي الجبر، دار الكتاب العربي، القاهرة، الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

والحقيقة أن السكت لا ينشئ علاقات نحوية لا وجود لها<sup>(١)</sup>، وإنما يختار من العلاقات النحوية الكامنة ما يظهر بهذا الأداء، فمثلاً في قول جميل بثينة:

لا، لا أبوح بحبُّ بثنة إنَّها أخذت عليّ موثقاً وعهوداً<sup>(٢)</sup>

إذا أُدِّي هذا البيت دونما سكت بين (لا) الأولى و(لا) الثانية، كانت الثانية من قبيل التوكيد اللفظي للأولى، أما إذا سُكت بينهما، فإنَّ السكتة ستكون بمثابة تشكيل جديد للمعنى في هذا التركيب؛ تكون فيه (لا) الأولى من بقايا جملة مختزلة قائمة بذاتها، وتكون (لا) الثانية بداية لجملة أخرى مستأنفة، ولعل في هذا من البلاغة ما لا تجده مع الأداء بغير السكت، حيث يقول د. أحمد مختار عمر: «الشاعر يجيب عن سؤال وارد أساسه: هل تبوح بحب بثنة؟ فكان جوابه: لا، ثم سكت وبدأ في إعطاء تقرير جيد مؤداه: لا أبوح بحب بثنة، إنها أخذت عليّ موثقاً وعهوداً. السكت هنا أساس في هذا الفهم»<sup>(٣)</sup>. ولا يخفى أن السكت بعد (لا) الأولى على النحو المشار إليه هو أدخل في البلاغة، وأولى بالبيان.

أما السكت قبل تمام المعنى المتصل فإنه لا يمثّل بياناً، ولا يحقق إفهاماً، بل إنه في بعض الأحيان قد يؤدي بالبيان، ويؤدّي إليّ اللبس في موطن الإفهام، وقد عاب النبي ﷺ على الخطيب الذي سكت بين الشرط والجواب في قوله: (من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما، فقد غوى)، قائلاً له ﷺ: «بسّ الخطيب أنت»<sup>(٤)</sup>؛ فقد نقل الألويسي (ت: ١٢٧٠هـ) عن بعض أهل العلم أنه ﷺ

١- ينظر: د. أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، ٨٠.

٢- جميل بثينة: ديوانه، ٦٩، جمع وتحقيق وشرح: د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.

٣- د. أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، ٨٠.

٤- الحديث في صحيح مسلم، عن عدي بن حاتم ﷺ: «أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: بسّ الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله»، وكثير من شراح الحديث على أن رسول الله ﷺ أنكر على الخطيب تشريكه في الضمير المقتضي للتسوية مع لفظ الجلالة، وأمره بالعطف تعظيماً لله تعالى بتقديم اسمه، وقد اختار الباحث التعليل القائم على ربط الإنكار بالأداء بترك السكت، مدعوماً بما نقله في المتن عن بعض أهل العلم؛ =

«ذم الخطيب؛ لأنه وقف على (يعصهما)، وسكت سكتة»<sup>(١)</sup>، وبهذا الأداء يلتبس المعنى، ويتساوى من يطع الله ورسوله مع من يعص الله ورسوله في الرشد، قال أبو جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١هـ): «وإنما كان ينبغي له أن يقول: ومن يعصهما فقد غوى، أو يقف عند قوله: فقد رشد، ثم يبتدئ بقوله: ومن يعصهما فقد غوى...، وإذا كان ذلك مكروهاً في الخطب، وفي الكلام الذي يكلم به بعض الناس بعضاً، كان في كتاب الله عز وجل أشد كراهة»<sup>(٢)</sup>، ومن ثمَّ يتبين أنَّ السَّكت المطلوب هو السَّكت المفضي إلى حسن البيان، عندما تتداخل المعاني وتختلط الدلالات، أما السَّكت في غير موضعه قبل اكتمال المعاني المتلاحمة، فإنه قد يفضي إلى سوء الفهم وعدم البيان.

### ثانياً: السَّكت والبلاغة

ارتبط مصطلح (البلاغة) منذ ظهوره بالدلالة على حسن الكلام، وتبليغه تمام مقصود المتكلم لدى السامع، فالبلوغ هو من يصنع كلامه معبراً عمّا في صدره، فيبلغ به غايته من متلقّيه بأيسر طريق وأحسن تعبير، وهذا المفهوم نابع من الدلالة اللغوية للفظ نفسه؛ حيث إن مادة (بلغ) في المعاجم العربية تدور على وصول الشيء إلى غايته ومنتهاه<sup>(٣)</sup>، ومن ثمَّ سميت البلاغة بهذا الاسم؛ لأنها «تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه»<sup>(٤)</sup> كما يقول أبو هلال العسكري. وقد

= لما له من أثر في إبراز قيمة هذا النمط من الأداء. ينظر: صحيح مسلم: ٢ / ٥٩٤، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، وينظر: شرح السنة، للبخاري: ١٢ / ٣٦٠، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي: ٦ / ١٥٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١- تفسير روح المعاني: ١٦ / ٢٠٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط، د.ت).  
٢- الطحاوي: بيان مشكل الآثار، ٨ / ١١٤، تح. شعيب الأرنؤوط، دار النشر، بيروت، (د.ط، د.ت)، وكان الإمام الطحاوي قد علق على الحديث في باب عقده تحت عنوان: باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ مما يدل على أنه لا ينبغي للرجل في كلامه أن يقطعه إلا على ما يحسن قطعه عليه، ولا يحول به معناه عما تكلم به من أجله.

٣- ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: (ب ل غ) ١ / ٣٠١.

٤- الجاحظ: البيان والتبيين، ١ / ٩١.

أضاف عبد الله بن المقفع إلى مفهوم البلاغة بعداً جديداً عندما أشار إلى عدة وجوه تجرى البلاغة فيها ومن خلالها، وذلك بعدما سئل: ما البلاغة؟ حيث قال: «البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً، ومنها ما يكون رسائل، فعامّة ما يكون في هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى...»<sup>(١)</sup>.

والبلاغة بمفهومها الاصطلاحي ترتبط بكل من طرفي العملية الاتصالية: المتكلم (المرسل)، والسامع (المستقبل) على حد سواء، حيث عرّف الخطيب القزويني بلاغة الكلام بأنها: «مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته»<sup>(٢)</sup>، ومن هنا ندرك أنّ البلاغة العربية تقوم على مراعاة طرفين هما: «الأول: هو المتلفظ بالخطاب البليغ، ويجب أن تتوافر فيه صفات معينة حتى يتمكن من التأثير في مخاطبه، وبلوغ المبلغ الذي يريد منه، والطرف الثاني: هو المتلقي للخطاب المبعوث في شكل رسالة سليمة وبليغة تضمن وصول قصد المتكلم ومراده إلى مخاطبه والتأثير فيه من خلال توظيف ما يناسب من أدوات اللغة وتراكيبها»<sup>(٣)</sup>.

ومّا لا شك فيه أنّ البلاغة كما تتحقق بنظم الكلام وهيئات تراكيبه، من حذف وذكر، وتقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، ووصل وفصل... إلخ، فإنها تتأكد بالكيفيات التي يُؤدى بها الكلام، من: هبوط، وارتفاع، ونغمة، وتلوين، وتزمين، وتوقف، وسكت... إلخ، وقد أعجبني كثيراً كلام العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، حيث قال في مقدمة تفسيره (التحرير والتنوير): «إنّ

١- العسكري: الصناعتين ٦.

٢- الإيضاح في علوم البلاغة: ١١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د. ط، د. ت).

٣- د. باديس لهويل: التداولية والبلاغة العربية، منشور في مجلة (المختبر) أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد (٧) ٢٠١١م، ص ١٦٥.



بلاغة الكلام لا تنحصر في أحوال تراكيبه اللفظية، بل تتجاوز إلى الكيفيات التي تؤدّي بها تلك التراكيب؛ فإنّ سكوت المتكلم البليغ في جُمَلِه سكوّاً خفيفاً، قد يفيد من التشويق إلى ما يأتي بعده، ما يفيدُه إبهام بعض كلامه ثم تعقيبه ببيانه»<sup>(١)</sup>، وهذا كلام نفيس من عالم نحرير، وهو وثيق الصلة بمدار البحث وغايته.

والسّكت بين حدود الجمل المتعاقبة عند النطق بها يؤدّي دوراً حيويّاً وفاعلاً في إدراك الأثر البلاغي لتراكيب تلك الجمل، فمثلاً في التراكيب المبنية على الاستئناف البياني، كقولك: (أحسنّت إلى زيد، زيدٌ حقيق بالإحسان)<sup>(٢)</sup>، فإنّ السّكت على (زيد) في الجملة الأولى من شأنه أن يعزّز الأثر البلاغي للاستئناف من الترقّب والتشوق في نفس السامع؛ لكون الجملة الثانية (زيدٌ حقيق بالإحسان) بمثابة الجواب لسؤال اقتضته وأثارته الأولى.

وأحسب أن هذا النمط من الأداء له موقعه الجيد من البلاغة؛ ذلك أنّ المتكلم باستعماله لهذا الأسلوب القائم على الإيضاح بعد الإبهام، يعبر عن متابعته لفكر المخاطب، ومراقبته لخُلجات نفسه ووثبات حسّه، وإذا كان الخطيب القزويني قد أجمل سرّ بلاغة هذا الأسلوب في قوله: «وتنزّل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة؛ إما لتنبية السامع على موقعه، أو لإغنائه عن أن يسأل، أو لئلا يُسمع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه، أو للقصد إلى تكثير المعنى لتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطفة، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك»<sup>(٣)</sup>، فإنّ الباحث يرى أنه إذا سكت المؤدّي بمثل هذا التركيب سكتة خفيفة بعد الجملة الأولى المكتنفة بشيء من الظلال والغموض، فإنّ هذا السكت من شأنه أن يحدث مزيداً من الإثارة والترقب والتطلّع في نفس السامع، حتى إذا

١- تفسير التحرير والتنوير: ١/ ١١٧، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

٢- من الأمثلة التي ذكرها الخطيب القزويني للاستئناف البياني، بإعادة اسم ما استؤنف عنه، راجع الإيضاح في علوم البلاغة: ١٢٥.

٣- الإيضاح في علوم البلاغة: ١٢٤.

جاءه الجواب في الجملة الآتية بعد سكتة معبرة، تمكّن في نفسه أيما تمكّن، وأداء التراكيب المبنية على (الاستئناف البياني) دوغما سكت بين جملة الاستئناف وبين التي قبلها، قد يذهب ببريق البلاغة ويريق ماءها، ويضعف الأثر البلاغي لتلك التراكيب لدى السامع .

ونلاحظ في معظم الأبيات الشعرية المبنية على الاستئناف البياني، أن جملة الاستئناف تأتي في بداية الشطر الثاني من البيت، وهذا بدوره يؤدي إلى سكتة طبيعية على حدود الجملة الأولى المقتضية للسؤال في نهاية الشطر الأول، تقتضيها طبيعة أداء الشعر، أو تأتي جملة الاستئناف في بداية البيت اللاحق بعد سكتة طبيعية أيضاً على نهاية البيت السابق، وهذه السكتة وإن كان يقتضيها أداء الشعر، إلا أنها مما يزيد من فعالية الأثر البلاغي لهذا النمط من التراكيب، فمثلاً في قول المتنبي:

وما عَفَتُ الرياحَ له مَحَلًّا      عفاهُ من حدا بهم وساقا<sup>(١)</sup>

بني البيت على الاستئناف البياني في شطره الثاني، ذلك أن الشاعر عندما قال: (وما عفت الرياح له محلاً) كان مظنة أن يسأله سائل عن الفاعل فأردف قائلاً: (عفاهُ من حدا بهم وساقا)، ويزعم الباحث أن السكتة الطبيعية بين شطري البيت لها دور كبير في تحقيق الأثر النفسي للاستئناف، وفي إدراك قيمته البلاغية المتمثلة في التشويق، وجذب انتباه المتلقي لتمام الكلام بعد السكتة، والتشويق من الأغراض البلاغية التي لها دورها في الإمتاع والتأثير في آن، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ): «ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالميزة أولى،

١- المتنبي: ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري: ٢ / ٢٩٤، ضبطه: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (د.ط، د.ت)، يقول: لا ذنب للرياح لأنها لم تدرسه، ولم تغير منزلها، وإنما عفاها الحادي، فالذنب للحداه. والبيت من شواهد الإيضاح: ص ١٢٦.

فكان موقعه في النفس أجلاً وألطف»<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة مجيء جملة الاستئناف في بداية البيت اللاحق، قول الشاعر<sup>(٢)</sup>:

اعْتَادَ قَلْبُكَ مِنْ لَيْلَى عَوَائِدَهُ      وَهَاجَ أَهْوَاءَكَ الْمَكْنُونَةَ الطَّلُّ  
رَبْعُ قَوَاءٍ أذَاعَ الْمَعْصِرَاتُ بِهِ      وَكُلُّ حَيْرَانَ سَارٍ مَاؤُهُ خَضْلُ

فلما ذكر الشاعر في البيت الأول أن الطلل قد هاج أهواءه المكنونة، أدرك تشوق نفس السامع إلى معرفة خبر هذا الطلل وصفته، فاستأنف حديثاً عنه في البيت التالي، وبنى الكلام على حذف صدر الاستئناف وهو المسند إليه، فقال: (ربع قواء أذاع المعصرات به)، ونظيره كثير في بناء الشعر، من ما يقطع فيه الشعراء كلامهم ويستأنفون معاني أخرى مبنية على حذف صدر الاستفهام.

وهذه الصورة من صور بناء التراكيب في الشعر العربي أشار إليها الإمام عبد القاهر، حيث قال: «ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ (القطع والاستئناف)، يبدأون بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ»<sup>(٣)</sup>، واستشهد عبد القاهر لهذه الصورة من صور الحذف بشواهد عدة، وذكر أن لها من اللطف والظرف الكثير، حتى صار الحذف فيها قلادة الجيد، وقاعدة التجويد<sup>(٤)</sup>، كما أشار الإمام إلى أن حذف المبتدأ في هذا الموضع أجمل ماتراه في ذكر الديار، وفي مقام المدح<sup>(٥)</sup>، وعلل لذلك الدكتور محمد أبو موسى

١- الجرجاني: أسرار البلاغة: ١١٨، تخ. محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٩٥٩ م.

٢- البيتان من شواهد دلائل الإعجاز: ١٤٦. قال الشيخ شاکر في التحقيق: نسبهما البغدادي لعمر بن أبي ربيعة، وليسا في ديوانه.

٣- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ١٤٧.

٤- ينظر: السابق ١٥١.

٥- ينظر: السابق: ١٤٧.

بأن حذف المبتدأ في هذا الموضع مرده إلى امتلاء النفس، وشدة التأثير بالمعنى<sup>(١)</sup>. ويرى الباحث أن هذا النمط من البناء التركيبي من شأنه أن يستقطب المتلقي، ويلفت انتباهه، ويشير في نفسه التشوق والتطلع إلى متابعة تلك الأخبار المتلاحقة الدائرة على المسند إليه المقدم، مع تكثيف الصورة الواصفة أو المادحة، أو القادحة، ويكتمل هذا الأثر البلاغي بالأداء بالسكت بين نهاية البيت الأول وبين بداية الثاني، بما من شأنه أن يدعم الأثر النفسي والبلاغي للاستئناف البياني.

وقد أشار الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور إلى أن السكوت أو (الوقف) بمعناه العام يحدث الأثر البلاغي نفسه الذي يحدثه الاستئناف البياني، وإن لم تكن التراكيب مبنية على شبه كمال الاتصال، حيث قال: «فإذا كان من مواقع البلاغة نحو الإتيان بلفظ الاستئناف البياني، فإن السكوت عند كلمة وتعقيها بما بعدها، يجعل ما بعدها بمنزلة الاستئناف البياني، وإن لم يكن عينه، مثاله قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۗ إِذْ نَادَتْهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۗ ﴾<sup>(٢)</sup>، فإن الوقف على قوله (موسى)، يحدث في نفس السامع ترقباً لما يبين حديث موسى، فإذا جاء بعده (إذ ناداه ربه الخ)، حصل البيان<sup>(٣)</sup>. ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الطاهر بن عاشور كان يعتمد كثيراً على الوقف بمعناه العام في التوجيه البلاغي للتراكيب القرآنية، فمثلاً، يذكر الشيخ في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> أنك «إن وقفت على كلمة (رَيْبَ)، كان من قبيل إيجاز الحذف، أي: لا ريب في أنه الكتاب، فكانت جملة (فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) ابتداء كلام، وكان مفاد حرف (في) استنزال طائر المعاندين، أي: إن لم يكن كله هدى فإن فيه هدى، وإن وصلت

١- ينظر: خصائص التراكيب: ١٦٤، نشر مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢- سورة النازعات: الآيتان ١٥، ١٦.

٣- تفسير التحرير والتنوير: ١١٧/١.

٤- سورة البقرة: الآية ٢.

(فيه) كان من قبيل الإطناب، وكان ما بعده مفيداً أن هذا الكتاب كله هدى»<sup>(١)</sup>، وبوجه عام، فإن المتتبع للتوجيهات البلاغية لدى أصحاب مدرسة التفسير البياني للقرآن الكريم، يدرك مدى أهمية الوقفات والسكتات في تشكيل الجمل والتفريق بين أنماطها.

ومن جانب آخر، يدرك البلاغيون في بحث العلاقات بين الجمل أن ثمة تبايناً في طبيعة الدلالة بين الجملتين: الخبرية والإنشائية، هذا التباين يجعل العلاقة بين الجملتين منقطعة تماماً، ومن ثم يقولون بأنه لا مسوغ للعطف بينهما بالواو؛ «لأن العطف بالواو يقتضي كمال المناسبة بينهما، والمناسبة تنافي كمال الانقطاع»<sup>(٢)</sup>، وسواء أكان التباين لفظاً ومعنى، أم كان معنى فقط، فلا مسوغ لعطف إحداهما على الأخرى؛ لأنّ البون الشاسع بين دلالة الخبرية ودلالة الإنشائية يحول دون اشتراكهما في الحكم عند الجمع بينهما بالواو، وفي صورة من صور التراكيب المختزلة، يؤدي التجاور بين الجملتين: الخبرية والإنشائية إلى تداخل نصي، قد يفضى أحياناً إلى معنى مناقض لما يريده المتكلم، وتتحقق هذه الصورة عندما تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، ويكون الفصل بينهما بترك العاطف موهماً لخلاف المقصود، وهو ما يعرف بلاغياً بالفصل لكمال الانقطاع مع الإيهام<sup>(٣)</sup>، ومنه قولهم في المحاورات عند قصد النفي لشيء تقدم مع الدعاء للمخاطب بالتأييد: (لا أيدك الله)، فقولهم: (لا)، نفي لمضمون كلام مخبر به، أو مسؤول عنه، كأن يقال: أنت أسأت إلى فلان، فيقال: لا، أي ما أسأت إليه، ويقال: هل الأمر كما زعم فلان؟ فيقال: لا، أي ليس الأمر كما زعم. وقولهم: (أيدك الله)، جملة إنشائية معنى؛ لأن فحواها الدعاء للمخاطب، فلو أدى المتكلم الجملتين هكذا (لا أيدك

١- تفسير التحرير والتنوير: ١/ ١١٧.

٢- حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ٣/ ٦٧.

٣- ينظر: الشيخ عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، ٢/ ٧٣، مكتبة الآداب - القاهرة ١٩٩٩م. - ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

الله) دونما تمييز بين حدود الخبرية المنفية منهما (لا)، والإنشائية معنى (أيدك الله)، لتوهم عكس ما يريده المخاطب؛ لأن النفي بـ (لا) متصلاً بجملة الدعاء الإنشائية (الخبرية شكلاً) يوهم نفيها، ومن ثم يكون نفي التأييد دعاءً على المخاطب لا دعاءً له، وهنا لا بد من الوصل بالواو (لا وأيدك الله)، أو يكون الأداء بالسكت بين (لا) و (أيدك الله) هو السبيل لتحقيق البيان في هذا النمط من التراكيب.

ولأن مدار أمر البلاغة على البيان وحسن الإفهام، ألحق بعض الدارسين كمال الاتصال بكمال الانقطاع مع الإيهام في دفع الإيهام بالواو، أو بطريق الأداء بالسكت؛ حيث يقول الشيخ عبد المتعال الصعيدي (ت: ١٣٨٦هـ): «وقيل: إنه يأتي في كمال الاتصال أيضاً عند ذلك الإيهام، كما تقول لمن سألك: هل تشرب خمراً؟ لا، وتركت شربه، وقيل: إنه يتعين الفصل في مثل هذا، ويدفع الإيهام بطريق آخر فيقال مثلاً: لا، قد تركت شربه، أو يسكت قليلاً بعد (لا)»<sup>(١)</sup>.

ومما هو متصل بدور السكت في الإدراك البلاغي أداء الجناس التام المركب، حيث يتفق اللفظان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها، مع كون أحد اللفظين مركباً<sup>(٢)</sup>، ففي أداء هذا النوع من الجناس، لا بد من التمييز صوتياً بالسكت بين المجانس المكون من كلمة واحدة، والآخر ذي البنية المتعددة، يقول د. أحمد كشك: «إنّ البلاغيين قد تصوروا فيما درسناه من نماذج الجناس أن هناك اتفاقاً لفظياً تاماً، في الموقف الذي يؤكدون فيه وجود خلاف في المعنى، ولو سألوا أنفسهم: ما الذي أظهر ذلك الخلاف في المعنى؟ لكان من الطبيعي أن يُرد أمره إلى أن هناك قيمة صوتية في التركيب يعرف المعنى على أساسها، ولو لم يكن هناك من وجود لهذه القيم الصوتية لحدث ما تخشاه اللغة، وترفضه عملية

١- السابق: نفسه.

٢- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني: ٣٩٣.

الكلام، وهو اللبس والغموض»<sup>(١)</sup>، فمثلاً، في المثال الشهير الذي يستشهد به البلاغيون للجناس التام وهو:

عَضْنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَا، بِهِ<sup>(٢)</sup>

إذا أدَّى البيتُ دوغماً سكتة خفيفة بين (بنا)، و(به) في شطره الثاني، فإن من الصعب أن يدرك السامع معناه لأول وهلة، وهذه السكتة كفيفة بتحقيق فهم معنى البيت لدى السامع، إضافة إلى تنبيهه على إدراك القيمة البلاغية لهذا اللون من البديع؛ حيث يتحقق لدى السامع «حسن الإفادة، مع أن الصورة صورة الإعادة»<sup>(٣)</sup>.

والحقيقة أن الدراسات البلاغية لو كانت قد ارتكزت على الخطاب المنطوق بقدر ارتكازها على النصّ المقروء في إدراك الأثر البلاغي، لكان نتاجها أكثر إسهاماً في تحقيق الوظيفة التواصلية للغة العربية، ولعلّ البلاغيين معذورون في ذلك بأنّ الدرس الصوتي العربي لم يساعدهم كثيراً في تأسيس نظريات صوتية متكاملة يمكن الانطلاق منها نحو درس بياني لساني، يُنظر للأداء البليغ ويوجهه، وهذا يؤكد على ضرورة التحاقل والتكامل بين فروع الدرس اللغوي العربي؛ لأنّ الدرس اللغوي كما يقول د. أحمد كشك: «لا يفهم جزؤه دون وعي كامل بكل أبعاد هذا الدرس، ومن هنا حُق له وهو في نطاق صرفي أن يجعل الصوت هادياً له، وحق له في نطاق النحو أن يوجه قيم الأصوات توجيهاً مفسراً، وحق له أن يستخدم المعطيات السابقة كلها في سبيل فهم لفرع من فروع القول، هو فرع البلاغة العربي»<sup>(٤)</sup>.

١- من وظائف الصوت اللغوي: ١٣١، ١٣٢.

٢- البيت في خزنة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي: ١/٥٩، شرح: عصام شعيتو، ط. دار ومكتبة الهلال - بيروت - الأولى: ١٩٨٠ م.

٣- الإيضاح، للقزويني: ٣٩٥.

٤- من وظائف الصوت اللغوي: ٣.

### المبحث الثالث: بلاغة السكت في الأداء القرآني

يمثل (السكت) نمطاً خاصاً من أنماط الأداء القرآني لدى بعض القراء؛ فأبو جعفر المدني (ت: ١٢٧هـ) يسكت على كل حرف من حروف الهجاء الواردة في فواتح السور، نحو: (الم، الر، المر، كهيعص، طه، طس)، ويلزم من سكته على هذه الحروف المقطعة، إظهار المدغم والمخفي منها، وقطع همزة الوصل بعدها<sup>(١)</sup>، والغرض من السكت على هذا النحو كما قال ابن الجزري: «ليبين بهذا السكت أن الحروف كلها ليست للمعاني كألادوات للأسماء والأفعال، بل هي مفصولة وإن اتصل رسماً، وليست بمؤتلفة، وفي كل واحد منها سر من أسرار الله تعالى الذي استأثر الله بعلمه»<sup>(٢)</sup>، فالسكت لهذا الغرض، مردّه إلى تمييز نوعي بين حروف المعاني التي تعرفها العربية، وبين الحروف الافتتاحية ذات الطابع الخاص التي بدأت بها بعض سور القرآن الكريم، كما يلفت السكت أيضاً إلى الأسرار البلاغية الخبيئة وراء تلك الحروف، مما لا يعلم كنهه إلا علام الغيوب، والسكت بهذا الأداء يحقق قيمة بلاغية جيدة، هي التنبية وجذب الأسماع، حتى يتحقق الإصغاء.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مناط البحث هنا هو سكتات الإمام حفص بن سليمان (ت: ١٨٠هـ)؛ لأنّ ثمة لطائف بلاغية متنوعة في كل موضع منها، ويسكت حفص في أربعة مواضع من الذكر الحكيم، هي<sup>(٣)</sup>:

١- على الألف المبدلة من التنوين في ﴿عِوَجًا﴾، من قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيمًا...﴾<sup>(٤)</sup>.

١- ينظر: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ١ / ٤٢٦.

٢- السابق: نفسه.

٣- ينظر: السابق: ١ / ٢٦٢.

٤- سورة الكهف: الآية ١، وبعض الآية ٢.



٢- وعلى ألف ﴿مَرَقِدْنَا﴾ من قوله تعالى في سورة يس: ﴿قَالُوا يَنْوَلِّنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

٣- وعلى نون ﴿مَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَائِقَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ في سورة القيامة.

٤- وعلى لام ﴿بَلَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup> في سورة المطففين.

والغرض الظاهر من سكت حفص في هذه المواضع الأربعة من القرآن الكريم مردّه إلى تحقيق البيان، والحرص على جودة الإفهام، بنفي ما يتوهم فهمه عند الأداء بغير السكت، حيث يقول شيخ زادة (ت: ٩٥١هـ): «اعلم أنّ حفصاً وقف على تنوين ﴿عَوَجًا﴾، مبدلاً ألفه بسكتة لطيفة من غير قطع نفس، إشعاراً بأنّ ﴿قَيْمًا﴾ ليس متصلاً بـ ﴿عَوَجًا﴾، وإنما هو من صفة الكتاب...، ويقف على ﴿مَرَقِدْنَا﴾، ويبتدئ بقوله ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾؛ ليفهم من الوقف أنّ كلام الكفار قد انقضى، وأنّ ما بعده كلام غيرهم، قيل: هم الملائكة، وقيل: المؤمنون، ومنها: أنّه يقف على ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَائِقَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾، ويبتدئ بـ ﴿رَاقٍ﴾؛ لثلاثي توهم أنها كلمة واحدة على فعال، اسم مبني للمبالغة من مرق، يمرق، فهو مراق، ومنها: أنّه يقف على لام ﴿بَلَّ﴾ في قوله تعالى ﴿بَلَّ رَانَ﴾ ويبتدئ بـ ﴿رَانَ﴾ لما تقدم<sup>(٤)</sup>.

لكن الذي يلفت إليه البحث هو أنّ السكت في هذه المواضع الأربعة وإن كان مردّه إلى تحقيق البيان فإنّ ثمة بعض اللطائف البلاغية التي يمكن أن يتلمّسها

١- سورة يس: الآية ٥٢.

٢- سورة القيامة: الآية ٢٧.

٣- سورة المطففين: الآية ١٤.

٤- حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٤٧، ٢٤٨، ط. مكتبة الحقيقة - استانبول - تركيا - ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

الباحث من خلال الأداء بالسكت في هذه المواضع؛ لا سيما إذا عرفنا أن السكت فيها رهين الرواية والنقل والسمع؛ حيث يقول ابن الجزري «الصحيح أن السكت مقيّد بالسمع والنقل، فلا يجوز إلا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته»<sup>(١)</sup>، ومن ثم أقول، وبالله التوفيق:

أما السكت على الألف المبدلة من التنوين في (عوجا)، من قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيمًا...﴾، فإن فيه من بلاغة التوكيد بالتكرير ما يقطع الطريق على أي مدّع يشكك في استقامة الكتاب الكريم، أو يرتاب في قوامته، فقد نفى الله عَجَلًا عن القرآن العوج أولاً في قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا)، وجاءت صياغة ﴿عِوَجًا﴾ منكرة في سياق النفي؛ لتفيد العموم، «أي: شيئاً من العوج، بنوع اختلال في النظم، وتنافٍ في المعنى، أو انحراف عن الدعوة إلى الحق»<sup>(٢)</sup>، ونفي العوج عن كتاب الله يثبت له الاستقامة ضمناً، ثم يأتي قوله ﴿قِيمًا﴾ ليثبت الاستقامة للكتاب الكريم صراحة ونصاً، فكان معنى الاستقامة أثبت للقرآن الكريم مكرراً، مرة بالنفي، وأخرى بالإثبات، «وإنما جنح إلى التكرير لفائدة منقطة النظير، وهي التأكيد والبيان، فربّ مستقيم مشهود له بالاستقامة، مجمع على استقامته، ومع ذلك فإن الفاحص المدقق قد يجد له أدنى عوج، فلما أثبت له الاستقامة أزال شبهة بقاء ذلك الأدنى الذي يدق على النظرة السطحية الأولى»<sup>(٣)</sup>، ومعنى قيماً، أي: «بالمصالح الدينية والدينية للعباد...، فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال، أو على ما قبله من الكتب السماوية، شاهداً بصحتها، ومهيماً عليها، أو متناهيّاً في الاستقامة»<sup>(٤)</sup>.

١- النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٤٣.

٢- أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٣/ ٤٩١، تخ. عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض (د.ت)

٣- محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، ٤م، ج ١٥، ص ٤٣٨، اليمامة للطباعة والنشر، ودار ابن كثير، دمشق، وبيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤- تفسير أبي السعود: ٣/ ٤٩٢.

وعلى الرغم من أن ﴿عَوَجًا﴾ رأس آية، والوقوف على رؤوس الآيات في القرآن الكريم جائز، بل مستحب، إلا أن الأداء بالسكوت في قراءة حفص على ﴿عَوَجًا﴾، من شأنه أن يلفت الأذان والأذهان إلى شيء مميز في بناء التركيب، حيث يقول الزمخشري: «فإن قلت: بم انتصب ﴿قِيمًا﴾؟ قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمر، ولا يجعل حالاً من الكتاب؛ لأن قوله ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ﴾ معطوف على ﴿أَنْزَلَ﴾، فهو داخل في حيز الصلّة، فجاعله حالاً من الكتاب فاصل بين الحال وذو الحال ببعض الصلّة، وتقديره: ولم يجعل له عوجاً، جعله قيماً؛ لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد»<sup>(١)</sup>، والأداء بالسكوت في ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوَجًا﴾ قِيمًا ... هو الذي يوجه إلى أن ﴿قِيمًا﴾ ليس متصلاً بـ ﴿عَوَجًا﴾، وإنما هو من صفة لـ (الكتاب).

وأما السكوت على ألف ﴿مَرَقِدًا﴾ من قوله تعالى في سورة يس: ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرَقِدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، فإنه يضع حداً فاصلاً بين كلام الكفار المنقضي بـ ﴿مَرَقِدًا﴾، وبين كلام غيرهم من المؤمنين أو الملائكة، على رأي من يجعل ﴿هَذَا﴾ مبتدأ، و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبره، وما مصدرية أو موصولة»<sup>(٢)</sup>، «وقيل: إن ﴿هَذَا﴾ صفة لـ ﴿مَرَقِدًا﴾، و﴿مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ مبتدأ محذوف الخبر»<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا التوجيه يكون للأداء بالسكوت دور آخر في تصوير سرعة إفاقة الكافرين بعد تعجبهم ودهشتهم من رؤية النشور، فكأنهم من فرط ذهولهم ودهشتهم سألوا: ﴿مَنْ بَعْثَنَا مِنْ مَرَقِدِنَا﴾، ثم لم يلبثوا أن استحضرت نفوسهم ما كانوا يندرون به في الدنيا، فاستأنفوا عن تعجبهم قولهم ﴿هَذَا مَا

١- الكشاف: ٣/ ٥٦٤.

٢- السابق: ٥/ ١٨٢.

٣- ابن جزي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، ٢/ ٢٢٦، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾، وهذا الكلام خبر مستعمل في لازم الفائدة، وهو أنهم علموا سبب ما تعجبوا منه، فبطل العجب، فيجوز أن يكونوا يقولون ذلك كما يتكلم المتحسر بينه وبين نفسه، وأن يقوله بعضهم لبعض، كل يظن أن صاحبه لم يتفطن للسبب، فيريد أن يعلمه به»<sup>(١)</sup>، ولا يخفى دور الأداء بالسكت في تصوير سرعة الإفاقة بعد الذهول، ولو تخيلنا وضع الأيدي على الجباه عندما يقول الكافرون ﴿هَذَا مَا وَعَدَ﴾ لأدركنا القيمة التصويرية الرائعة للأداء بالسكت في هذا الموضع.

وأما سكت حفص على ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْأَرْوَاقَ ﴿١٦﴾ وَفِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾، فبالإضافة إلى ما فيه من نفي الوهم الفاسد من تصور ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ كلمة واحدة (مراق)، يرى الباحث أن ثمة ملمحاً بلاغياً يمكن تلمسه بالفيء إلى ظلال النص القرآني، فالمشهد في سورة القيامة يصور حالة الضعف الإنساني ساعة الاحتضار، وفي هذا المشهد يبدو الجسد الإنساني ساكناً خائراً بعد طول حراك، وفي هذا الجو المهيب يصور القرآن الكريم ببراعته تلك الغصة في حلوق الحاضرين، والدهشة في منطقتهم، فالسكت على ﴿مَنْ﴾ في الآية يوحى بدهشة وروع رفيق المحتضر، حتى كأنه من روع ما يشاهد يغصّ حلقه بكلمات الإسعاف، فلا تخرج تلك الكلمات إلا متقطعة متحشجة ﴿مَنْ رَاقٍ﴾، والموقف الداعي إلى الذهول لا يحتمل مزيداً من الكلمات والعبارات، فكانت الصياغة القرآنية ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ بأسلوب استفهامي مشوب باللهفة والدهشة في آن، «فالقرآن في الآية يريد أن يصور مشهد الاحتضار وكأنه مائل حاضر، فيجعله يخرج من ثنانيا الألفاظ، ويتلامح من خلال الصورة، ويبرز شاخصاً بصمت يشعر الإنسان بالغصة، بل يجدها في حلقه، والغصة عقبة أمام الصوت، أو حائل أمام الروح، ولكي يتحرك المشهد وينطق بأبعاده كلها، كان لا بدّ من لحظة صمت، (وقفة أو

١- ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ٢٣ / ٣٨.

سكتة) توحى بما يريد القرآن أن يخلقه في روع المتلقي من شعور يكاد ينتابه عند قراءة الآية ويحسّه في حلقه»<sup>(١)</sup>.

والسكت على لام ﴿بَل﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ في سورة المطففين، فهو وإن كان فيه من البيان أن لا تدغم لام ﴿بَل﴾ في راء ﴿رَانَ﴾ فيوهم النطق بها إذ ذاك أن الكلمة مثني (بران)، فلعلّ فيه من البلاغة ما يلفت إلى عجب صنع الذنب في توجيه القلب والسيطرة على أرجائه، ذلك أن ﴿بَل﴾ المسكوت عليها في الآية تبطل قول المكذبين في القرآن الكريم بأنه أساطير الأولين، وتعلّل لتوجههم إلى القول بذلك بما اقترفوه من المعاصي والذنوب، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَلِئَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وكأنّ السكت على ﴿بَل﴾ يلفت انتباه سامع القرآن إلى الأثر العظيم الذي تحدثه الذنوب والمعاصي في توجيه العاصي قولاً وفعلاً، يقول أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ): «بَلْ رَانَ: بيان لما أدى بهم إلى التفوّه بتلك العظيمة، أي: ليس في آياتنا ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة، بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي، حتى صارت كالصدا في المرأة، فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق»<sup>(٣)</sup>.

أمّا عن كيفية الأداء بالسكت في الأداء القرآني، فالضابط في ذلك أمران، أحدهما: أن السكت زمنه أقل من زمن الوقف، وهذا أمر تقديري ونسبي، حتى إنّ أئمة الأداء اختلفوا فيه طولاً وقصراً، وجاءت عباراتهم في وصفه متفاوتة على النحو الآتي<sup>(٤)</sup>: (سكتة يسيرة)، (سكتة قصيرة)، (سكتة مختلصة من غير

١- د. مصطفى النحاس: من قضايا اللغة، ١٣٣.

٢- سورة المطففين: الآيات ١٠: ١٤.

٣- تفسير أبي السعود: ٤٩٨/٥.

٤- ينظر: النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٤٣.

إشباع)، (وقفة يسيرة)، (وقفة خفيفة)، (وقفة)، (تسكت حتى يظن أنك قد نسيت ما بعد الحرف)، والثاني: أن الأداء به لا يصحبه تنفس، وهذا أيضاً مختلف فيه، فمنهم من يحمله على ظاهره، ومنهم من يرى أنه إشارة إلى عدم الإطالة في الفصل، أو دون مهلة، واختار ابن الجزري أن تكون (دون) بمعنى (من غير)، موافقاً بذلك ما أجمع عليه أهل الأداء من المحققين من أن (السكت) لا يكون فيه تنفس، سواء قل زمنه أو كثر<sup>(١)</sup>.

وعموماً، فإنّ هذا النمط وغيره من الأداء القرآني يثبت بما لا يدع مجالاً للشك معرفة الأقدمين بالقيم الصوتية الأدائية (التنغيمية)، ولو كان المشتغلون بالدراسات اللغوية العربية انطلقوا من معطيات علم الأداء والتجويد نحو تكوين نظريات لسانية متكاملة، لكان لنا السبق في تأسيس علم لساني عربي خالص، مثلما كان لنا السبق في تأسيس غيره من علوم اللغة.

١- ينظر: السابق، نفسه.

## الخاتمة

من خلال المحاور التي تمت مناقشتها، يرصد البحث هنا ما انتهى إليه من نتائج على النحو الآتي:

١- أن الأداء عبارة عن ممارسة النطق باللغة بطريقة معبرة، في مواقف اتصالية، ضمن سياق معين، وأداء الخطاب المنطوق فن له أهميته في التواصل، وفي تذوق التعابير وإدراك قيمتها وأسرارها البلاغية.

٢- أن (السكت) نوع من أنواع الوقف بين أجزاء الكلام المنطوق المتتابع، إلا أن الوقف يحسن الابتداء بما بعده، أما السكت فإنه وإن كان فاصلاً صوتياً إلا أن ما قبله متصل بما بعده، والفرق بينه وبين الوقف في الأداء لطيف جداً، والمعول عليه في التفريق بين (السكت) و(الوقف) هو التنعيم المصاحب للأداء بالسكت، الذي يشعر بارتباط لاحق الكلام بسابقه ارتباطاً شديداً، فالسكتة لا تعني إلا مجرد تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته، وتكون مصحوبة بنغمة صاعدة دليلاً على عدم تمام الكلام.

٣- من خلال مناقشة الرأي القائل بأن الفكر العربي المصنّف لم يلتفت إلى دور (التنعيم) في اللغة العربية، أثبت البحث أن الأداء بالسكت كان معروفاً على مستوى التنظير اللغوي العربي؛ لكونه مصطلحاً له مفهوم محدد في علم الأداء والتجويد القرآني، كما أنه كان معروفاً في الواقع اللغوي العربي التداولي تطبيقاً واستعمالاً، وذلك من خلال النصوص التي تضمّنتها بعض الدراسات البيانية التراثية، والتي أشارت إلى أهمية الفصل بين مقاطع الكلام وحدوده في جودة الإفهام وحسن البيان، إلا أن تلك الإشارات كان ينقصها ضربة بمعولٍ آخرة حتى تتفجر ينبوعها.

٤- أبرز البحث حيوية السكت وفعاليتها في الإفهام والبيان، وفي تشكيل المعاني وبلورتها، وفي فض الاشتباك بين حدود التراكيب المتداخلة، فإذا كانت المعاني تتشكل في الذهن أولاً، ثم تظهر في صورة لفظية عند النطق بها، فإنه ينبغي أن تتطابق الصورة اللفظية المنطوقة للمعاني مع صورتها في الذهن، أما السكت قبل تمام المعنى المتصل فإنه قد يؤدي بالبيان، ويؤدي إلى اللبس في موطن الإفهام.

٥- أكد البحث على أن البلاغة كما تتحقق بنظم الكلام وهيئات تراكيبه، من حذف وذكر، وتقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، ووصل وفصل... إلخ، فإنها تتأكد بالكيفيات التي يؤدي بها الكلام، والسكت بين حدود الجمل المتعاقبة عند النطق بها يؤدي دوراً حيوياً وفعالاً في إدراك الأثر البلاغي لها، كالتراكيب المبنية على الاستئناف البياني، وكذلك المبنية على ما يعرف بلاغياً بالفصل لكمال الانقطاع مع الإيهام، وكذلك الجناس التام المركب، وتتمثل القيمة البلاغية لهذا الأداء في التشويق، وجذب انتباه المتلقي لتمام الكلام بعد السكته، وتحقيق الإمتاع والتأثير في آنٍ.

٦- أن السكت في القرآن الكريم يمثل نمطاً خاصاً من أنماط الأداء القرآني لدى بعض القراء؛ وهو وإن كان مرده إلى تحقيق البيان في الظاهر، فإن ثمة لطائف بلاغية تلمسها الباحث من خلاله، فسكت أبي جعفر على الحروف المقطعة يؤدي إلى التنبيه، وجذب الأسماع للإصغاء، والتعجيب من نمطها العجيب، وسكت حفص على الألف المبدلة من التنوين في (عوجا) فيه من بلاغة التوكيد بالتكرير ما يقطع الطريق على أي مدع يشكك في استقامة الكتاب الكريم، أو يرتاب في قوامته، والسكت على ألف (مرقدنا) فيه تصوير لسرعة إفاقة الكافرين بعد تعجبهم ودهشتهم من رؤية النشور،



والسّكت في سورة القيامة يصوّر حالة الضعف الإنساني ساعة الاحتضار، بتركيز المشهد على الغصّة التي بدت في حلوق الحاضرين من خلال تصوير منطقتهم، أمّا السّكت على (بَلْ) في المطففين فإنه يلفت إلى الأثر العظيم الذي تحدثه الذنوب والمعاصي في توجيه العاصي قولاً وفعلاً. والبحث في مجمله يثبت أنّ الأداء بالسّكت في الخطاب المنطوق له دوره البارز في تحقيق الوظائف الاتصالية والتأثيرية للغة.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، جلّ من أنزله.
- الألو سي (شهاب الدين السيد محمود، ت: ١٢٧٠هـ): تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط، د.ت).
- أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧.
- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٧٦ م.
- الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد، ت: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، تخ: علي حسن هلالي، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د. ت).
- باديس لهوميل: التداولية والبلاغة العربية، منشور في مجلة (المختبر) أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد (٧) ٢٠١١ م.
- برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، تخ. د. رمضان عبد التواب، ط. السماح، القاهرة، ١٩٢٩ م.
- البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود، ت: ٥١٦هـ): شرح السنة، تخ. شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، وبيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣.
- التبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن الشيباني، ت: ٥٠٢هـ)، الكافي في العروض والقوافي، تخ. الحساني حسن عبد الله، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤ م.
- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى، ت: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تخ. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط) ١٩٩٨ م.
- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٧٩.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٥٥هـ): البيان والتبيين، تخ. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ / ١٩٧٨ م.

- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت: ٤٧١هـ): أسرار البلاغة، تح. محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٩٥٩م.
- الجرجاني (السابق): دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، المدني بالقاهرة، وجدة، ط٣، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد، ت: ٨٣٣هـ): النشر في القراءات العشر، راجعه: علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- ابن جزري الكلبي (أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزري، ت: ٧٤١هـ): التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، نشر زهراء الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- حسام سعيد النعيمي: أبحاث في أصوات العربية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- حمدان رضوان أبو عاصي: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٩م.
- الدسوقي (محمد بن عرفة الدسوقي، ت: ١٢٣٠هـ): حاشية الدسوقي على شرح السعد، ضمن شروح التلخيص، مؤسسة دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الهادي، بيروت، ط٤، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- الراغب الأصفهاني (أبي القاسم الحسين بن محمد ت: ٥٠٢هـ): المفردات في غريب القرآن، تح. محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت (د.ت)
- الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني، ت: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تح. مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ضمن سلسلة التراث العربي (١٦)، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- الزمخشري (جار الله محمود بن عمر، ت: ٥٣٨هـ): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، تح. عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

- السخاوي (أبو الحسن علم الدين علي بن محمد، ت: ٦٤٣هـ): جمال القراء وكمال الإقراء، تح. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م.
- أبو السعود (محمد بن محمد بن مصطفى، ت: ٩٨٢هـ): تفسيره المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح. عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت).
- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ): الأشباه والنظائر، تح. إبراهيم محمد عبد الله، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٨٦ م.
- شيخ زاده (محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، ت: ٩٥١هـ)، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا (د.ط) ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م.
- الطحاوي (أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي، ت: ٣٢١هـ): بيان مشكل الآثار، تح. شعيب الأرنؤوط، دار النشر، بيروت (د.ط، د.ت).
- ابن عاشور (محمد الطاهر، ت: ١٣٩٣هـ): تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.
- عبد الحميد حسن: فن الإلقاء، دار نشر الثقافة - الإسكندرية (د.ط، د.ت).
- عبد الرحمن محمد القعود: الإيهام في شعر الحدائث: العوامل والمظاهر وآليات التأويل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ضمن سلسلة عالم المعرفة، العدد: ٢٧٩، ذو الحجة ١٤٢٢هـ / مارس ٢٠٠٢ م.
- عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م.
- عبد المتعال الصعيدي (ت: ١٣٨٦هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، (دط) ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م.
- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله ت: ٣٩٥هـ): الصناعتين: الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، الآستانة، ط١، ١٣٢٠هـ.
- علي سعيد جاسم الخيكاني: مفهوم السُّكْت في العربية وأثره في الإعراب والمعنى، مجلة العميد، السنة الرابعة، المجلد الرابع، العدد ١٦، كانون الأول ٢٠١٥ م.

- غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تخ: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).
- القزويني (جلال الدين محمد بن القاضي سعد الدين، ت: ٧٣٩هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ت).
- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، (دط) طرابلس، ١٩٧٣م.
- المتنبي، ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (د.ط، د.ت).
- محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تخ: د. علي دحروج عناية، و د. عبد الله الخالدي، ترجمة: د. جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م.
- محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، نشر مكتبة وهبة، ط٤، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م
- محيى الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة للطباعة والنشر، ودار ابن كثير، دمشق، وبيروت، ط٧، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- مسلم (أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: ٢٦١هـ): صحيح مسلم، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)،
- مصطفى النحاس: من قضايا اللغة، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، ت: ٧١١هـ): لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- النووي (محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، ت: ٦٧٦هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

- ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين، ت: ٧٦١هـ): الألفاظ النحوية، تخ. موفق فوزي الجبر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- يحيى محمد يحيى: دراسات وتطبيقات في علم المعاني، ط. الأمانة، القاهرة، ط١، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
- يس بن زين الدين الحمصي، حاشية يس على شرح التصريح، مطبوع بهامش شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي وشركاه) بمصر (د.ت، د.ط).

## References:

- The Holy Quran.
- Al-Aalusi (Shihab Al-Din Al-Sayed Mahmoud, d. 1270 AH): Interpretation of Roh EL- Maani, Dar Ehyaa Alturaath, Beirut, (W. E. D).
- Ahmed Kishk: Among the functions of linguistic sound is an attempt to understand morphological, grammatical, and semantic, Al-kahera, 2nd edition, 1997.
- Ahmed Mokhtar Omar: A Study of Linguistic Voice, Aalam Al-Kotob, Cairo, 1st edition, 1976.
- Al-Azhari (Abu Mansour Muhammad bin Ahmed, d. 370 AH): Refining the language, Achievement of Ali Hassan Hilali, review: Muhammad Ali Al-Najjar, The Egyptian House of Authorship and Translation (W. E. D).
- Badis Lahouimel: deliberative and Arabic rhetoric, published in the (Al-Mokhtabbar) magazine, researches in the Algerian language and literature, University of Mohamed Khader, Biskra, Algeria, Issue (7) 2011 AD.
- Bergstrasser: The Grammar Development of the Arabic Language, Achievement of Dr. Ramadan Abdel Tawab, Al-Samah, Cairo, 1929.
- Al-Baghawi (Abu Muhammad al-Hussein bin Masoud, ed. 516 AH): Explaining the Sunnah, Achievement of Shuaib Al-Arnaout, and Muhammad Zuhair Al-Shawish, Islamic Office, Damascus, and Beirut, 2nd edition, 1403/1983.
- Al-Tabrizi (Abu Zakaria Yahya bin Ali bin Muhammad bin Al-Hassan Al-Shaibani, d. 502 AH), Al-Kafi in Al-Arod and Al-Qawafi, Achievement of. Al-Hassani Hassan Abdullah, published by Al-Khanji Library, Cairo, 3rd floor, 1415 AH/1994 AD.
- Al-Tirmidhi (Abu Issa Muhammad bin Isa, d. 279 AH), Sunan Al-Tirmidhi, Tah. BasharAwwadMaarouf, published by Dar AlGharb AlIslami, Beirut, (W.E.D).1998.
- 10. Tammam Hassan: Research Methods in Language, Dar Al-Thaqafa, Casablanca, Morocco, 1st edition.11979.
- Al-Jahiz (Abu Othman Amr bin Bahr, d. 255 AH): Albayan wa Altabyeen, Achievement of Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo, 7th edition, 1418 AH/1978 AD.
- Al-Jorjani (Abu Bakr Abd al-Qaher bin Abd al-Rahman bin Muhammad, d. 471 AH): Asrar al-Balagha, Achievement of Muhammad Rashid Reda, Cairo Library, 1959.

- Al-Jorjani (previous): Dalael Al- eajaz, Achievement of Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani in Cairo, and Jeddah, 3rd edition, 1413 AH/1992 AD.
- Ibn al-Jazari (Abu al-Khair Muhammad ibn Muhammad, d. 833 AH): publishing in the ten readings, see: Ali Muhammad al-Sabbagh, House of Scientific Books, Beirut (W. E. D).
- Ibn Jazi al-Kalbi (Abu al-Qasim Muhammad bin Ahmed bin Jazi, d. 741 AH): Al-Tasheel fe Oloom Al-Tanzeel, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1st edition, 1415 AH/1995 AD.
- Hossam El-Bahnasawy: Phonological Studies of Arab Scientists and the Modern Phonological Lesson, published by Zahraa Al-Shorouk, Cairo, 1st edition, 1426 AH/2005AD.
- Hussam Saeed Al-Nuaimi: Research in Aswat Al-Arabiya, Cultural Affairs House, Baghdad, 1st edition, 1418 AH/1998 AD.
- Hamdan Radwan Abu Assi: Performances accompanying the speech and its effect on meaning, The Journal of the Islamic University, Volume XVII, Second Issue, June 2009.
- El-Dsouky (Mohamed Ibn Arafa El-Desouky, ed. 1230 AH): A footnote to El-Desouky's explanation of Al-Saad, within explanation of the summaries, Dar Al-Bayan Al-Arabi Foundation for Printing, Publishing and Distribution, and Dar Al-Hadi, Beirut, 4th edition, 1412 AH/1992 AD.
- Ragheb Al-Isfahani (Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad d. 502 AH): Vocabulary in Gharib Al-Qur'an, Tah. Mohamed Kilani, House of Knowledge, Beirut (W. E. D)
- Al-Zubaidi (Muhammad Murtada Al-Husseini, 1205 AH): The crown of the bride is one of the jewels of the dictionary. Mustafa Hijazi, the National Council for Culture, Arts and Letters in Kuwait, within the Arab Heritage Series (16), 1st edition, 1422 AH/2001 AD.
- Al-Zamakhshari (Jarallah Mahmoud bin Omar, v. 538 AH): Al-kashaaf, Achievement of Adel Ahmed Abdel-Mawgoud, and Ali Muhammad Moawad, Al-Obeikan Library, Riyadh, 1st edition, 1418 AH/1998 AD.
- Al-Sakhawi (Abu Al-Hassan Alam Al-Din Ali Bin Muhammad, Tel. 643 AH): Gamal Al-Eqraa wa Kamal Al-Ekraa. Achievement of Ali Hussein Al-Bawab, Heritage Library, Makkah Al-Mukarramah, 1st edition, 1408 AH/1988AD.
- Abu al-Saud (Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa, d. 982 AH): his interpretation, Achievement of Abdul Qadir Ahmed Atta, Modern Riyadh Library, Riyadh, (W. E. D).



- Al-Suyuti (Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, ed. 911 AH): Al\_Ashbaah wa Al-naza-eer, Achievement of Ibrahim Muhammad Abdullah, publications of the Arabic Language Academy in Cairo, 1986.
- Sheikh Zadeh (Muhammad bin Musleh al-Din Mustafa al-Qawjawi, ed. 951 AH), footnote to Sheikh Zadeh on the interpretation of the oval, The Library of Truth, Istanbul, Turkey 1419 AH/1998 AD.
- Al-Tahawi (Abu Ja`far Ahmad bin Muhammad al-Azdi, ed. 321 AH): Bayaan Moshkal El-Aathaar, Achievement of Shoaib Al-Arnaout, Publishing House, Beirut (W. E. D).
- Ibn Ashour (Muhammad al-Tahir, d. 1393 AH): Al-Tahreer wa Al-Tanweer, Tunisian Publishing House, Tunis, 1984 AD.
- Abdel Hamid Hassan: The Art of Speech, Culture Publishing House - Alexandria (W. E. D).
- Abdul Rahman Muhammad Al-Qaoud: The Thumb in Modernity Poetry: Factors, Manifestations, and Mechanisms of Interpretation, The National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, Within the World of Knowledge Series, Issue: 279, Dhul-Hijjah 1422 AH/March 2002.
- Abdul Qadir Abdul Jalil: Modern Linguistics, Dar Safa, Amman, Jordan, 1st edition, 1422 AH/2002 AD.
- Abdel-Mutaal Al-Saidi (d. 1386 AH): with a view to clarifying the summary of the key in rhetoric, Library of Literature, Cairo, (D) 1420 AH/1999AD.
- Al-Askari (Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah, 395 AH): Alsenaat: Writing and Poetry, Mahmoud Bek Press, Al-Astana, 1320 AH.
- Ali Saeed Jassem Al-Khikani: The concept of silence in Arabic and its effect on expression and meaning, Al-Ameed Magazine, fourth year, fourth volume, number 16, December 2015.
- Ghanem Qadduri Al-Hamad: Introduction to Arabic Phonology, Publications of the Iraqi Scientific Academy, Baghdad, 1st edition, 1420 AH/1999AD.
- Ibn Faris (Abu al-Hussein Ahmad bin Faris bin Zakaria, v. 395 AH): Maqayees ALLoga, Achievement of Abd al-Salam Haroun, Dar al-Fikr for printing, publishing and distribution, Cairo, (W. E. D).
- Al-Qazwini (Jalal al-Din Muhammad ibn al-Qadi Saad al-Din, d. 739 AH): Al-Eedaah, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Lebanon (W. E. D).

- Kamal Bishr: Phonology, Dar Gharib, Cairo, I 1, 1421/2000.
- Mario Bay: Foundations of Linguistics, translated by Dr. Ahmad Mukhtar Omar, Tripoli.
- Al-Mutanabbi, explained by Abi Al-Baqi Al-Akbari, seized by: Mustafa Al-Saqa et al., Dar Al-Maarefa for Printing and Publishing, Beirut (W. E. D).
- Muhammad Ali Al-Tahanwi: Encyclopedia of Arts and Science Terminology Encyclopedia, Achievement of Dr. Ali Dahrouj Enaya, and Dr. Abdullah Al-Khaldi, translation: Dr. George Zinati, Library of Lebanon Publishers, 1st edition, 1996 AD. 42. Muhammad Muhammad Abu Musa: Characteristics of the Compositions, published by Wahba Library, 4th edition, 1416 AH/1996 AD
- Mohy Al-Din Al-Darwish: The Syntax and Explanation of the Noble Qur'an, Al-Yamamah for Printing and Publishing, and Dar Ibn Katheer, Damascus and Beirut, 7th edition, 1420 AH/1999AD.
- Muslim (Abu al-Husayn ibn al-Hajjaj al-Qushairi al-Nisaburi, d. 261 AH): Sahih Muslim, Commentary: Muhammad Fuad Abd al-Baqi, Arab Heritage Revival House, Beirut (W. E. D).
- Mustafa Al-Nahas: From Language Issues, Kuwait University Publications, First Edition, 1415 AH/1995 AD.
- Ibn Manzoor (Muhammad bin Makram bin Ali bin Ahmed Al-Ansari, d. 711 AH): Lesaan AL Arabs, Achievement of Amin Muhammad Abdul-Wahhab, and Muhammad al-Sadiq al-Ubaidi, Arab Heritage Revival House, and the Foundation for Arab History, Beirut, Lebanon, 3rd edition, 1419 AH/1999 AD.
- Al-Nawawi (Muhyiddin Abu Zakaria Yahya bin Sharaf, d. 676 AH): Almenhaag Sharh Sahih Muslim bin Al-Hajjaj, the Arab Heritage Revival House, Beirut, 2nd edition, 1392 AH.
- Ibn Hisham Al-Ansari (Abu Muhammad Abdullah Jamal al-Din, 761 AH): Grammatical Puzzles, Achievement of Mowaffaq Fawzi Al-Jabr, Arab Book House, Cairo, I 1, 1417 AH/1997 AD.
- Yahya Muhammad Yahya: Studies and Applications in Meaning, i. The Secretariat, Cairo, I 1, 1410 AH/1989 AD.
- Yassin Zain Al-Din Al-Homsi, Hasheyat Yassin, by Sheikh Khaled Al-Azhari, Arab Books Revival House (Issa Al-Halabi & Co.) Egypt (W. E. D).



البعء التءاوءل للنعص القانوءل  
قانوءن الطفل فل ءولة الإمارة نموءجًا

**Deliberation in Legal Texts:  
UAE Child Law as a Model**

ء. رانلة أءمء رشلء شاهلن  
كللة الءقنلة العللا - قسم البنلن - الشارقة

**Dr. Ranya Ahmed Rasheed Shaeen**  
HCT- Men's College- Sharjah

<https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.02>





## Abstract

The Linguistic approach is in a continuous attempt to prove its suitability and compatibility to all text types. The applied/pragmatic tools of the linguistic approach, are thus, applicable to all sorts of texts, apart from the pure linguistic ones. This study tackles legal texts, specifically articles 2 to 6, UAE Child Law. The rationale behind limiting the study focus to those articles only has been to shed light on the textuality of legal texts and their compatibility with linguistic methodologies approved for such a type of texts. The study adopted the descriptive/analytical approach.

The 3 paradigms of Speech acts: the Locutionary, Illocutionary, Perlocutionary and their influence the recipient of the texts are all attempted. The study concluded that that the language used in legal discourse can be term "Jargon" that enabled Law professionals to codify legal texts, as per the commonly known linguistic/ pragmatic notions.

**Keywords:** Linguistiques -Pragmatics -Parole – Speech Acts- Narration – Argumentation.

## ملخص البحث

تسعى الدراسة اللسانية بكل حيثياتها إلى إثبات مدى نجاعة آلياتها المطبقة على جميع النصوص المحررة، وبيّنت أنّ أدوات التطبيق اللسانية التداولية صالحة لمختلف النصوص سواء أكانت لسانية بحتة أم غير ذلك، فُبْنيت الدراسة على النص القانوني ولتسحب النصوص، اقتصرت الدراسة على جزء من قانون حماية الطفل، وتم تحديد هذه النصوص فيما بين المادة (٢) إلى المادة (٦)؛ رغبة في بيان نسقية النصوص القانونية المحررة، ومدى توافقها مع الطرق اللسانية المعتمدة عند أهل القانون، مما لا جدال في صحة تحريره وتقنيته. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي للنص القانوني.

فتم تطبيق آليات البعد التداولية المستندة على ثلاثة مرتكزات تدور في فلك الأفعال الكلامية القولية والتأثيرية والإنجازية، وما يتبعه من تأثير في المتلقي، وإنجاز للمطلوب وفقاً للآلية الحجاجية المتبعة في النص المحرر، فأظهرت الدراسة أنّ لغة النص القانوني، صُنفت ضمن اللغات المتخصصة؛ لامتلاكها مفردات ومصطلحات شاعت بين أهل القانون سنحت لهم التشريع وفق الأبعاد اللسانية التداولية.

الكلمات المفتاحية: اللسانية – التداولية – لغة – الأفعال الكلامية – القولية – الحجاج.



## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

تسعى الدراسات اللسانية إلى إبراز مدى نجاعة آلياتها في تطويع أساليبها لخدمة العلوم الإنسانية، فتعد الدراسات القانونية من ألصق العلوم الإنسانية اتصالاً بها، فسبر أغوار النصوص القانونية، مبحث حديث عكف الباحثون على تمحيصه وبيان خباياه، فلم تقتصر الدراسة على علم خاص أو محدد في المبحث اللساني؛ مما يؤكد البينيّة التي تتمتع بها اللسانيات.

علاوة على ذلك، فقد عُرف النص القانوني منذ الأزل أنّه النص المنظم لحياة البشر، المعالج لكل خلل. لذا نجده قد صيغ بطرق وأساليب لسانية، تُبعد اللبس والظن التأويلي.

فمن هذا المنطلق، ارتأيت أن أشرع في دراسة لغة النص القانوني، ولتنوع النصوص القانونية واتساع دائرتها التشريعية، قننت مجال الدراسة، بقانون حماية حقوق الطفل.

فمرتکز الدراسة، هو تأكيد حقيقة أنّ لغة القانون، هي لغة صالحة للدراسة اللسانية، التداولية، وأنها أرض خصبة للتمحيص والبحث الحثيث؛ لما تميزت به من خصائص جعلتها تُنعت بأنّها لغة مختصة وبامتياز.

إشكالية البحث: تكمن مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن:

- هل النص القانوني بؤرة صحيحة للدراسة التداولية.
- مدى توافر الآليات التداولية في النص القانوني ونجاعته.



الدراسات السابقة: ثمة دراسات ومقالات سابقة لبحثي، تناولت الفكرة من جانب واحدة أو من عدة جوانب، فمن الدراسات أو المقالات من ركز على الحجاج من منظور تداولي، ومنهم من درس الخطاب الحجاجي وحلله وبين آلياته لكن بطرق مختلفة، ركزت على تحليل الخطاب السياسي وما شابه ذلك، ومن تلك الدراسات والمقالات:

- ١- د. أحمد عبد الحميد عبد الحميد، دراسة الخطاب الحجاجي من منظور الجدل التداولي، عالم الفكر، العدد ١٨٢، ٢٠٢٠.
- ٢- أحمد عبد الحميد عمر، تحليل المناورة الاستراتيجية في الخطاب الحجاجي، جامعة عين شمس، المجلد ١٤، العدد ٢، ٢٠١٩.
- ٣- مقال: أحمد السكيسوي، النزعة الاستمولوجية لفهم القانون: نحو دائرة تداولية لعلم القانون، مجلة حكمة، ٢٠١٧ م.
- ٤- مقال مترجم: مارثيلا غريكو لانييلا، ترجمة: مصطفى عاشق، لغة الإقناع في الخطاب القانوني)، ٢٠١٧.
- ٥- د. محمد إسماعيل بصل وآخر، بلاغة الفعل الكلامي في الخطاب السياسي (خطاب الإعلام السياسي المقاوم بين عامي ٢٠٠٦-٢٠١١ أنموذجا)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، ٢٠١٦.
- ٦- مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني (قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين)، منشورات ضفاف، ط١، ٢٠١٥ م.

## منهج الدراسة:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، بوصف الظاهرة وتحليلها وبيان الجوانب التداولية في النصوص القانونية المحددة.

وقد قسمت بحثي المعنون بـ(البعد التداولي) للنص القانوني، قانون الطفل في دولة الإمارات نموذجاً، لمبحثين:

**المبحث الأول: سمات النسق القانوني.**

**المبحث الثاني: سبل تطبيق المقاربة التداولية على قانون الطفل.**

ثم ختمت بحثي بخاتمة أردفتها بجملته من النتائج والتوصيات، وذيلت البحث بقائمة من المراجع، وفي الختام إن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

## المبحث الأول: سمات النسق القانوني

شرع الله السنن الربانية والكونية الحاكمة لحياة البشر، المنظمة لهم؛ بغية حفظ الأمن والأمان السلمي في الحياة الإنسانية، بعيداً عن الأغلال والأحقاد الدفينة التي قد تعتري السلوك البشري؛ نتيجة لتعاملات البشرية. فمتى عرف الإنسان حقوقه وواجباته سار بأريحية وسعادة. فهذا شرع رب العباد للعباد تنظيمًا لحياتهم، لذا وجدنا أن القانون صاغ هذه الحقوق والواجبات الكفيلة بتنظيم حياتهم، إما بالقانون العام أو الخاص، إضافة إلى القانون الدولي؛ تيسيراً لشؤون الداخلية والخارجية بين الدول والحكومات.

فجاء القانون الدولي؛ لتنظيم الشؤون الخارجية، وضمّ بين قوانينه قانون حقوق الإنسان الذي احتوى على قانون الطفل، فجاء قانون الطفل لحماية الطفولة

من كل شاردة وواردة قد تمس بكيانه وحقوقه، فصيغت القوانين الحافظة لحقوق الطفل، وواجباته بطريقة لا شك ولا لبس فيها.

فاللغة القانونية، لغة حازمة صارمة، بُنيت خدمة للبشرية؛ وتسهيلاً لمتطلبات الحياة ضمن أطرٍ معروفة، تجعل حياتهم أكثر مرونةً في ظل القوانين المسنونة لراحتهم.

لذا لا بد لنا من وضع تسلسل واضح، يحدد النسق اللساني للغة القانون، لكن علينا أولاً بيان ماهية لفظة القانون؟ لماذا عُدت اللغة القانونية لغة؟ ما الروابط الجامعة بين اللغة القانونية وبين اللسانيات؟ كيف خدمت اللسانيات اللغة القانونية؟

بالبحث في المراجع، نجد أن لفظة القانون، جاءت من مادة (قن)، وهي لفظة غير عربية بل يونانية المنشأ (Kanon)<sup>(١)</sup>، ويُقصد بها «مقياس كل شيء وطريقه»<sup>(٢)</sup>، أما في الإنجليزية اصطلح على لفظة LAW، وفي اللغة الفرنسية أطلق عليها Canons، وتطور المصطلح، ووصل للغة العربية، واستعمل له لفظ مرادف يقصد به (النظام)، فدلّت لفظة القانون على النظام، وهي كل قاعدة مستمرة تدل على الاستقرار والنظام<sup>(٣)</sup>، بذلك نصل إلى أن القانون هو النظام المتبع في مكان ما؛ سعياً لتيسير النظم الداخلية والخارجية. ويتعلق موضوع القانون بكل صغيرة وكبيرة، سواء على المستوى الداخلي أم الخارجي<sup>(٤)</sup>.

- ١- ينظر: أحمد عبد الله الكندري، المدخل لدراسة القانون، جامعة الجزيرة، دبي، - ٢٠١٠، ص ١٤.
- ٢- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، أمواج، بيروت، ط - ٢، ٢٩٨٧، ١ / ٧٦٣.
- ٣- ينظر: أحمد عبد الله الكندري، المدخل لدراسة القانون، ص ١٤.
- ٤- ينظر: محمد أمهيرة، وخالد المالك، مدخل لدراسة العلوم القانونية، إشراف: الحبيب الدقاق، جامعة محمد - الخامس، الرباط، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، ٢٠١٦، ص ٤.

بذلك نجد أنّ النظام القانوني، هو نظام تشريعي، لكن يبقى السؤال، لماذا عدت اللغة القانونية لغةً؟

ف«... كل لغة يتكون مخزونها من كلمات يصطلح عامة المتكلمين على وضعها واستعمالها، ومن مصطلحات يصطلح فئات من المتكلمين على وضعها واستعمالها في ما بينهم في مجالات نشاطاتهم»<sup>(١)</sup>. لذا أدرج القانون ضمن اللغات؛ لاحتوائه على مصطلحات ومفردات تعارف عليها أهل القانون.

فقد سعى المشرع القانوني إلى تمييز اللغة القانونية عن غيرها من اللغات والتخصصات، فتعرف لغة القانون بلغة الاختصاص، وهي لغة «... ناقلة لمعارف خاصة»<sup>(٢)</sup> وتعرف لغة القانون أيضاً بأنها «استعمال خاص للغة الوطنية»<sup>(٣)</sup>، وانفردت لغة القانون عن غيرها من لغات التواصل الاجتماعي، فهي لغة خطاب تخصصية ارتبطت بموضوع خاص<sup>(٤)</sup>.

وفحوى الأمر يدور في بوتقة اختصاصية لغة القانون الخاضعة لنسقية معينة مرتبطة بأهل القانون، فحتى يحقق المشرع القانوني نسقية النص القانوني المطلوبة البعيدة عن التشويش، والتداخل، وضعوا له آلية متبعة لصياغة النصوص القانونية، وهي كالاتي:

- ١- علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، أعده أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية والمكتب الإقليمي للشرق الأوسط ومعهد الدراسات المصطلحية فاس المملكة المغربية، الكتاب الطبي الجامعي، البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٥، ص ٢٣.
- ٢- المرجع نفسه، ص ٤٤.
- ٣- Linguistique Juridique, Gérard Cornu, Montchrestien, Paris، ١٩٩٠، p ٢٢. أوردته: نجاة سعدون، وجمال بوتشاشة، البناء اللغوي للنص القانوني ما بين العربية والفرنسية في ظل لغة الاختصاص، جامعة الجزائر ٢ معهد الترجمة، مجلة الأثر، العدد ٢٨ / جوان ٢٠١٧ ما بين العربية والفرنسية في ظل لغة الاختصاص، جامعة الجزائر، مجلة الأثر، العدد ٢٨، جوان ٢٠١٧ م، ص ٤٤.
- ٤- ينظر: نجاة سعدون، وجمال بوتشاشة، البناء اللغوي، ص ٤٠.

«...النصوص القانونية الأمرة....: هي القواعد التي لا يجوز للأفراد مخالفتها أو الاتفاق على عكسها»<sup>(١)</sup>، ويتم بالطريقة اللفظية الواضحة<sup>(٢)</sup>.

النصوص القانونية المفسرة: هي القواعد التي يجوز للأفراد أن يخالفوا حكمها...»<sup>(٣)</sup>، ويتم بالطريقة المعنوية التي تحتاج إلى فطنة وحنكة<sup>(٤)</sup>.

لذا تُعدُّ العلوم القانونية أُلصق العلوم الإنسانية والاجتماعية باللسانيات، لما لها من سلطة في ضبط اللغة البشرية<sup>(٥)</sup>، فاللغة وعاء الفكر القانوني، وبها يُفهم التشريع، ويفسر بالطريقة الصحيحة، فهي ظاهرة اجتماعية بامتياز<sup>(٦)</sup>. فاللسانيات تدرس اللغة، والقانون ينظم العلاقات بين البشر، بذلك يتقاطع العمل اللساني والقانوني في دائرة وسطى، فباللغة تصاغ القوانين المنظمة لحياة البشر.

فنتج عن هذا المزيج ما يعرف باللسانيات القانونية<sup>(٧)</sup>، وهي سلطة تشريعية مكلفة بسن القوانين والتشريعات المنظمة لحياة البشر، وبناء على ذلك، وجب عليها أن تمتلك سلطة نسقية تمكنها من امتلاك ناصية التشريع وبحق، فالنص القانوني يسير وفق نسق معهود عند أهل القانون، وهذا ما جعل منه علماً تميز بجملة من الخصائص النسقية:

• الدقة فلا مجال للمشترك اللفظي والترادف المفضي إلى التوسع والتشعب

في المعنى.

- ١- سعيد أحمد بيومي، لغة القانون في ضوء علم لغة النص، دار الكتب القانونية، مصر، ط١، ٢٠١٠، ص٨٨-٨٩.
- ٢- توفيق حسن فرج، المدخل للعلوم القانونية (النظرية العامة للقانون والنظرية العامة للحق)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ط٢ ١٩٨١، ص٥٦ وما بعدها.
- ٣- سعيد أحمد بيومي، لغة القانون، ص٨٨-٨٩.
- ٤- توفيق حسن فرج، المدخل للعلوم، ص٥٦ وما بعدها.
- ٥- ينظر: سمير شريف استيتية، اللسانيات، (المجال، والوظيفة، والمنهج)، عالم الكتب الحديث، ط٢، ٢٠٠٨م، ص٤٩٣.
- ٦- ينظر: المرجع نفسه، ص٤٩٣.
- ٧- ينظر: سمير شريف، اللسانيات، ص٤٩٧ وما بعدها.

- الوضوح المتعدد عن الصور البيانية والجمالية.
  - الموضوعية في الطرح الخالية من الوصف والأساليب الدالة على الانفعالات وما إلى ذلك.
  - الإيجاز المتضمن وضوح المادة وعدم تفرعها<sup>(١)</sup>.
- بذلك نجد أنّ النصّ القانوني، هو نصٌّ نسقي بمحتواه، ملزم بطرق عرضه المقدّمة لكل فئة في المجتمع، الشارحة لحدها ونصّها.

### المبحث الثاني: آليات تطبيق المقاربة التداولية على قانون الطفل

سيكون استقراؤنا في هذا المبحث للاضطلاع بآليات تطبيق المقاربة التداولية على المدونة المختارة، وذلك بإيراد نماذج من النص القانوني، ثم عرض الجوانب التداولية المتعلقة بالنص الوارد.

#### ملاحظات هامة:

- يعتمد النص القانوني على العنصر التلفظي الممثل في المرسل والمتلقي، ويعدّ المشروع القانوني هو المنتج لهذه النصوص القانونية، في حين يعتبر المتلقي هو القاطن على أرض الدولة الحبيبة.
- يعتمد التحليل التداولي على أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة، وينقسم الجزء الأول إلى الفعل القولي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثري. أما الجزء الثاني فمرتبط بالجزء الحجاجي، وتسير الآلية وفقاً لهذا التقسيم.

١- ينظر: علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، الكتاب الطبي الجامعي، وحمزة لوط، إشراف: فرحات معمري، إشكالية ترجمة بعض المصطلحات ذات الخصوصية الدينية من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية، النيابة الشرعية والميراث والهبة والوقف في قانون الأسرة الجزائري أنموذجاً، جامعة القسنطينة ١، الجزائر، ٢٠١٣، ص ١٥-١٦.

## آليات التطبيق التداولي على النصوص القانونية المختارة:

حدد المشرع القانوني الشروط الواجبة لتشغيل الأطفال في نص المادة (٢):

١- تتولى وزارة تنمية المجتمع بالتنسيق مع وزارة الموارد البشرية والتوطين، دراسة طلبات تشغيل الأطفال، وذلك من خلال تقديم طلب التشغيل من قبل ولي أمر الطفل أو القائم على رعايته كتابياً إلى الوزارة.

٢- يشترط لتشغيل الطفل ما يأتي:

أ- ألا يقل عمره عن خمس عشرة سنة.

ب- أن يكون لائقاً طبيياً للعمل المطلوب تشغيله فيه.

٣- تصدر الوزارة تصريحاً في حال موافقتها على طلب التشغيل، وترسله إلى وزارة الموارد البشرية والتوطين.

٤- تعد الوزارة نموذجاً لمتابعة تشغيل الأطفال، وعلى المشرف على عمل الطفل إعداد تقرير دوري كل (٣) ثلاثة أشهر عن حالة الطفل ورفعها إلى الوزارة.

٥- تقوم الوزارة بدراسة التقرير وتقديم التوصيات اللازمة إلى وزارة الموارد البشرية والتوطين بشأن الأطفال الذين تبدو عليهم علامات عدم التكيف في أعمال وأية ملاحظات أخرى بشأن بيئة العمل لاتخاذ الإجراءات اللازمة.

٦- يجوز تدريب الأطفال أو تعليمهم حرفاً أو مهناً تكسبهم المعرفة والاعتماد على النفس وتحقيق ذاتهم، وذلك من خلال أولياء أمورهم أو القائمين على رعايتهم، وفقاً للضوابط التي يصدر بها قرار من الوزير.

لتطبيق البعد التداولي على المادة (٢)، لا بد أن نبدأ أولاً بتحديد العناصر التلغظية التي حددنا منها عنصرين، ألا وهما المرسل والمتلقي، ويعد

السياق (المقصدية) المحرك الأساس، فبه نصل إلى الغاية التي شرع لأجلها النص القانوني.

لذا أفرد المشرع في نصه آليات لحفظ حق الطفل عند الرغبة في تشغيله، وجعل من الفعل الكلامي المباشر أداة حية ممثلة بالفعل القولي الصادر من المشرع القانوني، وهو فعل قولي واضح المعالم والأركان يعطي معنى واحداً، ويمكن لنا أن نسميه المعنى الظاهر، أي: أنه لا يتم عمل الطفل إلا بشروط التي حددها المشرع، وتكمن في تقديم طلب العمل إلى الوزارة ومن قبل وليه أو من يتولى رعايته.

وجعل المشرع من الفعل الإنجازي أداة خفية ضمنية للنص القانوني، فبه ألزم الولي أو من ينوب عنه في ولاية الطفل بضرورة التقديم لطلب عمل الطفل.

لذا وظف المشرع القانوني في نصه بعض الأدوات المساعدة على توضيح فكرة حفظ حقوق الطفل، واستند في ذلك على الفعل المضارع أو الجملة الفعلية في بداية النص؛ ليدلل على استمراريته في حفظ حقوق الطفل ورعايتها، ومن ذلك: (تتولى - يشترط - يقل - تصدر - تعد - تقوم - يجوز..)، كما استخدم المشرع لفظة (يجوز)، وهي الصيغة الدالة على بطلان ما يخالفها، وهي تُدرج ضمن العبارات الأمرة الملزمة التي لا يجوز لأحد مخالفتها<sup>(١)</sup>، ومعنى ذلك أن شرط التدريب أمر ملزم لعمل الطفل. فكان لتوظيف هاء الضمير الغائبة

أسهمت الإحالة الداخلية في إحداث ترابط رصفي عزز من مكانة الفعل الإنجازي، ومن ذلك ما جاء في قوله: (...تقديم طلب التشغيل من قبل ولي أمر الطفل أو القائم على رعايته كتابياً إلى الوزارة... ألا يقل عمره عن خمس عشرة سنة...، أن يكون لائقاً طبيّاً للعمل المطلوب تشغيله فيه..)، فنجد هنا أن هاء

١ - ينظر: التمهيد، ص ٧.



الضمير الغائبة عادت في البداية على الطفل في قوله (رعايته، عمره - تشغيله)، أما في الأخيرة (فيه) فعادت على العمل، مما أحدث نسقاً تواصلياً اتضحت ملامحه في الوحدة الإنجازية للنص القانوني، وهي إلزامية إبراز الأوراق الثبوتية بالولاية (رعايته كتابياً إلى الوزارة)، ووصوله إلى العمر المسموح به للعمل (خمس عشرة سنة)، ومعنى ذلك أنه لا يسمح لمن دون هذا العمر بالعمل، ويخالف كل من يفعل عكس ذلك. فنجد أن ناتج هذا القرار يعد فعلاً تأثيرياً احتزازياً؛ لضمان حماية الطفل، والامتثال للقرارات الصادرة.

علاوة على ذلك، لم يألوا المشرع من تضمين نصه لظاهرة الفعل الكلامي غير المباشر المتعلق بالحجاج، فجعل من علاقة الجزء بالكل أداة لإحداث وقع حجاجي في طيات النص القانوني، ومنه قوله: (تتولى وزارة تنمية المجتمع - تقوم الوزارة - تعد الوزارة - تصدر الوزارة..)، كل ذلك يصب في كونه ذكر الكل، وأراد بذلك الجزء، وهم الأفراد المنجزون والمحققون لمعاملات الأطفال. كما أنه استخدم الصيغ الاشتقاقية لدلالة على من قام بالفعل ومن وقع عليه الفعل، ك (اسم الفاعل - اسم المفعول) من مثل قوله: (المجتمع - لائقاً - المشرف..).

حدد المشرع القانوني الأماكن المحظورة على الأطفال في نص المادة (٣):

١- يحظر دخول الأطفال، أو اصطحابهم إلى الأماكن الآتية:

أ- أماكن السهر أو اللهو المخصصة للبالغين.

ب- الأماكن المخصصة للتدخين.

ت- مختبرات المواد التفاعلات الكيميائية السريعة والخطرة.

ث- المصانع والأفران ذات درجات الحرارة العالية.

- ج- أماكن انبعاثات الغازات والسوائل السامة.
- ح- الحاجر والمناجم وأماكن استخراج المواد من باطن الأرض.
- خ- ورش الآلات الدوارة السريعة الخطرة.
- د- أماكن الحروب والصراعات المسلحة والكوارث الطبيعية والبيئية.
- ذ- أماكن تصنيع الأسلحة والمتفجرات.
- ر- أماكن قص وكبس وتشكيل المعادن الخطرة.
- ز- أماكن المقذوفات والشرارات الطيارة والانصهارات.
- س- أماكن إعادة تدوير المخلفات غير النقية.
- ش- الأماكن التي تنتشر فيها الأوبئة والأمراض الفتاكة.
- ص- أماكن التشويش والذبذبات الكهرومغناطيسية المؤثرة في صحة الطفل.
- ض- أماكن صناعة العقاقير الطبية المخدرة.
- ط- المحلات المخصصة لبيع المواد المخصصة للبالغين.
- ٢- يستثنى من الخطر الوارد في البند (١) من هذه المادة، الزيارات والأنشطة المدرسية، وفقاً للضوابط التي تحدد من قبل وزارة التربية والتعليم، ويتم تعميمها على المدارس والجهات المعنية بالتعليم في الدولة.
- ٣- إذا تم اصطحاب الطفل إلى الأماكن غير المحددة في البند (١) من هذه المادة، فيجب مراعاة ما يأتي:
- أ- المحافظة على سلامة الطفل الجسدية والنفسية والاجتماعية.

ب- الالتزام بالضوابط والاشتراطات التي تضعها الجهات المشرفة على المكان.

ت- توافق سن الطفل مع المكان الذي يتم اصطحابه إليه ودرجة استيعابه لما يشاهده.

بدأ المشرع القانوني في توضيح وتفصيل الأماكن المسموحة للطفل بزيارتها أو العمل بها، فجعل من الفعل الكلامي المباشر المرتبط بالفعل القولي الصريح أداة لتوضيح قائمة مفصلة بالأماكن المحظورة على الطفل؛ لضمان السلامة العامة.

وأعقب ذلك توظيفه للفعل الإنجازي الموضح بالجملة الفعلية؛ ليدل على استمرارية تحقق الغاية التي سُرع لأجلها النص، ومنه: (يحظر - يستثنى)، فنجد المشرع بدأ النص بالمنع التام الذي لا جدال فيه، ثم استثنى منه قائمة أخرى.

تابع تشرعه بالفعل التأثيري الذي يعد جزءاً من الجانب الحجاجي الموظف بالآلية الأمرة، ومنه قوله: (يحظر دخول الأطفال - يجب على المشرفين على دور العرض)، وهنا نصل إلى حقيقة مفادها أن هذا النص يمنع على متداوله التجاوز فيه أو في أي بند خاص به.

وسعى المشرع إلى إبراز الفعل الكلامي غير المباشر؛ ليؤكد أن ظاهرة التقديم والتأخير سبيل لإحداث وقع حجاجي في ثنايا النص القانوني، ومنه قوله: (يستثنى من الحظر... الزيارات)، وأيضاً استخدام علاقة الجزء عند ذكره للأماكن، ثم فصلها بقائمة طويلة؛ رغبة في الحفاظ على كيان الطفل وحقوقه (يحظر دخول الأطفال... أماكن السهر أو اللهو المخصصة للبالغين... مختبرات المواد التفاعلات الكيميائية..)، بالإضافة إلى توظيفه للمشتقات على اختلاف صيغها (المشرفة - المحددة - المناجم - المقذوفات - المخصصة - المصانع - المخدرة...)

وما تضمنه على النص من معانٍ عميقة، فتارة تدل على من قام بالفعل، وتارة تحدد المكان...، علاوة على ذلك، جعل من باب الإحالة أداة أسهمت في تعميق المعنى المراد، ومنه قوله: (اصطحابهم - اصطحابه - ذاتهم - أمورهم - استيعابه، غيرها، يعلنوا، لهم، له)، فجميع المفردات تحيل إلى لفظة (الأطفال) وأيضا (دور العرض المختلفة غير الواردة في النص)، وهذا يعزز حقيقة أن العناية بالأطفال أمر مؤكد ولا جدال في صحة تطبيقه، لذا وجب الالتفات إلى كل أمر قد يعرض سلامتهم للخطر.

كما استخدم المشرع خاصية الحذف التي تحيل القارئ خارج النص، وتجعله يوظف القياس؛ لتحديد مدى صلاحية المكان (إذا تم اصطحاب الطفل إلى الأماكن غير المحددة في البند (١)... المحافظة على سلامة الطفل...)، وهذا منع مبطن لأي مكان يسيء لكينونة الطفل أو يعرض سلامته للخطر.

حدد المشرع إجراءات الإبلاغ عن انتهاكات حقوق الطفل في المؤسسات التعليمية في المادة (٥)، و(٦):

نصت المادة (٥): تتولى وزارة التربية والتعليم تعميم إجراءات الإبلاغ على كافة المدارس والمؤسسات التعليمية؛ لتوضيح دور العاملين في المدارس والمؤسسات التعليمية الحكومية والخاصة، ومسؤولياتهم في الإبلاغ عند ملاحظة أي إساءة أو عنف ضد الطفل أو حالة الاشتباه في أي انتهاك لحقوق الطفل، وتعريفهم بعواقب عدم الإبلاغ.

نصت المادة (٦): ١- تقوم المؤسسات التعليمية بإبلاغ وحدة حماية الطفل في وزارة التربية والتعليم عن الشكاوى الخاصة بالتجاوزات أو المخالفات لأي من الحقوق التعليمية أو أي إساءة يتعرض لها الطفل عند حدوثها أو الاشتباه بحدوثها.

٢- يقوم اختصاصي حماية الطفل بدراسة الحالة وتقييم الضرر وفقاً للنموذج المعتمد وتديد الأسباب واقتراح الإجراء المطلوب حسبما أسفرت عنه دراسة الحالة، ورفع له وحدة حماية الطفل.

٣- تتولى وحدة الطفل بعد تقييم الحالة باتخاذ الإجراءات الآتية:

أ- إبلاغ الشرطة في الحالات التي تشكل جريمة تعاقب عليها التشريعات النافذة في الدولة.

ب- إيداع الطفل للعلاج في المستشفى، وتسلم تقرير طبي يشتمل على بيان حالة الطفل، وتحديد الآثار الناجمة عن إثبات واقعة الاعتداء (جنسي أو جسدي أو سوء التغذية أو المرض) إن دعت الحاجة لذلك.

ج- تحويل الطفل المتعرض للاعتداء أو الإساءة للبرامج التأهيلية في الجهات المختصة إن دعت الحاجة لذلك.

د- وضع خطط وحلول ومقترحات لإزالة أسباب وآثار انتهاك حقوق الطفل أو الاعتداء عليه، بالتنسيق مع ولي أمر الطفل أو القائم على رعايته.

بخصوص المادة (٥): يعزو المشرع القانوني في نصه لمسلك المقصدية في بيان الإجراءات الواجب تفعيلها؛ لضمان عدم انتهاك خصوصية الطفل أو تعرضه لتنمر من قبل أي جهة أو أي شخص، وتحقق ذلك في النص بتفصيل جميع الأمور التي قد تعترض سبيل الطفل.

وساند إدراج الفعل الكلامي المباشر الذي ضم الفعل القولي بين جوانبه الأمر البارز في النص المدرج بضرورة الإبلاغ عن أي إساءة قد يتعرض لها الطفل، ثم تابع المشرع استخدام الفعل الإنجازي، فنجدده وظف الفعل المضارع

(الجملة الفعلية) بداية النص؛ ليدل على استمرارية الجهة في تولي أمر الطفل، ومنه قوله: (تتولى وزارة التربية والتعليم تعميم إجراءات الإبلاغ).

فقد عهد المشرع بالفعل التأثيري إلى إبراز الجانب الحجاجي في النص بالآلية المفسرة المكملة للمعنى المراد بالطريقة المعنوية لفحوى النص القانوني، فبيّن في نصه المعنى المراد ضمناً، دون أن يوظف الأمر الصريح، فراعى بذلك الطبيعة البشرية الراضية للأمر بأشكاله (تتولى).

كما أسهم الفعل الكلامي غير المباشر في جعل علاقة الجزء بالكل؛ سبيلاً لإحداث وقع حجاجي في ثنايا النص القانوني، ومنه قوله: (تتولى وزارة التربية والتعليم ..)، فكل ذلك يصب في كون المشرع ذكر الكل وأراد الجزء، وهم الأفراد المنجزون المحققون لمعاملات الأطفال المحافظون على حقوقهم، التي قد تنتهك من متجاوزي القانون، إلى جانب استخدام خاصية الإحالة والتعليل، وأدوات الربط، فجعل منهم مدخلاً حجاجياً؛ لبيان قصد المشرع، ومنه قوله: (.. ومسؤولياتهم في الإبلاغ عند ملاحظة...، لتوضيح... أو حالة...)، وكل ذلك يؤكد حقيقة أنّ العناية بالأطفال أمر مثبت ومحقق ولازم في قانون حقوق الطفل المطبق في دولة الإمارات العربية المتحدة، وكل دولة تسعى إلى صيانة حق الطفولة والطفل، بعد الانتهاكات الحاصلة في كثير من البلدان.

أما بخصوص المادة (٦): فقد سعى المشرع في نصه لتوظيف الجانب التلغظي المتضمن في السياق؛ ليحدد الجهات المسؤولة عن الإبلاغ عن أي انتهاكات لحقوق الطفل، وجعل من الفعل القولي الظاهر؛ طريقاً لتقنين المسؤولية الملقاة على عاتق المؤسسات التعليمية؛ لحفظ حقوق الطفل.

فعزز الفعل التأثيري التعاون الحاصل بين المؤسسات وبقية الجهات المشتركة في المحافظة على الطفل، علاوة على ذلك، فقد أوكل المهام للأفراد المخولين

بذلك، فنجدّه وظف النص المفسر المكمل للمعنى المراد بالطريقة المعنوية التي تتضح بالمضمون، فبيّن في نصه المعنى المراد ضمناً، دون أن يوظف الأمر الصريح، فراعى بذلك الطبيعة البشرية الراضة للأمر بأشكاله، ومنه قوله: (تتولى - تقوم - تحويل - وضع)، (تقوم المؤسسات التعليمية بإبلاغ... يقوم اختصاصي حماية الطفل.... تتولى وحدة الطفل بعد تقييم الحالة... تحويل الطفل المتعرض للاعتداء.... وضع خطط وحلول ومقترحات...).

جعل المشرع من الفعل الكلامي غير المباشر قنطرة لإثبات أهمية توظيف نظرية الحقول الدلالية المنبثقة منها علاقة الجزء بالكل في ثنايا النص القانوني، ومنه قوله: (تقوم المؤسسات التعليمية - تتولى وحدة الطفل...)، كل ذلك يؤكد أن المحافظة على حقوقهم ديدن الدولة وكل مطبق للنص، بالإضافة إلى خاصية الإحالة والتعليل، وأدوات الربط، فجعل منهم مدخلاً حجاجياً؛ لبيان قصد المشرع من التشريع، ومنه قوله: (أي إساءة يتعرض.... لإزالة أسباب...)، وكل ذلك يؤكد حقيقة أنّ العناية بالأطفال أمر هام يجب الانتباه إليه.

## الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد:

بفضل من الله أنهيت البحث الموسوم بـ(البعد التداولي للنص القانوني) قانون الطفل في دولة الإمارات نموذجًا، وخلصت منه بجملته من النتائج المتعلقة بقانون حماية حقوق الطفل، وظهر الآتي:

- ١- امتاز النص القانوني بلغته الواضحة المستفيضة الشارحة لحقوق الطفل.
- ٢- يعد النص القانوني نصًا لسانيًا بامتياز؛ لتوافر الأبعاد اللسانية المطلوبة في أي مدونة.
- ٣- يعتمد النص القانوني على الآلية المفسرة الإخبارية في أغلب الأجزاء المطبقة؛ لتناسب النص مع الطبيعة البشرية النافرة من الأمر الصريح إلى المضمّر.
- ٤- شيوع الجوانب الاتساقية المتعلقة بالآلية النصية؛ مما يؤكد الترابط بين الآليات اللسانية التداولية.
- ٥- التقاطعية التداولية بين الآليات الحجاجية والاتساقية النحوية.
- ٦- بروز الآليات الدلالية المرتبطة بالجانب الحقلّي المعزز للبعد الحجاجي التداولي.
- ٧- عمقت الآليات التداولية العلاقة بين الأجزاء القانونية للنصوص المستهدفة.
- ٨- تميزت النصوص القانونية المستهدفة بالإيضاح والتفصيل المبين لغرض المشرع من التشريع.



٩- شيوع الإحالة الداخلية المحققة للانسجام الخطي في نسقية منتظمة مفسرة للنص القانوني.

١٠- تكاملية توافر العناصر التداولية المتضمنة للآليات النصية واللسانية.

١١- اعتمد المشرع الآلية الاستمرارية بالجملة الفعلية، بالإضافة إلى توظيفه للمشتقات التي تضيف على النص الحيوية والحياة طبقاً للمشتق المستخدم.

### التوصيات:

١- مواصلة الدرس اللساني التداولي للنص القانوني، للوقوف على أسباب عدم توافر البعد البديعي في النصوص القانونية، بالإضافة إلى البعد البياني.

٢- ضرورة تطبيق مبادئ غرايس (مبدأ التعاون - مبدأ الكم - مبدأ الكيف - مبدأ العلاقة - مبدأ الطريقة) على النص القانوني.

٣- ضرورة وضع آلية تساند المبتدئ في الدرس التداولي على التطبيق.

## المراجع والمصادر

- أحمد عبد الله الكندري، المدخل لدراسة القانون، جامعة الجزيرة، دبي، ٢٠١٠.
- توفيق حسن فرج، المدخل للعلوم القانونية (النظرية العامة للقانون والنظرية العامة للحق)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ط ٢ ١٩٨١
- سعيد أحمد بيومي، لغة القانون في ضوء علم لغة النص، دار الكتب القانونية، مصر، ط ١، ٢٠١٠.
- سمير شريف استيتية، اللسانيات، (المجال، والوظيفة، والمنهج)، عالم الكتب الحديث، ط ٢، ٢٠٠٨ م.
- محمد أمهيرة، وخالد المالك، مدخل لدراسة العلوم القانونية، إشراف: الحبيب الدقاق، جامعة محمد - الخامس، الرباط، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، ٢٠١٦.
- نجة سعدون، وجمال بوتشاشة، البناء اللغوي للنص القانوني ما بين العربية والفرنسية في ظل لغة الاختصاص، جامعة الجزائر ٢ معهد الترجمة، مجلة الأثر، العدد ٢٨ / جوان ٢٠١٧.
- علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، أعدته أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية والمكتب الإقليمي للشرق الأوسط ومعهد الدراسات المصطلحية فاس المملكة المغربية، الكتاب الطبي الجامعي، البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٥.

**References:**

- Ahmed Abdullah Al-Kandari, Introduction to the Study of Law, University of Al-Jazira, Dubai, 2010.
- Tawfiq Hassan Farag, Introduction to Legal Sciences (Legal Sciences and the Right Overview), The Culture Foundation, Alexandria, 2nd Edition 1981.
- Said Ahmed Bayoumi, The Language of Law in the Light of the Linguistics of the Text, Dar Al-Kotob Al-Jawaliyyah, Egypt, 1st Edition, 2010.
- Samir Sharif Estetia, Linguistics, (Field, Function, and Method), Modern Book World, 2nd Edition, 2008 AD.
- Muhammad Amhaira and Khaled al-Malik, Introduction to the Study of Legal Sciences, supervised by: Al-Habib Dakkak, University of Muhammad-The Fifth, Rabat, Faculty of Municipal Legal Sciences, 2016.
- Najat Saadoun and Jamal Bouchacha, The Linguistic Structure of the Legal Text Between Arabic and French Under Specialization, University of Algeria 2 Translation, Al-Athar Magazine, Issue 28/June 2017 Institute.
- Science of the term for students of science and medicine, medicine, and global health sciences, 2005.

# التربية الحوارية في ضوء السنة النبوية

مفهومها، مقاصدها، سبل تفعيلها في ضوء الواقع المعاصر

## **Dialogue Education in the light of the Prophet's Sunnah Its concept, Purposes, Ways of Implementations in Our Contemporary Reality**

د. عماد حمدي إبراهيم

جامعة الوصل - دبي - الإمارات

**Dr. Emad Hamdy Ibrahim**

Al Wasl University - Dubai - UAE

<https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.03>





## Abstract

Since difference and diversity are imperative and unavoidable among members of society; We must search for ways to communicate, reconcile, and unify general visions and head lines between the various members of society and its various components.

And if the difference in subtitles and partially remains... then this is the Sunnah of Allah in his creation, here it is clear that the importance of dialogue mananers as ahonorable tool and has a great benefit in extending the bridges of communication and understanding, and hence the rapprochement and coexistence between individuals and members of the same society with their different ideas and intents.

The prophetic sunnah has a plenty of beautiful hadiths and narrated sayings and doings of the Prophet (PBUH) and actual events in which the value of dialogue is manifested, as a system of interaction, a mechanism for understanding and coexistence, and as means to achieve mutual respect between members of the human community.

And this research aims to scientific documentation for the concept of dialogue manners and to demonstrate its importance, its goals, its purposes and means of activating it in light of contemporary reality and emphasizing that the system of dialogue manners is a religious duty, a humanitarian interest and an imperative necessity.

**Keywords:** Education - dialogue -Prophetic Sunnah - reality - contemporary - intents.

## ملخص البحث

إذا كان الاختلاف والتنوع أمر حتمي، لا مفر منه بين أفراد المجتمع؛ فلا بد من البحث عن سبل للتواصل والتوافق وتوحيد الرؤى العامة والخطوط العريضة بين عناصر المجتمع ومكوناته المختلفة والمتنوعة؛ وإن ظل الاختلاف في الفروع والجزئيات قائماً فهذه هي سنة الله في خلقه، ومن هنا تظهر أهمية التربية الحوارية وسيلة جليلة القدر، عظيمة الفائدة في مد جذور التواصل والتفاهم، ومن ثم التقارب والتعايش بين أتباع أفراد وعناصر المجتمع الواحد على اختلاف أفكارهم وتوجهاتهم.

وقد حفلت السنة النبوية العطرة بالعديد من الأحاديث والآثار القولية، والمواقف والأحداث الفعلية، التي تتجلى فيها قيمة الحوار، بوصفه نظاماً للتعامل، وآلية للتفاهم والتعايش، ووسيلة لتحقيق الاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع الإنساني.

ويهدف هذا البحث إلى التأسيس العلمي، لمفهوم التربية الحوارية، وبيان أهميتها وأهدافها، ومقاصدها، وسبل تفعيلها في ظل الواقع المعاصر، والتأكيد على أن نظام التربية الحوارية واجب ديني، ومصلحة إنسانية، وضرورة حتمية.

الكلمات المفتاحية: تربية - حوارية -

سنة نبوية - الواقع المعاصر - مقاصد



## مقدمة

الحمد لله القائل في كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأُمَّلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾. وصلاة وسلاماً على خير خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله، وبعد،

فإن الاختلاف والتنوع أمرٌ من الأمور الحتمية، بل إنه سنة من السنن الكونية؛ ففي مجال الطبيعة - مثلاً - تتعدد الألوان، وتختلف الأشكال، فتكون الروعة والبهاء والجمال، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا الْحُلُمَ إِلَّا فِي الْحَمِيمِ﴾ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾.

فخشية العلماء له - سبحانه وتعالى - إنما تنبع من استشعار قدرته - عز وجل - وإرادته الواضحة والبادية في هذا الصنع البديع، والخلق العجيب، والذي كان اختلافه وتنوعه سر بهائه وجماله» وهل يعيب السماء أنها مرعى للسحب المختلفة، يسوقها الرعد بسياطٍ من البرق؟ وكما قيل: سوف تصبح السماء بحق فراغاً لا نهائياً إذا خلت من السحب المختلفة الراكضة، وإذا لم تكن سحب لم تكن أمطاراً، ولا أنهاراً، ولا زروعاً، بل ولا حياة، وبنفس القوة فإننا نقول: وإذا لم يكن هناك خلاف في وجهات النظر واختلاف في الاجتهادات والآراء، لم تكن هناك آمال في مستقبل أفضل، ولا نظم أحكم، ولا قضايا أصح» (٣).

١- سورة: هود [١١٨-١١٩].

٢- سورة: فاطر [٢٧ ٢٨].

٣- عمارة، محمود محمد، من أجل حوار لا يُفسد للود قضية، بحث منشور ضمن أعداد سلسلة (البحوث الإسلامية) والتي يصدرها الأزهر الشريف، السنة (٣٨) الكتاب (٩) ط (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص ٣.



فلا بأس في الإسلام من تعدد الآراء، واختلاف وجهات النظر؛ لتتسع الدائرة التي يتحرك فيها الناس تيسيراً لهم وعوناً؛ ذلك بأنها ليست أهواء تتناطح، بل هي زهور تتكامل وتتلاقح، زهور متعددة الألوان والطعوم والروائح.

### فكرة البحث:

وإذا كان الاختلاف والتنوع أمراً حتمياً، لا مفر منه بين أفراد المجتمع؛ فلا بد من البحث عن سبل للتواصل والتوافق وتوحيد الرؤى العامة والخطوط العريضة بين عناصر المجتمع ومكوناته المختلفة والمتنوعة؛ وإن ظل الاختلاف في الفروع والجزئيات قائماً فهذه هي سنة الله في خلقه.

ومن هنا تظهر أهمية التربية الحوارية بوصفها وسيلة جليلة القدر، عظيمة الفائدة في مد جذور التواصل والتفاهم، ومن ثم التقارب والتعايش بين أتباع أفراد وعناصر المجتمع الواحد على اختلاف أفكارهم وتوجهاتهم.

وقد حفلت السنة النبوية العطرة بالعديد من الأحاديث والآثار القولية، والمواقف والأحداث الفعلية، التي تتجلى فيها قيمة الحوار، بوصفه نظاماً للتعامل، وآلية للتفاهم والتعايش، ووسيلة لتحقيق الاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع الإنساني.

### أهداف البحث:

- يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها ما يأتي:
- بيان مفهوم التربية الحوارية وحقيقتها.
- بيان أهمية التربية الحوارية، وأهدافها ومقاصدها، وسبل تفعيلها في ظل الواقع المعاصر.

- التأكيد على أن نظام التربية الحوارية واجب ديني، ومصلحة إنسانية، وضرورة حتمية.

#### منهجية البحث:

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع الاعتماد على المنهج الاستقرائي وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية والأحاديث والمواقف النبوية شديدة الصلة بموضوع الحوار، والمنهج التحليلي والاستنباطي؛ لتحليل تلك النصوص والمواقف ودراستها، واستنباط مقاصدها وأهدافها، وسبل وآليات تفعيلها في ظل الواقع المعاصر.

#### الدراسات السابقة:

من المعلوم أن البحوث والدراسات التي تهتم بطرق وأساليب التربية والتنشئة الإسلامية كثيرة جداً، كما أن البحوث والمقالات العلمية التي تناولت موضوع الحوار، وآدابه، وحاولت بيان أهميته وتبسيط الضوء عليه كثيرة ومتنوعة هي الأخرى، ولعل من بين أهم وأبرز تلك الدراسات:

- من أجل حوار لا يُفسد للود قضية، د: محمود محمد عمارة، بحث منشور ضمن أعداد سلسلة (البحوث الإسلامية) والتي يصدرها الأزهر الشريف، السنة (٣٨) الكتاب (٩) ط١ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- الحوار: منهجاً وثقافة، د: محمد خليفة حسن، مركز البحوث والدراسات، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط١ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م).
- الحوار: الذات والآخر، د: عبد الستار إبراهيم الهيبي (كتاب الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (٩٩) (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

ولا شك أن هذه البحوث والدراسات لها أهميتها الكبرى في التعريف بموضوع الحوار، وأهميته، وتسليط الضوء عليه.

بيد أنه لا توجد دراسة علمية - على حد علم الباحث - تناولت مسألة (التربية الحوارية) في ضوء الهدي النبوي، مُحاولَةً التأسيس العلمي، والمعالجة الهادئة والعميقة لهذه القضية، مُبيِّنة أهمية التربية والتنشئة الحوارية، مُبرِّزة أهم صورها وأشكالها، مُبيِّنة أهم أهدافها ومقاصدها، وسبل وآليات تفعيلها في ظل الواقع المعاصر، وبهذا تبرز أهمية هذه البحث الموسوم بـ (التربية الحوارية في ضوء السنة النبوية: مفهومها، مقاصدها، سبل تفعيلها في ضوء الواقع المعاصر).

#### عناصر البحث:

##### المقدمة.

البحث الأول: التربية الحوارية في السنة النبوية: مفهومها، صورها، مقاصدها.

البحث الثاني: آليات ووسائل تفعيل التربية الحوارية في ظل الواقع المعاصر.

##### الخاتمة.

## المبحث الأول: التربية الحوارية في السنة النبوية؛ مفهومها،

## صورها، مقاصدها

## المطلب الأول: مفهوم التربية الحوارية

حتى يتسنى لنا بيان مفهوم (التربية الحوارية) كان لابد من بيان مفهوم (التربية الحوارية) بوصفه مركباً وصفيًا، ثم مفهومه بوصفه لقباً على علم مخصوص من العلوم:

أولاً: مفهوم التربية الحوارية بوصفه مركباً وصفيًا:

١- مفهوم التربية:

أ- التربية في اللغة:

بالرجوع إلى الأصول اللغوية لكلمة التربية نجد أن لها أصولاً لغوية ثلاثة، وهي:

• ربا يربو، بمعنى: زاد ونما.. ومنه قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾<sup>(١)</sup>. أي أخذة تزيد على الأخذات؛ قال الجوهري: «أي زائدة كقولك أزييت إذا أخذت أكثر مما أعطيت»<sup>(٢)</sup>.

• ربا يربي، بمعنى نشأ وترعرع.

• ربَّ يربِّي، بمعنى: أصلحه وتولي أمره، وقام على رعايته، الربُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالا إلى حدِّ التمام، يقال ربَّه، وربَّاه وربَّبه...<sup>(٣)</sup>.

١- سورة: الحاقة [١٠].

٢- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت: ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٣ (١٤١٤ هـ)، (١٤ / ٣٠٥).

٣- الراغب، أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط ١ (١٤١٢ هـ) ص ٣٣٦.

## ب- التربية في الاصطلاح:

عرفها أحد الباحثين بأنها: «إيصال المرَبِّى إلى درجة الكمال التي هيأه الله لها، عن طريق مراعاة فطرته، وتنمية مواهبه، وقدرته وطاقاته - بطرق متدرجة - وتوجيهها للعمل في إعمار الحياة، على عهد الله وشروطه»<sup>(١)</sup>.

## ٢- مفهوم الحوار:

## أ- الحوار في اللغة:

من: «الْحَوْرُ، وهو: الرَّجُوعُ عن الشيء وإِلَى الشيء، يقال حَارَ إلى الشيء وعنه حَوْرًا ومَحَارًا ومَحَارَةً رجع عنه وإليه، وكل شيء تغير من حال إلى حال، فقد حَارَ يُحَوِّرُ حَوْرًا، وحَارَتِ الغُصَّةُ تُحَوِّرُ: أُنْحَدَرَتْ كأنها رَجَعَتْ مِنْ مَوْضِعِهَا...»<sup>(٢)</sup>.

والمَحَاوَرَةُ: المجاوبة، والتَّحَاوُرُ: التجاوب، تقول أحرَّت له جوابًا وما أحرَّ بكلمة<sup>(٣)</sup>. والحَوْرُ: الجواب، يقال كلَّمته فما رَدَّ إلى حَوْرًا أو حَوِيرًا: أي جوابًا<sup>(٤)</sup>. واستحاره أي استنطقه، وهم يتَحَاوَرُونَ أي يتراجعون الكلام، والمُحَاوَرَةُ: مراجعة المنطق في المخاطبة<sup>(٥)</sup>. ومنه الحواريون: الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب؛ وكل شيء خَلَصَ لَوْنُهُ، فهو حَوَارِي، والحَوَارِي مِنَ الدَّقِيقِ سُمِّيَ به لأنه يُنْقَى مِنْ لُبَابِ البُرِّ؛ وتأويله في النَّاسِ: أي الَّذِي قَدْ رُوجِعَ فِي اخْتِيَارِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةً فوجد نقيًّا من العيوب<sup>(٦)</sup>.

- ١- المذكور، على أحمد، مناهج التربية: أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر العربي، القاهرة، ط(١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) ص٣٠.
- ٢- ابن منظور، لسان العرب (٤/٢١٧).
- ٣- المصدر السابق، (٤/٢١٨).
- ٤- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمريض الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط. د. ت. (١١/١٠٧).
- ٥- ابن منظور، لسان العرب (٤/٢١٨).
- ٦- ابن منظور، لسان العرب (٤/٢١٨). (٤/٢٢٠).

## ب- الحوار في الاصطلاح:

الحوار: «فن من فنون الكلام والمحادثة، وصيغة متقدمة من صيغ التواصل، والتفاهم، وأسلوب من أساليب العلم والمعرفة، ومنهج من مناهج الوعي والثقافة، ووسيلة من وسائل التبليغ والدعوة»<sup>(١)</sup>.

وفي تفصيل آخر لمعنى الحوار يقول د. عبد الستار الهيتي «الحوار أداة أسلوبية تستخدم لمعالجة موضوع من الموضوعات المتخصصة في حقل من حقول العلم والمعرفة أو جانب من جوانب الفكر والعقيدة، للوصول إلى حقيقة معينة بهذا الشكل من أشكال الأسلوب والمحادثة، وهو عملية تتضمن طرحًا من طرف، يتمثله الطرف الآخر ويجب عليه فيحدث تجاوب يُؤلّد عند كل منهما مراجعة لما طرحه الطرف الآخر وهذه العملية هي التي يطلق عليها الحوار أو المحاوراة»<sup>(٢)</sup>.

ويعرف (تشارلز كيمبل) الحوار بأنه: «محادثة أو عملية اتصال كلامية، فهو علاقة متبادلة يحاول فيها طرفان أو أكثر التعبير بدقة عما يقصدانه، وأن ينصتوا باحترام إلى ما يقوله كل طرف، مهما اختلفت الرؤى، والحوار أكثر من مجرد تبادل للآراء، فهو أساسًا يعبر عن رؤية وموقف وانفتاح على الآخر؛ فالحوار وسيلة اتصال، ومن الناحية المثالية فإن تبادل الآراء موجود في عمليات الاتصال، والثقة، والفهم، والتحدي، والنمو بل وفي التطور الروحي...»<sup>(٣)</sup>.

١- الهيتي، عبد الستار إبراهيم، الحوار: الذات والآخر (كتاب الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (٩٩) (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ص ٣١.

٢- الهيتي، عبد الستار إبراهيم، الحوار: الذات والآخر، ص ٤٠.

3- Charles Kimball, Striving Together: A way forward in Christian - Muslim Relations. Mary Knoll, Orbis Books, 1991, P.85.

ثانياً - مفهوم التربية الحوارية بوصفه لقباً على علم مخصوص:

لم أقف خلال بحثي على تعريف محدد لمصطلح التربية الحوارية، بيد أنه يمكن تعريفها بأنها: جملة الجهود الفكرية، والعلمية، والتربوية التي تبذل في ميدان بناء الإنسان، ليكون قادراً على الحوار، والتواصل، والتفاعل، والتعبير عن الآراء والمواقف، وتبادل الخبرات والتجارب، والانفتاح على الآخر، وتحقيق التفاهم والتعايش.

المطلب الثاني - التربية الحوارية في السنة النبوية؛ صورها، مقاصدها:

تتنوع صور التربية الحوارية في السنة النبوية المشرفة، وتتعدد أشكالها ومظاهرها، فنراه -صلى الله عليه وسلم- تارةً يحاور أصحابه، وأخرى يحاور زوجاته، وثالثة يحاور الأطفال، ورابعة يحاور الشباب، وخامسة يحاور المخالفين لدعوته على اختلاف أشكالهم، وتنوع صورهم من اليهود والنصارى والمشركين.. إلخ وبطبيعة الحال فإن المقاصد الكامنة خلف هذه المحاورات تتنوع وتتعدد هي الأخرى، وسوف نحاول فيما يأتي تسليط الضوء على بعض مقاصد وأهداف الحوار النبوي، من خلال استعراض بعض النماذج والمواقف الحوارية في السنة النبوية.

المقصد الأول - الدعوة إلى دين الله وتبليغ الرسالة النبوية:

لعل من الطبيعي أن تدور المحاورات والمناقشات بين المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وبين المشركين وأهل الكتاب لإقناعهم بدعوته، وإبلاغهم رسالته، ولاعجب في ذلك فهذا هو المقصد الأسمى والهدف الأعظم من بعثته -صلى الله عليه وسلم-، وقد أمره الحق تبارك وتعالى بهذا الأمر بشكل صريح ومباشر في عدة مواضع من كتابه الكريم، ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴿١﴾. والبلاغ والدعوة لا تكون إلا بالحوار والمناقشة.

ولعل من أهم وأبرز الصور والنماذج الحوارية بين الرسول وبين المشركين، والتي يتجلى فيها هذا المقصد بوضوح وجلاء؛ ذلك الحوار الذي دار بين المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وبين عتبة بن ربيعة؛ فعن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، حَدَّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَيْعَةَ - وَكَانَ سَيِّدًا حَلِيمًا - قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَالِسٌ وَحْدَهُ فِي الْمَسْجِدِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أَقُومُ إِلَى هَذَا فَأُكَلِّمُهُ فَأَعْرَضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهَا بَعْضَهَا وَيَكْفَ عَنَّا؟ قَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَقَامَ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِيمَا قَالَ لَهُ عُتْبَةُ وَفِيمَا عَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَالْمُلْكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا فَرَّغَ عُتْبَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَفَرَّغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي، قَالَ: أَفَعُلْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ. قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾». فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْرَأُهَا عَلَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا وَأَلْقَى بِيَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ حَتَّى انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى السَّجْدَةِ فَسَجَدَ فِيهَا ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ «قَالَ: سَمِعْتُ، قَالَ: فَأَنْتَ وَذَلِكَ، فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: وَرَائِي أَنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ وَلَا السَّحْرِ وَلَا الْكُهَانَةِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ

١ - سورة المائدة، آية: [٦٧].

٢ - سورة فصلت، آية [٣، ١].



أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوا بِي خُلُوعًا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَوَاللَّهِ لِيَكُونََنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأًا...»<sup>(١)</sup>.

قال البيهقي راوي الحديث: «وَرَوَيْنَا هَذَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَفِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ فِيمَا حَكَى عْتَبَةُ لِأَصْحَابِهِ قَالَ: فَأَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَاللَّهِ مَا هُوَ سِحْرٌ وَلَا شَعْرٌ وَلَا كَهَانَةٌ قَرَأْتُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَنُوحًا ﴿٣﴾﴾. فَأَمْسَكْتُ بِنَفْسِي وَنَاشَدْتُهُ الرَّحْمَنَ أَنْ يَكْفَ وَوَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَالَ شَيْئًا لَمْ يَكْذِبْ فَخَفْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ الْعَذَابُ...»<sup>(٤)</sup>.

والتأمل في هذا الموقف، وهذه الصورة الحوارية النبوية يمكنه أن يستخلص منها الكثير من المبادئ التربوية الحوارية؛ من حسن الإنصات والاستماع إلى الطرف الآخر، ومن إعطائه الفرصة كاملة ليتم كلامه، دون مقاطعة، أو اعتراض، بل والتأكد من ذلك كما في عبارته -صلى الله عليه وسلم-: «أفرغت يا أبا الوليد؟!».

ومن التأدب في الحوار والحديث مع الخصم فلم يناده المصطفى -صلى الله عليه وسلم- باسمه مجردا، وإنما كناه «بأبي الوليد».

١- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١ (١٤٠١هـ) ص٢٦٨، والسيرة النبوية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٦ م) (١/ ٥٠٤).

٢- سورة فصلت، آية [١، ٢].

٣- سورة فصلت، آية [١٣].

٤- الاعتقاد والهداية، للبيهقي (١/ ٥٠٤).

ولم يرد عليه بغلظة أو فظاظة برفض تلك العروض المغرية التي جاء يسوقها إليه، وإنما أجابه في هدوء وسكينة، وحلم ووقار؛ بتلك الآيات القرآنية الكريمة، التي تتحدث عن رسالته الخاتمة، وأن هذا القرآن ليس من عنده - صلى الله عليه وسلم -، وإنما هو: ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ (٢) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ (١). ذلك الجواب الذي كان له أبلغ الأثر في نفس عتبة؛ مما جعله ينتقل من موقف المعاند المعادي للمصطفى - صلى الله عليه وسلم - ودعوته إلى منطقة وسط، لينصح قومه بألا يعترضوا المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في دعوته، وأن يخلوا بينه وبينها.

### المقصد الثاني - تعليم الناس أمور دينهم:

ولعل من أهم وأبرز الصور والنماذج الحوارية في السنة النبوية، والتي يتجلى فيها هذا المقصد بوضوح وجلاء، ذلك الحوار الذي دار بين جبريل - عليه السلام - وبين المصطفى - صلى الله عليه وسلم - حين سأل جبريل - عليه السلام - المصطفى - صلى الله عليه وسلم - عددًا من الأسئلة؛ فعن أبي هريرة قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ...» (٢).

ثم تتوالى الأسئلة من جبريل - عليه السلام - حول: الإيمان، والإحسان، والساعة، وأهم أماراتها.. والرسول - صلى الله عليه وسلم - يجيب، وقد صرح المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في نهاية هذا الحوار عن الغاية منه، والمقصد من ورائه، قائلاً: «هَذَا جِبْرِيلُ، جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ...» (٣).

١ - سورة فصلت، آية [٢-٤].

٢ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، حديث رقم (٩).

٣ - المصدر السابق، نفسه.

### المقصد الثالث - إقناع الطرف الآخر وتثبيت الحق في نفسه:

وفي صورة أخرى من صور التربية الحوارية في السنة النبوية، نرى المصطفى يحاول من خلال الحوار الهادئ المقنع اقتلاع جذور الشك والتردد، وقطع الريبة وعدم الاطمئنان التي تستحكم في نفس أحد الأعراب، حين جاء إلى المصطفى صلى - الله عليه وسلم - يسأله عن بعض أحكام الإسلام، ويستوثق منه.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلِ، فَيَسْأَلُهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «اللَّهُ» قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا، وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: «صَدَقَ» قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: ثُمَّ وَلِيَّ، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهِنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْتَنِي صَدَقَ لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ»..<sup>(١)</sup>

١ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: في الإيمان بالله وشرائع الدين (١ / ٤١) حديث (١٢).

## المقصد الرابع - اقتلاع الباطل من نفس مستحسنه:

وفي صورة أخرى من صور التربية الحوارية في السنة النبوية، نرى المصطفى يحاول من خلال الحوار الهادئ اقتلاع جذور الشهوة الخبيثة، التي تستحكم في نفس أحد الشباب، حين جاء إلى المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ليستأذنه في ارتكاب فاحشة الزنا.

فَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُذِّنْ لِي بِالزَّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: أَذْنُهُ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ

قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمَّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ<sup>(١)</sup>.

«فانظر كيف استأصل النبي - صلى الله عليه وسلم - من نفس هذا الفتى تعلقه بالزنا، عن طريق الحوار الهادئ، والمحاذثة والمحكمة النفسية، والموازنة العقلية، دون أن يذكر له الآيات الواردة في تحريم الزنا، والوعيد الشديد للزانية والزاني.. وفي هذا

١ - أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٢٢١١) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح"

إرشاد منه (ﷺ) وتربية للدعاة إلى ضرورة اللجوء إلى الحوار الهادئ، وإلى تحكيم العقل في بعض الأحيان، ومع بعض الناس، عندما تستدعي الحال ذلك، كحالة هذا الشاب..»<sup>(١)</sup>.

### المقصد الخامس - ترسيخ الحق في نفس مستبعده أو مستغربه:

ولتحقيق هذا المقصد من مقاصد التربية الحوارية في السنة النبوية، نجد - صلى الله عليه وسلم - يستخدم أسلوب المقايسة والتمثيل؛ ليقنع أصحابه، ويرسخ في نفوسهم ما استبعده من الحق، وما كان غريباً على نفوسهم.

ولعل من الصور العملية التي يتجلى فيها هذا المقصد الجليل من مقاصد التربية الحوارية في السنة النبوية، ما روي عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن أعرابياً أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَكَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدًا، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ. قَالَ: فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَنَّى هُوَ؟ قَالَ: لَعَلَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يُكُونُ نَزَعَهُ عِرْقٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: وَهَذَا لَعَلَّهُ يُكُونُ نَزَعَهُ عِرْقٌ لَهُ..»<sup>(٢)</sup>.

### المقصد السادس - تحقيق الألفة والمودة بين الناس:

«ومن المقاصد المهمة للتربية الحوارية في السنة النبوية، العمل على تحقيق الألفة والمودة بين الفرقاء والخصوم، وإنهاء حالة الخصام والتنافر بين سائر الاتجاهات الدينية والحزبية والمذهبية المختلفة، والعمل على تقريب وجهات النظر

١ - أبو غدة، عبد الفتاح، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، ط. د. ت، ص ١٠١.

٢ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: اللعان، (١١٣٧/٢) حديث رقم (١٥٠٠).

بينها، والوصول إلى حلّ وسط، يرضي جميع الأطراف..»<sup>(١)</sup>.

ومن الصور والنماذج الحوارية التي درات بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، وهو ينهاتهم عن التنافر والتخاصم، ويدعوهم إلى المحبة والأخوة والتآلف، ما روي عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُتَنَتَةٌ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قُحَيْفَةَ فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: دَعُهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ..»<sup>(٢)</sup>.

المقصد السابع - مواجهة الفتن والأزمات، وسد ذرائع الفوضى والهرج:

ذلك أن الشفافية والوضوح، وتقديم التفسيرات للقرارات السياسية، وفتح قنوات الحوار والتواصل، والإبقاء عليها بين القادة وصناع القرار، وبين أبناء الوطن؛ تعد أحد أهم الآليات الكفيلة بسد ذرائع الفوضى والهرج، وقطع الطريق أمام مروجي الشائعات لبث السموم والأراجيف، ومن يحاولون صناعة الفتن والأزمات.

١ - نور، حساني محمد، فقه الحوار في ضوء مقاصد الشريعة، سلسلة (دراسات إسلامية) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، عدد (٢١٣) (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، ص ٩١.

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، سورة المنافقون باب: قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (٦/ ١٥٤) حديث رقم (٤٩٠٥).

ولعل من أبرز الصور العملية لهذا المقصد من مقاصد التربية الحوارية في السنة النبوية، ما حدث في أزمة توزيع الغنائم، في أعقاب غزوة حنين؛ فبعد انتصار المسلمين في هذه الغزوة، نال المسلمون غنائم وفيرة، تطلعت لها مطامع الناس، وتاقت إليها نفوس العباد «وأعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرفا من أشرف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن كعدة، أخا بني عبد الدار مائة بعير»<sup>(١)</sup>.

فلما أعطى الرسول - صلى الله عليه وسلم - هؤلاء الأشراف تلك العطايا، ولم يجعل للأنصار شيئاً، وجد الأنصار شيئاً في أنفسهم تجاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فعن أبي سعيد الخدري قال: «لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم: لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قومه.

فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا امرؤ من قومي، وما أنا؟ قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال: فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا وجاء آخرون فردهم،

١- ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ) السنة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط. د. ت. (٢/ ٤٩٢).

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ آتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَآتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَهُ بَلَّغْتَنِي عَنْكُمْ وَجِدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ وَأَفْضَلُ.

قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَاللَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلِصِدْقَتُمْ وَلِصِدْقَتِهِمْ، أَتَيْتَنَا مُكْذِبًا فَصَدَقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَصَصْرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَاسْتَيْنَاكَ، أَوْجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لِعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيَسْلِمُوا وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ.

أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ ابْنَاءِ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ.

وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحِطًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَفَرَّقُوا<sup>(١)</sup>.

١ - أخرجه الإمام أحمد في المسند، حديث رقم (١١٩٠٩). وقال الشيخ: شعيب الأرناؤوط: "إسناده حسن من أجل محمد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث هنا، فانتفت شبهة تدليس، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح" كما أورده الهيثمي، في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حديث رقم (١٦٤٧٥) وقال: "رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع".



وهنا تظهر أهمية فتح قنوات الاتصال، والحوار والتواصل، وضرورة الإبقاء عليها بين القادة والزعماء، وبين أبناء الوطن؛ فسياسة الباب المفتوح والمفتوحة والمعتبة من المصادر المهمة للتزويد بالمعلومات، والمتابعة الدقيقة لتطورات الأحداث، ومن ثم التدخل متى دعت الحاجة، والضرورة إلى ذلك.

«وهنا لا بد وأن نلاحظ كيف واجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اعتراض الأنصار، وحاورهم ولم يرض بسكوتهم أول مرة، فالنفوس تهاب الزعيم والقائد، ولهذا يقولون بأدب: «بَلِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ وَأَفْضَلُ» وقد كان بإمكانه - صلى الله عليه وسلم - أن يستند إلى سكوتهم المشوب بالخجل منه - صلى الله عليه وسلم - في تبرير موقفه من توزيع الغنائم، إلا أنه - صلى الله عليه وسلم - فضل أن يحاورهم، ويقر لهم بالفضل، ويعلمهم بالهدف من وراء هذه القسمة، حتى يقضي على هذه الشائعة في مهدها، ولينزع بذلك فتيل الأزمة من نفوسهم، ويكون سكوتهم عن رضا وارتياح، لا عن خوف وخجل..»<sup>(١)</sup>.

ولا بد أن تتأمل كيف أنصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأنصار في حوارهم، واعترف لهم بالفضل، وهم أهله، وكيف كان إنصافه لهم وثناؤه عليهم سبباً في إزالة الاحتقان الذي وقع في نفوسهم من هذا التقسيم.

## المبحث الثاني: آليات ووسائل تفعيل التربية الحوارية في ظل الواقع المعاصر

### أولاً - آليات ووسائل اجتماعية:

«لا شك، الإنسان ابن بيئته الاجتماعية، وأنه ينشأ على ما تلقنه إياه الأسرة بخلفتها الاجتماعية والثقافية، ولذلك فإن من المهم، بل ومن الضروري، العمل

١ - الكيلاني، عبد الله إبراهيم، إدارة الأزمة، سلسلة (كتاب الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (١٣١) (جمادى الأولى ١٤٣٠هـ)، ص ١٣٤.

على تنمية الوعي الاجتماعي لدى الأسرة المسلمة بأهمية الحوار كأسلوب للعلاقات الأسرية مع ضمان الالتزام بالاحترام المتبادل داخل الأسرة، والسماح بمساحة من التعبير عن الرأي، وتربية الأبناء والبنات على حرية التعبير في ضوء الضوابط الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية، وفي ظل المحافظة على العلاقات الأسرية السليمة بين الآباء والأبناء، وبين الأبناء مع بعضهم البعض بحيث لا يكون هناك إفراط أو تفريط في حرية الرأي والتعبير داخل الأسرة..»<sup>(١)</sup>.

«كما أن بناء ثقافة الحوار داخل محيط الأسرة، والحرص على تفعيل دور الأسرة في تربية أبنائها على حرية التعبير في ضوء الضوابط المعروفة، وتعويد أبنائها على الحوار داخل محيط الأسرة، هو في حقيقته تمهيد وتدريب لهؤلاء الأبناء على الحوار الخارجي الذي يتسع لكي يشمل الحوار مع المجتمع الخارجي، ومن الحوار مع العالم كله، وبدون هذا التأسيس الأسري لثقافة الحوار يصعب بناء الشخصية الإنسانية في علاقاتها المتشعبة بـ(الذات) وبـ(الآخر) داخل الأسرة وخارجها..»<sup>(٢)</sup>.

وحتى يتم تفعيل هذا الدور التربوي للأسرة، كان من مجموعة من السلوكيات والآداب، ومن ذلك:

أن يكون الوالدان قدوة للأبناء في التحلي بآداب الحوار، يقول أحد الباحثين في مجال التربية: «و حين يتجادل الزوجان حول مسألة من المسائل؛ فإن من المهم جداً أن يخففا من درجة الصياح والسرعة في الكلام، كما أن من المهم جداً ألا ينسحب، أي منهما من الحوار؛ فقد ثبت أن كثيراً من حالات الطلاق يقع بسبب

١- حسن، محمد خليفة، الحوار.. منهجاً وثقافة، مركز البحوث والدراسات، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط١ (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م)، ص ١٨٢.

٢- حسن، محمد خليفة، الحوار.. منهجاً وثقافة، ص ١٨٢.

من الانسحاب المتكرر من النقاش والحوار..»<sup>(١)</sup>.

ومن ناحية أخرى فإن الأطفال كثيراً ما يقلدون الأبوين في هذه السلوكيات السلبية، مما يساعد على تخريج أجيال تفتقر إلى آداب الحوار وأخلاقياته، كما ينبغي تجنب الاستطراد في عرض القضايا الجانبية، أو الانسحاب من الحوار والنقاش دون الوصول إلى نتيجة، وكذا تجنب إهمال طرف للطرف الآخر أو الانشغال عنه في أثناء عملية الحوار.

كما لا بد من اجتناب الحوار في أثناء التعب أو الإعياء أو الغضب؛ ذلك أن الحوار هو في حقيقته احتكاك روح بروح، قبل أن يكون اتصال عقل بعقل؛ ولهذا فإن من المهم ألا نتحاور ونحن في حالة إعياء وإجهاد، أو في حالة سأم أو غضب، لأن نتائج الحوار حينئذٍ ستكون سلبية أو ضارة..<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً - آليات ووسائل تعليمية وتربوية:

سبقت الإشارة إلى أن التربية الحوارية، وبناء ثقافة الحوار لا بد أن تبدأ من الأسرة، ثم يأتي بعد ذلك دور المدرسة؛ التي تقوم بتنظيمها، وتهذيبها، وتغذيتها بالمعرفة والعلم الضروريين. ويجب أن تتضامن المدرسة مع الأسرة في تكوين الشخصية السليمة للنشء بحيث يصبح قادراً على التعبير الحر السليم مع الحفاظ على قيم المجتمع ومبادئه، والحقيقة أن المجتمعات الإسلامية تحتاج إلى إعادة النظر في أسلوب تربية النشء في الأسرة وفي المدرسة؛ لأن الأساليب التقليدية الحالية في التربية والتعليم لا تربي في الشخصية الإنسانية القدرة السليمة على إبداء الرأي بسبب طبيعة التربية الأسرية وطبيعة التربية التعليمية التي تصر على

١ - محمد حسن، عبد الكريم، الحياة الأسرية.. مقولات قصيرة في العلاقة بين الزوجين وتربية الأبناء، دار السلام، القاهرة، ط٢ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م)، ص٢٧.

٢ - ينظر: المصدر السابق، ص١٣.

المطالبة بالطاعة المطلقة للسلطة الأسرية أو المدرسية، وفيما بعد للسلطة السياسية، والنتيجة النهائية تكوين شخصية غير سوية اجتماعياً، وغير قادرة على التعبير عن الرأي، وسلبية في علاقاتها بالآخرين..»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان كل من التعليم والتربية يحتل مكاناً أساسياً في بناء ثقافة الحوار، وتحويلها إلى منهج وأسلوب حياة؛ وذلك بوصف أن التعليم هدفه بناء الإنسان، وأن التربية هدفها بناء الشخصية الإنسانية منذ الصغر وخلال مراحل التعليم المختلفة.

فإن الوسائل التعليمية والتربوية (من المناهج الدراسية، والكتب المدرسية، وطرق التدريس..) حتى تتمكن من أداء دورها المنشود في نشر ثقافة الحوار، وتربية الأبناء تربية حوارية سليمة - فإنه لابد من العمل على مستويين:

### المستوى الأول - يتعلق بطرائق التعليم:

تلك الطرائق التي يجب أن تتحول من طرائق تقوم على أساس التلقين إلى طرائق تعتمد على الفهم، وطرح التساؤلات، والمناقشة، وإبداء الرأي، والتدريب على الاختلاف في الرأي، وآداب الاختلاف، وتعتمد على الحوار بين الأستاذ والطالب، وبين الطالب والطالب بحيث تتحول العملية التعليمية إلى عملية حوارية تشجع الحوار العلمي، وإبداء الرأي، وتبني ثقافة الحوار في مجال التربية والتعليم..»<sup>(٢)</sup>.

### والمستوى الثاني - يختص بالمحتوى التعليمي:

ذلك المستوى الذي يحتاج إلى إعادة نظر بحيث يتناسب مع حركة العلم

١ - حسن، محمد خليفة، الحوار منهجاً وثقافة، ص ١٨٢.

٢ - ينظر: المصدر السابق، ص ١٧٧.

والتقدم العالمي، ويتخلص في الوقت نفسه من المضامين التي تؤدي إلى الانغلاق على الذات، والمطلوب أيضاً إعادة النظر في الكتب الدراسية وتنقيتها من كل مظاهر التعريض غير الموضوعي بالثقافات والأديان الأخرى، وتقديم صورة إيجابية وموضوعية عن الآخر في البرامج التعليمية، والتخلص من كل ما يشوه صورة (الآخر) أو يثير روح العداة والكراهية تجاهها، وضرورة الترويج لثقافة الحوار، وإشاعة روح التسامح، وقبول الاختلاف والتعددية الثقافية والدينية...»<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً - آليات ووسائل دينية:

تعد الوسائل الدينية أحد أهم الآليات الضرورية لبناء ونشر ثقافة الحوار؛ وذلك من خلال الاعتراف بحق الاختلاف الديني، وقبول التعددية الدينية، وتشجيع الرأي والرأي الآخر، والأخذ بمبادئ حرية الاعتقاد وممارسة العبادات، وضرورة تشجيع كل أشكال الحوار الديني الداخلي بين المسلمين، والخارجي بين المسلمين وغير المسلمين، والتدريب على أساليب الحوار، وتحقيق الاتصال الديني عبر الحوار، والعمل على نشر تعاليم الإسلام الصحيحة في التعامل مع غير المسلمين، والإعلاء من مبادئ وحدة الأصل الإنساني، ووحدة الإنسانية، ومبادئ التعايش، وضرورة التعريف بحقوق الأقليات داخل المجتمعات الإسلامية والحفاظ عليها، والدفاع عن حقوق الأقليات المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية، وتوجيه الأقليات المسلمة إلى احترام ثقافات البلاد التي يعيشون فيها، وتحقيق الاندماج والتعايش الإيجابي في مجتمعاتهم مع المحافظة على هويتهم الدينية والحضارية...»<sup>(٢)</sup>.

١ - السماك، محمد، حوار الحضارات في المتديات العربية، مجلة الاجتهاد، بيروت، العدد(٥٣) السنة (١٣) (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، ص٧.  
٢ - حسن، محمد خليفة، الحوار منهجاً وثقافة، ص ١٨٤.

## رابعاً - آليات ووسائل إعلامية:

«أصبح الإعلام - في العصر الحالي - علمًا له مقوماته، ومعاهده، وشروطه، وتقنياته، ومتخصصوه، وفنًا له مستلزماته وأدواته، كما أصبح ثمرة تشارك في إنضاجها كل المعارف والعلوم، وتوظف لها أرقى الخبرات، وصناعة من (الصناعات الفكرية الثقيلة) لها مؤسساتها، وخططها، ونفقاتها، بل لعل نصيب الدعم الإعلامي في كثير من الدول اليوم من الميزانيات، يفوق الدعم الغذائي، الذي به قوام الحياة.. ولئن كان الإعلام في الماضي يُوظف ليكون أداة ترفيه وترويح وتسلية يعيش على هوامش المجتمع وفي خارجه.

فهو اليوم يشكل جانبًا في غاية الأهمية من صميم جوانب ومكونات المجتمع؛ يوظف الترفيه والتسلية لأداء رسالة، وإيصال فكرة، وتشكيل عقل، وصناعة ذوق عام، وزراعة اهتمامات معينة، حتى إنه لم يعد يكتفي برصد الحدث، وإيصال المعلومة، بل أصبح بما يمتلك من قوة وعوامل تأثير وضغط وتحكم، يقوم بصنع الحدث، والتحضير له في الوقت نفسه..»<sup>(١)</sup>.

و«لقد أصبح الإعلام في كرتنا الأرضية (كالجهاز العصبي) الذي يشد أجزاء الجسم برباط واحد؛ ومن ثم سميت الكرة الأرضية في لغة الإعلام (بالقربة الإعلامية)..»<sup>(٢)</sup>.

ورغم هذا الدور الفاعل والمؤثر لوسائل الإعلام في شتى جوانب الحياة اليومية، إلا أن الساحة الإعلامية لا تكاد تخلو من بعض المشاهد التي تخل بأهدافها، وتحيد بها عن تحقيق رسالتها بشكل عام، والتربوية منها على وجه الخصوص.

١ - حسنة، عمر عبيد، مقدمة كتاب مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، لنخبة من المفكرين والكتاب، سلسلة (كتاب الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (٢٨) (رجب ١٤١١هـ)، ص ١٠.  
٢ - محمد سيد محمد، الإعلام الإسلامي والتحديات الحضارية المعاصرة، بحث منشور ضمن كتاب: مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، لنخبة من المفكرين والكتاب، سلسلة (كتاب الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (٢٨) (رجب ١٤١١هـ)، ص ٩٣.

«ولعل من أبرز المشاهد الحوارية المُريرة، ما نشاهده في الكثير من المحافل الثقافية والفضائيات ووسائل الإعلام؛ بين اتجاهين متناقضين، أو رأيين مختلفين؛ والتي غالبًا ما يسودها الضجيج والصياح والزعيق، والاستخفاف بعقل المشاهد والسامع والمشارك، والتي هي أقرب إلى مناقرة الديكة منها إلى الحوار المتزن الهادئ.. إنها ملاكمة ومصارعة لكن بالكلمات، وحالة من القتال والشجار باسم الحوار، وإن كانت لا تعدم استعراض العضلات وحركات الأيدي، فبدلاً من أن يؤدي هذا الحوار للوصول إلى مشترك إنساني؛ فإنه يزيد الفرقة، ويثير الأحقاد، ويعمق الخلاف، ويوسع الصدع، ويغتل المشترك، وينتهي إلى العداوة والتربص وسوء النية..»<sup>(١)</sup>.

«إن مثل هذه المواقف والمشاهد، والتي تسمى حوارية هي أقدر على الهدم والمنازعة، منها على البناء ومعالجة الفجوات، وسد الثغرات، والوصول إلى التفاهم، وبناء المشترك الإنساني، وقد لا ينتج عنها إلا إبراز شخصية مقدمي الحوار، والبرهنة على أهميتهم، وطول باعهم في العلم والثقافة، واتخاذ ساحة الحوار مجالاً مفتوحاً للخطرة، ومصادرة الآراء وتقطيعها، وطرح اتجاهاتهم الفكرية والسياسية.. حتى ولو كان ذلك على حساب المتحاورين، بل وموضوع الحوار نفسه..!!»<sup>(٢)</sup>.

١- حسنة، عمر عبيد، الخطاب الغائب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ص ٧٠.

٢- المصدر السابق، نفسه.

## الخاتمة

### ونورد فيها أهم النتائج:

- تتنوع أهداف التربية الحوارية في السنة النبوية، وتتعدد مقاصدها ومراميها؛ بداية من تعليم الناس أمور دينهم، مروراً باقتلاع الباطل من نفوسهم، وترسيخ الحق في قلوبهم وعقولهم، مروراً بتحقيق الألفة والمودة بين الإنسان وأخيه الإنسان، بالإضافة إلى حماية المجتمعات وصيانتها من الوقوع في الأزمات والفتن، وسد ذرائع الفوضى والهرج..
- للأسرة دور كبير في نشر ثقافة الحوار، والتربية الحوارية: «ذلك أن بإمكان الآباء والأمهات تهيئة أطفالهم فكرياً وروحياً للحوار، وتربيتهم تربية حوارية سليمة؛ وذلك من خلال تعليم الأطفال، أدب الحديث، وأدب الاستماع، ومن خلال تشجيعه على التعبير عن آرائه بشكل قوي، ومن ثم فإن المسؤولية الأساسية في التنشئة الحوارية تقع أولاً على عاتق الأبوين، ثم على عاتق المدرسة ثانياً، يلي ذلك الإعلام..»<sup>(١)</sup>.

### التوصيات المقترحة:

- ضرورة الحرص على سلامة العلاقات الاجتماعية في الوسط الأسري، وإخفاء حالات التوتر والصراع عن الأطفال، حفاظاً على إحساسه بالأمن والأمان، واستقراره النفسي والاجتماعي، فضلاً عن الحرص على التحلب بأداب الحوار.
- ضرورة التدريب العملي على التربية الحوارية، والعمل على نشر ثقافة الحوار من خلال العملية التعليمية وطرق التدريس، وتشجيع الرأي والرأي

١- محمد حسن، عبد الكريم، تأسيس عقلية الطفل، دار السلام، القاهرة، ط ٢ (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م). ص ١٤٤.



الآخر، والتدريب على النقد واختلاف الرأي.

- العمل على تفعيل دور المدرسة كمؤسسة تربوية منفتحة على محيطها، ناجعة في مناهجها، وبرامجها، وأساليبها التربوية، متميزه في أهدافها وقيمها، وضامنة لشروط التعلم والتحصيل، وروح المبادرة والتنافس، والحوار والتفاعل الإيجابي<sup>(١)</sup>.
- التأكيد على أهمية وخطورة الدور التربوي للإعلام، وأهمية تفعيل دور الوسائل الإعلامية؛ بوصفه خيارا أساسا للتنشئة والتربية الحوارية، وآلية لتكريس القيم والمبادئ التربوية؛ وذلك من خلال: تكثيف البرامج ذات الطابع التربوي الخاص، وترشيد المادة الترفيهية لتحقيق مقاصد التربية بوجه عام، والتربية الحوارية بوجه خاص.
- ضرورة إيجاد دور فاعل لعلماء التربية؛ لتحقيق أهداف العملية التربوية؛ من خلال تكثيف البرامج التربوية في وسائل الإعلام؛ وإشراكهم في وضع أسس الاستراتيجية الإعلامية، إضافة إلى استدعائهم في إطار من التعاون، لإعداد برامج هادفة، يُراعى فيها الحضور الإعلامي، ذو الظلال الموحية، والمعالجات الفنية البارعة؛ فكرةً ونصًا وإخراجًا وتنفيذًا.. متوجهين بذلك إلى الإنسان - بوجه عام - والأطفال - بوجه خاص - في عقيدته وقيمه ومبادئه وأهدافه وغاياته وتطلعاته.
- لابد من التضافر والتعاون وتوحيد جهود المربين، والمعلمين، والمؤسسات الاجتماعية التربوية؛ من أسرة ومدرسة ومسجد ووسائل إعلام.. للاهتمام بقضايا التربية بوجه عام، والتربية الحوارية بوجه خاص.

١- الزهواني، علال، التواصل العاطفي مع الأطفال مقارنة تربوية ونفسية، دار السلام، القاهرة، ط ١ (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)، ص ١١١.

## فهرس المراجع

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١ (١٤٢٢هـ).
- أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. د. ت.
- حسن، محمد خليفة، الحوار.. منهجاً وثقافة، مركز البحوث والدراسات، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط ١ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م).
- حسنة، عمر عبيد، الخطاب الغائب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- حسنة، عمر عبيد، مقدمة كتاب مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، لائحة من المفكرين والكتاب، سلسلة (كتاب الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (٢٨) (رجب ١٤١١هـ).
- الراغب، أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط ١ (١٤١٢هـ).
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط. د. ت.
- الزهواني، علال، التواصل العاطفي مع الأطفال مقارنة تربوية ونفسية، دار السلام، القاهرة، ط ١ (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م).
- السماك، محمد، حوار الحضارات في المنتديات العربية، مجلة الاجتهاد، بيروت، العدد (٥٣) السنة (١٣) (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
- الشيباني، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت: ٢٤١هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- عمارة، محمود محمد، من أجل حوار لا يُفسد للود قضية، بحث منشور ضمن أعداد سلسلة (البحوث الإسلامية) والتي يصدرها الأزهر الشريف، السنة (٣٨) الكتاب (٩) ط ١ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

- أبو غدة، عبد الفتاح، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، ط.د.ت.
- الكيلاني، عبد الله إبراهيم، إدارة الأزمة، سلسلة (كتاب الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (١٣١) (جمادى الأولى ١٤٣٠هـ).
- محمد حسن، عبد الكريم، تأسيس عقلية الطفل، دار السلام، القاهرة، ط٢ (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م).
- محمد حسن، عبد الكريم، الحياة الأسرية.. مقولات قصيرة في العلاقة بين الزوجين وتربية الأبناء، دار السلام، القاهرة، ط٢ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).
- محمد سيد محمد، الإعلام الإسلامي والتحدي الحضاري المعاصر، بحث منشور ضمن كتاب: مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، لنخبة من المفكرين والكتاب، سلسلة (كتاب الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (٢٨) (رجب ١٤١١هـ).
- مذكور، على أحمد، مناهج التربية.. أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر العربي، القاهرة، ط (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- ابن منظور، أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣ (١٤١٤هـ).
- نور، حساني محمد، فقه الحوار في ضوء مقاصد الشريعة، سلسلة (دراسات إسلامية) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، عدد (٢١٣) (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).
- ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ) السنة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط.د.ت.
- الهيتي، عبد الستار إبراهيم، الحوار: الذات والآخر (كتاب الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (٩٩) (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

## References:

- Abu al-Hasan, Muslim bin al-Hajjaj al-Qushairi al-Nisaburi (died: 261 AH) Sahih Muslim, edited by: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, Arab Heritage Revival company, Beirut, edition without date.
- Abu Ghadah, Abdel-Fattah, the Prophet, the Teacher and His Methods in Education, Islamic Publications Office, Aleppo, Syria, edition without date.
- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Jaafi, Sahih Al-Bukhari, edited by: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, Dar Touq Al-Najat, 1st edition (1422 AH).
- Al-Kilani, Abdullah Ibrahim, Crisis Management, Series (Kitab al-Ummah), Ministry of Endowments and Islamic Affairs, No. (131) (Jumada Al-Awwal 1430 AH).
- Al-Haiti, Abd al-Sattar Ibrahim, dialogue: The Self and the Other (Kitab al-Ummah), Ministry of Endowments and Islamic Affairs, No. (99) (1425 AH - 2004 AD).
- Al-Ragheb, Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad al-Isfahani (died: 502 AH), Vocabulary of Gharib Al-Qur'an, edited by: Safwan Adnan Al-Daoudi, Dar Al-Qalam, Beirut, 1st edition (1412 AH).
- Al-Sammak, Muhammad, Dialogue of Civilizations in Arab Forums, Al-Ijtihad, Beirut, No. (53), 13th year, (1422AH-2002AD).
- Al-Shaibani, Abu Abdullah Ahmed bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad (died: 241 AH), Al-Misnad, edited by: Shoaib Al-Arnaout, and others, Al-Risala Foundation, 1st edition (1421 AH - 2001 AD).
- Al-Zahwani, Allal, Emotional Communication with Children, an Educational and Psychological Approach, Dar Al-Salam, Cairo, Ed. 1 (1439 AH - 2018 AD).
- Al-Zubaidi, Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Husseini, Abu Al-Faidh, called Mortada Al-Zubaidi (Died: 1205 AH), The Crown of the Bride, by Jewels of the Dictionary, Investigation: A Group of Investigators, Dar Al-Hidaya (edition without date).
- Amara, Mahmoud Mohamed, For a dialogue that does not spoil friendliness an issue, research published within editions of the series (Islamic Research) published by Al-Azhar Al-Sharif, 38th year, Book (9), Ed.1 (1428AH-2007AD).
- Bakkar, Abdel Karim, Family Life... Short quotes in the relationship between the spouses and raising children, Dar Al Salam, Cairo, 2nd edition (1435AH-2014AD).

- Charles Kimball, Striving Together: A way forward in Christian - Muslim Relations. Mary Knoll, Orbis Books,1991, P.85.
- Hassan, Mohammed Khalifa, dialogue... Curriculum and Culture, Center for Research and Studies, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, 1st edition (1428AH-2008AD).
- Hasna, Omar Obaid, Al-Khattab Al-Kheibi, Islamic Office, Beirut, 1st edition (1425AH-2004AD).
- Hasna, Omar Ubaid, Introduction to the book of Essays on Islamic Da`wa and media, by an elite group of thinkers and writers, series (Kitab al-Ummah), Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Ed. No. (28) (Rajab 1411 AH).
- Ibn Hisham, Abd al-Malik bin Ayoub al-Humayri al-Ma`afiri, Abu Muhammad, Jamal al-Din (deid.: 213 AH), the Prophetic Sunnah, edited by: Taha Abdul-Raouf Saad, United Technical Printing Company, edition without date.
- Ibn Manzoor, Abu al-Fadl Muhammad bin Makram bin Ali, Jamal al-Din al-Ansari al-Ruwa'afi al-Afriqi (died: 711 AH), Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, 3rd edition (1414 AH).
- Madkour, Ali Ahmed, curricula of education... its foundations and applications, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, Edition (1421 AH - 2001 AD).
- Muhammad Syed Muhammad, Islamic Media and the Contemporary Civilization Challenge, research published within the book: Articles in Da`wah and Islamic Media, by an elite group of thinkers and writers, series (Kitab al-Ummah), Ministry of Endowments and Islamic Affairs, No. (28) (Rajab 1411 AH).
- Nour, Hassani Mohamed, Jurisprudence of Dialogue in the Light of the Purposes of Sharia, Series (Islamic Studies), Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, ed. No. 213 (1434 AH - 2013 AD).

«التقدير الموضوعي للأداء  
الوظيفي الأسري للأم العاملة»  
(دراسة استطلاعية تحليلية مطبقة على  
أمهات عاملات مُتمدرسات بجامعة عجمان  
الإمارات العربية المتحدة أنموذجاً)

**Objective Evaluation of the familial performance  
of a Working Mother:  
an Investigative, Analytical Survey on  
Working Mothers, enrolled in Ajman University**

د. أمال محمد بايشي  
جامعة عجمان – الإمارات العربية المتحدة

**Dr. Amel Beichi**  
Ajman University - UAE

<https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.04>





## Abstract

The current study aims to examine objectively the assessment of the working mother's family function. To achieve this goal, a social survey method was applied to the working mothers affiliated with Ajman University during the academic year 2019-2020, with total number of sixty-five. The data was collected using new measurements of working mother's family function requirements, designed by the researcher after verifying the validity and the reliability of its statements.

After applying the measurements and analyzing its data and results, it appeared that the dimension of social emotional interaction for the working mother in her family is a major requirement with priority for her family function performance. However, the positive response to the most important expressions of this dimension, with the largest value of the arithmetic mean (3.80), indicates that there is an existence of many negative feelings among members of the family of the working mothers. Moreover, most of the other important expressions on the measurement are after the authority of the working mother in her family, with a rate of five out of nine recorded as expressions of great importance in the measure. This can be explained by the typical perception of a working mother about the priority of social emotional interaction in the family. Nevertheless, function compatibility requirements emerged as an explanation in the working mother's use of power as an objective assessment of her family function performance. Therefore, the study findings will draw attention to the generalization of the measure and to consider the requirements for achieving compatibility between function performance in the family and work as high values in family life.

**Keywords:** Functionality performance, Family Function performance, Mother, Working mother, Working mother's Family Function Requirements.

## ملخص البحث

تهدف الدراسة إلى البحث في التقدير الموضوعي للأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة. ولتحقيق هذا الهدف تم تطبيق منهج المسح الاجتماعي على أمهات عاملات منتسبات إلى جامعة عجمان خلال العام الجامعي (٢٠١٩-٢٠٢٠م)، وعددهن خمس وستون. وقد تم جمع البيانات باستخدام مقياس جديد لمتطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة، بعد التحقق من صدقه وثبات عباراته.

وتبين بعد تطبيق المقياس وتحليل بياناته ونتائجه حيازة بُعد التفاعل العاطفي الاجتماعي للأم العاملة في أسرتها، كمتطلب رئيس بأولوية لأدائها الوظيفي الأسري. غير أن الاستجابة الإيجابية على أهم عبارات هذا البعد، ذات أكبر قيمة للمتوسط الحسابي (٣,٨٠)، تشير إلى وجود كثير من المشاعر السلبية لدى أفراد أسرة الأم العاملة. وأن أغلب العبارات المهمة الأخرى بالمقياس هي من بعد حجم سلطة الأم العاملة في أسرتها، وذلك بمعدل خمس عبارات من تسع مسجلة كعبارات ذات الأهمية البالغة في المقياس. وهذا يعني وجود تصور نموذجي للأم العاملة حول أولوية التفاعل العاطفي الاجتماعي في الأسرة، لكن متطلبات التوافق الوظيفي ظهرت كتفسير في استخدام الأم العاملة للسلطة كتقدير موضوعي لأدائها الوظيفي الأسري. لهذا توصلت الدراسة إلى توجيه الانتباه إلى تعميم المقياس والنظر في متطلبات تحقيق التوافق بين الأداء الوظيفي في الأسرة والعمل كقيم عالية في الحياة الأسرية.

الكلمات المفتاحية: (الأداء الوظيفي، الأداء الوظيفي الأسري، الأم، الأم العاملة، متطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة).





## المقدمة

منذ الدخول إلى عصر الألفية الثالثة، ظهرت في الأسر العربية والأسر الخليجية، على السواء، مشكلات غير منتظمة وسلوكيات خطيرة، تؤدي إلى هدم ثقافي واجتماعي في كيان هذه الأسرة، مما يهدد استقرارها وتماسكها. وهنا نادى عدد من الباحثين إلى الاهتمام بالقيم الأسرية ودورها في بناء الأسرة الناجحة، لما تلعبه من دور ريادي في توحيد الأفراد والعائلات من التفكك والتفرق، بحيث تتجلى أهمية القيم الأسرية في: تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي، وتحفظ نشاط الأفراد موحدًا ومتناسقًا، وتصبح من موجبات السلوك دون إحساس مشعور به، وتربط أجزاء الثقافة بعضها ببعض الآخر.

كما تعمل على إيجاد نوع من التوازن والثبات للحياة الاجتماعية<sup>(١)</sup>. ومن ثم تنفيذ القيم الأسرية العالية في مسيرة الحياة اليومية وفي علاقة الأفراد بعضهم بعضًا، ستكون حافزة لهم في كل أعمالهم وسلوكهم. وغياب القيم الأسرية (الأصيلة) ستؤدي إلى العطب، وإصابة الأفراد بالأمراض الاجتماعية.

وفي هذا السياق، اتجهت الدراسة الحالية نحو جذب الانتباه نحو موضوع الأداء الوظيفي الأسري كأحد مُمكّنات القيم الأسرية والكشف عن التقدير الموضوعي لمتطلبات هذا الأداء لدى الأم العاملة المعاصرة. فالوضع الأسري الجديد الذي تعيشه كل الأسر نتيجة التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي فرضت في العصر الحديث على المجتمعات، في ظل عمل المرأة، ألقى بظلاله على جميع أدوار الأم، خاصة الأدوار المهنية والتربوية لها<sup>(٢)</sup>، هذا بالإضافة إلى

١ - ينظر: نورا لليسذا بنت قاسم، هيا علي محمد الدوم، القيم الأسرية: أهميتها وواجب الإنسان نحوها في ضوء القرآن الكريم (تاريخ آخر زيارة ١٤ / ٢ / ٢٠٢٠):

[https://www.researchgate.net/publication/326293498\\_alqym\\_alasryt\\_ahmytha\\_wwajb\\_alansan\\_nhwha\\_fy\\_dw\\_alqran\\_alkrym](https://www.researchgate.net/publication/326293498_alqym_alasryt_ahmytha_wwajb_alansan_nhwha_fy_dw_alqran_alkrym)

٢ - سامي محمد ملحم، التوافق لدى المرأة العاملة في كل من الأردن والمملكة العربية السعودية، المجلة العربية للتربية، (٢)، تونس، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، ديسمبر ١٩٩٣، ص ٩٦.

ظهور متطلبات جديدة للأسرة على المستوى الفردي والمجتمعي، فقد تزايدت متطلبات أفراد المجتمع في هذه المرحلة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، وانعكاس أثارها على الأسرة والأم<sup>(١)</sup>. ومن ثمَّ يجدرُ تعميق البحث حول الأداء الوظيفي الأسري وربط متطلبات هذا الأداء تبعاً لتصوُّر الأم العاملة ومنظورها.

**أهمية الدراسة وأهدافها:** تكتسي الدراسة اعتبارات علمية وعملية نلخصها في الآتي:

- توجيه انتباه المهتمين بمجال الأسرة بأهمية دراسات الأداء الوظيفي الأسري ومتطلباته الجديدة المصاحبة له.
- تحفيز ذوي الخبرات المتخصصة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية للاهتمام بموضوعات ذات الصلة بالأم العاملة وأسرته.
- قلة البحوث التي تناولت الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة، ونُدرتها على مستوى البحوث الأجنبية والعربية والخليجية.
- تطبيق المقياس المُصمَّم وفحص إمكاناته العلمية والعملية في الحصول على الاستخلاصات التي يتم تجميعها.
- من ثمَّ، يمكن تحديد أهداف الدراسة الحالية في:
- الكشف عن متطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة، من خلال مقياس جديد.
- اختبار مدى صدق المقياس، وثبات عباراته والبحث في إمكاناته العملية والعلمية.

١- ينظر: أمل معطى، ظاهرة العاملات الأجنبيات في الأسرة السورية: دراسة ميدانية في مدينة دمشق، مجلة جامعة دمشق، ٢٨ (٢)، ٢٠١٢.

- التقدير الموضوعي للأداء الوظيفي الأسري للأُم العاملة للوصول إلى الاستخلاصات الميدانية.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها: تُعد الأسرة البنية الأساسية لقيام المجتمعات، وهي تجسد كثيرًا من الأخلاق التي يستمد منها الأفراد معاييرهم ويُطورون من خلالها مشاعرهم وإنسانيتهم، وبما أنه ينعكس تأثيرها على المجتمع كـله فقد انصبت الاهتمامات (حديثًا) إلى دراسة الأداء الوظيفي الأسري الذي يشير إليه (Sui، ٢٠٠٣) بأنه من المفاهيم المهمة لفهم الصراع بين الآباء والأبناء والعنف الذي يمكن أن يظهر في الأسرة، ويُؤكد على أنه كلما تقاربت وجهات النظر (الآباء والأبناء) في إدراك وتصور الأداء الوظيفي الأسري، خفّت الصراعات بينهم وازداد الترابط داخل الأسرة<sup>(١)</sup>. وتطرح دراسات أخرى السياق نفسه بمفاهيم مصاحبة للأداء الوظيفي الأسري مثل ما جاءت به دراسة (Matejevic، Jovanovic، & Lazarevic، ٢٠١٤)، المعنونة بـ: العلاقات في الوظائف الأسرية والأساليب الوالدية في أسر المراهقين المصابين بمرض الإدمان، إلى إيجاد العلاقة بين الوظائف الأسرية والممارسات الوالدية وربطها بأمراض الإدمان لدى المراهقين في مدينة نيس في صربيا<sup>(٢)</sup>. وقامت دراسة أجراها (Prioste، ٢٠١٥) بعنوان العلاقات الأسرية والممارسات الوالدية (الطريق إلى المراهقين، القيم الجماعية والفردية): بالتحقق من الإدراك والتصوير لدى المراهقين عن نوعية الممارسات الوالدية وعلاقتها باكتساب وتعلم القيم الفردية والجماعية. وقد أظهرت النتائج أن إدراك المراهقين للأساليب الوالدية؛ أدت إلى اكتساب المراهقين للقيم الجماعية والفردية على حدّ

١- ينظر:

Siu,A. Interpersonal competence,family functioning and parent-adolescent conflicts. Dissertation Abstracts International, 63(10A), 2003, 3733.

٢- ينظر:

Marina Matejevic, Functionality of family relationships and parenting style in families of adolescents with substance abuse problems, Procedia - Social and Behavioral Sciences, Serbia, 2014, P 281-287.

سواء، وقد توصلت النتائج إلى وجود أثر متوسط للقيم الجماعية، لكن ليس للقيم الفردية. وتشير النتائج أيضا إلى العلاقة بين وظائف الأسرة المختلفة والممارسات الوالدية والعلاقات الأسرية في اكتساب القيم الجماعية والفردية وكذلك في الآثار المترتبة على الممارسات لدى المراهقين<sup>(١)</sup>. وفي دراسة أخرى تم إجرائها على الأسر الكورية الجنوبية المهاجرة إلى الولايات المتحدة، قام (Bora، ٢٠١٥)<sup>(٢)</sup> بدراسة حول التماسك الأسري وسير الأداء الوظيفي للطفل في الأسرة الكورية المهاجرة إلى الولايات المتحدة، تمت مراقبتها بوساطة التقارب والتثاقف بين النموذج الكوري الأم والطفل. وكشفت النتائج الاختلافات الثقافية الممكنة في مفاهيم الترابط والتقارب الأسري بين الوالدين والطفل، وكذلك الأدوار المفيدة للأسر في التخلص من التعقيدات التي لا يرون لها حلاً وتنمية شخصية الطفل، وأيضا دور وظائف البعد المحدد للأسر في تقارب الوالدين والطفل على أداء الطفل الأكاديمي، ودور الوساطة الكورية في التقارب بين الأم والطفل وبين التماسك الأسري المتوازن.

سعت دراسة (الرفاعي، ١٩٩٠)<sup>(٣)</sup>، حول علاقة أساليب المعاملة الوالدية والزوجية باستمرار زواج الأبناء أو فشله، إلى فهم طبيعة المعاملة الوالدية الإيجابية أو السلبية وعلاقتها باستمرار زواج الأبناء (الإناث) أو طلاقهم، وكان من نتائج الدراسة إنه كلما كانت المعاملة الوالدية (من قبل الأب والأم) إيجابية

١- ينظر:

Ana Prioste, Isabel Narciso, Miguel, M. Gonçalves & Cícero R. Pereira, Family Relationships and Parenting Practices: A Pathway to Adolescents' Collectivist and Individualist Values? Journal of Child and Family Studies, New York, 2015, P 3258-3267.

٢- ينظر:

Bora Jin, Family Cohesion and Child Functioning among South Korean Immigrants in the US: A Moderated Mediation Model of Korean Parent-Child Closeness and Acculturation, Syracuse University, 2015.

٣- ينظر: صباح قاسم الرفاعي، علاقة أساليب المعاملة الوالدية والزوجية باستمرار زواج الأبناء أو فشله، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩٠.

مع البنت كلما استمر زواجها كانت سلبية وأدى ذلك إلى الطلاق، وكذلك كلما كانت معاملة الزوج لزوجته إيجابية أدى إلى احتمال استمرار زواج الابنة، وكلما كانت سلبية زادت احتمالات الطلاق. وبالمثل معاملة الزوجة لزوجها. فقد أظهرت الدراسة أن الأبناء يتأثرون بالمعاملة الوالدية والزوجية ويقلدونهم وهذا يؤثر في الاستقرار الأسري، وأيضاً كلما زاد التكيف والترابط بين الأدوار الوظيفية بين أفراد الأسرة، وكانت المعاملة الوالدية العاطفية والإيجابية قلت الخلافات الأسرية وزادت الروابط العائلية.

وتجهت دراسة (عبد العزيز، ٢٠١٠)<sup>(١)</sup>، المعنونة ب: العلاقة بين الأداء الوظيفي الأسري للأبوين والعنف الموجه من قبل الوالدين نحو الأبناء، لمعرفة العلاقة بين الأداء الوظيفي الأسري وعلاقته بأشكال العنف ضد الأبناء سواء من قبل الوالدين أو المدرس من قبل الأبناء من أطفال المدارس المتوسطة. واستندت الدراسة إلى المنهج الوصفي الارتباطي المقارن للوصول إلى أهم نتائجها وهي: أنه عندما يسوء الأداء الوظيفي الأسري بين الأب والأم والأبناء، فإنه يؤدي إلى اضطرابات بين الأفراد وخلل بالأدوار ومشكلات أسرية فلا يتوفر للأبناء النمو العاطفي والاجتماعي المناسب مما ينعكس سلباً عليه، وأيضاً يوجد ارتباط بين الأداء الوظيفي الأسري وأشكال العنف المدرس ضد الأبناء، وهذا يؤدي إلى إدراك الأبناء للخلل في التواصل والتفاعل والأدوار الأسرية، وعدم وجود الظروف المناسبة للإشباع العاطفي مما يشكل إدراكهم للعنف من قبل الآباء، وبالتالي توجد علاقة وطيدة بين الأداء الوظيفي السيء وأشكال العنف المدرس.

١- ينظر: نفيسة عبد العزيز، الأداء الوظيفي الأسري وعلاقته ببعض أشكال العنف كما يدرستها أطفال المدارس المتوسطة بالملكة العربية السعودية، مجلة الإرشاد النفسي، العدد السادس والعشرون، ٢٠١٠، ص ٥٥-٩٠.

وهدفت دراسة (علاء الدين، والعلي، ٢٠١٤)<sup>(١)</sup>، لاستكشاف العلاقات بين الأداء الوظيفي الأسري والممارسات الوالدية والكفاءة الاجتماعية والتقارير الذاتية للمراهقين عن درجة القلق لديهم وجنس المراهقين، وكانت النتائج قد أشارت إلى وجود علاقة دالة بين الممارسات الوالدية الإيجابية وأداء الأسرة الصحي لوظيفتها المتعلقة بالتماسك والتكيف، كما ارتبط التماسك العائلي بالرَفاه الشخصي الجسدي والعاطفي والتربوي الأفضل بين الأطفال والمراهقين والمستويات الأعلى من الكفاءة الاجتماعية.

وقامَ (علاء الدين، ٢٠١٦)<sup>(٢)</sup> بدراسة مماثلة حول الأداء الوظيفي، ولكنها تناولت متغير التمايز النفسي حيث أجريت لفحص تمايز النفس والأداء الوظيفي الأسري وعلاقتها بالقلق الاجتماعي والاكْتئاب عند الطلبة الجامعيين، وركزت على الروابط العاطفية العائلية وتأسيس إحساس التمايز بالنفس يتماشى مع قيام الأسرة بوظيفتها من التماسك والتكيف، كما سعت لفحص دور المتغيرات العائلية: تمايز النفس بأبعاده المختلفة، والوظيفة الأسرية «التكيف والتماسك» لدى الشباب الجامعي من الجنسين، وأظهرت النتائج أن مستوى التمايز عند الشباب الجامعي يتعلق تبادلياً بالعلاقات الأسرية وتأدية أسرهم لوظائفها، وأن التمايز والتماسك الأسري يلعبان دوراً متميزاً في دعم السواء النفسي للأبناء.

وإنَّ المُستقرئ للأدبيات البحثية ذات الصلة بالأداء الوظيفي الأسري، يتضح له مدى إغفال الأداء الوظيفي الأسري للأمم العاملة المعاصرة في المجتمع العربي والمجتمع الخليجي والمجتمع الإماراتي بخاصة. ولعلَّ المطلوب هو تعميق البحث

١- ينظر: جهاد علاء الدين، وتغريد العلي، الأداء الوظيفي الأسري كما يدركه المراهقون وعلاقته بالكفاءة الاجتماعية والقلق، الأردن، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، المجلد ١٠، العدد ١، ٢٠١٤، ص ٦٥-٨٨.

٢- ينظر: جهاد علاء الدين، تمايز النفس والأداء الوظيفي الأسري وعلاقتها بالقلق الاجتماعي والاكْتئاب عند الطلبة الجامعيين، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد ٤٣، الملحق ١، ٢٠١٦، ٤٩٧-٥٢٤.

حول متطلبات هذا الأداء من منظور الأم العاملة نفسها. لذا اتجهت الدراسة الحالية، إلى إعداد مقياس لتقدير متطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة، والبحث في مصداقيته وثبات عباراته، للإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ١- ما درجة استجابة المشاركات في الدراسة حول عبارات المقياس؟
- ٢- ما العبارات المهمة من المقياس التي تعكس التقدير الموضوعي لمتطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة؟
- ٣- ما ترتيب أبعاد الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة كمتطلبات تعكس قراءة تحليلية للتقدير الموضوعي للمقياس المستخدم؟

أولاً، تحديد مفاهيم الدراسة: لتقديم إجابات لتساؤلات الدراسة فإنه من المهم تعريف المفاهيم التي تنبثق عن الموضوع، وتركيز الانتباه على تعريفها إجرائياً، وأهم هذه المفاهيم هي:

١- الأداء الوظيفي: يشير الأداء الوظيفي إلى: «درجة تحقيق وإتمام المهام المكونة لوظيفة الفرد، وهو يعكس الكيفية التي يتحقق بها، أو يُشبع الفرد بها متطلبات الوظيفة». <sup>(١)</sup> وهنا يتبين أن الأداء يُقاس على أساس النتائج التي حققها الفرد، أما الطاقة المبذولة فهي تشير إلى مصطلح «الجهد» الذي تستقصيه هذه الدراسة من مجال بحثها الحالي.

٢- الأداء الوظيفي الأسري: يمكن تعريف الأداء الوظيفي للأسرة بأنه: «أسلوب الأسرة وطريقتها في القيام بوظائفها، من أجل تحقيق أهدافها وغاياتها، وتوفير المتطلبات الأساسية، والحاجات النفسية والتربوية لأبنائها من خلال التفاعل والاتصال بين أفرادها والقيام بالأدوار الأسرية، وحل المشكلات

١- نادر أبو شرح، تقييم أثر الحوافز على مستوى الأداء الوظيفي في شركة الاتصالات الفلسطينية، فلسطين ٢٠١٠، ص ١٧.



والصراعات بداخلها وإشباع حاجات أبنائها ومساندتها ودعم جوانب النمو الشخصي والاجتماعي والضبط والتنظيم لديهم<sup>(١)</sup>. ومن ثم، يختلف الأداء الوظيفي الأسري عن أساليب المعاملة الوالدية التي هي ما يراه الوالدان (الأب والأم) ويتمسكان به من أساليب في تعاملهما مع الأبناء في مواقف التنشئة الاجتماعية.

وعليه، الأداء الوظيفي الأسري للأم، حسب إجراءات البحث الحالي هو: الأسلوب الذي تنتهجه الأم للقيام بوظائفها في الأسرة، بحيث يتطلب ذلك، سياقاً لعلاقتها العاطفية / الاجتماعية، مستويات من السلطة والاتصال لتلبية الحاجات النفسية والاجتماعية لأفراد الأسرة، ومقدرتها على اتخاذ القرارات الصائبة للأسرة. من ثم، تُشبع الأم العاملة متطلبات أدائها الوظيفي في الأسرة من خلال:

- التفاعل العاطفي الاجتماعي: تقتضي هذه التفاعلات استعداداً للتكيف مع الآخر بتقديم تنازلات أحياناً عن بعض الخصائص الفردية دون الإخلال بمفهوم الذات لدى الفرد، وذلك لحاجته إلى الوجود داخل مجموعة تكون في شكل أسرة أو مدرسة أو مؤسسة<sup>(٢)</sup>. من ثم، يشير هذا التفاعل إلى ترتيب أو تنظيم ثابت للعناصر التي تظهر في أفعال الأم (التأثير، والتأثر، والأخذ، والعطاء) بين أفراد الأسرة.

- درجة الاتصال: إذا كانت عملية الاتصال تشير إلى «قيام الأفراد بإرسال معلومات وإعطاء معان لها والاستجابة لها على المستوى الداخلي والخارجي، وبمجرد أن تصبح المعاني غير متطابقة وغير أكيدة ومشوهة فإن الاتصال

١- نفيسة عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٥٨

٢- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، (ط. ٢)، ١٩٨٢، ص ٣٥٢.

يتعرض لخلل وظيفي، ويبقى كذلك ما لم يكن للأفراد المعنيين مناسبات كافية لإيضاحها<sup>(١)</sup>. فإن اتصال الأم بأسرتها، هو الأسلوب الذي تتبعه للتواصل والحوار الفعال المتبادل بين أفراد الأسرة، بحيث يتفهم كل فرد الآخر ويتشاركون بالأفكار وتبادل المعلومات. كما يشير، اتصال الأم بأفراد أسرتها، إلى الوقت الذي تقضيه معهم بحيث تقدم لهم النصح والدعم والإرشاد.

- حجم السلطة: تتحدد سلطة الأم في: «علاقة الأم بالأبناء من خلال التأثير على سلوكياتهم، والتخطيط لسير نموهم النفسي والاجتماعي والمعرفي والبيولوجي. إن هذه الصلاحيات التي أعطتها العادات والتقاليد والموروث الثقافي للأم تجعلها بلا شك ينظر إليهما داخل النسق الأسري نظرة اعتبارية، والتي تشارك أثارها في بناء شخصية الأبناء»<sup>(٢)</sup>. ويرتبط حجم سلطة الأم في أسرتها، بالأسلوب الذي تتبعه في ضبط سلوكيات أفراد الأسرة وتوجيه أبنائها (سواء بالتأديب أو إعطاء الأوامر المختلفة أو النقاش والحوار) بحيث تساعدهم على تنمية شخصيتهم وتطويرها والاعتماد على أنفسهم.

- القدرة على اتخاذ القرار: تتطلب عملية اتخاذ القرار استخدام كثير من مهارات التفكير العليا: التحليل، التقويم، الاستقراء، الاستنباط، وبالتالي فقد يكون من الأنسب تصنيفها ضمن عمليات التفكير المركبة. وقد عبر عدد من الباحثين عن هذا الاتجاه بدمج عملية حل المشكلات ضمن إطار عملية اتخاذ القرار<sup>(٣)</sup>. من ثم مقدرة الأم على اتخاذ القرارات هي إدراك القيم

١- جمال أبو شنب، نظريات الاتصال والإعلام (المفاهيم، المداخل النظرية، القضايا)، دار المعرفة الجامعية، حلوان، ٢٠٠٦، ص ١٢.

٢- نصر الدين جابر، سليمة حمودة، السلطة الوالدية وأثرها في بناء شخصية الأبناء، مجلة علوم الإنسان والمجتمع العدد ١٥، الجزائر، ٢٠١٢، ص ٢٨٨

٣- ينظر: محفوظ الحياط، مفهوم عملية اتخاذ القرار، (تاريخ آخر زيارة ١٢/١٢/٢٠١٩):  
<https://www.academia.edu/35025113/>

والأولويات الأسرية التي تشكل عاملاً مؤثراً في اتخاذ القرارات الصائبة، كما تنطوي على عناصر إبداعية لحل المشكلات.

٣- الأم: بالضم، الوالدة القريبة التي ولدته والبعيدة التي ولدت من ولدته، وكل مَنْ كَانَ أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أم، ومن ثم قالوا أم الشيء أصله. قال الخليل: كل شيء ضم إليه جميع ما يليه يسمى أمًّا<sup>(١)</sup>.

ومنه الأم هي الأصل في كل شيء، والأساس الذي تقوم عليه الأسرة والمجتمع والأمة،

وفي الدراسة الحالية هي مصدر رئيس لتجويد الأداء الوظيفي الأسري.

٤- الأم العاملة: إذا كان التعريف العلمي للعمل هو: نشاط يؤدي إلى أجر مالي<sup>(٢)</sup>، فإنَّ التعريف الاجرائي للأم العاملة هي: المرأة التي تزاول عملاً ما خارج المنزل لقاء أجر مادي مدفوع لها إضافة إلى كونها تقوم بدور الأم، والزوجة، وربة البيت.

ثانياً، الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية: ترتبط هذه الإجراءات بالنقاط الآتية:

١- نوع الدراسة: تنتمي الدراسة إلى الاستطلاعات التحليلية، التي تمثل اللبنة الأولى للدراسة الميدانية، وأنها من الدراسات المهمة لتمهيدها للبحث العلمي وتعريفها للظروف التي سيتم فيها. كما يمكن من خلال هذا النوع من

١- ينظر: زين الدين محمد المدعو ب: عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، التوقيف على مهمات التعاريف (الأم)، (تاريخ الزيارة: ٤ / ٧ / ٢٠٢٠):  
<https://www.almougem.com/search.php?query=%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85>

٢- غيث محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ١٧.

الدراسات تحديد جوانب القصور في إجراءات تطبيق أدوات جمع بيانات البحث ويمكن تعديل تعليمات هذه الأدوات في ضوء ما تُسفر عنه الدراسة الاستطلاعية<sup>(١)</sup>. ومن ثم تسعى الدراسة لاستطلاع الرأي وتطبيق المقياس المُصمَّم ومعرفة نتائجه وإمكانياته العلمية لتعميم استخدامه.

٢- المنهج المستخدم: تمَّ الاعتمادُ على المنهج المسحي الملائم لتحليل الأوضاع الراهنة حيث ينصبُّ المسحُ الاجتماعي على الظواهر الحالية، ويتناول أشياء موجودة بالفعل وقت إجراء المسح وليست في فترة ماضية<sup>(٢)</sup>. وقد ساعدَ المنهجُ الدراسة في جمع معلومات مقننة من مجتمع البحث، مما يؤدي إلى إنتاج بياناتٍ تشكلُ أساسًا للتعميم على الفئة المستهدفة.

٣- حدود الدراسة: تشتملُ الدراسة على حدود هي: المكان (جامعة عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة)؛ الزمان (الفصل الثاني من السنة الجامعية ٢٠١٩-٢٠٢٠). أما الحدود البشرية هي: الطالبات الإماراتيات المتمدرسات بجامعة عجمان خلال السنة الجامعية: ٢٠١٩ / ٢٠٢٠ م اللواتي تشملهن خصائص الدراسة.

٤- العينة وطريقة اختيارها: قد شملت عينة الدراسة الاستطلاعية أمهات إمارتيات طالبات من كلية الإنسانيات والعلوم بجامعة عجمان وموظفات في الآن نفسه، بالإضافة إلى توفر شرط «الزواج القائم» فيهن. قامت الباحثة بتطبيق مقياس الدراسة عليهن، خلال فترة فصل تدريسي كامل من السنة الجامعية (٢٠١٩-٢٠٢٠)، ونشره على الصفوف الدراسية للكلية مجال الدراسة، لتُجيب عنه العينة الاستطلاعية التي كان عددها (٦٥) أمَّا

١- منسي محمود عبد الحليم، منهج البحث العلمي: في المجالات التربوية والنفسية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣، ص ٦١.

٢- عبيدات ذوقان، عبد الرحمن عدس، عبد الحق كايد، البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط ١٨، ٢٠٢٠، ص ٢٠٧.

عاملة، من التخصصات الإنسانية فقط مما يُثبت عدم اتجاه هذه الفئة إلى التخصصات العلمية.

٥- أداة الدراسة: قامت الباحثة بإعداد مقياس متطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة يتوافق مع أهداف الدراسة وطبيعتها. حيث تم صياغة عبارات المقياس لتُظهر مدى رؤية الأم العاملة لمتطلبات أدائها الوظيفي الأسري. وقد مرّ بناءً المقياس بالخطوات الآتية:

- الاطلاع على بعض الأدبيات البحثية الأجنبية، والدراسات العربية، والخليجية، كما جاء بالإطار النظري، التي اهتمت بالأداء الوظيفي الأسري والأدوار / الوظائف الوالدية.

- ترجمة ما أسفر عنه الاستقراء النظري للدراسة الحالية إلى أبعاد وعبارات إجرائية قابلة للمقياس، تتفق والتعريف الإجرائي لتصور الأم العاملة المعاصرة لمتطلبات أدائها الوظيفي الأسري.

- تحديد صدق الأداة وثبات عبارتها من خلال التحقق من:

أ. الصدق الظاهري: لا يتعلق الصدق الظاهري عملياً بسؤال ما إذا كانت الأداة تقيس ما يجب قياسه، لكن بالدرجة التي يعتقد فيها الباحث أن أداة القياس ملائمة حيث قد يستشير من أجل هذا التقييم بعض المختصين.<sup>(١)</sup> لذلك تم عرض المقياس على محكمين من ذوي الاختصاص الذين أبدوا بملاحظتهما بخصوص صياغة العبارات وشمولية المقياس ضماناً لتحقيق أهداف الدراسة. بحيث أصبح في صورته النهائية مكون من (٤٦) عبارة.

١- شاقا فرانكفورت، دافيد ناشمياز، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة ليلي الطويل، بتر للنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤، ص ١٧٣.

ب. ثبات عبارات الأداة: لاختبار مدى ثبات أداة الدراسة (Reliability)، فقد تم استخدام «ألفا كرونباخ» لأسئلة الأداة، والتي تُعد قيمه مقبولة إحصائياً عندما تكون هذه القيم مساوية أو أكبر من (٠,٦) (١).

الجدول (١): يوضح معاملات الثبات الخاصة بأبعاد أداة البحث.

الرقم	الأبعاد	عدد العبارات	ألفا كرونوبا
١	طبيعة التفاعل العاطفي للأم العاملة في الأسرة	١٠	٠,٧٩١٣
٢	مستوى اتصال الأم العاملة في الأسرة	١٠	٠,٧٩٢٠
٣	حجم سلطة الأم العاملة في الأسرة	١٣	٠,٧٩٠١
٤	قدرة الأم العاملة على اتخاذ القرار في الأسرة	١٣	٠,٧٨٩٥
	الإجمالي	٤٦	٠,٧٩٠٦

تُبين أرقام الجدول أعلاه أن قيمة المعامل ألفا كرونباخ أكبر من النسبة المقبولة إحصائياً في كل أبعاد المقياس. وأن القيمة المحسوبة إجمالاً مساوية لـ: (٠,٧٩) وهي أكبر من النسبة المقبولة إحصائياً، مما يعني أنه لو تم توزيع استمارة المقياس على عينة أخرى غير عينة الدراسة وفي أوقات مختلفة فإن هناك احتمال نسبته (٧٩٪) الحصول على النتائج نفسها. كما نُسجل أن قيمة ألفا كرونوباخ في كل العبارات مرتفعة وأكبر من (٠,٦٠) مما يُثبت ثبات عبارات الأداة.

ت. طريقة تقسيم الأداة وتصحيح المقياس: تم تقسيم الأداة إلى أربعة أبعاد: (التفاعل العاطفي الاجتماعي، ومستوى الاتصال، وحجم السلطة، واتخاذ القرار) لدى الأم العاملة لفحص أدائها الوظيفي الأسري. وقد كان المقياس خماسي التقدير معتمداً في تصحيح عباراته (الإيجابية والسلبية) على

١- محفوظ جودة، التحليل الإحصائي الأساسي باستخدام SPSS، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ٣٠٠.

الطريقة الموضحة في الجدول الآتي<sup>(١)</sup>:

الجدول (٢): الدرجات الكمية للمؤشرات الكيفية لمتطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأُم العاملة.

٥	٤	٣	٢	١	سلم ليكرت	العبارة الإيجابية
موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	الاستجابة	
٥-٤,٢٠	٤,١٩-٣,٤٠	٣,٣٩-٢,٦٠	٢,٥٩-١,٨٠	١,٧٩-١	المتوسط المرجح	
١	٢	٣	٤	٥	سلم ليكرت	العبارة السلبية
موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	الاستجابة	
١,٧٩-١	٢,٥٩-١,٨٠	٣,٣٩-٢,٦٠	٤,١٩-٣,٤٠	٥-٤,٢٠	المتوسط المرجح	

١- الجدول من إعداد الباحثة بالاعتماد على:

- وليد عبد الرحمن خالد الفراء، تحليل بيانات الاستبيان باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٣٠ هـ، ص ٧ (تاريخ آخر زيارة: ٢٤-١٠-٢٠٢٠):

<https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-SPSS-pdf>

ينظر:

- Jonald L. Pimentel, Some Biases in Likert Scaling Usage and its Correctio, , International Journal of Sciences: Basic and Applied Research (IJSBAR) 45(1), April 2019, P188

يمثل الجدول أعلاه طريقة تصحيح الفقرات الإيجابية (التي فيها تثبتت لموضوع الفقرة وتأكيدده) والسلبية (التي فيها عدم التأكيد على موضوع الفقرة ونفيها) وما يقاربها من قيم للمتوسط المرجح كحدود لتفسير النتائج. حيث يستدل بدرجة الموافقة الشديدة للعبارة الإيجابية بالقيمة (٢٠، ٤-٥) ويستدل بدرجة الموافقة الشديدة للعبارة السلبية بالقيمة (١-٧٩، ١) بمعنى أنه يتم مقارنة درجات الاستجابة بقيم المتوسط المرجح الموضحة في الجدول (٢).

ثالثاً، نتائج التحليل الإحصائي: لقد تمَّ تحليل البيانات من خلال برنامج (SPSS)، وذلك بحساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري، لغرض تحليل الاستجابات حول عبارات المقياس وأبعاده. حيث يُعد: الوسط الحسابي هو أقل تذبذباً عما هو عليه مع مقاييس النزعة المركزية الأخرى (الوسيط، والمنوال، والوسط الهندسي، والوسط التوافقي)، فهو بذلك أفضل تقدير لمعلمة المجتمع. كما أن الانحرافات عن الوسط الحسابي تُجهز معلومات أساسية لأي توزيع احتمالي، لذلك يُتبع بحساب الانحراف المعياري الذي يُعد أهم مقياس للتشتت<sup>(١)</sup>.

١- الإجابة عن التساؤل الأول: تمَّ تحليل الإجابة عن التساؤل الأول من خلال إيجاد المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل عبارات المقياس، لاختبار درجة الاستجابة عن كل بُعد.

١- البلداوي عبد الحميد عبد المجيد، أساليب البحث العلمي والتحليل الإحصائي: التخطيط للبحث وجمع وتحليل البيانات يدوياً وباستخدام برنامج SPSS، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص ص ١٣٩-١٥٦.



جدول (٣): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات  
المبحوثات عن عبارات المقياس.

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عبارات البعد الثاني	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عبارات البعد الأول
٠,٧٤	١,٦٠	١. أستمتع باستمرار ليوميات أفراد أسرتي.	٠,٧٠	١,٥٠	١. أظهر مشاعري تجاه أفراد أسرتي.
٠,٨٠	١,٥٦	٢. أخطط لقضاء أعضاء الأسرة أوقات الفراغ مع بعضهم.	١,٢١	٣,٩٦	٢. لا أظهر حبًا كافيًا لأفراد أسرتي.
٠,٨٠	١,٧٨	٣. أتحدث في الأمور التي يختلف أفراد الأسرة حولها.	١,٢٤	٣,٢٧	٣. أتجنب مناقشة مخاوفي مع أفراد أسرتي.
٠,٨٤	١,٧٥	٤. نصارح بعضنا بعضًا بشكل واضح.	١,١٣	٣,٥٥	٤. لا أستطيع معرفة مشاعر أفراد أسرتي بمجرد الكلام.
١,١٦	٢,١٦	٥. أجتمع بأبنائي لمجرد الكلام.	١,١٤	٣,٦٦	٥. لا يتجاوب بعض أفراد أسرتي معي عاطفيًا.
٠,٧٣	١,٥٢	٦. أجتمع بأبنائي لتبادل الحوار والمناقشة.	١,١٠	٣,٨٠	٦. هناك كثير من المشاعر السلبية لدى أفراد أسرتي.
١,١٤	٣,٩٠	٧. لا أستطيع التحدث مع أبنائي عن مشكلاتهم.	٠,٩٣	١,٧٠	٧. أتعرف على مشاعر الأبناء بمجرد ملاحظة حركات الوجه والجسم.
١,١٧	٣,٥٥	٨. لا أناقش مدى امتصاص مشكلة معينة بعد محاولاتي لحلها.	١,٣٢	٣,٢٠	٨. أتحيز إلى أحد الأبناء؛ لأنه يبدي احترامًا أكبر.
١,٠٩	٢,٧٢	٩. لا أتكلم مع أفراد أسرتي عندما أغضب.	١,٠٥	٣,٧٢	٩. لا نلتف حول بعضنا إلا حينما يكون هناك ما يستدعي الاهتمام.
١,١٤	٣,٤١	١٠. أتجاهل الأسئلة المستمرة للأبناء لتفادي الانزعاج والضغوطات.	١,٠٠	٢,٧٨	١٠. التمرکز حول الذات سمة من سمات أفراد أسرتي.

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عبارات البعد الرابع	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عبارات البعد الثالث
٠,٧٦	١,٨١	١. أشجع الأبناء على استقلالية الرأي.	١,١٨	٢,٥٨	١. أتحمك في اختيار العلاقات الاجتماعية لأفراد الأسرة.
٠,٥٨	١,٥٣	٢. أشجع الأبناء على التعاون لحل المشكلات التي تواجههم.	٠,٧٦	١,٨٤	٢. أشرف على توزيع المهام وأدائها بين أفراد الأسرة.
٠,٧٥	١,٧٥	٣. لكل واحد منا واجبات ومسؤوليات محددة ومعروفة.	١,٠٥	٣,٩٣	٣. أستخدم العقاب البدني للسلوك الخاطئ للأبناء مهما كانت الأسباب.
٠,٦٠	١,٨٣	٤. أناقش حول من يقوم بوظائف معينة في الأسرة.	١,١١	٢,٦١	٤. أستخدم العقاب المعنوي للسلوك الخاطئ للأبناء مهما كانت الأسباب.
١,١٤	٢,٩٦	٥. أصعب عملية في أسرتي اتخاذ القرارات.	١,٠٤٤	٢,٥٨	٥. ألتزم الصرامة مع الأبناء لضبط سلوكياتهم.
٠,٧٠	١,٨٩	٦. حينما أكلف أحد أفراد أسرتي بعمل ما فلا بد من تذكيره.	١,٠١	٣,٤٦	٦. أفضل رضوخ الأبناء لأنظمة الأسرة دون نقاش.
٠,٦٢	١,٨٣	٧. أستطيع اتخاذ قرارات حول حل مشكلات مختلفة.	٠,٩٨	٤,١٥	٧. ليس هناك قواعد أو قوانين في أسرتي.
١,١٠	٣,٣٠	٨. لست راضية بشكل عام حول القرارات الأسرية المقترة.	٠,٩٣	٢,٥٦	٨. أسمح لجميع أفراد الأسرة بتدبير شؤون حياتهم.
٠,٧٢	١,٧٥	٩. أحاول التفكير في طرق خاصة لحل المشكلات.	١,٠٧	٣,٤١	٩. يفعل جميع أفراد أسرتي ما يريدون دون اللجوء إلى التلميح.
٠,٦٥	١,٧٠	١٠. أتقبل ضغوط الحياة على أنها جزء من الواقع المعاش.	١,١٧	٢,٨	١٠. أتقبل سلوك الدلال للأبناء.
٠,٨١	٢,٠٠	١١. لا أتقبل المشكلات التي تحدث بشكل غير متوقع.	٠,٩٦	٢,٦٧	١١. لا أتساهل مع الأبناء في أدائهم للمهام المسندة إليهم.
٠,٩٩	٢,١٢	١٢. لا أستطيع مواجهة مشكلات الأسرة بإيجابية.	٠,٨٠	١,٥٦	١٢. لا أثنى على أبنائي أمام الآخرين لزيادة ثقتهم بأنفسهم.
٠,٦٨	١,٩٦	١٣. لدي شعور بالرضا إزاء كل القرارات المتخذة.	٠,٨٥	١,٧٢	١٣. لا أتذمر حينما لا يعجبني عمل أحد الأبناء.

تظهر أرقام الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لعبارات أبعاد مقياس متطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة، تراوحت بين (١,٥٠ - ٤,١٥)، إذا ما قورنت هذه المتوسطات بدرجات المتوسط المرجح في الجدول (٢)، فإنه بالإمكان تفسير بيانات الجدول (٣) على النحو الآتي:

أ- البعد الأول (طبيعة التفاعل العاطفي الاجتماعي للأم العاملة في الأسرة): بينت الأمهات العاملات عدم موافقتهن وبشدة على العبارتين الإيجابيتين (١، ٧) التي تنصان بـ: أظهر مشاعري تجاه أفراد أسرتي، أتعرف على مشاعر الأبناء بمجرد ملاحظة حركات الوجه والجسم مما يظهر إحساس المشتركات بالدراسة، بالابتعاد العاطفي عن أفراد أسرهن. وما يدعم هذا التفسير الموافقة على العبارة (٦) وهي: هناك كثير من المشاعر السلبية لدى أفراد أسرتي. وأن العبارات السلبية (٢، ٤، ٥، ٩) جاءت فيها استجابات الأمهات بعدم الموافقة، مما يُثبت رفضها لسطحية علاقتها العاطفية بأفراد أسرتها، وأنها تميل إلى الاعتقاد بإيجابية الجانب العاطفي في حياتها الأسرية. ومن خلال العبارات (٣، ٨، ١٠) لم تعبر الأمهات عن رأيهن بوضوح حول طبيعة السلوك النفسي الاجتماعي لأفراد الأسرة مما يعكس تذبذب الحكم بخصوص هذه العبارات، واحتمال وجود تراكمات ساهمت كحواجز علائقية بينها وبين أفراد أسرتها.

ب- البعد الثاني (مستوى اتصال الأم العاملة في الأسرة): بينت الأمهات عدم الموافقة الشديدة على أغلب العبارات الإيجابية لهذا البعد (١، ٢، ٣، ٤، ٦) وعدم الموافقة على العبارة (٥) ومفادها: أجتتمع بأبنائي لمجرد الكلام. مما يفسر ضعف الاتصال بين الأم وأفراد أسرتها. وأن العبارة الإيجابية الوحيدة التي لاقت الموافقة لدى المشاركات في الدراسة هي العبارة (١٠)،

ومفادها: أتجاهل الأسئلة المستمرة للأبناء لتفادي الانزعاج والضغط، مما يعكس عدم تحقيق التوافق الوظيفي بين المنزل ومسؤولياته والمهنة وأعبائها. وأن كل من العبارتين (٧ و٨) السلبيتين وهما: لا أستطيع التحدث مع أبنائي عن مشكلاتهم ولا أناقش مدى امتصاص مشكلة معينة بعد محاولاتي لحلها. لاقتا عدم الموافقة من قبل المشاركات بالدراسة. وتجب الإشارة أن المحايدة وعدم الابداء بالرأي كانت للعبارة التاسعة فقط (لا أتكلم مع أفراد أسرتي عندما أغضب) التي تعكس اختلاف الردود حول هذه العبارة تبعاً للحالة النفسية والضغط الممارسة ضدها.

ت- البعد الثالث (حجم سلطة الأم العاملة في الأسرة): بينت الأمهات عدم الموافقة على أغلب العبارات الإيجابية لهذا البعد (١، ٢، ٥، ٨) حيث جاءت هذه الاستجابات مفسّرة لأساليب المعاملة التي تفضلها الأم العاملة (الحرية، والاستقلالية، والمرونة) في مواقف الحياة الأسرية. وظهرت موافقتهن في العبارات الإيجابية (٣، ٦، ٩) الموضحة لاستخدام الأم العاملة للعقاب البدني والتعبير عن أفضلية الرضوخ لأوامرها رغم الحرية التي تسمح بها لكل فرد، مما يبيّن انشغالها واتباعها الأسلوب الذي يسهل لها أدائها الوظيفي. وبالنسبة للعبارات السالبة فإن آراء الأمهات حولها تمثلت بردود متباينة حيث جاءت العبارة (٧)، ومفادها: ليس هناك قواعد أو قوانين في أسرتي، بعدم الموافقة الشديدة، أما العبارتين (١٢، ١٣) أظهرت فيهما الأمهات الموافقة الشديدة على عدم اتباع أسلوب الثناء وعدم التذمر للتصرفات غير اللائقة. وبالنسبة للعبارات المتبقية (٤، ١٠، ١١) كانت الاستجابات فيها غير صريحة ومحايدة مما يثبت عدم تشكل موقف محدد بخصوص موضوع: (العقاب المعنوي، وتدليل الأبناء، ومفهوم التساهل مع الأبناء في أدائهم لمهامهم).

ث- البعد الرابع (مقدرة الأم العاملة على اتخاذ القرارات في الأسرة): بينت الأمهات عدم الموافقة على غالبية عبارات هذا البعد (٩ عبارات من أصل ١٣ عبارة) مما يُثبت عدم الثبات على موقف محدد بشأن موضوع «المسؤوليات، واتخاذ القرارات التشاركية، وحل المشكلات». وكانت الموافقة فقط على العبارتين السلبيتين (١١،١٢): لا أتقبل المشكلات التي تحدث بشكل غير متوقع، لا أستطيع مواجهة مشكلات الأسرة بإيجابية، مما يعكس صعوبة حل المشكلات ومواجهتها. وقد ظهرَ موقفٌ محايدٌ للأمهات في العبارتين (٥، ٨) التي تُظهر صعوبة اتخاذ القرارات في الأسرة وعدم الرضا حيالها وهو ما يُفسر تعقد اتخاذ القرارات في الحياة الأسرية.

٢- الإجابة عن التساؤل الثاني: تمَّ تحديد العبارات الأكثر أهمية من أجل تفسير تأكيد اختيارها من الأمهات العاملات محل الدراسة، وذلك من خلال تحديد درجة الموافقة أو الموافقة الشديدة تبعاً لقيمة المتوسط المرجح للعبارات الموجبة والتي تقع ضمن حدود القيمة (٤٠، ٣-٥) وللعبارات السالبة التي تقع ضمن حدود القيمة (١-٥٩، ٢). وبذلك يمكن معرفة الفقرات الأهم المشمولة بالتفسير كما يظهرها الجدول (٤).

## جدول (٤): العبارات الأهم في أبعاد المقياس.

العبارات السلبية				العبارات الإيجابية			
الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	البعد	الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	البعد
٣	أستخدم العقاب البدني للسلوك الخاطئ للأبناء مهما كانت الأسباب.	٣,٩٣	الثالث	١٢	لا أثنى على أبنائي أمام الآخرين لزيادة ثقتهم بأنفسهم.	١,٥٦	الثالث
				١٣	لا أتذمر حينما لا يعجبني عمل أحد الأبناء.	١,٧٢	الثالث
٦	هناك كثير من المشاعر السلبية لدى أفراد أسرتي	٣,٨٠	الأول	١١	لا أتقبل المشكلات التي تحدث بشكل غير متوقع	٢,٠٠	الرابع
٦	أفضل رضوخ الأبناء لأنظمة الأسرة دون نقاش.	٣,٤٦	الثالث	١٢	لا أستطيع مواجهة مشكلات الأسرة بإيجابية	٢,١٢	الرابع
١٠	أتجاهل الأسئلة المستمرة للأبناء لتفادي الانزعاج والضغط.	٣,٤١	الثاني				
٩	يفعل جميع أفراد أسرتي ما يريدون دون اللجوء إلى التلميح.	٣,٤١	الثالث				

يتضح من الجدول السابق أن العبارات المتعلقة بالبعد الثالث (حجم سلطة الأم العاملة في الأسرة)، حازت على تأكيد المبحوثات أكثر من غيرها من الأبعاد، حيث ظهرت خمس عبارات من هذا البعد من مجموع (٩ عبارات) مما يثبت أهميتها في الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة، ثم يليها البعد الرابع (مقدرة الأم العاملة على اتخاذ القرارات في الأسرة) حيث حازت عبارتان عن البعد

على الأولوية. أما البعد الأول (طبيعة التفاعل العاطفي للأم العاملة)، والبعد الثاني (مستوى اتصال الأم العاملة في الأسرة) فقد حازا على عبارة واحدة لكلا البعدين. ومن ثم تشكل العبارات العشر السابقة، تقديرات موضوعية ذات أولوية في قياس الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة.

٣- الإجابة عن التساؤل الثالث: بعد الكشف عن أهم عبارات المقياس، تم ترتيب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل بعد من أبعاد المقياس كتقدير موضوعي لمتطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة كما هو موضح أسفله:

جدول (٥): أهم متطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة من منظورهن.

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الأبعاد
١,٠٩	٣,١٢	١. طبيعة التفاعل العاطفي الاجتماعي للأم العاملة في الأسرة.
٠,٩٩	٢,٧٦	٢. حجم سلطة الأم العاملة في الأسرة.
٠,٩٧	٢,٤٣	٣. مستوى اتصال الأم العاملة في الأسرة.
٠,٨٠	٢,٠٧	٤. قدرة الأم العاملة على اتخاذ القرار في الأسرة.
٠,٩٥	٢,٥٦	الإجمالي

الملاحظ من الجدول (٥) حصول متطلب «طبيعة التفاعل العاطفي الاجتماعي للأم العاملة في الأسرة» على أعلى ترتيب، يليه حجم سلطة الأم في الأسرة، ثم مستوى اتصال الأم في الأسرة، وفي الأخير قدرة الأم على اتخاذ القرار في الأسرة وذلك تبعاً لترتيب متوسطاتها الحسابية وانحرافات المعيارية. ولا شك أن اختيار الأمهات المشاركات في الإجابة عن أسئلة المقياس لـ «التفاعل العاطفي»

كأهم بعد في أدائهن الوظيفي الأسري دلالة على التشبع بالصورة النمطية للأم في الموروث الاجتماعي التقليدي.

رابعاً: استنتاجات عامة.

١- خصائص عينة الدراسة الاستطلاعية: اتصفت العينة بخصائص مشتركة هي أن كل الأمهات (التي قامَ عليها البحث) طالبات وموظفات في الوقت نفسه، ومن الجنسية نفسها (إماراتية)، وزواجهن قائم (أثناء الدراسة)، وأنهن يتدرسن بالكلية نفسها (الإنسانيات والعلوم) وتخصّصن إنسانية فقط. وهذه الصفات من شأنها توجيه تفسير نتائج الدراسة في نطاقها وتوسيعها على الحالات المشابهة نفسها، وما الاستنتاجات المتوصل إليها في التقدير الموضوعي للمتطلبات الراهنة لموضوع الدراسة إلا آراء في سياق المحددات السابقة.

٢- درجة استجابات الأمهات لكل عبارة من عبارات أبعاد الدراسة هي:

أ- عدم الموافقة على كل العبارات السلبية لطبيعة التفاعل العاطفي للأم العاملة في الأسرة، كاستجابات رافضة لسطحية تفاعلها العاطفي بأفراد أسرتها، رغم تأكيها بوجود تباعد عاطفي في ثلاث عبارات بشكل صريح. وهو ما يُؤشّر إلى الاعتقاد بأن الجانب العاطفي لم يحقق الاهتمام الذي يستحقه لدى الأمهات العاملات.

ب- عدم الموافقة الشديدة على غالبية العبارات الإيجابية لمستوى اتصال الأم العاملة في الأسرة، مما يفسر ضعفاً في مستوى العملية الاتصالية، وهو ما تثبته آراء المشاركات بالدراسة في العبارة العاشرة ومفادها: أتجاهل الأسئلة المستمرة للأبناء لتفادي الانزعاج والضغط، مما يعكس عدم تحقيق التوافق



الوظيفي بين المنزل ومسؤولياته، والمهنة وضغوطها.

ت- عدم الموافقة على أساليب التحكم والسيطرة والمراقبة في الأسرة في أغلب العبارات الإيجابية لبعد سلطة الأم العاملة في أسرتها، لكنها تلجأ إلى استخدام العقاب الجسدي وتفضل التحكم في زمام أمور الأسرة كم جاء في باقي الفقرات الإيجابية (٣، ٦، ٩) مما يثبت وجود ضغوط ممارسة عليها، بحيث تتبع على أثر ذلك الممارسات الداعمة لأدائها الوظيفي الأسري.

ث- عدم الموافقة على غالبية العبارات الإيجابية لبعد اتخاذ القرارات لدى الأم العاملة، وكانت الموافقة فقط على العبارتين السلبيتين (١٢، ١١): لا أتقبل المشكلات التي تحدث بشكل غير متوقع، لا أستطيع مواجهة مشكلات الأسرة بإيجابية، مما يعكس صعوبة حل المشكلات. وهذا يُفسر الاستشكال القائم في متطلب المقدرة على اتخاذ القرارات مع خروج الأم للحياة المهنية والدراسية.

٣- الفقرات الأهم في عبارات المقياس: حازت خمس عبارات من البعد الثالث (حجم سلطة الأم العاملة في الأسرة)، من مجموع (٩ عبارات) على تأكيد المبحوثات أكثر من غيرها من الأبعاد، مما يثبت أهميتها في الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة.

٤- ترتيب أبعاد متطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة التي تعكس التقدير الموضوعي لهذه المتطلبات من منظور المشاركات بالدراسة:

أ- حصل بُعد طبيعة التفاعل العاطفي الاجتماعي للأم العاملة في الأسرة على الاهتمام الأول في الترتيب لأبعاد متطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأم، مما يثبت أن القيم الأسرية السائدة (راهننا) هي في روح العلاقة الاجتماعية

- والعاطفية التي تدعمها الأمهات كأهم مؤشر لأدائهن الوظيفي الأسري.
- ب- وقد حصل بعد حجم سلطة الأم العاملة في الأسرة على الاهتمام الثاني في الترتيب (بفارق مقدر ب: ٠,٣٦ و٠ في قيمة المتوسط الحسابي)، مما يدل على تنامي الاتجاه نحو زيادة حجم سلطة الأم العاملة في أسرتها بعد خروجها، للعمل والدراسة، للتحكم في أدائها الوظيفي الأسري.
- ت- وحصل مستوى اتصال الأم العاملة بأفراد أسرتها على الاهتمام الثالث في الترتيب، مما يعكس تراجعاً في مستويات الاتصال داخل الأسرة، وقد يؤدي ذلك إلى تراكم أدوار الأم في الأسرة وتأجيلها بحيث قد يسبب لها تباعداً اجتماعياً على الرغم من أولوية النظرة نحو أهمية العلاقات الاجتماعية والعاطفية في الأسرة من منظور المشاركات في الدراسة.
- ث- وقد حصل بعد مقدرة الأم العاملة على اتخاذ القرار في الأسرة على الترتيب الأخير، مما يخلق بناءً افتراضات على عدم حصول هذا البعد على الاهتمام المناسب، بخاصة أن العلاقات الاجتماعية الفعالة لا يمكنها تحقيق نتائج كبيرة في ظل عدم المقدرة على اتخاذ القرارات في الوضعيات المختلفة. وهذا يؤكد تصويماً آخر لموضوع اتخاذ القرار لدى الأم العاملة وضرورة دراسة الارتباط ما بين الأبعاد الأربعة.

## الخاتمة

لقد تطرق موضوع الدراسة والبحث إلى التقدير الموضوعي لمتطلبات الأداء الوظيفي الأسري للأمهات العاملات من منظورهن، ولذلك صُمم مقياسٌ جديدٌ لفئة من الأمهات العاملات التي من خلالها حُصرت إمكانات المقياس العلمية والعملية.

فبعد تحليل البيانات واستخلاص نتائج الدراسة الاستطلاعية، تبينت أهمية توسيع خصائص العينة الديموغرافية من حيث: (السن، والأصول / الجنسية، والوضعية الاجتماعية، والوضعية المهنية، وعدد الأبناء)؛ وذلك لاختبار العلاقة بين كل بُعد من أبعاد متطلبات الأداء الوظيفي الأسري في المقياس. ومن ثم التعرف على الفروق والتباينات الموجودة في هذه المتطلبات تبعاً للخصائص المعلنة لحصر المؤشرات الأهم في الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة في القرن الحادي والعشرين.

وفي ضوء ما تقدم توصي الباحثة بإجراء مزيدٍ من البحوث عن الأداء الوظيفي الأسري للأم العاملة في القرن الحالي وخصائصه الرقمية التي أثرت في أشكال ملموسة ومحسوسة من حياة الأسرة حالياً. كما توصي بالنظر إلى متطلبات تحقيق التوافق بين الأداء الوظيفي في الأسرة والعمل كقيم عالية في الحياة الأسرية.

## قائمة المصادر والمراجع

## أولاً، المراجع العربية:

- بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، (ط. ٢)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢ م.
- البلداوي، عبد الحميد عبد المجيد، أساليب البحث العلمي والتحليل الإحصائي: التخطيط للبحث وجمع وتحليل البيانات يدوياً وباستخدام برنامج SPSS، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤ م.
- جابر، نصر الدين، حمودة، سليمة، السلطة الوالدية وأثرها في بناء شخصية الأبناء، مجلة علوم الإنسان والمجتمع العدد ١، الجزائر، ٢٠١٢ م، ٢٧٥-٢٩١.
- جودة، محفوظ، التحليل الإحصائي الأساسي باستخدام SPSS، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨ م.
- الخياط، محفوظ، مفهوم عملية اتخاذ القرار ١٢ / ١٢ / ٢٠١٩ على الموقع: <https://www.academia.edu/35025113>
- الرفاعي، صباح قاسم، علاقة أساليب المعاملة الوالدية والزوجية باستمرار زواج الأبناء أو فشلة، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩٠ م.
- أبو شرح، نادر، تقييم أثر الحوافز على مستوى الأداء الوظيفي في شركة الاتصالات الفلسطينية، فلسطين ٢٠١٠ م.
- أبو شنب، جمال، نظريات الاتصال والإعلام (المفاهيم، المداخل النظرية، القضايا)، دار المعرفة الجامعية، حلوان، ٢٠٠٦ م.
- عبد العزيز، نفيسة، الأداء الوظيفي الأسري وعلاقته ببعض أشكال العنف كما يدركها أطفال المدارس المتوسطة بالمملكة العربية السعودية، مجلة الإرشاد النفسي، العدد ٢٦، ٢٠١٠ م، ص ٥٥-٩٠.
- عبيدات، ذوقان وآخرون، البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط ١٨، ٢٠٢٠ م.

- علاء الدين، جهاد، تمأيز النفس والأداء الوظيفي الأسري وعلاقتها بالقلق الاجتماعي والاكْتئاب عند الطلبة الجامعيين، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد ٤٣، الملحق ١، ٢٠١٦، ص ٤٩٧-٥٢٤.
- علاء الدين، جهاد، والعلبي، تغريد، الأداء الوظيفي الأسري كما يدركه المراهقون وعلاقته بالكفاءة الاجتماعية والقلق، الأردن، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، المجلد ١٠، العدد الأول، ٢٠١٤م، ص ٦٥-٨٨.
- الفراء، وليد عبد الرحمن خالد، تحليل بيانات الاستبيان باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS، الندوة العالمية للشباب الاسلامي، ١٤٣٠هـ، (تاريخ آخر زيارة: ٢٤-١٠-٢٠٢٠م):  
<https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-SPSS-pdf>
- فرانكفورت، شاقا، وناشمياز، دافيد، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة ليلي الطويل، بترا للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٤م.
- محمد، زين الدين المدعوب: عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، التوقيف على مهمات التعاريف، تاريخ الزيارة: ٤/٧/٢٠٢٠م على الموقع:  
<https://www.almougem.com/search.php?query>
- محمد عاطف، غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.
- معطى، أمل، ظاهرة العاملات الأجنبية في الأسرة السورية: دراسة ميدانية في مدينة دمشق، مجلة جامعة دمشق، ٢٨ (٢)، ٢٠١٢م، ص ٣١٣-٣٦٠.
- ملحم، سامي محمد، التوافق لدى المرأة العاملة في كل من الأردن والمملكة العربية السعودية، المجلة العربية للتربية، العدد الثاني، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، ديسمبر ١٩٩٣م، ٨٦-١١٧.

## References

### First, Arabic references:

- Al-Farra, Walid Abdel-Rahman Khaled, Analysis of the Questionnaire Data Using the Statistical Program SPSS, The World Assembly of Muslim Youth, 1430 AH, (last visit date: 10/24-2020): <https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-SPSS-pdf>
- Abu Sharkh, Nader, assessing the impact of incentives on the level of functionality at The Palestinian Telecommunications Company, Palestine 2010.
- Abu Shanab, Jamal, Theories of Communication and Media (Concepts, Theoretical Entries, Issues), University Knowledge House, Helwan, 2006.
- AL-Khayet, Mahfoudh, the concept of the decision-making process 12/12/2019 on the website: <https://www.academia.edu/35025113>.
- AL-Rifai, Sabah Qassem, Relationship of parental and marital treatment methods on the continuation of child marriage or failure, Oum Al-Qura University, Saudi Arabia, 1990.
- Badawi, Ahmed Zaki, Dictionary of Social Science Terminology, (edition.2). Beirut: Library of Lebanon, 1982.
- Jaber, Nasreddine, Hamouda, Salima, Parental Authority and its Impact on Building The Personality of Children, Journal of Human Sciences and Society No. 1, Algeria, 2012, P 275-291.
- Gaodet, Mahfoudh , Basic Statistical Analysis using SPSS, Amman: Wael Publishing and Distribution House, 2008.
- Abdel-Hamid, Abdel-Majid Al-Baldawi, Methods of Scientific Research and Statistical Analysis: Planning for Research and Data Collection and Analysis by Hand Using SPSS Program, Jordan, Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, 2004.
- Obaidat, Zoukan and others, Scientific Research: Its Concept, Tools and Methods, Dar Al-Fikr for Publishing and Distribution, 18th edition, 2020.
- Abdulaziz, Nafisa, Family Functional Performance and its Relationship with Some Forms of Violence as Perceived by Middle School Children in the Kingdom of Saudi Arabia, Psychological Guidance Journal, Number 26, 2010, P 55-90.
- Aladdin, Jihad, Differentiation of Self and Family Job Performance and Their Relationship with Social Anxiety and Depression among University Students, Journal of Educational Sciences Studies, Volume 43, Appendix 1, 2016, P 497-524.

- Aladdin, Jihad, and Ali, Taghreed, family job performance as perceived by adolescents and its relationship to social competence and anxiety, Jordan, Jordanian Journal of Educational Sciences, Volume 10, Issue 1, 2014, P 65-88.
- Muhammad, Zainuddin, called: Abdul Raouf bin Taj Al-Arifin bin Ali bin Zain Al-Abidin Al-Haddadi, then Al-Manawi Al-Qaheri, Arrest on assignments duties, date of visit: 4/7/2020 on the site: <https://www.almougem.com/search.php?query>.
- Moati, Amal, The Phenomenon of Foreign Workers in the Syrian Family: A Field Study in the City of Damascus, Journal of Damascus University, 28 (2), 2012, pp. 313-360.
- Muhammad Atef, Ghaith, Dictionary of Sociology, University Knowledge House, Alexandria, 2005.
- Melhem, Sami Muhammad, Compatibility with Working Women in Jordan and the Kingdom of Saudi Arabia, The Arab Journal of Education, Issue Two, The Arab Organization for Culture and Science, Tunisia, December 1993, 86-117.
- Frankfurt, Shaqa, Nachmiyaz, David, Research Methods in Social Sciences, by Laila Al-Taweel, Petra for Publishing and Distribution, Damascus, 2004.

### **Second, Foreign references:**

- Bora, Jin, Family Cohesion and Child Functioning among South Korean Immigrants in the US: A Moderated Mediation Model of Korean Parent-Child Closeness and Acculturation, Syracuse University, 2015.
- Matejevic, Marina, Functionality of family relationships and parenting style in families of adolescents with substance abuse problems, Procedia - Social and Behavioral Sciences, Serbia, 2014, P 281-287.
- Pimentel, Jonald.L , Some Biases in Likert Scaling Usage and its Correctio, April 2019, International Journal of Sciences: Basic and Applied Research (IJS-BAR) 45(1),P 183-191.
- Prioste, Ana, Isabel Narciso, Miguel, M. Gonçalves & Cícero R. Pereira, Family Relationships and Parenting Practices: A Pathway to Adolescents'Collectivist and Individualist Values? Journal of Child and Family Studies, New York, 2015, P 3258-3267.
- Siu,A. Interpersonal competence,family functioning and parent-adolescent conflicts. Dissertation Abstracts Inernational, 63(10A), 2003.

الرجوع عن القسمة الرضائية  
وأحكامه الفقهية  
دراسة مقارنة

**Reneging on Consensual Division and  
its Jurisprudential Provisions:  
A Comparative Study**

د. عروة بكرمة صبري  
جامعة القدس - فلسطين

**Dr. Orwa Ikrima Sabri**  
Al Quds University- Palestine

<https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.05>







## Abstract

This research deals with the provisions of reneging on consensual division ; where the reality of division and types of it are first introduced, also the consensual division is classified as a sale or as an excretion, then the research deals with the extent of the division requirement after completion.

Then it talks about the cases in which the division can be ended, such as the agreement between the partners are ended, or if there is a mistake in the division, and when there is unreality and a defect in the assessment of property, and when the option of visibility and condition are required.

As evidenced by the reference to the emergence of rights related to inheritance or will or the appearance of inheritance or entitlement in the division ; for the invalidity of division in the cases that precede opinion of the most likely, unless it is possible to repay the debt or execute the will in such a way as not to affect the rights of the persons sharing or the owner of the debt or the will.

**Keywords:** Division, Reneging, Invalidity, Inheritance.

## ملخص البحث

تناول هذا البحث أحكام الرجوع عن القسمة الرضائية؛ حيث تم بداية بيان معنى القسمة وأنواعها، وتكييف القسمة الرضائية بين كونها بيعاً أو إفرازاً، كما تم بحث مدى لزوم القسمة بعد تمامها.

وقد تم ذكر الحالات التي يمكن الرجوع فيها عن القسمة ومن ذلك الاتفاق بين المتقاسمين على الرجوع، وكذلك عند وجود خطأ في القسمة، وعند وجود غبن في تقييم العين المقسومة، وكذلك عند ظهور عيب فيها، وعند اشتراط خيارى الرؤية والشرط.

كما يثبت الرجوع عند ظهور حقوق متعلقة بالتركة كالدين أو الوصية أو ظهور وارث أو استحقاق في العين المقسومة، وذلك لبطلان القسمة في الحالات السابقة كما ترجح لدى الباحث، إلا إذا أمكن سداد الدين أو تنفيذ الوصية بما لا يؤثر على حقوق المتقاسمين أو صاحب الدين أو الوصية.

**الكلمات المفتاحية:** القسمة، الرجوع، البطلان، التركة.



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فإن من خصائص الشريعة الإسلامية شمولها ومعالجتها لواقع الناس في مختلف جوانبه الاجتماعية والاقتصادية، ومن ذلك معالجة الأحكام الشرعية المتعلقة بالقسمة بين الشركاء والتي تزداد الحاجة إلى معرفتها مع تطور أحوال الناس في تملكهم للأعيان المختلفة وترتب الحقوق والواجبات على تملك هذه الأعيان.

وقد جاء هذا البحث ليعالج مسألة من مسائل القسمة وهي مسألة الرجوع عن القسمة الرضائية بعد تمامها، وليجيب عن إشكالية البحث وهي هل هناك مجال للرجوع عن القسمة الرضائية، وما هي الحالات التي يجوز فيها الرجوع عنها وفق التصور الفقهي وموقف مجلة الأحكام العدلية منها، فكان هذا البحث ليعالج هذه الحالات مع بيان أثرها، ودراسة مذاهب الفقهاء بشأنها، خاصة وأن هذه الحالات يمكن أن تظهر بعد قسمة التركة وهي تشغل حيزاً في المنازعات القضائية في المحاكم وفي الواقع الاجتماعي، فكانت الحاجة داعية إلى بحثها وبيان الحكم فيها.

أما الدراسات السابقة في هذا الموضوع، فلم أقف على بحث انفرادي بالحديث عن أحكام الرجوع عن القسمة الرضائية كما في هذا البحث الذي تم فيه جمع الحالات المتعلقة بالرجوع عن القسمة الرضائية وبيان مذاهب الفقهاء بشأنها وموقف مجلة الأحكام العدلية منها، أما أحكام القسمة عموماً فقد وردت مفصلة في كتب الفقه الإسلامي قديمها وحديثها.

أما منهجي في كتابة هذا البحث، فقد اتبعت في كتابته للمنهج الوصفي مع المقارنة والتحليل؛ حيث تمت دراسة مسائل البحث ببيان مذاهب الفقهاء ومقارنتها فيما بينها مع بيان أدلتهم، ومن ثم المناقشة وترجيح الباحث، كما تم بيان موقف مجلة الأحكام العدلية من المسائل المبحوثة كونها تمثل مرجعية للعديد من القوانين في العالم الإسلامي، وقد تم توثيق جميع المعلومات من مصادرها الأساسية.

وقد قسم البحث إلى ثلاثة مباحث؛ وكل مبحث إلى عدة مطالب، وفق الترتيب الآتي:

**المبحث الأول: تعريف القسمة وأنواعها وتكييفها الفقهي.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القسمة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أنواع القسمة.

المطلب الثالث: التكييف الفقهي للقسمة الرضائية.

المطلب الرابع: لزوم القسمة الرضائية.

**المبحث الثاني: الرجوع عن القسمة الرضائية عند الاتفاق بين المتقاسمين أو**

وجود الخيار لهم.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الرجوع عن القسمة عند الاتفاق على ذلك بين المتقاسمين.

المطلب الثاني: الرجوع عن القسمة بسبب وجود خطأ فيها.

المطلب الثالث: الرجوع عن القسمة بسبب وجود غبن فيها.

المطلب الرابع: الرجوع عن القسمة بسبب وجود عيب في العين المقسومة.  
 المطلب الخامس: الرجوع عن القسمة بسبب اشتراط خيارى الرؤية والشرط.  
 المبحث الثالث: الرجوع عن القسمة عند ظهور حقوق متعلقة بالتركة.  
 وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الرجوع عن القسمة بسبب ظهور دين على التركة.  
 المطلب الثانى: الرجوع عن القسمة بسبب ظهور وصية.  
 المطلب الثالث: الرجوع عن القسمة بسبب ظهور وارث لم يشترك فى القسمة.

المطلب الرابع: الرجوع عن القسمة بسبب ظهور استحقاق على التركة.  
 الخاتمة: وقد ذكرت فيها أهم نتائج البحث.  
 وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب لى الأجر والثواب على ما بذلت من جهد فى كتابة هذا البحث، وأن يغفر لى الخطأ والزلل إنه سميع مجيب.

## المبحث الأول: تعريف القسمة وأنواعها وتكييفها الفقهي.

### المطلب الأول: تعريف القسمة لغة واصطلاحاً.

القسمة لغة: من قَسَمَ الشيءَ يَقْسِمُهُ قِسْمًا، وقَسَمَهُ جِزَاءً، والقِسْمُ بالكسر النصيب والحظ، والجمع أقسام، ويقال قَسَمَتِ الشيءَ بين الشركاء وأعطيت كل شريك مقسمة<sup>(١)</sup>.

أما تعريف القسمة اصطلاحاً، فقد تعددت التعريفات الاصطلاحية للقسمة، وسأذكر هنا تعريفاً واحداً لكل مذهب فقهي بالإضافة إلى تعريف مجلة الأحكام العدلية.

فقد عرفها الكاساني من الحنفية بأنها: «إفراز بعض الأنصباء عن بعض، ومبادلة بعض ببعض»<sup>(٢)</sup>.

وعند ابن عرفة من المالكية هي: «تصيير مشاع من مملوك مالكين فأكثر معيناً ولو باختصاص تصرف فيه بقرعة أو تراض»<sup>(٣)</sup>.

وعرفها الأنصاري من الشافعية بأنها: «تمييز الحصص بعضها من بعض»<sup>(٤)</sup>.

وعند البهوتي من الحنابلة هي: «تمييز بعض الأنصباء عن بعض وإفرازها عنها»<sup>(٥)</sup>.

- ١- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط(٣)، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ج ١٢ ص ٤٧٨.
- ٢- الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٢)، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ج ٧ ص ١٧.
- ٣- ميارة، محمد بن أحمد، شرح ميارة لتحفة الحكام، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ج ٢ ص ٥٨.
- ٤- الأنصاري، زكريا بن محمد، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، ج ٤ ص ٣٢٩.
- ٥- البهوتي، منصور بن يونس، كشف القناع عن متن الإقناع، دار الكتاب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ج ٦ ص ٣٧٠.

كما ورد تعريفها في مجلة الأحكام العدلية في المادة رقم (١١١٤) ونصها: «هي تعيين الحصة الشائعة، يعني إفراد الحصة بعضها عن بعض بمقياس ما، كالكيل والوزن والذراع»<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ من التعريفات السابقة أن معنى القسمة يدور حول تحديد حصة كل مالك من المشاع، بحيث يتم فصلها وتفرز لصاحبها.

### المطلب الثاني: أنواع القسمة.

للقسمة عدة أنواع وباعتبارات مختلفة، وسأقتصر في هذا المطلب على اعتبارين لهما علاقة بموضوع البحث.<sup>(٢)</sup>

الاعتبار الأول: أنواع القسمة من حيث إرادة المتقاسمين<sup>(٣)</sup>.

وهي نوعان:

١- القسمة الرضائية: وهي القسمة التي يقوم بها الشركاء بالتراضي فيما بينهم دون الحاجة إلى قاض يقسم بينهم بالإجبار، وهي عقد من العقود يشترط فيها الإيجاب والقبول بين المتقاسمين كعقد البيع.

٢- القسمة الإجبارية: وهي القسمة التي يقوم بها القاضي للملك المشترك جبراً، وذلك عند عدم اتفاق الشركاء، وبطلب من بعض أصحاب الملك المشترك.

١- مجلة الأحكام العدلية، تحقيق: نجيب هواويني، كارخانة تجارة كتب، كراتشي، د.ط، د.ت، ص ٢١٤.  
٢- هناك اعتبار ثالث للتقسيم وهو النظر إلى وحدة المحل وتعددده، وهي بهذا الاعتبار نوعان: قسمة جمع وقسمة تفریق، انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، ط (١)، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ج ٣٣ ص ٢٢٥.

٣- الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١٩، الدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ج ٣ ص ٤٩٩، ٥٠٠، الشيرازي، إبراهيم بن علي، المهذب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ج ٣ ص ٤٠٤، ٤٠٦، الرحيباني، مصطفى السيوطي، مطالب أولي النهى، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (٢)، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ج ٦ ص ٥٥٤، ٥٥٥، الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ٣٣ ص ٢١٥.



الاعتبار الثاني: أنواع القسمة من حيث الحاجة إلى التقويم وعدمه<sup>(١)</sup>.

وهي ثلاثة أنواع:

١- قسمة الإفراز: وتكون هذه القسمة في الأعيان المتشابهة والمتساوية في قيمتها، فهي تجري في المثليات؛ كالموزونات والمكيلات والعدديات والذرعيات.

وهذا النوع لا يحتاج فيه إلى تقويم المقسوم لمعرفة قيمته؛ لأن الأعيان التي يراد قسمتها متساوية في قيمتها، فهي أعيان متشابهة في صورتها وقيمتها كالدرهم والدنانير والحبوب ونحوها.

ويسمى هذا النوع بقسمة المتشابهات؛ لأنها لا تكون إلا فيما تشابهت أنصباؤه فلا يكون بينها تفاوت يذكر.

ويسمى أيضاً قسمة الأجزاء؛ لأن نسبة الجزء الذي يأخذه كل شريك هي بعينه نسبة حقه إلى المال.

٢- قسمة التعديل: وتكون هذه القسمة عندما تختلف قيمة أجزاء العين المقسومة، فلا تتعادل بذاتها، إنما تتعادل باعتبار القيمة والمنفعة لا باعتبار التساوي، فيمكن أن يكون الجزء الأقل يعادل الأكثر في قيمته ومنفعته.

ومثال هذا النوع قسمة الأرض التي تختلف قيمتها بسبب تفاوت قوة إنباتها أو قربها من الماء أو تفاوت قيمة الأشجار المزروعة فيها، فهنا تعدل السهام بالقيمة، فيمكن أن تكون قيمة الثلث من الأرض المزروعة تعدل قيمة الثلثين من الأرض

١- الكاساني، بدائع الصنائع، ج٧ ص١٧، عيش، محمد، منح الجليل، دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م، ج٧ ص٢٥٢، الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ج٦ ص٣٣٠، ٣٣١، ابن مفلح، شمس الدين محمد، الفروع، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١)، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ج١١ ص٢٣٩، الموسوعة الفقهية الكويتية، ج٣٣ ص٢١١.

الخالية<sup>(١)</sup>.

٣- قسمة الرد: وهي التي يُردُّ فيها مال إلى بعض الشركاء لمراعاة فرق القيمة بين أجزاء العين المقسومة.

وتكون هذه القسمة إذا تركت الأنصبة متفاوتة القيمة؛ حيث يكون على الذي أخذ النصيب الزائد أن يرد على شريكه قيمة حقه في تلك الزيادة.

ومثال هذا النوع أن يكون هناك أرض مشتركة بين اثنين مناصفة وفي أحد جانبيها بئر لا يمكن قسمتها، فيأخذ أحد الشريكين الأرض مع البئر ويدفع المال لشريكه مقابل ثمن البئر<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث: التكييف الفقهي للقسمة الرضائية.

اختلف الفقهاء في تكييفهم للقسمة الرضائية على عدة أقوال؛ حيث سأعرض هنا هذه الأقوال مع أدلتهم باختصار، ومن ثم سأناقش أهم أثر ناتج عن هذا التكييف، وهو المتعلق بلزوم القسمة الرضائية ومدى إمكانية الرجوع عنها لعلاقته المباشرة بموضوع هذا البحث.

أما أقوال الفقهاء في تكييفهم للقسمة الرضائية فهي:

القول الأول: إن القسمة فيها معنى تمييز الحقوق والإفراز وفيها معنى التملك والمبادلة، فتكيف القسمة إفرازًا وتمييزًا للحقوق عند قسمة الأموال المثلية أو

١- الخطاب، محمد بن محمد بن عبد الرحمن، مواهب الجليل، دار الفكر، بيروت، ط(٣)، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ج ٥ ص ٣٤٧، النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(٣)، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، ج ١١ ص ٢١٠، البهوتي، كشاف القناع، ج ٦ ص ٣٧٤، الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ٣٣ ص ٢١٢.

٢- النفراوي، أحمد بن غنيم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج ٢ ص ٢٤٣، النووي، روضة الطالبين، ج ١١ ص ٢١٤، الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ٣٣ ص ٢١٢.

المتشابهة، وهي الأموال من النوع الواحد المتساوي في القيمة كالنقود والحبوب والدور المتقاربة المتساوية عرفاً.

أما عند قسمة الأموال غير المثلية، وهي الأموال مختلفة القيمة كالثياب والحيوان والعقار، فتكيف القسمة بأن فيها معنى التمليك والمبادلة.

وقد استدل على التفريق بين المال المثلي والمال غير المثلي بأن المأخوذ من المال المثلي على سبيل المعاوضة، هو عين المتروك حكماً؛ إذ هو مثله يقيناً، فضعف معنى المبادلة.

أما قسمة غير المثلي فهي بيع ومبادلة وذلك أن كل جزء من المال مشترك بين الشريكين، فإذا أخذ أحدهما نصف الجميع فقد باع ما ترك من حقه بما أخذ هو من حق صاحبه، فلم يضعف معنى المبادلة والمعاوضة؛ إذ المأخوذ ليس عين المتروك ولو حكماً، فمعنى المبادلة فيه أقوى منه في قسمة المثلي.

وقال بهذا القول الحنفية<sup>(١)</sup>.

**القول الثاني:** إن القسمة بيع ولها أحكامه في العيوب والاستحقاق، ولا يجوز فيها ما لا يجوز في البيع، وقد سماها بعضهم قسمة بيع.

وقال بهذا المالكية في المشهور عندهم<sup>(٢)</sup> والشافعية في قسمتي الرد والتعديل على المذهب<sup>(٣)</sup> وفي قسمة المثليات في قول عندهم<sup>(٤)</sup> والحنابلة<sup>(٥)</sup>.

- ١- الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١٧، الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ط (١)، ١٣١٣هـ-١٨٩٤م، ج ٥ ص ٢٦٤، الطوري، محمد بن حسين، تكملة البحر الرائق، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط (٢)، د.ت، ج ٨ ص ١٦٧.
- ٢- الخرشبي، محمد بن عبد الله، شرح الخرشبي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ج ٦ ص ١٨٥، الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج ٣ ص ٥٠٠، عليش، منح الجليل، ج ٧ ص ٢٥٢.
- ٣- النووي، روضة الطالبين، ج ١١ ص ٢١٥، الشربيني، مغني المحتاج، ج ٦ ص ٣٣٤.
- ٤- المرجع نفسه، ص ٣٣٥.
- ٥- البهوتي، كشف القناع، ج ٦ ص ٣٧١، الرحيباني، مطالب أولي النهى، ج ٦ ص ٥٥٠.

وقد حصر الشافعية في قول عندهم البيع فيما يقابل المردود فقط، وأما الباقي فهو إفراز<sup>(١)</sup>.

واستدلَّ على رأيهم السابق بأن كل شريك يبذل نصيبه من أحد السهمين بنصيب صاحبه من السهم الآخر، وهذه هي حقيقة البيع.

ولأنه حال وجود زيادة، كما في قسمة الرد، فإن صاحب الزيادة يبذل المال عوضاً عما حصل له من حق شريكه، وهذا بيع أيضاً.

وقالوا بأنه ما من جزء من المال إلا وكان مشتركاً بينهما فإذا اقتسما باع كل منهما ما كان له في حصة صاحبه بماله في حصته.

**القول الثالث:** إن القسمة إفراز وليست بيعاً؛ حيث اختلف القائلون بذلك في صورة القسمة التي تعد إفرازاً على عدة آراء:

يرى المالكية في قول أن القسمة إفراز بعد التعديل والتقويم<sup>(٢)</sup>.

ويرى الشافعية في الأظهر أن القسمة إفراز في المثليات فقط<sup>(٣)</sup>.

ويرى الحنابلة في قول عندهم أن القسمة إفراز إلا في قسمة الرد فهي بيع<sup>(٤)</sup>.

وقد استدلوا على قولهم السابق بأن القسمة إفراز وليست بيعاً أو مبادلة؛ لأنها تنفرد عن البيع باسمها وأحكامها في عدة مواطن، ولأنها لا تفتقر إلى لفظ التمليك ولا يجب فيها الشفعة ويدخلها الإيجاب وتلزم بإخراج القرعة، ويتقدر

١- النووي، روضة الطالبين، ج ٦ ص ٣٣٤.

٢- الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج ٣ ص ٥٠٠، التسولي، علي بن عبد السلام، البهجة في شرح التحفة، ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ج ٢ ص ٢١٠.

٣- النووي، روضة الطالبين، ج ٦ ص ٣٣٥.

٤- ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد، المغني، مكتبة القاهرة، القاهرة، د. ط، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ج ١٠ ص ١٠١، البهوتي، كشاف القناع، ج ٦ ص ٣٧١، الرحيباني، مطالب أولي النهى، ج ٦ ص ٥٥٠.

أحد النصيبين بقدر الآخر فإراعي فيه تعادل البدلين، أما البيع فلا يجوز فيه شيء من ذلك؛ فلوازم القسمة تخالف لوازم البيع، واختلاف اللوازم يدل على اختلاف الملزومات.

أما دليلهم على أن قسمة الرد بيع فهو أن صاحب الرد يبذل عوضاً عما حصل له من مال شريكه وهذا هو البيع.

### المنافشة والترحيح:

والذي يترجح في تكييف القسمة الرضائية أنها إفراز في المثليات، وذلك أن كل واحد من الشركاء يملك حصة غير محددة قبل القسمة، فعندما يتم تحديدها في المثليات، فإنما يأخذ الشريك حصته دون مقابل؛ وذلك لتساوي الحصتين فلا تظهر صورة البيع.

أما في قسمة غير المثليات؛ أي القيميات، فإنها تكييف على أنها بيع؛ وذلك لظهور الاختلاف في قيمة الأعيان المراد تقسيمها، لذلك فإنها تقيم قبل القسمة ويقوم الشريك بأخذ عين بدلاً عن عين أخرى، كما يمكن أن يدفع مالاً إن تمت قسمة الرد بين الشركاء وكانت حصته أكثر من حصة شريكه، أو أن يأخذ مالاً إذا كانت حصته أقل من حصة شريكه.

وأما الذين قالوا بأن القسمة بيع لوجود المبادلة بين الحصص، فيرد عليه بأن هذا لا يظهر في قسمة المثليات؛ لأن كل شريك يختص بحصة ولم يبادلها بغيرها فلم يقلل حصتي هذه مقابل حصة شريكه؛ لأن الأعيان متشابهة.

أما موقف مجلة الأحكام العدلية من هذه المسألة فقد تبنت قول أصحاب الرأي الأول؛ حيث ورد في المواد (١١١٦) و(١١١٧) و(١١١٨)، ما يدل على أن القسمة من جهة إفراز ومن جهة مبادلة؛ فهي إفراز في المثليات راجحة، وهي

مبادلة في القيمات راجحة، وتكون بالتراضي أو بحكم القاضي<sup>(١)</sup>.

### المطلب الرابع: لزوم القسمة الرضائية.

الحديث عن لزوم القسمة الرضائية من حيث بيان أصل الحكم، أما عدم اللزوم وإمكانية الرجوع عنها، فسيتم بحثه في المبحثين التاليين بشكل مفصل بإذن الله تعالى.

أما بالنسبة إلى لزوم القسمة، فقد فرق الفقهاء في حكمها بناء على نوع القسمة من حيث الماهية، أهي قسمة أعيان أم قسمة منافع، وسأقتصر هنا على الحديث عن لزوم قسمة الأعيان فقط؛ حيث سيكون موضوع البحث عن هذا النوع من القسمة؛ وذلك لقلّة التعامل مع قسمة المنافع في هذه الأيام.

أما قسمة الأعيان، فقد اتفق الفقهاء على لزومها، ولكنهم اختلفوا في وقت لزومها.

فذهب الحنفية<sup>(٢)</sup> إلى أن القسمة الرضائية لا تتم بمجرد التراضي، بل يتوقف تمامها على قبض كل واحد نصيبه، أو قضاء القاضي في قسمة الإيجاب.

وخالفهم في ذلك المالكية<sup>(٣)</sup> والشافعية<sup>(٤)</sup> والحنابلة<sup>(٥)</sup>، فقالوا بلزوم القسمة

- ١- مجلة الأحكام العدلية، ص ٢١٥.
- ٢- السرخسي، شمس الدين، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٤١٤هـ-١٩٩٣ م، ج ١٥ ص ٢٨، الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٢٨، الفتاوى الهندية، دار الفكر، بيروت، ط (٢)، ١٣١٠هـ-١٨٩٧ م، ج ٥ ص ٢١٧.
- ٣- الدردير، أبو البركات أحمد بن محمد، الشرح الصغير على أقرب المسالك، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ج ٣ ص ٦٦٢، عليش، منح الجليل، ج ٧ ص ٢٥٢.
- ٤- الماوردي، علي بن محمد، الحاوي الكبير، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٩هـ-١٩٩٩ م، ج ١٦ ص ٢٥٥، الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، المهمات في شرح الروضة والرافعي، اعنتى به: أحمد الدمياطي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، ط (١)، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩ م، ج ٥ ص ٤٩٦.
- ٥- المرادوي، علي بن سليمان، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (٢)، د.ت، ج ١١ ص ٣٥٤، البهوتي، كشف القناع، ج ٦ ص ٣٧٩.

وعدم الرجوع عنها وذلك بالتراضي عليها.

وقد استدل على لزوم القسمة الرضائية بأن في ذلك دفعًا للضرر عن الشركاء الآخرين.

واستدل أيضًا - بناء على من كيف القسمة بأنها بيع - بالقياس على البيع ، فكما أنه لا يجوز الرجوع في البيع بعد تمامه فلا يجوز في القسمة كذلك .

وقد نصت مجلة الأحكام العدلية في المادة رقم (١١٥٧) على أنه لا يسوغ الرجوع عن القسمة بعد تمامها<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثاني: الرجوع عن القسمة الرضائية عند الاتفاق

#### بين المتقاسمين أو وجود الخيار لهم

رغم القول بلزوم قسمة الأعيان، إلا أن هناك حالات يمكن الرجوع فيها عن القسمة، لأسباب تتعلق بدفع الضرر وإحقاق الحق، أو لوجود خيار بالرجوع عن القسمة للمتقاسمين أو لأحدهم.

يقول ابن رشد: «والقسمة من العقود اللازمة لا يجوز للمتقاسمين نقضها ولا الرجوع فيها إلا بالطوارئ عليها، والطوارئ ثلاثة: غبن أو وجود عيب أو استحقاق»<sup>(٢)</sup>.

وما ذكره ابن رشد من حالات الرجوع عن القسمة يفتح الباب لمراجعة القسمة رغم القول بلزومها، إذا طالب أحد المتقاسمين بحقه عند حصول خطأ، أو وجود عيب في العين المقسومة أو غيرها من الأسباب التي سيتناولها البحث في المطالب الآتية:

١- مجلة الأحكام العدلية، ص ٢٢٤.

٢- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، د. ط، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ج ٤ ص ٥٣.

## المطلب الأول: الرجوع عن القسمة عند الاتفاق على ذلك بين المتقاسمين.

فقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية<sup>(١)</sup> والمالكية<sup>(٢)</sup> والشافعية<sup>(٣)</sup> والحنابلة<sup>(٤)</sup> إلى جواز الرجوع عن القسمة الرضائية عند اتفاق المتقاسمين على ذلك واستدلوا على رأيهم السابق بأن قسمة التراضي مبادلة ويصح فسخها ومبادلتها بالتراضي. وقد نصت مجلة الأحكام العدلية في المادة رقم (١١٥٩) على أنه لجميع الشركاء بعد القسمة فسخ القسمة وإقالتها برضاهم، وجعل المقسوم مشتركاً بينهم كما في السابق<sup>(٥)</sup>.

## المطلب الثاني: الرجوع بسبب وجود خطأ في القسمة.

اختلف الفقهاء في إمكانية الرجوع عن القسمة بسبب وقوع الخطأ فيها على عدة آراء:

أولاً: يرى الحنفية<sup>(٦)</sup> والشافعية في قول<sup>(٧)</sup> أنه إن حصل خطأ في القسمة وأثبت وقوعه بالبينه أو بالإقرار فإنه يمكن الرجوع عنها.

ودليلهم على الرجوع عن القسمة أن الشريكين تراضيا على القسمة لاعتقادهما أنها قسمة عادلة وليس فيها خطأ، فتبين وجوده على خلاف ما تراضيا عليه، فتبطل.

- ١- الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٢٨، الحصكفي، علاء الدين، الدر المختار في شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت، ط (٢)، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ج ٦ ص ٢٦٨.
- ٢- الخرشبي، شرح الخرشبي، ج ٦ ص ١٥٨، الدردير، الشرح الصغير، ج ٣ ص ٦٦٢.
- ٣- الأنصاري، أسنى المطالب، ج ٤ ص ٣٣٧، الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المكتبة التجارية، القاهرة، د. ط، ١٣٥٧هـ-١٩٣٧م، ج ١٠ ص ٢٠٣.
- ٤- ابن قدامة، المغني، ج ١٠ ص ١٠١، الرحيباني، مطالب أولي النهى، ج ٦ ص ٥٥٠.
- ٥- مجلة الأحكام العدلية، ص ٢٢٤.
- ٦- السرخسي، المبسوط، ج ١٥ ص ٦٤، الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٢٦.
- ٧- الشريني، مغني المحتاج، ج ٦ ص ٣٣٧، القليوبي، أحمد بن سلامة، حاشية القليوبي على شرح المحلي للمنهاج، دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج ٤ ص ٣١٩.



ويرى الحنفية أن الشريك إن أقر واعترف بعد القسمة أنه أخذ حقه كاملاً من القسمة، فإنه لا تقبل دعواه بوقوع الخطأ، لكونه يناقض دعواه؛ لأن الإقرار باستيفاء الحق إقرار بوصول حقه إليه بكماله.

ثانياً: يرى المالكية<sup>(١)</sup> والحنابلة في رأي عندهم<sup>(٢)</sup> أن القسمة لا تنقض بسبب الخطأ فيها، إلا إذا كان الخطأ فاحشاً كثيراً وأقيمت البيئة على ذلك.

وهذا الرأي يتفق من حيث المبدأ مع الرأي السابق في إمكانية الرجوع، ولكنه مقيد بأن يكون الخطأ فاحشاً.

ثالثاً: يرى الشافعية<sup>(٣)</sup> والحنابلة<sup>(٤)</sup> أنه لا يصح الرجوع عن القسمة بسبب وجود الخطأ فيها.

وقد اشترط الحنابلة لعدم الرجوع أن يتم الإشهاد على القسمة بالتراضي، فإذا كانت القسمة موثقة بالإشهاد فلا يصح الرجوع عنها بسبب وجود الخطأ.

وقد استدلوا على رأيهم بأن أحد الشريكين قد رضي بوقوع الخطأ في القسمة، فليس له الرجوع عنها قياساً على البيع، فلو اشترى شيئاً ثم تبين له وقوع الخطأ في هذا البيع فليس له الرجوع فيه.

### المناقشة والترجيح:

والذي يترجح في هذه المسألة القول بإمكانية الرجوع عن القسمة بسبب وجود خطأ فيها، وذلك تحقيقاً للعدالة وتصحيحاً للخطأ.

- ١- الخرخشي، شرح الخرخشي، ج ٦ ص ١٩٦، الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج ٣ ص ٥١٢.
- ٢- المرادوي، الإنصاف، ج ١١ ص ٣٥٨، ٣٥٩، ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ج ٨ ص ٢٤٤.
- ٣- الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج، دار الفكر للطباعة، بيروت، د. ط، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ج ٨ ص ٢٩١، القليوبي، حاشية القليوبي، ج ٤ ص ٣١٩.
- ٤- ابن قدامة، شمس الدين عبد الرحمن بن محمد، الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي، القاهرة، د. ط، د. ت. ج ١١ ص ٥١٢، ابن مفلح، المبدع، ج ٨ ص ٢٤٣، ٢٤٤.

أما القول بأن أحد الشريكين قد رضي بوقوع الخطأ في القسمة، فإن هذا محتمل؛ لإمكانية أن يكون قد علم به بعد القسمة لا قبلها، ولو افترضنا علمه بالخطأ فيفترض أن يكون هنا ما يدل على رضاه به صراحة، حتى لا يكون هناك تأثير للخوف أو الخجل على المطالبة بالحق.

أما فيما يتعلق بالترقة بين حالة الخطأ الفاحش وغيره، فيمكن القول به بناء على ترتب أثر في قيمة الشيء المقسوم، فيكون حكمه فيه كحالة الغبن الفاحش التي سنبحثها في المطلب القادم بإذن الله تعالى.

أما لو كان الخطأ لا يتعلق بقيمة المقسوم، إنما يتعلق بتعيينه، فهنا لا بد من تصحيح الخطأ؛ لأن التراضي قد تم على خلافه، حتى لو لم يكن فاحشاً.

أما مجلة الأحكام العدلية فلم تنص على الرجوع بسبب الخطأ في القسمة الرضائية، إلا أنه وحسب قواعد الالتزام بالمذهب الحنفي فإنه يكون هو المعتمد، وقد ذكر علي حيدر في شرحه للمجلة إمكانية الرجوع عن القسمة بسبب الخطأ، وذلك بجعل الخيار لأحد المتقاسمين<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: الرجوع عن القسمة بسبب وجود غبن فاحش.

المقصود بالغبن في القسمة، هو في تقييم الأعيان المراد تقسيمها، والغبن الذي تحدث الفقهاء عن إمكانية الرجوع بسببه هو الغبن الفاحش<sup>(٢)</sup>، أما اليسير

١- حيدر، علي، درر الأحكام شرح مجلة الأحكام، تعريب: فهمي الحسيني، دار الجيل، بيروت، ط(١)، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ج ٣ ص ١٦٤.

٢- اختلف الفقهاء في معنى الغبن الفاحش؛ حيث يرى الحنفية في ظاهر الرواية أنه ما لا يدخل في تقويم المقومين، وفي قول عندهم وردت مقادير متعددة لأنواع من البيوع، وذهب المالكية والحنابلة إلى أن الغبن المثبت للفسخ هو ما لا يتغابن الناس بمثله في العادة وقدر بالثلث في قول عندهم، وعند الشافعية الغبن الفاحش ما لا يحتمل غالباً ويرجع فيه إلى العادة، انظر: الحصكفي، الدر المختار، ج ٥ ص ١٤٣، الخطاب، مواهب الجليل، ج ٤ ص ٤٦٩، الشرييني، مغني المحتاج، ج ٣ ص ٢٤٣، ابن قدامة، المغني، ج ٣ ص ٤٩٨.

فلا ينظر إليه، ولا يحق للمغبون المطالبة بالرجوع بسببه عن القسمة<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف الفقهاء في حكم الرجوع عن القسمة الرضائية بسبب الغبن الفاحش على عدة أقوال:

أولاً: يرى الحنفية في الصحيح عندهم<sup>(٢)</sup> والشافعية في قول<sup>(٣)</sup> والحنابلة في قول<sup>(٤)</sup> أن القسمة تنقض بالغبن الفاحش، سواء حصلت بأن اقتسم الشركاء بأنفسهم أو بقاسم يقسم بينهم.

وقد استدل على رأيهم السابق بعدة أدلة منها:

١- إن رضى المغبون حين القسمة مبناه اعتقاد العدل فيها، فإذا تبين خلاف ذلك نقضت القسمة لعدم العدل<sup>(٥)</sup>.

٢- إن القيمة معتبرة في باب القسمة لتقع القسمة على سبيل المعادلة؛ لأن التعديل يكون حيث القيمة في الأشياء المتفاوتة، فإذا ظهر غبن فاحش في القيمة، فقد فات شرط جواز القسمة وهو المعادلة، فيجب نقضها، بخلاف البيع؛ لأنه غير مبني على المعادلة في القيمة<sup>(٦)</sup>.

٣- إن القسمة لو كانت إفرازاً لم تصح مع الغبن لفساد الإفراز<sup>(٧)</sup>.

- ١- ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار، دار الفكر، بيروت، ط(٢)، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ج ٦ ص ٢٦٧، الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج ٣ ص ٥١٢، البهوتي، كشف القناع، ج ٦ ص ٣٧٧.
- ٢- الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٥ ص ٢٧٣، ٢٧٤، ابن عابدين، حاشية رد المحتار، ج ٦ ص ٢٦٧.
- ٣- الشرييني، مغني المحتاج، ج ٦ ص ٣٣٧، الرملي، نهاية المحتاج، ج ٨ ص ٢٩١.
- ٤- البهوتي، كشف القناع، ج ٦ ص ٣٧٧، المرادوي، الإنصاف، ج ١١ ص ٣٥٢.
- ٥- الشرييني، مغني المحتاج، ج ٦ ص ٣٣٧.
- ٦- الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٥ ص ٢٧٣.
- ٧- المرادوي، الإنصاف، ج ١١ ص ٣٥٢.

ثانياً: يرى الحنفية في قول عندهم<sup>(١)</sup> والشافعية<sup>(٢)</sup> والحنابلة<sup>(٣)</sup>. عدم نقض القسمة الرضائية حال وجود الغبن الفاحش.

وقد استدلوا على هذا الرأي بأن القسمة في معنى البيع لوجود التراضي، ولأن صاحب الزائد بذل المال عوضاً عما حصل له من حق شريكه، فلو حصل غبن في بيع بين شخصين ورضي به المغبون عند البيع، فليس له الرجوع في ذلك البيع.

ثالثاً: يرى المالكية<sup>(٤)</sup> عدم نقض القسمة الرضائية بسبب الغبن الفاحش، إلا أنهم قالوا بأن القسمة لو تمت، بأن أدخل مقوم لتقويم العين المقسومة، أو أن القسمة وقعت بعد تعديل فإنها تنقض كالقرعة.

### المناقشة والترجيح:

والذي يترجح في هذه المسألة القول بنقض القسمة حال وجود الغبن الفاحش؛ وذلك تحقيقاً للعدل ودفعاً للضرر عن المغبون، ولأن القسمة إذا كانت قسمة تعديل، فإن القيمة معتبرة فيها؛ لأن التعديل يكون حيث القيمة في الأشياء المتفاوتة، فإذا ظهر غبن فاحش في القيمة، فقد فات شرط جواز القسمة وهو المعادلة، فيجب نقضها، وكذلك إذا كانت في صورة الإفراز فإن القسمة تنقض؛ لأن القسمة تبني على المعادلة في القيمة عند الإفراز، وهذا غير موجود حال الغبن الفاحش.

أما القول بأن التراضي قد حصل وأن القسمة كالبيع من حيث الإلزام، فإن التراضي وحده لا يكفي، بل لا بد من التأكد من أنه بني على أساس معرفة السعر

- ١- السرخسي، المبسوط، ج ١٥ ص ٢٨، الطوري، تكملة الطوري للبحر الرائق، ج ٨ ص ١٧٧.
- ٢- النووي، روضة الطالبين، ج ١١ ص ٢٠٩، الأنصاري، أسنى المطالب، ج ٤ ص ٣٣٤.
- ٣- المرادوي، الإنصاف، ج ١١ ص ٣٥٢، الرحيباني، مطالب أولي النهى، ج ٣ ص ١٠٣.
- ٤- الخطاب، مواهب الجليل، ج ٥ ص ٣٤٥، ٣٤٦، النفراوي، الفواكه الدواني، ج ٢ ص ٢٤٣.

الحقيقي للعين المقسومة، وذلك من خلال الاستعانة بأهل الخبرة، فإن علم المقسوم له مقدار حصته ثم رضي بالغبن بعد ذلك فلا يحق له أن يطالب بنقض القسمة، إذا كانت في صورة البيع .

أما رأي المالكية فله وجهته ومبناه أن التقويم والتعديل يؤديان إلى معرفة وجود الغبن والتحقق منه، إلا أنه يجب عنه بأن المعرفة ثم الرضى بعد ذلك يمنعان إمكانية المطالبة بالفسخ إذا كانت على صورة البيع .

أما موقف مجلة الأحكام العدلية من هذه المسألة فقد جاء في المادة (١١٦٠) ما نصه: «إذا تبين الغبن الفاحش في القسمة تفسخ وتقسم ثانية قسمة عادلة»<sup>(٥)</sup>.

كما أن المجلة قد قيدت الحق في المطالبة بفسخ القسمة في حال عدم إقرار المقسوم له باستيفاء الحق؛ حيث جاء في المادة (١١٢٧) ما نصه: «يلزم أن تكون القسمة عادلة؛ أي أن تعدل الحصص بحسب الاستحقاق، وأن لا تكون بإحداها نقصان فاحش، فلذلك تسمع دعوى الغبن الفاحش في القسمة، ولكن إذا ادعى المقسوم لهم الغبن الفاحش بعد إقرارهم باستيفاء الحق لا تسمع دعواهم»<sup>(٦)</sup>.

كما أن المجلة قد نصت في المادتين (٣٥٦) و(٣٥٧) على أن خيار الفسخ في الغبن مرتبط بوجود التغير من أحد المتبايعين<sup>(٧)</sup>، وذلك في صورة البيع .

**المطلب الرابع: الرجوع عن القسمة بسبب وجود عيب في العين المقسومة .**

اختلف الفقهاء في إمكانية الرجوع عن القسمة بسبب وجود عيب في حصة المقسوم له على قولين:

٥- مجلة الأحكام العدلية، ص ٢٢٤.

٦- المصدر نفسه، ص ٢١٧.

٧- المصدر نفسه، ص ٧٠، ٧١.

أولاً: يرى الحنفية<sup>(١)</sup> والشافعية<sup>(٢)</sup> والحنابلة<sup>(٣)</sup> أنه إذا ظهر عيب في العين المقسومة بعد القسمة، فإنه يحق للمقسوم له الرجوع عن القسمة.

وقد استدلوا على رأيهم بعدة أدلة منها:

- ١- إن أحكام العيب في البيع تنطبق على القسمة.
- ٢- إن العيب نقص عن قدر حقه الخارج له، فوجب أن يتمكن من فسخ القسمة استدراكاً لما فاتته، وله الإمساك مع أرش العيب؛ لأنه نقص في نصيبه فكان له ذلك استدراكاً لحقه الثابت كالمشتري.
- ٣- إن القسمة مع وجود العيب وقعت جائزة لا عادلة، فكان للمقسوم له حق الرد بالعيب.

ثانياً: يرى المالكية<sup>(٤)</sup> أنه إذا ظهر عيب في أكثر المقسوم، وكان يُقِيم بما يزيد عن النصف، فإنه يحق للمقسوم له والذي في نصيبه عيب نقض القسمة ويعود شريكاً في الكل، وذلك إذا لم يفت ما تبقى من العين المقسومة، أما لو فاتت بهدم أو بناء أو صدقة وما أشبه ذلك، فإنه يعطى من شريكه نصف قيمة السالم من العيب حسب قيمته يوم قبضه، ويصير النصيب المعيب السالم من الفوات شركة بينهما.

أما إذا كان العيب يُقِيم بأقل من النصف فلا تنقض القسمة، بل يرجع صاحب المعيب على صاحب الصحيح بمثل قيمة نصف المعيب من الصحيح، ولا يرجع

١- الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٢٨، السرخسي، المبسوط، ج ١٥ ص ٤٢.  
 ٢- الأنصاري، أسنى المطالب، ج ٤ ص ٣٣٩، الشرواني، عبد الحميد بن الحسين، حاشية الشرواني على تحفة المحتاج، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ط. ١٣٥٧هـ-١٩٣٧م، ج ١٠ ص ٢١١.  
 ٣- ابن قدامة، المغني، ج ١٠ ص ١١٣، ابن مفلح، المبدع، ج ٨ ص ٢٤٥.  
 ٤- الخطاب، مواهب الجليل، ج ٥ ص ٣٤٨، عليش، منح الجليل، ج ٧ ص ٣٠١، الخرخشي، شرح الخرخشي، ج ٦ ص ١٩٨.

شريكا في الصحيح، وتصير الشركة بينهما في المعيب، بمعنى أن صاحب الصحيح يصير شريكا في المعيب بنسبة ما أخذ منه.

### المناقشة والترجيح:

والذي يترجح في هذه المسألة قول جمهور العلماء بحق المقسوم له في المطالبة بفسخ القسمة حال ظهور عيب في العين المقسومة له، وذلك دفعاً للضرر عنه وتحقيقاً للعدل في القسمة.

أما ما قاله المالكية من التفرقة بين العيب المؤثر في قيمة المقسوم والذي يفوق النصف وغيره، فإن هذا مبناه محاولة الإبقاء على القسمة مع ثبوت حق التعويض عن النقص الناتج عن وجود العيب.

ومثل هذا الاتجاه لا يحقق العدالة في القسمة فقد يكون للمقسوم له رغبة في الحصول على عين بذاتها ولا يريد أخذ قيمتها، كمن قسمت له أرض في منطقة معينة مرغوبة لدى الناس ثم بان بها عيب كأن يكون البناء ممنوعاً فيها، وبجوارها أرض قسمت لشريكه ولا يوجد فيها هذا العيب، فإن العدل يقتضي اقتسامها بينهما وليس إعطاء أحدهما مالاً بدلاً عن حصته أو تعويضاً عن النقص في الأرض الأخرى.

ومسألة الرجوع عن القسمة بسبب العيب تختلف عن الرجوع بسبب الغبن؛ لأن العيب يتعلق بذات العين المقسومة، أما الغبن فيتعلق بثمنها.

وقد تبنت مجلة الأحكام العدلية القول بالرجوع عن القسمة بسبب وجود عيب في العين المقسومة؛ حيث أشارت إلى ذلك في المواد رقم (١١٥٣) و(١١٥٤) و(١١٥٥)<sup>(١)</sup>.

١- مجلة الأحكام العدلية، ص ٢٢٣.

## المطلب الخامس: الرجوع بسبب اشتراط خيارى الرؤية والشرط.

يرى جمهور الفقهاء من الحنفية<sup>(١)</sup> والمالكية<sup>(٢)</sup> والشافعية<sup>(٣)</sup> والحنابلة<sup>(٤)</sup> أنه في حال اشتراط المقسوم له خيار الشرط له أو خيار الرؤية<sup>(٥)</sup>، فإن هذا يمكنه من الرجوع عن القسمة.

وقد استدل على الرأي السابق بأن القسمة الرضائية فيها معنى المبادلة لوجود المرادة بين الجانبين، فيثبت فيها الخيار كما في البيع؛ حيث يثبت للقسمة حكم البيع وإن كانت لم تتم بلفظ البيع أو التمليك؛ حيث يقوم التراضي مقامهما.

ولا بد من الإشارة هنا إلى وجود خلاف بين أصحاب الرأي السابق في مشروعية خيار الرؤية وفي بعض المسائل الفرعية المتعلقة بالخيارين السابقين، إلا أن الذي يهنا هنا إمكانية الرجوع عن القسمة عند اشتراط الخيارين قبلها.

- ١- الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٢٨، ابن عابدين، حاشية رد المحتار، ج ٤ ص ٥٩٣.
  - ٢- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، الذخيرة، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١)، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ج ٥ ص ٢٣، الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج ٣ ص ٥٠٠، عيش، منح الجليل، ج ٤ ص ٤٨٨، ج ٧ ص ٢٦٧.
  - ٣- الماوردي، الحاوي، ج ٥ ص ١٣، ٣٠، النووي، روضة الطالبين، ج ٣ ص ٣٧٧، الشرواني، حاشية الشرواني، ج ١٠ ص ٢٠٣.
  - ٤- ابن قدامة، المغني، ج ٣ ص ٤٩٥، ابن مفلح، المبدع، ج ٤ ص ٢٥، الرحيباني، مطالب أولي النهى، ج ٦ ص ٥٥٠.
  - ٥- المقصود بخيار الشرط أن يشتري سلعة ويكون له الخيار بإرجاعها خلال ثلاثة أيام فأقل، انظر: الحصكفي، الدر المختار، ج ٤ ص ٥٦٥.
- أما خيار الرؤية فهو أن يشتري سلعة لم يرها، فيثبت له الخيار بالرجوع عند الرؤية تداركا عند ندمه على الشراء، انظر: الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٥ ص ٢٩٢.



وقد تبنت مجلة الأحكام العدلية القول بالرجوع عن القسمة بسبب وجود خيارى الشرط والرؤية قبل القسمة؛ حيث أشارت إلى ذلك فى المواد رقم (١١٥٣) و(١١٥٤) و(١١٥٥)<sup>(١)</sup>.

**المبحث الثالث: الرجوع عن القسمة عند ظهور حقوق متعلقة بالتركة.**

**المطلب الأول: الرجوع بسبب ظهور دين على التركة.**

اختلف الفقهاء فى حكم الرجوع عن القسمة حال ظهور دين على التركة على عدة آراء:

**أولاً:** يرى الحنفية<sup>(٢)</sup> والمالكية<sup>(٣)</sup> والحنابلة فى وجه عندهم<sup>(٤)</sup> أنه إذا ظهر دين على التركة بعد القسمة فإنها تبطل، سواء استغرق الدين جميع التركة أم لم يستغرقها.

وقد استثنى الحنفية من إبطال القسمة أربع حالات:

- أ- إذا أبرأ الدائن المدين المتوفى من الدين.
- ب- إذا أدى الورثة الدين من أموالهم الخاصة.
- ت- إذا تعهد الورثة سداد الدين من أموالهم الخاصة من غير التركة.
- ث- إذا كان فى التركة ما يكفي لسداد الدين غير ما اقتسموه منها.

١- مجلة الأحكام العدلية، ص ٢٢٣.  
 ٢- الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٣٠، الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٥ ص ٢٧٥، الطوري، تكملة البحر الرائق، ج ٨ ص ١٧٨، الفتاوى الهندية، ج ٥ ص ٢٢١.  
 ٣- الخطاب، مواهب الجليل، ج ٥ ص ٣٥٠، عليش، منح الجليل، ج ٧ ص ٣٠٤، ٣٠٥، الدردير، أبو البركات أحمد بن محمد، الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، د. ط. د. ت. ج ٣ ص ٥١٥، ميارة، شرح ميارة، ج ٢ ص ٦٧.  
 ٤- ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد، الكافي فى فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ج ٤ ص ٢٥١، ابن مفلح، المبدع، ج ٨ ص ٢٤٦، المرادوي، الإنصاف، ج ١١ ص ٣٦٤.

وقد استثنى المالكية من الإبطال أن يدفع الدين من الورثة أو من غيرهم، وكذلك أن تكون العين المقسومة عيناً أو مثلياً؛ حيث يرجع الدائن على الورثة بحصصهم.

وقد استدل أصحاب الرأي السابق على قولهم بعدة أدلة منها:

١- قوله سبحانه وتعالى: (...من بعد وصية يوصين بها أو دين...) [١٢]: النساء].

وجه الدلالة من الآية السابقة أن الدين مقدم على الإرث سواء كان قليلاً أو كثيراً<sup>(١)</sup>.

٢- إن القسمة بيع للتركة قبل قضاء الدين، وهذا لا يصح<sup>(٢)</sup>.

٣- إن الدين يمنع صحة التصرف في التركة<sup>(٣)</sup>.

٤- إن الدين إذا كان يستغرق جميع التركة، فإنه لا ملك للورثة فيها، بل هي للغرماء لسداد ديونهم، ولأن من حق أصحاب الديون أخذ جميع التركة، وليس من حق الورثة أخذ أي جزء منها إلا بعد مضاء ديون الميت<sup>(٤)</sup>.

٥- أما دليل الحنفية على استثناء الحالات السابقة، فهو أن حق الدائن لا يتعلق بعين التركة، بل بما يقضى به حقه، أيًا كان، ولا حاجة لفسخ القسمة؛ حيث وجد من يسد الدين<sup>(٥)</sup>.

١- الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٣٠.

٢- ابن مفلح، المبدع، ج ٨ ص ٢٤٦.

٣- المصدر نفسه، ج ٨ ص ٢٤٦.

٤- الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٣٠، الطوري، تكملة البحر الرائق، ج ٨ ص ١٧٨.

٥- الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٥ ص ٢٧٥، العيني، محمود بن أحمد، البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ج ١١ ص ٤٥٨، ٤٥٩.

٦- أما دليل الملكية على الاستثناء، فهو إمكانية استيفاء الدين بيسر ومن غير حاجة إلى إبطال القسمة<sup>(١)</sup>.

ثانياً: يرى الشافعية في وجه عندهم<sup>(٢)</sup> بطلان القسمة في حال استغراق الدين للتركة، أما في حال عدم استغراق الدين، فإن القسمة تبطل في الجزء المستحق من التركة ولا تبطل في الباقي.

واستثنى الشافعية من بطلان القسمة حالة سداد الدين من الورثة أو غيرهم فإن سداد الدين يمنع إبطال القسمة.

وكان دليلهم على إبطال القسمة القول بعدم صحة البيع في حق الدائنين وهذا لا يصح من الورثة على اعتبار أن القسمة بيع.

ثالثاً: يرى الشافعية في الأظهر<sup>(٣)</sup> والحنابلة<sup>(٤)</sup> عدم بطلان القسمة حال ظهور دين على التركة، أما في حال امتناع الورثة عن الوفاء بالدين فإن القسمة تبطل وتباع التركة في الدين.

وقد استدلوا على رأيهم السابق بأن تعلق الدين بالتركة بعد القسمة، لا يمنع صحة التصرف فيها؛ لأنه تعلق بغير رضاهم؛ ولأنه لم يقع ضرر في حق أحد، وقالوا بأن القسمة هي إفراز حق أو بيع يصح قبل سداد الدين.

١- عيش، منح الجليل، ج ٧ ص ٣٠٥.

٢- الشيرازي، المذهب، ج ٣ ص ٤١١، النووي، روضة الطالبين، ج ١١ ص ٢٠٩، ٢١٠، العمراني، يحيى بن أبي الخير، البيان في مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: قاسم النوري، دار المنهاج، جدة، ط (١)، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج ١٣ ص ١٥٠، الرافعي، عبد الكريم بن محمد، العزيز شرح الوجيز (الشرح الكبير)، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج ١٢ ص ٢٥٢، ابن الرفعة، أحمد بن محمد، كفاية النبيه في شرح التنبيه، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م، ج ١٨ ص ٣٧٧.

٣- الرافعي، الشرح الكبير، ج ١٢ ص ٥٥٢، النووي، روضة الطالبين، ج ١١ ص ٢٠٩، ٢١٠، العمراني، البيان، ج ١٣ ص ١٥٠، ابن الرفعة، كفاية النبيه، ج ١٨ ص ٣٧٦، ٣٧٧.

٤- ابن قدامة، الكافي، ج ٤ ص ٢٥١، ٢٥٢، شمس الدين بن قدامة، الشرح الكبير، ج ١١ ص ٥١٥، ٥١٦، ابن مفلح، المبدع، ج ٨ ص ٢٤٦، المرادوي، الإنصاف، ج ١١ ص ٣٦٣، ٣٦٤.

أما دليلهم على القول ببطلان القسمة حال الامتناع عن سداد الدين، فهو أن الدين مقدم على الميراث، فلا بد من إبطال القسمة لتمكين من سداد الدين قبل قسمة الميراث.

### المناقشة والترجيح:

والذي يترجح في هذه المسألة القول بإبطال القسمة حال وجود دين على التركة؛ لأن تصرف الورثة بالتركة قبل قضاء الديون هو تصرف في حق الغير؛ ولأن من شروط توريث المال خلوه من الدين المستغرق.

كما يترجح القول بالاستثناءات بعدم بطلان القسمة، وذلك عند إمكانية سداد الدين فعلاً أو وجود ضمانات للسداد؛ لأن الدين لا يتعلق بالعين المقسومة لوجود من يضمن سداده، وهذا هو مقصد الدائن من مطالبته بنقض القسمة، فإذا تم السداد فلا حاجة لتقضها.

أما ما قاله أصحاب الرأي الثاني من عدم فسخ القسمة حال عدم استغراق الدين للتركة، وكذلك ما قاله أصحاب الرأي الثالث من عدم بطلان القسمة فمبناه وجود إمكانية لسداد الدين من التركة أو غيرها، فلا يكون هناك حاجة لإبطال القسمة لأن الهدف من إبطالها هو تحصيل الدين من التركة.

والملاحظ هنا أن الآراء في هذه المسألة متقاربة في نتائجها فالحنفية ومن وافقهم يقولون بإبطال القسمة حال وجود الدين واستثنوا حالات يمكن من خلالها أن يسد الدين، والآراء الأخرى يرون عدم الإبطال إلا إذا امتنع عن سداد الدين فيرون إبطالها ليتمكن من السداد، إلا أن ما ذكره الحنفية هو الأدق - والله أعلم - حماية لصاحب الدين؛ ولأن حقه مقدم على حق الوارث.

وقد تبنت مجلة الأحكام العدلية في هذه المسألة قول الحنفية؛ حيث جاء

في المادة (١١٦١) ما نصه: «إذا ظهر دين على الميت بعد تقسيم التركة تفسخ القسمة، إلا إذا أدى الورثة الدين أو أبرأهم الدائنون منه، أو كان لميت مال آخر غير المقسوم وأوفي الدين منه، فعند ذلك لا تفسخ القسمة»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: الرجوع بسبب ظهور وصية.

اختلف الفقهاء في حكم الرجوع عن القسمة بسبب ظهور وصية على عدة آراء:

أولاً: يرى الحنفية<sup>(٢)</sup> أنه لو ظهرت بعد القسمة وصية بحصة شائعة كالثلث أو الربع فإن القسمة تبطل، أما لو كانت الوصية مرسلة كألف درهم مثلاً والتزم الورثة بتنفيذها، وكان في التركة ما يكفي لذلك فإنها تصح، فإن لم تنفذ الوصية بطلت القسمة.

وقد استدل على رأيهم السابق بأن الموصى له شريك للورثة، فلو هلك من التركة شيء قبل القسمة، فإن ما يهلك يكون من الورثة والموصى له جميعاً.

ولأن القسمة تمت دون علم الموصى له ودون موافقته، فأشبه ما لو كان لهما شريك يعلمانه فاقتهما دونه.

أما دليلهم على التفرقة بين الوصية بالحصة الشائعة وغيرها، فهو أن حق الموصى له بالحصة الشائعة كالثلث متعلق بعين التركة، فلا ينتقل إلى مال آخر إلا برضاها، أما في الوصية المرسلة فإن حق الموصى له في المال، وليس في عين التركة.

١- مجلة الأحكام العدلية، ص ٢٢٤.

٢- الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧ ص ٣٠، العيني، البناية، ج ١١ ص ٤٥٨، الشلبي، أحمد بن محمد، حاشية الشلبي على تبين الحقائق، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ط (١)، ١٣١٣هـ-١٨٩٤م، ج ٥ ص ٢٧٥.

ثانياً: يرى المالكية<sup>(١)</sup> إبطال القسمة حال ظهور موصى له بعدد أو جزء مشاع من التركة وذلك إذا كان المقسوم مائلاً قيمياً كدار أو حيوان أو ثياب، أما إذا كان المقسوم مثلياً كالحبوب والدراهم والدنانير فإنه يتبع كل وارث بحصته فإن امتنعوا فسخت القسمة وأعطى الموصى له حصته من الوصية ثم تعاد القسمة.

وكان دليلهم على التفرقة بين المال المثلي والقيمي، أن الرجوع في قسمة المال القيمي على الورثة يضر بالمقسوم له من حيث تبييض حقه، أما المثلي فيمكن اقتطاعه من الورثة دون ضرر.

ثالثاً: يرى الشافعية<sup>(٢)</sup> اختلاف الحكم في القسمة بناء على نوع الوصية، فإن كانت الوصية مرسلة فالأوجه عندهم عدم بطلان القسمة، وكذلك في حال أن كانت الوصية بالشائع كالثلث، إلا إذا رفض الورثة تنفيذ الوصية فهنا تبطل القسمة ويرجع على الورثة لتنفيذها.

أما لو كانت الوصية معينة فإن القسمة تبطل في الجزء المستحق، أما الباقي فخالص في المذهب، إلا إذا أخرج الورثة الوصية ودفعوها للموصى له، فهنا تصح القسمة.

وقد استدل على القول ببطلان القسمة في الحالات السابقة بأن المقصود من القسمة تمييز الحقوق، وإذا ظهر الاستحقاق كان المستحق شريك كل واحد منهم فلا يحصل التمييز.

١- ابن عرفة، محمد بن محمد، المختصر الفقهي، تحقيق: حافظ خير، مؤسسة خلف الجبوتور، دبي، ط(٢)، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ج٧ ص٤٨٤، الدردير، الشرح الكبير، ج٣ ص٥١٤، ٥١٥، الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على مختصر خليل، صححه: عبد السلام أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ج٦ ص٣٧٨-٣٨١.

٢- البغوي، الحسين بن مسعود، التهذيب في فقه الإمام الشافعي، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ج٨ ص٢١٥، النووي، روضة الطالبين، ج١١ ص٢١٠، الرافعي، الشرح الكبير، ج١٢ ص٥٥٢، العمراني، البيان، ج١٣ ص١٥٠.

رابعاً: يرى الحنابلة<sup>(١)</sup> أن القسمة تصح إذا كانت الوصية بالمعين، وفي رواية في المذهب لا تصح القسمة بمقدار الوصية وتصح في الباقي.

أما إذا كانت حصته مشاعاً في حدود الثلث فإن القسمة تبطل، وفي وجه أنها تبطل في حدود الثلث فقط، وأما الباقي فهناك وجهان في المذهب والصحيح القول بعدم البطلان.

### المناقشة والترجيح:

والذي يترجح في هذه المسألة قول الحنفية بالتفرقة بين كون الوصية جزءاً شائعاً وبين كونها مرسلة، فتكون باطلة إذا كانت جزءاً شائعاً وتصح إذا كانت مرسلة إذا كان الورثة قد نفذوا الوصية، وذلك كون الوصية في الحصة الشائعة متعلقة بعين التركة، وقد يصعب تنفيذ الوصية بالرجوع على الورثة بدون فسخ القسمة، كما لو كانت الحصة الشائعة متعلقة بعقارات ولا يوجد غيرها، ويصعب الاقتطاع من كل وارث على حدة.

أما في الوصية المرسلة كالألف درهم فإنه يمكن الرجوع على الورثة دون الحاجة إلى فسخ القسمة، فيتحقق المقصود بحصول الموصى له على وصيته.

أما الآراء الأخرى في المسألة، فإنها تتفق مع الرأي الأول من حيث عدم فسخ القسمة؛ حيث أمكن تنفيذ الوصية وحيث لا حاجة لفسخها ولكن معيار الحنفية قد يكون الأدق؛ لأنهم نظروا إلى طبيعة الوصية من حيث كونها حصّة مشاعاً أو مرسلة.

أما المالكية فقد نظروا إلى المثلي والقيمي من الأموال وهذا التقسيم له وجهته، ولكن لو كان المال مختلطاً بين المثلي والقيمي ومقدار الوصية أكثر

١- شمس الدين بن مفلح، الفروع، ج ١١ ص ٢٥٢، ابن مفلح، المبدع، ج ٨ ص ٢٤٧، المرادوي، الإنصاف، ج ١١ ص ٣٦٥.

من المثلي في حدود الثلث، فإننا سنفسخ القسمة في المثلي لنتمكن من تحصيلها ولنعطي الوارث الذي اختص بالمثلي بدل ما دفعه لتنفيذ الوصية من المال القيمي. أما الشافعية فقد أعطوا حكماً واحداً للمرسل والشائع، وهناك فرق بينهما من حيث تحصيلهما، فالوصية بألف درهم يسهل تحصيلها، ولكن الشائع كالثلث فإنها تشمل جميع التركة بمكوناتها المختلفة من الأموال المنقولة وغير المنقولة والمرغوب فيها وغيرها، فعدم نقض القسمة في الشائع وأن يتبع صاحب الوصية الورثة قد لا يعطيه حقه الذي يريد، خاصة إذا حصل تفاوت في نوع المال المقسوم لكل وارث.

أما مجلة الأحكام العدلية فلم تنص على هذه المسألة، فيكون المعتمد هو مذهب الحنفية، وقد ورد في شرح مجلة الأحكام العدلية ما يؤكد ذلك؛ حيث جاء في شرح المادة (١١٦١) من المجلة أنه إذا ظهر بعد القسمة أن الموصي قد أوصى بألف مرسله فيجب فسخ القسمة ما لم يؤدّ الورثة الموصى به للموصى له، ففي تلك الحالة تفسخ القسمة؛ لأن حق الموصى له يتعلق بالمالية فقط، ولا يتعلق بعين التركة.

كذلك إذا ظهر الموصى له بجزء شائع من التركة كثلثها أو ربعها فتفسخ القسمة أيضاً، وفي هذه الحال ليس للورثة أن يقولوا: إننا نؤدّي الموصى به، ولا نفسخ القسمة؛ لأن حق الموصى له في جزء شائع وحق في عين التركة<sup>(١)</sup>.

**المطلب الثالث: الرجوع عن القسمة بسبب ظهور وارث لم يشترك في القسمة.**

اختلف الفقهاء في مسألة الرجوع عن القسمة بسبب ظهور وارث بعد القسمة على رأيين:

١- حيدر، درر الحكماء، ج ٣ ص ١٦٧.



أولاً: يرى الحنفية<sup>(١)</sup> والشافعية<sup>(٢)</sup> أنه في حال ظهور وارث لم يكن قد شارك في القسمة فإن القسمة تبطل.

وذهب الحنفية إلى إمكانية تصحيح القسمة من خلال إعطاء المستحق حقه برضاه؛ لأن له حقاً متعلقاً بعين التركة؛ فلا ينتقل إلى مال آخر إلا برضاها.

وقد استدل على بطلان القسمة، بأن القسمة تمت دون موافقة الشريك، ولأن حق الوارث في عين التركة.

ثانياً: يرى المالكية<sup>(٣)</sup> التفريق بين قسمة القيميات والمثلثات، فقالوا بأن القسمة ترد في القيميات وذلك لتفاوت الأغراض، أما في المثلثات والنقود خاصة، فإنه لا ترد القسمة ويكفي أن يرجع المستحق على كل واحد من المتقاسمين بما أخذه زائداً عن حقه.

ثالثاً: يرى الحنابلة<sup>(٤)</sup> عدم بطلان القسمة حال ظهور وارث بعدها، وإنما يرجع على الورثة الآخرين بقسطه.

### المناقشة والترحيح:

والذي يترجح في هذه المسألة القول ببطلان القسمة حال ظهور وارث بعدها، وذلك لأن القسمة قد تمت في ملك الغير وهي حصة الوارث الذي لم يدخل في القسمة.

- ١- ابن عابدين، حاشية رد المحتار، ج ٦ ص ٢٦٧، الشلبي، حاشية الشلبي، ج ٥ ص ٢٧٥، الفتاوى الهندية، ج ٥ ص ٢٢١.
- ٢- القليوبي، حاشية القليوبي، ج ٢ ص ٣٦٠، الهيتمي، تحفة المحتاج، ج ٥ ص ١٣٤.
- ٣- القرافي، الذخيرة، ج ٨ ص ٢٠١، ٢٠٢، الخطاب، مواهب الجليل، ج ٥ ص ٣٥١، ابن عرفة، المختصر الفقهي، ج ٧ ص ٤٨٤، ميارة، شرح ميارة، ج ٢ ص ٦٧.
- ٤- ابن قدامة، المغني، ج ٤ ص ٣٣١، شمس الدين بن قدامة، الشرح الكبير، ج ٤ ص ٥٠٤، المرداوي، الإنصاف، ج ٥ ص ٣١٦.

أما القول بالرجوع على الورثة الآخرين فيجاب عنه بأن الوارث له حق في عين التركة والرجوع على الورثة قد لا يحصل فيه الوارث على ما يريده من التركة خاصة في الأموال القيمة، وأنه قد يتعذر تحصيل حق الوارث بسبب التصرف في العين المقسومة.

أما إن أمكن إعطاء الوارث لحصته من الورثة الآخرين، دون أن ينتقص منه شيء، فنقول بعدم الحاجة إلى فسخ القسمة وإبطالها.

أما التفرقة بين المال القيمي والمثلي، فله وجاهته، ولكنه قد لا يعطي الوارث ما يريد من التركة في الأموال المثلية فقد تكون له رغبة في نوع معين من الأموال المثلية وهذا النوع قد استأثر به بعض الورثة، فإذا أخذ منهم حصته وأدى ذلك إلى إنقاص حصصهم فإنهم سيعودون على الورثة الآخرين فنحتاج هنا إلى فسخ القسمة.

وقد ورد في شرح مجلة الأحكام العدلية للمادة (١١٦١) ما يدل على عد ظهور الوارث بعد تقسيم التركة من حالات فسخ القسمة، وذلك لأن حق الوارث الظاهر يتعلق في عين التركة، ولا يجوز نقل حقه إلى مال آخر إلا برضائه<sup>(١)</sup>.

### المطلب الرابع: الرجوع بسبب ظهور استحقاق على التركة.

المقصود بالاستحقاق ظهور كون الشيء حقاً واجباً للغير<sup>(٢)</sup> وعُرف بأنه رفع ملك شيء بثبوت ملك قبله<sup>(٣)</sup>.

ولمناقشة موضوع الرجوع عن القسمة بعد ظهور الاستحقاق، فإنه لا بد من معالجة أكثر من صورة من صور الاستحقاق أبينها في الفرعين الآتين:

١- حيدر، درر الحكام، ج ٣ ص ١٦٦، ١٦٧.

٢- ابن عابدين، حاشية رد المحتار، ج ٥ ص ١٩١.

٣- الفراوي، الفواكه الدواني، ج ٢ ص ٢٣٢.

الفرع الأول: ظهور الاستحقاق بعد القسمة، وكان جزءاً مشاعاً في جميع حصص الشركاء.

فقد اختلف الفقهاء في هذه المسألة على عدة آراء:

أولاً: يرى الحنفية<sup>(١)</sup> والشافعية<sup>(٢)</sup> والحنابلة<sup>(٣)</sup> بطلان القسمة حال ظهور استحقاق وكان جزءاً مشاعاً في جميع حصص الشركاء.

وقد استدل على القول بالبطلان بأن معنى الإفراز والتميز لم يتحقق مع بقاء نصيب البعض في الكل، ولو بقيت لتضرر المستحق بتفرق نصيبه في الأنصباء؛ ولأن القسمة تمت من غير حضور الشريك ولا إذنه، فأشبهه ما لو كان شريك يعلمانه فاقسما دونه.

ثانياً: يرى الشافعية في قول عندهم<sup>(٤)</sup> والحنابلة في وجه<sup>(٥)</sup> بطلان القسمة في الجزء المستحق فقط وصحتها في الباقي.

وقد استدلوا على قولهم بالتفرقة بأن كل واحد منهما يأخذ مثل ما يأخذه من الآخر ويصير مع كل واحد قدر حقه، فأشبهه ما لو كان المستحق معيناً في نصيبهما على السواء؛ ولأنه يمكن بقاء حقه في يدهما جميعاً، مع بقائهما فيما عدا ذلك على ما كانا، وقد بُني الرأي السابق على القول بصحة تفريق الصفقة.

- ١- الزيلعي، تبين الحقائق، ج ٥ ص ٢٧٤، الحصكفي، الدر المختار، ج ٦ ص ٢٦٦.
- ٢- الشيرازي، المهذب، ج ٣ ص ٤١١، البغوي، التهذيب، ج ٨ ص ٢١٥.
- ٣- ابن مفلح، المبدع، ج ٨ ص ٢٤٥، البهوتي، كشاف القناع، ج ٦ ص ٣٨٢.
- ٤- الرافعي، الشرح الكبير، ج ١٢ ص ٥٥٢، الرملي، نهاية المحتاج، ج ٨ ص ٢٩١.
- ٥- شمس الدين بن قدامة، الشرح الكبير، ج ١١ ص ٥١٤، المرادوي، الإنصاف، ج ١١ ص ٣٦١.

ثالثاً: يرى المالكية<sup>(١)</sup> صحة القسمة وعدم نقضها، ويتبع المستحق كل وارث بقدر حقه، واستدلوا على قولهم بعدم الحاجة إلى نقض القسمة، مع إمكانية حصول صاحب الاستحقاق بالرجوع على الورثة بحصته؛ حيث إنه استحق من نصيب أحدهما مثل ما استحق من نصيب الآخر.

### المناقشة والترجيح:

والذي يترجح بعد النظر في الآراء السابقة القول بنقض القسمة حال ظهور مستحق في جزء شائع في التركة؛ وذلك لأن صاحب الحق يقدم على الوارث، وأن القسمة قد جرت في غير نصيب الوارث.

أما القول بالرجوع على الوارث وعدم نقض القسمة فيجاب عنه بأن هذا قد يؤثر على حصة المستحق أو حصة الوارث خاصة في الأموال القيمية، بل إنه قد يضر بهم، فلو كان له حصة شائعة بمقدار الربع مثلاً، وكانت المقسوم قطعة أرض مفرقة، فإن اختار الحصول على الأرض، فإن اقتطاع الحصة الشائعة يمكن أن يضر بالمقسوم لهم، ويمكن أن لا يتحقق له نفع بالقطع الصغيرة المقتطعة، وإن كان الاختيار بالحصول على القيمة، فيكون في ذلك حرمان له من الحصول على الأرض والتي يرغب بها في الغالب خاصة إذا كانت في موقع مميز، فيكون فسخ القسمة وحصوله على حقه أولاً قبل الورثة محققاً للعدل والإنصاف.

وقد نصت مجلة الأحكام العدلية في المادة رقم (١١٢٥) على أنه «يشترط أن يكون المقسوم ملك الشركاء حين القسمة، فلذلك لو ظهر مستحق لكل المقسوم بعد القسمة بطلت القسمة وكذلك إذا ظهر مستحق لجزء شائع من المقسوم

١- ميارة، شرح ميارة، ج ٢ ص ٦٥، عيش، منح الجليل، ج ٧ ص ٣٠٤، ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه ورد في مواهب الجليل للحطاب، ج ٥ ص ٣٤٩ عبارة «وإذا وقع الاستحقاق في شائع ينقض القسمة، واتبع المستحق كل وارث» وأظن أن هذا خطأ مطبعي في الكتاب وليس رأياً مخالفاً؛ لأن السياق لا يدل على نقض القسمة - والله أعلم -.

كنصف أو ثلثه بطلت القسمة، ويلزم تكرار تقسيم المقسوم»<sup>(١)</sup>.

الفرع الثاني: ظهور الاستحقاق بعد القسمة في حصة أحد الشركاء.

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على عدة آراء:

أولاً: يرى الحنفية<sup>(٢)</sup> أنه في حال ظهور مستحق بعد القسمة، وكان الاستحقاق جزءاً معيناً أو مشاعاً في حصة أحد الشركاء فإن القسمة تصح، ويكون الخيار للمستحق بين التمسك بباقي حصته بعد الاستحقاق فلا يرجع على شركائه بشيء، وبين رجوعه شريكاً فيما في يد شركائه بنسبة حصته من المستحق، ولا تنقض القسمة.

وكان دليلهم على الرأي السابق أن الإفراز لا يتضرر ولا يبطل باستحقاق جزء شائع في نصيب أحد الشركاء؛ لأنه يؤدي إلى الشيوخ في حصص بقية الشركاء، ولذلك تجوز القسمة ابتداءً ببقاء جزء شائع مستحق في حصة أحد الشركاء، فإذا جازت ابتداءً فلا تبطل إذا ظهر في نصيب أحد الشركاء بعد القسمة.

ثانياً: يرى المالكية<sup>(٣)</sup> أن الاستحقاق إن كان جزءاً معيناً أو مشاعاً في حصة أحد الشركاء، فإنه ينظر فيه، فإن كان مقداره أكثر من النصف فإن القسمة تبطل وترجع الشركة كما كانت، ولا خيار لهما.

أما إن كان المستحق يبلغ النصف أو الثلث، فإنه يكون للمستحق منه الخيار إن شاء تماسك ولم يرجع على شريكه بشيء، وإن شاء رجع عليه شريكاً في نصيبه

١- مجلة الأحكام العدلية، ص ٢١٧.

٢- الحصكفي، الدر المختار، ج ٦ ص ٢٦٦، داماد أفندي، عبد الرحمن بن محمد، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج ٢ ص ٤٩٥، العيني، البناء، ج ١١ ص ٤٥٣، ٤٥٤.

٣- الخطاب، مواهب الجليل، ج ٥ ص ٣٤٩، الخرشي، شرح الخرشي، ج ٦ ص ١٩٨، الزرقاني، شرح الزرقاني على خليل، ج ٦ ص ٣٧٦.

بقدر ما يخصه هو فيما استحق منه.

أما إن بلغ المستحق من النصيب الربع فأقل، فإن القسمة لا تبطل ولا خيار لهما.

ثالثاً: يرى أبو يوسف من الحنفية<sup>(١)</sup> والشافعية في المفتى به<sup>(٢)</sup> والحنابلة<sup>(٣)</sup> إبطال القسمة حال ظهور استحقاق بعد القسمة في حصة أحد الشركاء، وقد ذهب أبو يوسف إلى عدم نقض القسمة حال كون الاستحقاق جزءاً معيناً في حصة أحد الشركاء.

وكان دليلهم على إبطال القسمة أنه بظهور الاستحقاق في جزء شائع في حصة أحد الشركاء يتبين أن هناك شريكاً ثالثاً في المال المقسوم، والقسمة دون رضاه قسمة باطلة؛ لأن الشيوع في حصة أحد الشركاء سيؤدي إلى الشيوع في الحصص الباقية؛ ولأنه لا بد من تعديل الحصص مرة أخرى لتعويض من فقد جزءاً من حصته بسبب الاستحقاق، وهذا لا يختلف عن ظهور الاستحقاق في جزء شائع في المال المقسوم جميعه، فيؤدي إلى نقض القسمة.

ولأن كل متقاسم لم يصل إلى حقه؛ ولأن مقصود القسمة لم يتحقق وهو تمييز الأنصبة بعضها عن بعض لبقاء الشيوع في النصيب الذي ظهر فيه الاستحقاق بمجرد ظهوره في النصيب الآخر برجوع المستحق منه فيه بحصته مما استحق.

رابعاً: يرى الشافعية في قول<sup>(٤)</sup> أن القسمة تبطل في البعض المستحق وتصح في الباقي، مع ثبوت الخيار للمتقاسمين.

١- داماد أفندي، مجمع الأنهر، ج ٢ ص ٤٩٥، العيني، البناية، ج ١١ ص ٤٥٤.

٢- البغوي، التهذيب ج ٨ ص ٢١٥، الهيتمي، تحفة المحتاج، ج ١٠ ص ٢١٠.

٣- ابن قدامة، الكافي، ج ٤ ص ٢٥١، كهشاف القناع، ج ٦ ص ٣٨٢.

٤- الهيتمي، تحفة المحتاج، ج ١٠ ص ٢١٠، الرملي، نهاية المحتاج، ج ٨ ص ٢٩١.

## المناقشة والترحيح:

رد على القول ببطلان القسمة بأنه لا قياس بين الاستحقاق في جزء شائع في حصة من الحصص وبين الاستحقاق في جزء شائع في الحصص جميعاً؛ لأن الاستحقاق إذا كان في جزء شائع في جميع الحصص، فإنه سيؤدي بعد القسمة إلى الإضرار بصاحب الاستحقاق؛ لأن حصته ستكون قسمين أو أكثر حسب عدد الحصص إذا أخذ حقه من كل حصة، ووقوع الضرر لأحد الشركاء نتيجة القسمة يبطلها.

أما إذا كان الاستحقاق في جزء شائع في حصة أحد الشركاء فإنه لا يؤدي إلى تجزئة حصة صاحب الاستحقاق، ولكن تجمع حصته في جزء واحد وليس في ذلك ضرر عليه فلا تنقض القسمة<sup>(١)</sup>.

والذي يترجح في هذه المسألة، ما تم ترحيحه في الفرع السابق من القول ببطلان القسمة حال ظهور استحقاق شائع في جميع التركة أو في حصة أحد الشركاء؛ حيث إن النقص في حصة أحد الشركاء يلزم منه إعادة القسمة لتعويضه عما دفعه لصاحب الاستحقاق.

أما بالنسبة إلى من قال بصحة القسمة على اعتبار عدم وجود ضرر على صاحب الاستحقاق فيجاب عنه أن الضرر واقع على المقسوم له والذي أعطى من حصته المستحقة لصاحبه، لكون الحصة المستحقة جمعت في جزء واحد فهذا فيه مصلحة لصاحب الاستحقاق، ولكن من أعطى الحصة تضرر ورجوعه على الشركاء قد لا يفي بالتعويض الكافي.

أما مجلة الأحكام العدلية فقد نصت في المادة (١١٢٥) على أنه «إذا ظهر مستحق لمقدار معين في حصة أو جزء شائع منها فيكون صاحب تلك الحصة

١- العيني، البناية، ج ١١ ص ٤٥٦.

مخيراً إن شاء فسخ القسمة وإن شاء لا يفسخها ورجع بمقدار نقصان حصته على صاحب الحصّة الأخرى»<sup>(١)</sup>.

### الخاتمة

في ختام هذا البحث فإنه يمكن التوصل إلى عدد من النتائج أبينها في النقاط الآتية:

١- ترجّح لدى الباحث في تكييف القسمة الرضائية على أنها إفراز في الأموال المثلية كالدرهم والدنانير، وبيع في الأموال القيمة كالمواشي والعقارات المتفاوتة؛ حيث إنها تُقيّم قبل القسمة ويأخذ الشريك حصته بدلاً عن حصّة أخرى فتحمل صورة البيع وتأخذ أحكامه.

٢- تعد القسمة الرضائية من العقود اللازمة عند قسمة الأعيان، فالأصل فيها عدم الرجوع بعد تمامها والاتفاق عليها، ويتأكد عدم الرجوع عند قبض العين المقسومة.

٣- هناك عدة حالات يمكن الرجوع فيها عن القسمة الرضائية وذلك بسبب وجود خيار في القسمة؛ حيث يمكن الرجوع حال اتفاق الشركاء المتقاسمين على ذلك، كما يمكن الرجوع عند وجود خطأ مثبت أو مقر به، وكذلك يمكن الرجوع عند وجود غبن في تقييم العين المقسومة، وكذلك عند ظهور عيب فيها، وفي حال اشتراط خيارَي الرؤية والشرط أو أحدهما وأراد أحد المتقاسمين الرجوع في القسمة بموجب الخيار.

٤- يثبت في الحالات السابقة الحق لأحد المتقاسمين الرجوع، ولا يترتب على ذلك بطلان القسمة إلا إذا تمت المطالبة بذلك، وتكون القسمة صحيحة قبل

١- مجلة الأحكام العدلية، ص ٢١٧.



المطالبة بالنقض، ويستثنى من ذلك حالة الغبن الفاحش عند كون القسمة في صورتها التعديل والإفراز؛ حيث إن التعديل والإفراز يبينان على المعادلة وهي غير متحققة مع الغبن الفاحش.

٥- يثبت الرجوع عن القسمة عند ظهور حقوق متعلقة بالتركة، وذلك كما في حالة ظهور دين أو وصية أو وارث أو استحقاق في التركة ويكون هذا الرجوع بسبب بطلان القسمة على الأرجح، ويستثنى من ذلك الحالات التي يمكن أن يسد فيها الدين أو تنفذ الوصية بما لا يؤثر على حقوق المتقاسمين أو صاحب الدين أو الوصية.

- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين -

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، المهمات في شرح الروضة والرافعي، اعتنى به: أحمد الدمايطي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، ط(١)، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الأنصاري، زكريا بن محمد، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- البغوي، الحسين بن مسعود، التهذيب في فقه الإمام الشافعي، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- البهوتي، منصور بن يونس، كشف القناع عن متن الإقناع، دار الكتاب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- التسولي، علي بن عبد السلام، البهجة في شرح التحفة، ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- الحصكفي، محمد علاء الدين، الدر المختار في شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت، ط(٢)، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- الخطاب، محمد بن محمد، مواهب الجليل، دار الفكر، بيروت، ط(٣)، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- حيدر، علي، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، تعريب: فهمي الحسيني، دار الجليل، بيروت، ط(١)، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- الخرخشي، محمد بن عبد الله، شرح الخرخشي على مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- داماد أفندي، عبد الرحمن بن محمد، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- الدردير، أحمد بن محمد، الشرح الصغير على أقرب المسالك، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.

- الدردير، أحمد بن محمد، الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- دسوقي، محمد بن أحمد، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- الرافي، عبد الكريم محمد، فتح العزيز شرح الوجيز (الشرح الكبير)، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- الرحيباني، مصطفى بن سعد، مطالب أولي النهى، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(٢)، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ابن الرفعة، أحمد بن محمد، كفاية النبيه في شرح التنبيه، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م.
- الرملي، شمس الدين محمد، نهاية المحتاج، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الزرقاني، عبد الباقي بن يوسف، شرح الزرقاني على مختصر خليل، صححه: عبد السلام أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- الزيلعي، عثمان بن علي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ط(١)، ١٣١٣هـ-١٨٩٤م.
- السرخسي، محمد بن أحمد، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٤١٤هـ-١٩٩٣.
- الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب، مغني المحتاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- الشرواني، عبد الحميد، حاشية الشرواني على تحفة المحتاج، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ط، ١٣٥٧هـ-١٩٣٧م.
- الشلبي، أحمد بن محمد، حاشية الشلبي على تبين الحقائق، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ط(١)، ١٣١٣هـ-١٨٩٤م.

- الشيرازي، إبراهيم بن علي، المهذب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- الطوري، محمد بن حسين، تكملة البحر الرائق، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط(٢)، د.ت.
- ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار، دار الفكر، بيروت، ط(٢)، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ابن عرفة، محمد بن محمد، المختصر الفقهي، تحقيق: حافظ خير، مؤسسة خلف الحبثور، دبي، ط(٢)، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- عليش، محمد بن أحمد، منح الجليل، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- العمراني، يحيى بن أبي الخير، البيان في مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: قاسم النوري، دار المنهاج، جدة، ط(١)، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- العيني، محمود بن أحمد، البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- الفتاوى الهندية، دار الفكر، بيروت، ط(٢)، ١٣١٠هـ-١٨٩٧م.
- ابن قدامة، شمس الدين عبد الرحمن بن محمد، الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد، المغني، مكتبة القاهرة، القاهرة، د.ط، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- القرافي، أحمد بن إدريس، الذخيرة، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط(١)، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- القليوبي، أحمد بن سلامة، حاشية القليوبي على شرح المحلي للمنهاج، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٢)، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- الماوردي، علي بن محمد، الحاوي الكبير، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- مجلة الأحكام العدلية، تحقيق: نجيب هوايني، كارخانة تجارة كتب، كراتشي، د.ط، د.ت.
- المرادوي، علاء الدين علي بن سليمان، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(٢)، د.ت.
- ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد، المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ابن مفلح، شمس الدين محمد، الفروع، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١)، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط(٣)، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، ط(١)، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- ميارة، محمد بن أحمد، شرح ميارة لتحفة الحكام، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- النفراوي، أحمد بن غانم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(٣)، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ط، ١٣٥٧هـ-١٩٣٧م.

## References:

- Al-Quran Al-Karīm (Holy Quran).
- Al-Ansārī, Zakariyya Ibn Muhammad (N.D), Asnā Al-Matālib, (in Arabic), (Cairo: Dār Al-Kitāb Al-Islamī).
- Al-Aynī, Mahamoūd Ibn Ahmad (2000), Al-Binayah Sharh Al-Hidayah, (in Arabic), (Beirūt: Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Al-Baghawī, Al-Husein Ibn mas'oūd (1997), Al-tahtheeb, (in Arabic), Ed.A'del Abd Al-Mawjoud and Ali Mu'wad, (Beirūt: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Al-Bahūtī, Mansoūr Ibn Yunus (N.D), Kashāf Al-Qinā`a, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Al-Dardīr, Abu Al-Barakāt Ahmad (N.D), Al-Sharh Al-Kabeer, Ed.Muhammad Aleesh, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Fikr).
- Al-Dardīr, Abu Al-Barakāt Ahmad (N.D), Al-Sharh Al-Saghīr Ala Aqrab Al-Masālik, (in Arabic), (Cairo: Dār Al-Ma`aref).
- Al-Dussoūqī, Muhammad Ibn Arafah (N.D), Hāshiyat Al-Dussoūqī Ala Al-Sharh Al-Kabīr, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Fikr).
- Aleesh, Muhammad Ibn Ahmad (1989), Manh Al-Jalīl, (in Arabic), (Beirūt: Dar Al-Fikr).
- Al-Isnawī, jamal Al-Ideen Abd Al-Raheem(2009), Al-Muhemmat Fe SharhAl-Rawdah Wa Al- Rāfe`ī, Ed. Ahmad Al-Dimyati, (in Arabic), (Kazablankā:Markaz Al- Turath Althaqafi Al-Maghibī, Beirūt: Dar Ibn Hazm).
- Al-Rāfe` ī, Abd Al-Kareem Muhammad (1997), Fath Al-A`zeez Sharh Al-Wajeez(Al- Sharh Al-Kabeer), (in Arabic), Ed. Ali Mo`wwad and Adel Abd Al-Mawjoud, (Beirūt: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Al-Tasoolī, Ali Ibn Abd Al-Salām (1998), Al-Bahjah Fe Sharh Al-Tuhfah, (in Arabic), Ed.Muhammad Abd Al-Qader Shaheen, (Beirūt: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Al-Fatāwā Al-Hindiyyah. (1897), (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Fikr).
- Al-Hattāb, Muhammad Ibn Abd Al-Rahmān (1978), Mawaheb Al-Jalīl Sharh Mukhtassar Khalīl. (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Fikr).
- - Al-Haskafī, Muhammad Ala' aldeen.(1992), Al-Dur Al-Mukhtār. (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Fikr).

- Al-Imrānī, Yahya Ibn Abe Al-Khair (2000), Al-Bayān Fe Mathhab Al- Imam Al-Shafi'ī, Ed.Qasem Al-Nourī, (in Arabic) (Jeddah:Dār Al-M enhāj)
- Al-Kāssānī, Abou bakr Ibn Mas'oud (1986), Badā'i Al-Sana'e, (in Arabic), ((Beirūt: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Al-Kharshī, Muhammad Ibn Abdullah (N.D), Sharh Al-Kharshī Ala Mukhtassar Khalīl. (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Fikr).
- Al-Mardāwī, Alī Ibn Suleimān(N.D), Al-Insāf Fe Ma`ar'ifat Al-Rājah Min Al-Khilāf, (in Arabic), (Beirūt: Dār lhyā`a Al-Turāth Al-Arabī).
- Al-Māwardī, Ali Ibn Muhammad (1999), Al-Hāwī Al-Kabeer, (in Arabic), Ed. Ali Mo `wwad and Adel Abd Al-Mawjoud, (Beirūt: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Al-Mawsou'ah Al-Fiqheyyah Al-Kuwaiteyah(2007), (in Arabic), (Al-Kuwait: wazarat Al-Awqaf Al-Kuwaiteyah).
- Al-Nafrāwī, Ahmad Ibn Ghuneim (1995), Al-Fawākeh Al-Dawānī, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Fikr).
- Al-Nawāwī, Yahyā Ibn Sharaf (1991), Rawdat Al-Tālibeen, Ed.Zuheer Al-Shaweesh, (in Arabic), (Beirūt: Al-Maktab Al-Islamī).
- Al-Qarafī, Ahmad Ibn Idrees(1994), Al-DhaKherah, Ed. A Group of editors, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Gharb Al-Islāmī).
- Al-Ramlī, Muhammad Ibn Abī Al-Abbās (1984), Nihayat Al-Muhtāj, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Fikr).
- Al-Ruhaibānī, Mustafā Al-Suyutī (1994), Matāleb Uli Al-Nuhā, (in Arabic), (Damascus: Al-Maktab Al-Islamī).
- Al-Sarakhsī, Muhammad Ibn Ahmad(1993), Al-Mabsūt, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al –Ma`rifah).
- Al-Sharbenī, Muhammad Ibn Ahmad Al-Khateeb (1994), Mughne Al-Muhtāj, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Al- Sharwanī, Abd Al-Hameed, (N.D), Hasheyat Al- Sharwanī 'la Tuhfat Al-Muhtāj, (in Arabic), (Beirūt: Dār lhyā`a Al-Turāth Al-Arabī).
- Al-Sherazī, Ibrāheem Ibn Alī, (N.D), Al-Muhadhab, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Al-Shilb, Ahmad Ibn Muhammad (1894), Hāshiyat Al-Shilb Ala Tabyyeen Al-Haqai'q, (in Arabic), (Cairo: Al-Matba`h Al-Ameriyyah Al-Kubrā).

- Al-Tuorī,, Muhammad Ibn Husein, (N.D), Takmelat Al-Bahr Al-Rā`eq, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Kitāb Al-Islamī).
- Al-Zarqānī, Abd Al-Bāqī Ibn Yosuf (2002), Sharh AlZarqānī Ala Mukhtasar Khalīl. (in Arabic) Ed.Abd Al-Salam Ameen, (Beirūt: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Al-Zaylaḡī, Othmān Ibn Ali(1884), Tabyyeen Al-Haqai`q, (in Arabic), (Cairo: Al-Matba'a Al-Amereyyah).
- Dāmād Afandī, Abd Al-Rahmān Ibn Muhammad(N.D), Majma' Al-Anhur Fe Sharh Multaqa Al- Abhur, (in Arabic), (Beirūt: Dār Ihyā`a Al-Turāth Al-Arabī).
- Haidar, Ali (1991), Durar Alhukām Fe Sharh Majalah Al-Alahkām, (in Arabic) Ed.Fahmī AL-Husainī, (Beirūt: Dār Al-Jeel).
- Ibn Ābdeen, Muhammad Ameen (1992), Hāshiyat Ibn Ābdeen, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Fikr).
- Ibn Arafa, Muhammad Ibn Muhammad(2014), Al-Mukhtasar Al-Fiqhe, Ed. Hafeth Khair, (in Arabic), (Dubai:Mu'sasat Khalaf Al-Khabtour).
- Ibn Al-Ref'a, Ahmad Ibn Muhammad Al-Ansarī (2009), Kefayat Al-Nabeeh Fe sharh Al-Tanbeeh, E.d. Majdī Basalloom, (in Arabic) (Beirūt: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Ibn Hajar Al-Haytamī, Ahmad Ibn Muhammad (1937), Tuhfat Al-Muhtāj, (in Arabic), (Cairo: Al- Maktabah Al-Tijariyyah).
- Ibn Mandhūr, Muhammad Ibn Mukarram (1994), Lisān Al-Arab, (in Arabic), (Beirūt: Dār Sāder).
- Ibn Mufleh, Ibrahīm Ibn Muhammad (1997), Al-Mubde`Fe Sharh Al-Muqne', (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
- Ibn Mufleh, Shams Al-Ddeen Muhammad, (2003), Al-Furou`, Ed.Abd Allāh Al-Turkī, (in Arabic), (Beirūt: Mua'sasat Al-Resalah).
- Ibn Qudāmah, Abdullah Ibn Ahmad (1968), Al-Mughnī, (in Arabic), (Cairo: Maktabat Al-Qaherah).
- Ibn Qudāmah, Shams Al-Ddeen abd Al-Rahmān Ibn Muhammad (N.D), Al-Sharh Al-Kabeer, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-keṡāb Al-Arabī).
- Ibn Rushd, Muhammad Ibn Ahmad (2004), Bidāyat Al-Mujtahid Wa Nihayat Al-Muqtasid, (in Arabic), (Cairo: Dār Al-Hadeeth).
- Magallah Al-Ahkām Al-A`dleyyah (N.D), (in Arabic), Ed.Najeeb Hawaweenī.



(Karatchī:Karkhānah Tejārah Kutub).

- Mayyarah, Muhammad Ibn Ahmad (N.D), Sharh Mayyarah Le-Tuhfah Al-hukkām, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Ma`refah).
- Qalyoubī, Ahmad Ibn Salāmah (1995), Hāshiyat Qalyoubī Ala Sharh Al-Mahallī Ala Al-Menhāj, (in Arabic), (Beirūt: Dār Al-Fikr).

السرديات والتحويلات الثقافية  
«نحو نظرية سَرْد ثقافيَّة»

**Narratives and Cultural Shifts**

د. أحمد علواني

أستاذ مساعد النقد والبلاغة بكلية الآداب - جامعة بنها - مصر

**Assoc. Prof. Ahmed Elwany**

Banha Faculty of Arts, Egypt.  
Specialty: Criticism and Rhetoric

<https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.06>





## Abstract

The research paper aims at shedding light on the issue of applying narratology to the narrative texts and how this has led to freezing or even killing them because its main function as the corner stone of the critical process has suspended as the texts have turned into mere examples and witnesses to the quality of the rule and its validity of its application. The studies, therefore, will result in limited and similar conclusions.

The method and plan of the research arises from appreciating the narration texts, because the narrative texts are completely affected by the cultural contexts. These cultural contexts come in accordance with diverse social influences and different cultural transformations, that's why the narratology methodology should be thoroughly scrutinized. The narrative theory should cope up with what goes around in the society, such as Transformations and developments. The cultural studies of the narrative texts will contribute to figure out the text's hidden meanings conducted by an objective critical vision. This vision focuses on the sematic aspects and the aesthetics revelation. The most important thing is that the critics' efforts should be unified to formulate a cultural narratology theory.

**Keywords:** Narratology, Novel Criticism, Cultural Studies, Literary Theory, The traditional novel, The new novel.

## ملخص البحث

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على إشكالية تطبيق مناهج السرديات narratology في دراسة النصوص السردية، وما أدت إليه من تجميد النصوص، بل أدت إذا جاز القول إلى قتلها عندما غيّبت دوره الوظيفي كمحور العملية النقدية؛ إذ تحولت النصوص إلى مجرد أمثلة / شواهد دالة على جودة القاعدة وصلاحية تطبيقها، ولعل هذا يُفضي بالدراسات إلى نتائج محدودة ومتشابهة.

ومنهجية البحث وخطته تنطلق من تقدير النصوص السردية؛ لكونها نصوص إنسانية حيوية تتأثر بالأنساق الثقافية، فهي نابعة وفق مؤثرات اجتماعية متنوعة، وتحوّلات ثقافية مُتغيّرة، وكل هذا من شأنه أن يدفع نحو إعادة النظر في مناهج السرد. ومن ثمّ فلا بد أن تتواكب النظرية النقدية مع ما يشهده المجتمع من تحول وتطور، وستُسهم الدراسات الثقافية للنصوص السردية في استخراج المعاني المضمرة، خاصة إذا تم ذلك عبر رؤية نقدية موضوعية، تركز على رصد الدلالات، وكشف الجماليّات. ولعله من المهم أن تتضافر الجهود النقدية نحو صياغة نظرية سرّد ثقافية.

**الكلمات المفتاحية:** السرديات، النقد الروائي، الدراسات الثقافية، النظرية الأدبية، الرواية التقليدية، الرواية الجديدة.



## السرديات والتحويلات الثقافية

## «نحو نظرية سرْد ثقافية»

الإشكالية/الأهمية:

تكونت السرديات «Narratology» بعد تراكم جهود كبار المنظرين الغربيين، من أمثال: «ليني شتراوس Levi Strauss» و«فلاديمير بروب Vladimir Propp» و«كلود بريمون Claude Bremond» و«جريماس Greimas» و«رولان بارت Roland Barthes» و«تزفيتان تودوروف Tzvetan Todorov» و«جوليا كريستيفا Julia Kristeva» و«شلوميت Shlomit» و«جيرار جينت Gerard Genette»... وهذا أنتج لنا مناهج السرديات التقليدية، التي تركز على تحليل الخطاب / السرد وتحديد الآليات والتقنيات بوضع قوانين تحكم شكل أي نص سردي وبنائه، من: حبكة وبنية وأنواع الرواة والشخصيات والزمان والمكان. ونلاحظ أن الكثير من الممارسات النقدية التي حللت النصوص السردية لم تُؤت ثمارها المرجوة، ولعل السبب الجوهرى الذي يُعزى إليه ذلك يتمثل في تركيزها على الأبعاد الشكلية والتقنية مع التطبيق الحرفى لقوالب مُعدّة سلفاً، وذلك دون النظر إلى طبيعة النصوص العربية وخصوصيتها وتميّزها مع مراعاة اختلاف السياقات الثقافية العربية/منتجة النصوص عن السياقات الغربية/صاحبة النظريات<sup>(١)</sup>.

وثمة دراسات نقدية منشورة وأطروحات علمية غير منشورة لا يتسع المجال لحصرها؛ نظراً لكثرتها والحاجة إلى عمل بيلوجرافى يُحصيها عدداً، ومن

١ - أحمد علواني: الجسد بين المتخيل السردى والنسق الثقافى، دار النابعة للنشر والتوزيع، القاهرة، طنطا، ١١، ٢٠١٩، ص ١٦. وأيضاً يُنظر: ص ١١ / ١٢.

ثم سنضع بعضاً منها في الهامش<sup>(١)</sup>، وقد ركزت في معالجتها للنصوص السردية على الآليات والتقنيات الشكلية، فجاءت عناوينها من مثل: «التقنيات السردية، والبنية السردية، وتحليل الخطاب الروائي، وبنية النص السردية، البنيات الحكائية، بنية الشكل الروائي، وبناء الرواية، وبناء القصة...».

ولا نقلل من قيمة هذه الكتب والدراسات، والغرض من ذكرها الاستشهاد بها، والحد من مواصلة سعي الباحثين نحو وضع دراساتهم في ثيمات قارة وثابتة، حيث يصبح من الضروري العمل على تطوير علم السرد «Narratology» والخروج من المنعطف التقليدي الضيق إلى أفق تنظيري ومنهجي أوسع وأرحب، وذلك بتبني منهجية منفتحة دون أن ينغلق النص على ذاته.

وإذا كانت النصوص السردية تُعنى بتمثيل عالم ذي مرجعيّات مختلفة؛ فإنه من الخطأ أن نجعل العلاقة بين مناهج السرديات والنص الأدبي علاقة تقنية آلية؛ لأنه بمقتضى هذه العلاقة سيتحول النص إلى مثال دال أو شاهد مطوّاع يُدلل على

- 
- ١- يمكن ذكر بعضها على النحو الآتي:
- كمال أبو ديب: ألف ليلة وليلتان «نحو منهج بنيوي في تحليل الرواية»، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد ١١٥، ١٩٨٠.
  - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠.
  - يميني العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
  - حميد لحمداني: بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط٣، ١٩٩٠.
  - محمد سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي «نماذج تحليلية من النقد العربي: المنهج البنيوي، البنية، الشخصية»، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١.
  - عبد الله إبراهيم: السردية العربية «بحث في البنية السردية للموروث»، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٢.
  - سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي «الزمن، السرد، التبئير»، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٣.
  - أمينة يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٩٧.
  - سعيد يقطين: قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧.
  - عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية «بحث في تقنيات السرد»، عالم المعرفة، الكويت، ط١، ١٩٩٨.
  - سيزا قاسم: بناء الرواية «دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، سلسلة إبداع المرأة، ٢٠٠٤.
  - خولة شخاترة: بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ، دار أزمنا، عمان، ٢٠٠٥.

صحة النظرية / القاعدة وصلاحيّة تطبيقها.

ولا ننكر أن ثمة كتابات نقدية عربية حاولت في جهودها التحليلية مواءمة النص لا النظرية، وذلك بتكييف النظرية بحسب ما يقتضيه النص ورغم محاولة النقاد العرب التوفيق بين المفاهيم التي وضعها المنظرون الغربيون ك «بارت وجينت» إلا أنهم وقعوا في الخلط بين تلك المفاهيم والأطر ويتجلى ذلك بوضوح لدى «سعيد يقطين ويمنى العيد»<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من وجود بعض المحاولات النقدية الجادة إلا أن الخلط في المفاهيم والمصطلحات ألقى بظلاله السلبية على التطبيقات النصية، ولا شك أننا سنلاحظ ذلك بمجرد مطالعة أغلب الدراسات السردية؛ إذ انشغلت برصد التقنيات وتصنيفها، ورسمها، وتخطيطها هندسيًا ضمن مسكوكات اصطلاحية وتفريعات اشتقاقية ورموز رياضية، ولعل هذا أدى بهم إلى تعقيد النص السردية، بل إن القارئ يجد نفسه وكأنه يطالع كتابًا في الجبر والأشكال الهندسية لا النقد الأدبي.

فلم ينشغل أغلب الباحثين بالأطر الثقافية وعلاقتها بالنصوص السردية، ولكنهم انشغلوا بوضع قوانين لهدم البنية السردية وإعادة بنائها أو تفكيك عناصرها وإعادة تركيبها، فسيطرت عليهم التقسيمات البنيوية لأنواع الرواة، والحبيكات، والشخصيات، والزمان، والمكان في محاولة الوصول إلى بنية نهائية صارمة تحصر جميع عناصر النص السردية للسيطرة عليه والإمساك به. وقد لجأ النقاد في ذلك إلى إعداد إحصاءات حسابية، وتصميم رسومات هندسية غاية في التشابك والتعقيد، ولم يضعوا في حُسابهم أن النص الذي بين أيديهم هو نص سردي عربي، له هويته ومرجعته وأنساقه الثقافية التي يتأثر بها ويمتاز بها.

١- يُنظر: يمّنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٩٠. ويُنظر: سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي «الزمن، السرد، التبئير»، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٣.



## ما بعد علم السرد الكلاسيكي Post Classical Narratolog:

لقد أدى تطبيق مناهج السرد التقليدية إلى الجمود النقدي في التعامل مع النصوص السردية، وذلك على الرغم من كثرة الروائيين والروائيات واختلاف مرجعياتهم وسيّقاتهم الإبداعية، فلا نعثر في أغلب الدراسات السردية على تميّز تحليلي بين نص إبداعي وآخر؛ إذ سعى الباحثون إلى تطبيق تقنيات قارة، على جُلّ النصوص السردية، فتجمدت النصوص وصارت عبارة عن شواهد مطوّاعة للاستدلال. وذلك دون مراعاة أن النص السردى لا ينفصل عن الواقع، فمثلاً غلب التفريع، واشتقاق المُسميات، ووضع المصطلحات فصنّفوا الرواة إلى: «الراوي الغائب، الراوي الخارجي، الراوي الداخلي والذي يتفرع إلى الراوي المطابق لمرويه والراوي المشارك...». كما أنهم لم يتفوقوا على «وجهة النظر» داخل النص السردى فدرسه «جيرار جينت Gerard Genette» تحت مصطلح (التبئير) للتفريق بين من يرى؟ ومن يتكلم؟. وأصبح ما يسميه «جينت» بالتبئير من الدرجة الصفر يساوي ما أسماه «جان بويون Jean Bouillon» بالسارد الكلى المعرفة (السارد العليم بكل شيء)، وهو نفسه ما أسماه «تودوروف Todorov» بالرؤية من الخلف السارد < الشخصية. وما يسميه «جينت Genette» بالتبئير الداخلي يسميه «بويون Bouillon» (بالرؤية مع) ويسميه «تودوروف Todorov» (السارد = الشخصية). وما يسميه «جينت Genette» بالتبئير الخارجي هو عند «بويون Bouillon» الرؤية من الخارج ويسميه «تودوروف Todorov» (السارد > من الشخصية)<sup>(١)</sup>.

ولم تقتصر التفريعات والتقسيمات على الراوي فقد شملت أنواع الشخصيات فهي: «شخصية رئيسية، شخصية ثانوية، شخصية نامية، شخصية

١- نبيل الشاهد: العجائبي في السرد العربي القديم «مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة نموذجاً»، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠١٢، ص٣٣.

مسطحة، شخصية معقدة...». دون التركيز على أن هذه الشخصيات تجسد ثقافات عديدة، وتعكس معتقدات مختلفة، وتمثل أنساقاً ثقافية متنوعة الدلالات.

### الخطة المنهجية/الطرح النقدي:

لن نشغل في دراستنا هذه بالاعتماد على المنهج التاريخي في رصد النظرية السردية وتطورها، ولن يشغلنا أيضاً معالجة التخبط في المصطلحات السردية لدى الدراسات التطبيقية، فقد درسها وعالجها كثيرون<sup>(١)</sup>، فما يهمنا هو طرح تصور نظري غير تقليدي؛ لتحريك المياه الراكدة في حقل السرديات.

إذاً فمن الضروري أن يتم طرح مقاربات نظرية نقدية جديدة، بل ومن المهم أيضاً أن يتبلور الطرح والتفكير في صياغة نظرية سردية تنبثق من موروثاتنا العربية، ومن الممكن أن يُطرح ذلك كله تحت مظلة الدعوات التنظيرية الجديدة، والتي تم الاصطلاح على تسميتها بـ: («ما بعد علم السرد الكلاسيكي» / «post Classical Narratology»).

لقد انتشرت نظريات أدبية جديدة وظهرت اقتراحات مستقبلية للمُنظرين من أجل إحياء علم السرد<sup>(٢)</sup>، وتتمثل هذه الاقتراحات والدعوات في تفضيل التأويل الشمولي للنصوص السردية دون الاقتصار على التقنيات الشكلية أو قولبة النصوص. وفي هذا السياق صدر كتاب مهم لـ («توم كيندت وهانز هارلد مولير» «Tom Kindt and Hans-Harald Muller»)، وعنوانه: («ما السرديات؟! تساؤلات وإجابات حول مكانة النظرية»).

Tom Kindt and Hans-Harald Muller (ed): What Is Narratology? Questions and Answers Regarding the Status of a Theory.

١- يُنظر: السيد إبراهيم: نظرية الرواية «دراسة لمناهج النقد الروائي في معالجة فن القصة»، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨.

٢- يُنظر: أحمد علواني: الجسد بين المتخيل السردى والنسق الثقافي، ص ص ١١ ١٢.

ويناقش الكتاب إسهامات المنظرين وجهود المؤسسين للسرديات الكلاسيكية التقليدية، ويتحدث عن مستقبل «علم السرد» «Narratology» كنظرية معقدة لم تعد صالحة للتطبيق، وي طرح مجموعة من المقترحات لتطوير علم السرد، ويسعى لتأسيس قاعدة بحثية جديدة أو طرح منظورات نظرية جديدة، فنقرأ في الكتاب التصريح الآتي:

«إن التغيرات واسعة النطاق في النظرية الأدبية والثقافية تبعث على تعزيز الاهتمام بالسرد والثقافة والتأريخ السردية، فهذه التغيرات النظرية المعقدة في المناخ النظري، عُرفت بـ «التحول الثقافي»، وهذا زاد من أهمية التحول التاريخي والأنثروبولوجي والأخلاقي والسردية مما يستدعي الاهتمام بـ «البناء القصصي للواقع»؛ في حين كان المنهج المجرد والتحليل الشكلي والبنوي للقصص، هو النقطة المركزية لعلم السرد «Narratology»، والآن لم يعد البؤرة الرئيسة، حيث بدأ المنظرون للسرد بتوجيه انتباههم إلى «التحليل الثقافي» فصرحت (ميكا بال Mieke Bal) بأن الدراسات الثقافية هي الأكثر حيوية»<sup>(١)</sup>.

ومما لا شك فيه أن النصوص السردية تتأثر بالأنساق الثقافية، فالرواية «هي بنت الاستجابة العفوية لمتغيرات الواقع ومتطلبات الموضوع، ومحاولة تقديمه في بكارته و كليته وزخمه وحضوره المباشر»<sup>(٢)</sup>. فتأتي صياغة النص الروائي متقاربة في منطقتها الثقافية؛ لأنها نابعة وفقاً لمؤثرات اجتماعية مشتركة، وممارسات ثقافية سائدة، وأحداث تاريخية مُتغيرة، وبحسب «ميشيل بوتور»: «إن العالم الذي نعيشه يتغير بسرعة كبيرة، وتقنيات السرد الروائي التقليدية لم تعد قادرة على

1- Tom Kindt and Hans-Harald Muller (ed): What Is Narratology? Questions and Answers Regarding the Status of a Theory, Walter de Gruyter, Berlin, New York, Copyright 2003, p 240.

٢- صبري حافظ: البنية النصبة لسيرة التحرر من القهر، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، الأدب والحرية، ج٢، صيف ١٩٩٢، ص ١٠٤.

استيعاب كل العلاقات الجديدة الناشئة عن هذا التغير»<sup>(١)</sup>. وكل هذا من شأنه أن يدفع نحو إعادة النظر في علم السرد والعمل على تطويره؛ ليتواكب مع التحويلات السردية الجديدة.

إذا أدت التحويلات الثقافية إلى تحولات في النظريات النقدية، وصارت دعوات تطالب بتفسير النصوص الأدبية من منطلق تفسير نقدي شمولي يتواكب مع المتغيرات الحياتية الواقعية وما تشهده المجتمعات من تحولات وتطورات، وهذا كله يتمشى مع حركة ما بعد الحداثة، وما تدعو إليه من ضرورة «تقليص دور النظرية واستبدالها بحركة الحياة اليومية، والتركيز على ديناميات التفاعل في المجتمعات المحلية، تلافياً لعملية التعميمات الجارفة التي تلجأ إليها النظريات، مما يؤدي عملياً إلى تغييب الفروق النوعية، وإلغاء كل صور التعددية الثقافية والاجتماعية والسياسية»<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن النص الروائي نص إشكالي غير قابل لوضعه في قوالب قارة، أو إخضاعه لقواعد معقدة أشبه ما تكون بالقواعد الرياضية أو حل المسائل الحسابية؛ إنه نص يكتنز بالأفكار والمعتقدات والقيم والرموز واللهجات والشفرات؛ إنه حياة الناس التي يجب أن تتناسق مع طابع العصر وتحولاته، وفي هذا السياق يؤكد «مايك فيزرستون»: «إنَّ الصفات أو الملامح النظرية الرئيسة المرتبطة بما بعد الحداثة في الفنون نجد محو الحدود بين الفن والحياة اليومية وانهيار التميز التراتبي بين الثقافة الرفيعة والثقافة الجماهيرية»<sup>(٣)</sup>.

١- ميشيل بوتور: الرواية كبحث، ضمن كتاب الرواية اليوم، إعداد وتقديم: مالكوم براد بري، ترجمة: أحمد عمر شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني، العدد (١٩٨)، ١٩٩٦، ص ٤٥.

٢- فريدريك جيمسون: التحول الثقافي (كتابات مختارة في ما بعد الحداثة ١٩٨٣-١٩٩٨)، ترجمة: محمد الجندي، مراجعة: فاطمة موسى، تصدير: السيد يسين، أكاديمية الفنون، وحدة الإصدارات، دراسات نقدية (٢)، ٢٠٠٠، ص ١٥.

٣- مايك فيزرستون: ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، ترجمة: أ.د/ فريال حسن خليفة، مراجعة: أ.د/ فتحي عبدالله دراج، مكتب الأسرة، سلسلة العلوم الاجتماعية، ٢٠١٠، ص ٤٨.

لقد تنوعت ألوان التحضر والتمدن في المجتمع، وتجلت تغييرات اجتماعية وتحولات ثقافية، وامتزاجات ذوقية في المأكل، والمشرب، والملبس. فالثقافة الرسمية التي كانت تُعلي من شأن المثالية والذوق الرفيع اختلطت وامتزجت بالثقافة الشعبية، ولا شك أن الإعلام يلعب دورًا مهمًا في التحفيز على هذا الاختلاط، وما نشأ عنه من انقلاب الذوق العام وما يرتبط به من مظاهر الحياة العصرية من موضحة ومظهر وفن وأثاث ومعمار ومفروشات... فقد أصبح النص الروائي مُشبعًا بكل هذا، فمن التمثلات الثقافية التي تتجلى في النصوص الروائية نلاحظ توظيف الروائيين / الروائيات للأفلام السينمائية والصور الفوتوغرافية واللوحات والرسومات الفنية والموسيقا والغناء واستدعاء نجوم الفن والسينما عند رسم الشخصيات.

إذاً لقد صاحب التحولات في النظرية الأدبية والثقافية تغييرات في الكتابة والذوق والموضحة والفن والأزياء وصار قارئ اليوم مُقبلاً على نص يتواكب مع ثقافة العصر وتحولاته، وهذا بدوره يجعل الناقد مطالباً بتغيير منظوراته النقدية ونظرياته التقليدية، وتطوير أدواته الإجرائية لمواكبة نص مُغاير. وفي هذا الإطار يرى «معجب الزهراني» أن «النقد الروائي التقليدي قد لا يتنبه أصلاً إلى أننا أمام ظاهرة سردية ثقافية جديدة لا يمكن الحوار معها معرفياً إلا من منظور مختلف يصل المنتوجات بشرروطها الاجتماعية وسياقاتها الثقافية»<sup>(١)</sup>. فمن المستحيل وجود نص سردي مستقل بذاته ومنعزل عن واقعه الخارجي والأنظمة الثقافية الحاكمة بوصفها مرجعيات فرضت وجودها على الكاتب ليمثلها ويوظفها بوصفها مظهرًا من مظاهر النشاط الثقافي الذي أخذ في التغيير والتحول، وبحسب «أماني أبو رحمة» «كان هذا التغيير والتحول في الموقف من جماليات السرد المابعد حدثي

١- معجب الزهراني: الرواية النسائية والخطاب الثقافي الجديد، بحث ضمن كتاب العربي، وزارة الإعلام، الكويت، سلسلة فصلية، العدد (٧٧)، ١٥ يوليو ٢٠٠٩، ص ١٧١. (بتصرف).

وأبعادها الفكرية والثقافية، مؤشراً مهماً على تغيّرات وتحوّلات ذات دلالات أكثر عمقاً، وأبعد تأثيراً في النموذج الفكري للنشاط الثقافي من ما بعد الحداثة الى مرحلة جديدة أطلق عليها النقاد الثقافيون عليها مصطلح فضفاض هو «بعد ما بعد الحداثة»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان من المهم أن نبحث عن مناهج نقدية جديدة ذات قوة استيعابية كبيرة؛ فإن التأويل الثقافي للنصوص السردية من الممكن أن يُعيد إليها حيويتها، ويبعث الحراك النقدي فيها؛ لأن النقد الثقافي كما عرفه الغدامي هو «فرعٌ من فروع النقد النصوي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول «الألسنية» معنيٌ بنقد الأنساق المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلّياته وأنماطه وصيغته»<sup>(٢)</sup> خاصة أن النصوص الروائية تتميز بالمرونة، وتجمع في داخلها الأنساق الثقافية، كما تعكس الأوضاع الاجتماعية، وتطرح قضايا الإنسان وتعالج آلامه، وهمومه اليومية، وبذلك تريد النظرية الثقافية أن تتعامل مع النصوص الأدبية بنوع من الشمولية.

### مسارات أوليّة لنقد سرد ثقافي:

إنّ الدراسات الثقافية تتواكب مع حركة ما بعد الحداثة، كما أن النصوص السردية تشكل واقعاً ثقافياً وحيوياً يقوم الكاتب بتصويره وتشكيله ووضعها في صلب السرد منذ البدء وحتى النهاية؛ لتأثر الروائيين بما حولهم من متغيّرات واقعيّة، وأنساق ثقافيّة تترك أثرها الواضح عليهم وتؤثر فيهم وتأخذ طريقها إلى نصوصهم؛ لأن «للعناصر النسقية القدرة على الكمون والاختفاء، وهذا يُمكنها

١- أماني أبو رحمة: "آفاق التحويلات السردية نحو بعد ما بعد الحداثة (ملاحم الجماليات القادمة)"، الملتقى الثالث للنص الجديد (ما بعد قصيدة النثر)، نظّمته مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، من ٢ حتى ٤ فبراير ٢٠١٣، ص ٥.

٢- عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٣، ٢٠٠٥، ص ٨٣٨٢.

من الفعل والتأثير، حيث تظل باقية ومتحكمة فينا وفي طرائق تفكيرنا، ومهما جرى لنا من تغيرات ثقافية أو حضارية تظل هذه التغيرات تغيرات شكلية لا تمس سوى الجوانب الخارجية بسبب تحكم النسق فينا»<sup>(١)</sup>.

وثمة مسارات تنظير منهجية وأخرى نقدية تطبيقية تحاول وضع الأسس النظرية أو التحليلية لفهم النصوص الأدبية وتفسيرها، وما يصاحب ذلك من اجتهاد نقدي في التحليل والتأويل. ويسعى الناقد جاهداً للإلمام بخيوط النص ووجوهه، فالناقد يُبسط المعقد، ويجتهد في إيضاح الغامض، ويعمل على كشف المسكوت عنه، ويُفصح عن الرموز الخفية لتظهر سافرة أمام عين القارئ، كما يربط بين النص وسياقه التاريخي والاجتماعي والثقافي، ولا ننكر الدور المهم الذي يقوم به الناقد ولا سيما في تمكين القارئ من فهم الغموض الذي يكتنف النصوص.

ولعل الوعي النقدي بهذه الإشكالية يجعلنا في حاجة ماسة إلى منهجية نقدية ناجعة في سبر أغوار النص واستخراج دلالاته وتفسيره والقدرة على تأويله. خاصة أن نجاح الدراسات الثقافية يرتبط بالبحث عن المعاني والدلالات المضمرة داخل النص، ولا يتم ذلك إلا بجعل النص هو المركز، ومركزية النص تعني القدرة على إيضاح الغامض، ومحاولة الوصول إلى المعنى الباطن في النص، وذلك برصد الرموز الخفية وتفسير الدلالات الرمزية.

ولعل ما سنطرحه من تصور نظري «نحو نظرية سرد ثقافية» هو نتاج الاستقصاء النصي لطواهر سرد ثقافية داخل عدد كبير من النصوص الروائية التي سبق لنا معالجتها في دراسة سابقة<sup>(٢)</sup>، والجددة في دراستنا هذه تتمثل في معالجة التحولات الثقافية داخل نماذج منتقاة من روايات «نجيب محفوظ» مع موازنتها

١- السابق نفسه: ص ٧٢.

٢- يُنظر: أحمد علواني: الجسد بين المتخيل السردى والنسق الثقافي»، مرجع سابق، ص ٢٤٣ ١٤١.

بنصوص روائية جديدة؛ لإثبات إمكانية تطبيق التصور النقدي المطروح، وذلك بالتمثيل التطبيقي على نصوص كلاسيكية وأخرى جديدة تنتمي لفترة متأخرة هي التسعينيات؛ لأن هذه الفترة «كانت حُبلى بتغيّرات واسعة النطاق في الأدب والفن، والنظرية، والسياسة، والاقتصاد، والمجتمع، والتكنولوجيا»<sup>(١)</sup>. فقد هيمنت هذه المتغيّرات على جيل التسعينيات حيث التحول في التقنيات السردية وتوظيف الفنون البصرية والسمعية من سينما وتصوير مع تدفق التكنولوجيا والمعلومات وسيطرة الشاشات. وغرضنا التثبت من صلاحية تطبيق التصور النظري المطروح على النصوص الكلاسيكية والحداثيّة في آن واحد، وكيف استطاعت هذه النصوص أن توظف التقنيات السردية الكولاجية في ظل التحويلات الثقافية؟ وذلك تفادياً لإصدار الأحكام المطلقة، بُغية الوصول إلى نتائج علمية أقرب إلى الموضوعية.

### تمثلات التحول الثقافي في النص السردية:

في هذا المحور سنحاول الإجابة عن سؤال مفاده: كيف صورت النصوص السردية التحويلات الثقافية؟

لقد تم تصوير التحول الثقافي في مرحلة مبكرة من تاريخ الرواية العربية، حيث فطن «نجيب محفوظ» إلى غزو الأشياء الثقافية للحياة الاجتماعية و منافستها للشخصيات البشرية، وقد استطاع أن يُضمّن تقانات سردية جديدة، فقام بتمثيل مظاهر النشاط الثقافي وتحولاته، ويتجلى هذا التمثيل بوضوح في روايته الشهيرة: «زقاق المدق»، وذلك عندما أخذ الراوي يلفت انتباه المتلقي إلى أشياء ثقافية مثل «الراديو» الذي أخذ ينافس السامر الشعبي، فالراديو قد أغنى المعلم كرشة / صاحب المقهى عن الشاعر، ويصف لنا الراوي هذا المشهد على النحو الآتي:

١- أماني أبو رحمة: "أفاق التحويلات السردية نحو بعد ما بعد الحداثة (ملاحم الجماليات القادمة)"، ص ١.



«أقبل على القهوة عجوز مُهدّم، لم يترك له الدهر عضوًا سالمًا، يجره غلام يسراه، ويحمل تحت إبط يمينه ربابة وكتابًا، فسلم الشيخ على الحاضرين... وسار من فوره إلى الأريكة الوسطى في صدر المكان، واعتلاها بمعونة الغلام، ثم صعد الغلام إلى جانبه، ووضع بينها الربابة والكتاب. وأخذ الرجل يُهَيِّئ نفسه، وهو يتفرس في وجوه الحاضرين كأنما ليمتحن أثر حضوره في نفوسهم، ثم استقرت عيناه الذابلتان الملتهبتان على صبي القهوة «سنقر» في انتظار وقلق. ولما طال انتظاره، ولمس تجاهل الغلام له، خرج عن صمته قائلاً بصوت غليظ:

القهوة يا «سنقر»!..!

والتفت الغلام نحوه قليلاً، ثم ولّاه ظهره بعد تردد دون أن ينبس بكلمة، ضارباً عن طلبه صفحاً. وأدرك العجوز إهمال الغلام له، ولم يكن يتوقع غير ذلك»<sup>(١)</sup>.

ظل يستمع رواد القهوة إلى الشاعر كل مساء عشرين عاماً أو يزيد، ولكن تأتي لحظة فارقة في حياة الشاعر؛ إذ يقاطعه المعلم كرشة / صاحب المقهى ويمنعه من الإنشاد، فلا حاجة إليه، ويدور بينهما حوار حجاجي على النحو الآتي:

«الشاعر: هذه قهوتي أيضاً، أأست شاعرها لعشرين عاماً خلون؟!!

المعلم كرشة: عرفنا القصص جميعاً، وحفظناها، ولا حاجة بنا إلى سردها من جديد. والناس في أيامنا هذه لا يريدون الشاعر، وطالما طالبوني بالراديو، وها هو ذا الراديو يُرَكَّب، فدعنا ورزقك على الله...»

الشاعر: رويدك يا معلم كرشة، إن للهالي لجدّة لا تزول، ولا يُغني عنا الراديو أبداً..»

١- نجيب محفوظ: الأعمال الكاملة، زقاق المدق، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٠، مجلد ١، ص ٦٤٢.

المعلم كرشة بلهجة قاطعة: هذا قولك، ولكنه قول لا يقره الزبائن، فلا تخرب بيتي. لقد تغير كل شيء!

قال الشاعر في قنوط: ألم تستمع الأجيال بلا ملل إلى هذه القصص من عهد النبي عليه الصلاة والسلام؟

صاح المعلم به: قلت لقد تغير كل شيء<sup>(١)</sup>.

لقد حدثت تحولات ثقافية وتطورات اجتماعية انعكست على النصوص السردية، ولما كانت الرواية مرآة الواقع فعلى صفحاتها الورقية تنعكس صورة الواقع المرئية، كما تجسد شخصياتها الخيالية نماذج البشر الحقيقية؛ إذ تنجح الرواية في تصوير جوانب الواقع المختلفة بتحولاته وتغييراته، وفي هذا الإطار تعدد الظواهر الثقافية داخل النصوص الروائية. فيصور لنا «نجيب محفوظ» كيف تغير كل شيء حينما أخذت الأشياء الثقافية والأجهزة المسموعة تحل محل السامر الشعبي؟ فالراديو جمع الناس حوله، وجذبهم إليه، فاستمعوا إلي ما يبثه من أغانٍ وحكاياتٍ وسيرٍ وأشعار، ومن هنا صار منافساً للسامر الشعبي وبديلاً عنه.

ولا يقتصر تصوير التحويلات الثقافية على النص المحفوظي الكلاسيكي فقد ظهرت تجارب روائية جديدة تجلت بوضوح في أواخر القرن العشرين، ومع بدايات القرن الحادي والعشرين، وتم الاصطلاح على تسميتها بالسرد الجديد. فمثلاً في رواية «العمة أخت الرجال» لـ «أحمد أبو خنيجر»، نلاحظ أنه قام بتوظيف شيء من الأشياء الثقافية، ألا وهو «التلفاز»، عندما جعله سبباً رئيساً في تناقص النساء المتحلقات حول «العمة فاطمة»، ويصف لنا الراوي هذا المشهد على النحو الآتي:

«مع ظهور التلفزيون بدأ تناقص النساء اللواتي كن يحضرن إليها للثرثرة بعد العشاء، هن وأطفالهن الذين يلعبون بالساحة أمام بيتها أو يلتفون حولها للاستماع للحكايات التي تقصها، هذا التناقض المتسارع أدى في الأيام المقبلة مع ظهور الأطباق اللاقطة إلى الاختفاء التام»<sup>(١)</sup>.

لقد حل «التلفاز» محل «العمة»، فعندما دخل التلفاز إلى بيوت القرية، وتغلغل داخل نفوس أهلها، من حيث تعلقهم به ومشاهدتهم له، هنا أخذ النساء الملتفات حول العمة من أجل الاستماع إلى حكاياتها المسلية في الانصراف عنها.

وكان الكاتب في تركيزه على «التلفاز» إنما يعرض صورة مجتمع القرية الذي تأثر بالتحويلات الثقافية، وتشبع بها عندما دخلت إليه هذه الأشياء وتخللتها وتغلغلت في نفوس أهله واستعمرت منازلهم وعقولهم، فانصرفوا عن عاداتهم واجتماعاتهم على مآدبة الحكيم وما تعكسه من أبعاد الترابط الاجتماعي، حيث صار فضاءهم الاجتماعي المأهول بالحكايات الشفاهية المسموعة محطة بث فارغة بفعل الأجهزة المرئية كالتلفاز وغيره من شاشات الكمبيوتر والهواتف الذكية... وهكذا فلم يعد الريف ثابتاً، بل صار متغيراً، أو متحولاً في ظل التحويلات الثقافية.

استدعاء الشخصية السينمائية/هيمنة الصورة المرئية:

أثر التلفاز والسينما على تصور الروائيين ورؤيتهم لشخصياتهم السردية فقد «أسهم الاستنساخ الضخم للأعمال الفنية من خلال التصوير الفوتوغرافي والإنتاج التلفزيوني والسينمائي في تقليص دور ووضع المؤلف والتأليف الذي يُعدُّ أحد الشواغل المركزية للأعمال الأدبية ما بعد الحداثية»<sup>(٢)</sup>.

١- أحمد أبو خنيجر: العمة أخت الرجال، مكتبة الأسرة، سلسلة الأدب، ٢٠٠٨، ص ٥٣.

2- Kusnir, Jaroslav. American Fiction: Modernism-Postmodernism, Popular Culture, and Metafiction ibidem-Verlag, 2007, p 48.

فمن المؤلف أن يؤخذ الفيلم السينمائي عن أصل روائي، عندما يتم تحويل النص الروائي المكتوب إلى سيناريو وحوار، تمهيداً لتمثيله وعرضه على شاشة السينما أو التلفاز؛ وقد حدث هذا لمعظم أعمال «نجيب محفوظ»، حيث تحول النص الورقي المنشور للقراءة إلى مسلسل إذاعي مسموع عبر الأثير أو فيلم سينمائي معروض للفرجة على الشاشة.

ولقد تحولت معظم نصوص «محفوظ» الروائية إلى مسلسلات إذاعية مسموعة أو أفلام سينمائية مرئية بسبب تحول ثقافة العصر؛ حيث جاءت الإذاعة والتلفاز والسينما لتعالج النص المكتوب درامياً وتعمل على تحويله إلى مسموعة ومرئية. وإذا تم تمثيل النص السردى وعرضه للفرجة سينمائياً فهنا يخرج النص من فضاء السرد المتخيل ورقياً أو المسموع إذاعياً إلى عالم الصورة المرئي بصرياً، ومن ثمّ ستتسع دائرة انتشاره واستهلاكه من الجمهور بشتى أطرافه.

وفي النص السردى الحدائى طغت الصورة المرئية على المتخيل السردى، فجاء وصف الشخصية الروائية في النصوص الروائية الجديدة من قلب الأفلام السينمائية، ومن هنا حدثت انقلابة نوعية عندما أخذ المكتوب مادته من المرئي الذي كان مكتوباً فيما قبل. وتتلخص هذه الظاهرة في استدعاء الروائيين الجدد للشخصيات السينمائية، فالكاتب يبدأ في رسم شخصيته الروائية على الورق، محاولاً تقريبها إلى خيال القارئ، أو تجسيدها أمام عين المتخيل، فيشعر بالإخفاق والعجز عن التصوير، أو يشك في مقدرة القارئ على تخيلها، ومن ثم يستحضر الأفلام السينمائية عند تصوير شخصياته السردية.

وبناء على ما سبق نستنتج أن تصوير الشخصية عند «نجيب محفوظ» اختلف عن تصوير الروائيين الجدد؛ إذ نجد أن شخصيات «نجيب محفوظ» تتسم بالواقعية؛ لأنه كان يحتك بالواقع احتكاكاً مباشراً فهو يخالط الناس،

يسير في الشوارع، يجلس على المقاهي، وفي أثناء سيره أو جلوسه، يتأمل، ويراقب، ويصور، ويختار شخصياته، تمهيداً فيما بعد لصياغتها وإعادة تشكيلها في رواياته. في حين أن الروائي الآن صار منشغلاً عن المراقبة والتأمل والسير في أرض الواقع بالجلوس أمام الشاشات المرئية كالسينما والتلفاز والكمبيوتر والهواتف الذكية، فلا شك أنه تأثر بكل هذه الشاشات، وصار يلجأ إليها من حين لآخر، يستعين بها عندما يريد أن يصف شخصياته الروائية، أو يبني مشهداً سردياً في روايته. والنصوص الروائية الدالة على هذه الظاهرة كثيرة جداً فمثلاً: في رواية «لصوص متقاعدون لـ «حمدي أبو جليل»، أخذ الروائي يصور شخصية صاحب البيت رقم (٣٦) على النحو الآتي:

«أبو جمال من الناحية العمرية هو أكبر من في البيت رقم (٣٦)، ومن الناحية الرسمية هو مالك هذا البيت بدون منازع، أقرب إلى القصر، عضلاته منتفخة كرياضي قديم، وله بطنٌ تجمع بين الانتفاخ والصلابة، لا يذكرك بالسمنة بقدر ما هو دليل على قوة غاشمة، وجهه متورد»<sup>(١)</sup>.

يركز الروائي في تصويره السابق على تحديد العمر، ووصف بنية الجسد، ولا يعطي أهمية لوصف الوجه سوى تورده ويهمل ملامح هذا الوجه وما يعكسه في طبيّاتها من دلالات، ويشعر الروائي بأن تصويره للشخصية جاء تصويراً مقتضباً، وهنا استدرك هذا الإخفاق، فصرح به على لسان الراوي، ومن ثم استعان بلامح الشخصيات العربية المرئية في الأفلام السينمائية، فيقول:

«باختصار وهرباً من إخفاقي المتوقع في حرفة الوصف سأعلن الحقيقة: ملامح أبي جمال هي الملامح التقليدية للإنسان المكروه، تلك الملامح التي صورتها الأفلام العربية القديمة، وكأنها إعلان وحيد عن شرور البسطاء، لدرجة أنني رغم

١ - حمدي أبو جليل: لصوص متقاعدون، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط٢، مارس ٢٠٠٤، ص٩.

كل شيء أشفق عليه منها»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الراوي قد صور للقارئ شخصية «أبي جمال» من خلال الأوصاف التقليدية التي صورتها الأفلام السينمائية فإن تصويره لشخصية «أم جمال» جاء بنفس الطريقة، ولكنه لم يعرض للقارئ وصفاً سينمائياً مرئياً لملامحها أو شكلها، بل صور الشكل من خلال الصوت، بمعنى أن صوتها أعطاه انطباعاً عنها، ليتخيل الكاتب شكلها فيقول:

«في تلك الفترة تخيلت أن شكلها يشبه مكبر الصوت... الذي فضح به الشيخ حسني حي «إمبابة» في فيلم «الكيت كات»<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن القارئ بعد هذا التصوير يجب عليه أن يستحضر في خياله الفيلم السينمائي «الكيت كات»<sup>(٣)</sup>، وبخاصة مشهد مكبر الصوت، وما أعلنه «الشيخ حسني» / بطل الفيلم من فضائح، فكذا «أم جمال» تمتلك صوتاً عالياً، يضحج بالشتائم اللفظية البذيئة التي تفضح بها أهل البيت، بل ويخرج هذا الصوت من فضاء البيت ليملاً الشارع «وأمام عدد لا بأس به من المشاهدين»<sup>(٤)</sup>.

فمن الواضح أن الكاتب يمد راويه بجرعات ثقافية من الأفلام السينمائية، وذلك حينما يشعر بإخفاقه في تصوير شخصياته الورقية، ولذا يطبع على شخصياته الروائية أوصافاً مرئية في السينما العربية، وبذلك تلتحم الشخصية الروائية في صورتها المتخيلة على الورق بصورة أبطال الأفلام المعروضة السينمائية.

ولم يقتصر «حمدي أبو جليل» على مد الشخصية بجرعات ثقافية سينمائية فحسب، بل استعان في بناء مشاهدته السردية بمشاهد من أفلام سينمائية أخرى،

١- السابق نفسه: ص ٩.

٢- نفسه: ص ٦٢.

٣- اسم لحي شعبي من أحياء القاهرة.

٤- حمدي أبو جليل: لصوم متقاعدون: ص ٦١.

ولكن لا يأخذ عنها كما فعل في تصويره للشخصية ولكن ليخالفها، حيث يبني مفارقة فنية بين المشهد الروائي والمشهد السينمائي، وذلك في تصويره لمشهد سيارة مستشفى الأمراض العقلية التي وقفت أمام البيت رقم (٣٦) لتنقل «سيف». يقول الكاتب على لسان الراوي / بطل الرواية:

«وقفت سيارة أمام البيت رقم ٣٦... ركب بها «سيف» بثقة أظهرت رحابة خيال مخرجي الأفلام العربية التي يصيب الجنون أحد أبطالها، حيث لا وجود مطلقاً للقميص الأبيض الذي عادة ما يهيج البطل، وكأن بياض القميص ينبهه إلى جنونه، فتظهر الأهمية الوحيدة للشخصين شديدي الغلظة والقسوة في الفيلم، فيكتفان البطل الهائج في مشهد مكرر إخراج حسن الإمام. خرج سيف مرتدياً ملابس المتناسقة وسلم على سائق السيارة ومرافقه سلاماً يناسب الأصدقاء، وأخرج لسانه لأخيه جمال...»<sup>(١)</sup>.

ورغم أن الروائي قد صنع مفارقة فنية في النص السابق إلا أنه لا يخرج بخياله الروائي بعيداً عن المشهد السينمائي عندما يتخيل صورة «سيف» بعد دخوله مستشفى الأمراض العقلية «وانطلقت السيارة فعبرت عن تعاطفي معه بتخيل منظره في مستشفى المجانين كما رأته في الأفلام»<sup>(٢)</sup>. وهنا نشير إلى التحول الذي حدث في البيئة الثقافية، وما تركه من ظلال وخيمة على المتخيل الروائي والعملية الإبداعية، مما جعلها تدخل ضمن تأطير المشاهد والصور المرئية، ولا سيما الأفلام السينمائية، حيث يتخذ الروائي من شاشة السينما فضاءً للتخيل، وكأنه بذلك يريد من القارئ أن يرى الصورة السردية المكتوبة بعين المشاهد لها في السينما.

١- نفسه: ص ٢٧.

٢- نفسه: ص ٢٧.

أما إذا انتقلنا إلى رواية «فاصل للدهشة» لـ «محمد الفخراني»، فسنجده يمزج شخصياته الروائية بشخصية بطلة أحد الأفلام السينمائية، فيقول:

«هذا ما فعلته «سماح» بـ «نعيمة»...

دخلت بها فيلم «أحلى الأوقات» في سينما درجة ثالثة؛ لأن أسابيع عرضه في الممتازة انتهت منذ فترة..

«سماح» بشكل شخصي تحب «أحلى الأوقات».. خاصة أن مقاطع من أغنيات مطربها المفضل «محمد منير» لها حضور مميز في مشاهد صغيرة..

«سماح» تتفرج على الفيلم للمرة الثالثة.. يحكي عن شابة ممتلئة بالشجن تبحث عن شخص مجهول يرسل لها مظاريف صغيرة فيها هدايا تحبها...

في السينما جرت «نعيمة» بحريتها، طارت، بكت، ضحكت، عامت، غنّت..»<sup>(١)</sup>.

وكأن الكاتب بدلاً من أن يكشف للقارئ عن باطن شخصيته الروائية عبر تيار وعيها، رأى أن يصور ما يعتمل داخلها بواسطة التماهي بينها وبين بطلة الفيلم، جاعلاً القارئ يستحضر بذلك الصورة المرئية لبطلة الفيلم بدلاً من أن يُجهد الكاتب نفسه في الوصف والتصوير، وأيضاً بدلاً من أن يُجهد القارئ في عملية التلقي أو التخيل.

لقد تمكن الروائي من تصوير التغيرات العصرية والتحويلات الثقافية بطريقة سردية غير تقليدية وبحسب «مايك فيزرستون Mike Featherston»: «إن ثقافة الاستهلاك والتلفزيون قد أنتجا أيضاً ضخماً من الصور والرموز التي أنهضت

١ - محمد الفخراني: فاصل للدهشة، الدار للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٧، صص ١٨٤-١٨٥.



عالم التصنع الذي يؤثر في التمييز بين الحقيقي والخيالي»<sup>(١)</sup>. كما يمكن القول بأن استحضار الروائي للشخصية السينمائية عند تصوير شخصياته الروائية ينبع من شعوره بأن شخصياته الروائية هي شخصياتٌ يتخيلها القارئ على الورق. أما الشخصيات في الأفلام السينمائية فهي شخصيات يراها المشاهد أمامه على الشاشة، وهذا يدفع بالروائي إلى استدعاء المرئي ليضعه أمام المتلقي، وبذلك يصبح القارئ يقرأ تصويراً روائياً يقترب من التمثيل الثقافي المتنوع، حيث يجمع أو يمزج أو يخلط بين المكتوب للقراءة على سطح الورق والمعرض للمشاهدة على سطح شاشات السينما والتلفاز.

### سرد الصورة/ثقافة الصورة:

تعدُّ الصورة من الأشياء الثقافية المادية التي تتجلى في النصوص الروائية لا بوصفها مُكمّلات هامشية أو تقنيات شكلية ولكن يقوم الكاتب بتوظيفها توظيفاً فنياً له دلالاته وقيمه. حيث تؤدي الصور الفوتوغرافية واللوحات الفنية وظائف جمالية متعددة الدلالات. «وفي أغلب الأحيان تُوظف الصور لإرسال الرسائل الأخلاقية، وتعليم المبادئ الدينية، فالرؤية البصرية للصور والأشكال تساعد على التعلم والإدراك»<sup>(٢)</sup>. وفي هذا الإطار يؤكد «محمد العبد» على سلطة الصورة «في التواصل الجمالي والتواصل التداولي جميعاً؛ للصورة سلطة التأثير الجمالي التبليغي»<sup>(٣)</sup>. فالصورة تصبح بحسب علماء العلامات (تمثيلات معرفية Representation) خاصة «وليست مجرد انعكاسات أو تسجيلات أو

١- مايك فيزرستون: ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، ص ١٢٥.

2- Linda Kalof: Looking at animals in human history, Published by Reaktion Books Ltd, Michigan- London, First published 2007, p46.

٣- محمد العبد: الصورة والثقافة والاتصال، فصول مجلة النقد الأدبي، مجلة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٢، صيف وخريف، ٢٠٠٣، ص ١٣٤.

نسخ أو مجرد صور مطابقة شفاقة لواقع ما موجود سلفاً»<sup>(١)</sup>. فليس الغرض من الصورة تسجيل الحقائق الواقعية؛ ولكن تمثيل الواقع الحي بطريقة فنية «حيث تتكون الفنون الأدبية والمرئية من علامات تنطوي على منظومة دلالية، ويستقي القارئ دلالة النص بقراءته بموازاة الحياة مما يترتب عليه أيضاً قراءة الحياة بموازاة النص»<sup>(٢)</sup>.

وللصور المحكية أهمية خاصة؛ ونعني بالصورة المحكية تلك الصورة التي يسردها لك الروائي؛ إذ تصبح الصورة المسرودة جسداً ناطقاً ومعبراً، بل وربما تكون أكثر تعبيراً من الواقع؛ لأن الصورة المرئية واقعياً تُرى بالعين فحسب، أما الصورة المسرودة فيتم تلقيها في شكل حكاية، يقوم الراوي فيها بالوصف والشرح والتفسير وتحفز القارئ على إعمال خياله؛ لأنه أثناء عملية القراءة لا يقوم بفعل الاستهلاك للمقروء فحسب، بل يصبح مشاركاً إيجابياً، فهو (يقراً، يفكر، ويتخيل). وفي هذا السياق يؤكد «شكري عزيز الماضي» على أن «الصورة الفوتوغرافية المرئية تبدو أقدر من الصورة المكتوبة على التجسيد والإبراز؛ أما الصورة المكتوبة فتبدو أقدر من الصورة المرئية على إثارة المخيلة وإظهار ما وراءها من تفاصيل»<sup>(٣)</sup>.

إذا يغدو حضور الصورة في الرواية حضوراً فنياً؛ إذ يتم توظيفها بعناية، وتلعب الصورة دوراً مركزياً أساسياً، ونلاحظ ذلك بوضوح في الرواية

- ١- دانيال تشاندلر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ترجمة: د. شاكر عبد الحميد، مراجعة: نهاد صليحة، أكاديمية الفنون، وحدة الإصدارات، دراسات نقدية، العدد (٣)، ٢٠٠٢، ص ١٨٤. ولمزيد من التفاصيل حول استخدام علماء العلامات لمصطلح التمثيل المعرفي (Representation) يُنظر: السابق نفسه: ص ص ١٨٣-١٨٦.
- ٢- ماري تريز عبدالمسيح: التمثيل الثقافي بين المرئي والمكتوب، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٢٠.
- ٣- شكري عزيز الماضي: أنماط الرواية العربية الجديدة، سلسلة عالم المعرفة، شهرية ع (٣٥٥)، سبتمبر ٢٠٠٨، ص ٢٠٠.

الكلاسيكية، فمثلاً في رواية «الطريق» لـ «نجيب محفوظ»، يتجلى الدور المركزي للصورة منذ بدء السرد وحتى نهايته، حيث يتم الارتكاز على الصورة في البحث عن الأب الغائب، فالبطل صابر سيد سيد الرحيمي توصيه أمه وهي على فراش الموت بضرورة البحث عن والده، فالعثور عليه سيؤمن للبطل حياة سعيدة وكريمة، خاصة بعد وفاة أمه التي كانت تؤمن له حياة غنية، وكان يعيش عيشة الوجاهة، حتى دخلت السجن وضاعت ثروتها، وبموتها صار مُفلساً لا يمتلك إلا بضعة جنيهات؛ ولكن الأم أكدت له قبل وفاتها أن والده «سيدٌ ووجيهُ بكل معنى الكلمة، لا حد لثروته ولا نفوذه»<sup>(١)</sup>. وأوصت الأم ابنها الذي لم ير والده منذ ثلاثين سنة بضرورة البحث عنه حتى يجده، وعليه أن يعتمد على وثيقة الزواج وصورة الزفاف لإثبات ذلك له عندما يجده؛ «وها هو الآن يتفحص بعناية ودهشة صورة الزفاف، الصورة التي جمعت بين والديه منذ ثلاثين عاماً. وها هو يركز بصره على صورة أبيه، على وجهه بالأخص. شاب جميل حقاً، مفعم بالشباب والحيوية، ونظرته تفيض بالاعتداد بالنفس، ووجهه المائل للبياض، المستطيل الممتلي، ذو الجبهة العالية، والطربوش المائل إلى اليمين، لا يمكن أن يُنسى. ولم تكذب أمه حين قالت إنه صورة منه؛ ولكنه كما يكون القمر على الورق صورة من القمر في كبد السماء»<sup>(٢)</sup>.

وأخذ البطل يحمل الصورة معه، تصحبه في حله وترحاله، يقارن بينها وبين من يراه، وكان أولهم «سيد الرحيمي» صاحب مكتبة المنشية بالإسكندرية، حيث «وجد صاحب المكتبة في الخمسين من عمره، وذا سحنة لا تمت بسبب إلى صورة أبيه، وأخبره أنه يبحث عن سمي له وأطلعه على صورته مخفياً صورة أمه، وقال الرجل:

١- نجيب محفوظ: الطريق، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ص ١٢.

٢- الطريق: ص ١٦.

- لا أعرف صاحب هذه الصورة.

ولما أوضح له أنها صورة التقطت منذ ثلاثين عاماً قال:

- ولا أذكر أنني رأيته»<sup>(١)</sup>.

ويحمل بطل الرواية صورة والده معه إلى القاهرة لتساعده في البحث عنه وتحويل الصورة إلى وثيقة مرئية دالة، وتتضاعف قيمة الصورة عندما يجد ملامح تشبه ملامح والده، فهنا لا يتوانى عن إشهارها أمام عينيه قائلاً له:

«أنا صابر، صابر سيد سيد الرحيمي، هاك شهادة الميلاد، وهاك شهادة الزواج، وانظر جيداً في هذه الصورة.. عند ذاك سيفتح لك ذراعيه وتنجاب عنك الوسوس إلى الأبد»<sup>(٢)</sup>.

ويحمل البطل الصورة يقارن بين من يراه واقعياً بصاحب الصورة، فعندما يذهب إلى طبيب يتشابه اسمه مع اسم والده تكون الصورة الفيصل الذي يزيل الشك فلما قابل الطبيب «رأى وجهًا لا يمكن أن يرجع بحال إلى أصل الصورة التي يحملها»<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك تصبح الصورة هي مدار الحوار القائم بين البطل والطبيب، فقد جلس البطل أمام مكتب الطبيب وراح يجيب عن الأسئلة التي أخذ الطبيب في طرحها وتدوينها في دفتر كبير:

«- اسمي صابر سيد سيد الرحيمي.

ضحك الدكتور قائلاً:

١- نفسه: ص ١٧.

٢- نفسه: ص ٢٩.

٣- نفسه: ص ٣٣.

- عال: أنت إذن ابني، وما عمرك؟
- الواقع أنني لا أشكو مرضاً على الإطلاق!
- فحدجه بنظرة متسائلة فقال:
- إني أبحث عن سيد سيد الرحيمي ..
- عني أنا؟!!
- لا أدري ولكن تفضل بالنظر في هذه الصورة!
- تفحصها الدكتور ثم هز رأسه بالنفي.
- ليست صورة حضرتك؟
- ضحك قائلاً:
- بالتأكيد لا، ومن هذه الفتاة الجميلة؟
- أليس لأحد من أقربائك؟ لاحظ أن تاريخها يرجع إلى ثلاثين عاماً مضت ..
- ولا هي لأحد من أقربائي.
- حضرتك من أسرة الرحيمي؟
- والدي سيد الرحيمي، كان موظفاً بالبريد.
- أليست للأسرة فروع لم تعرفها؟
- أسرتي محدودة أصلاً وفرعاً!
- قام يائساً وهو يقول:

- آسف على إزعاجك؛ ولكنك ربما سمعت عن أحد الوجهاء بهذا الاسم؟

- لا أعرف وجيهاً بهذا الاسم؛ ولكن ما الحكاية بالضبط؟

- الحكاية أنني أبحث عن وجيه يُدعى سيد سيد الرحيمي، صاحب هذه الصورة منذ ثلاثين عاماً.

- لعله هنا أو هناك وأنا على أي حال لست مرجعاً في هذه الشئون.

وقضت نبراته بإنهاء الحديث فحياه وانصرف<sup>(١)</sup>.

وتسأل الفتاة «إلهام» بطل الرواية «صابر» كيف سيهتدي إلى الرجل الذي يبحث عنه تكون الإجابة: «عندي صورة وبعض معلومات طفيفة»<sup>(٢)</sup>.

لقد نشر البطل إعلاناً صغيراً بجريدة أبو الهول باسم «سيد سيد الرحيمي» ودعوة صاحب الاسم للاتصال به سواء بالمراسلة أو بالتليفون ولكن صيغة الإعلان وشكله لم يؤد الغرض المطلوب، فالإعلان بالاسم فقط في رأي «إحسان طنطاوي» المسئول عن الإعلانات بالجريدة «الإعلان من هذا النوع يتطلب المثابرة»<sup>(٣)</sup>. وهنا يفكر صابر / البطل في إضافة الصورة إلى الإعلان، ويدور حوار بين البطل وبين موظف الإعلانات بالجريدة على النحو الآتي:

«- عندي له صورة قديمة أخذت له منذ ثلاثين عاماً.

- نضيفها إذا شئت إلى الإعلان فتضاعف من فائدته.

وأراه الصورة فتفحصها ثم تتم بإعجاب:

١- نفسه: ص ٣٤ - ٣٥.

٢- نفسه: ص ٤٠.

٣- نفسه: ص ٤٦.

- ياله من شخصية!«<sup>(١)</sup>.

ولا يقتصر حرص «نجيب محفوظ» على توظيف الصورة في رواية «الطريق» فقد استهل روايته «الشحاذ» بهذا السرد «سحائب ناصعة البياض تسبح في محيط أزرق، تظلل خضرة تغطي سطح الأرض في استواء وامتداد، وأبقار ترعى تعكس أعينها طمأنينة راسخة، ولا علامة تدل على وطن من الأوطان، وفي أسفل طفل يمتطي جوادًا خشبيًا ويتطلع إلى الأفق عارضًا جانب وجهه الأيسر وفي عينيه شبه بسمة غامضة. لمن اللوحة الكبيرة يا ترى؟»<sup>(٢)</sup>. يكتشف القارئ أن هذا السرد يصف «عمر الحمزاوي» الذي ذهب إلى الطبيب وفي أثناء جلوسه في حجرة الانتظار أخذ يتأمل لوحة، فالراوي يبدأ سرده بالصورة جاعلاً منها مصدرًا للتسلية والفرجة والتأمل والتساؤل أمام «عمر حمزاوي» الذي ظل سارحًا بخياله، طارحًا تساؤلاته المنولوجية عن الأبقار والطفل والأفق الذي يبدو سينطبق على الأرض...

فمع الصورة صارت الرواية السردية تتحدث بلغة تصويرية وكأنها تجسد لوحة مرئية أمام عين القارئ. كما أن الامتزاج بين السرد والصورة يتيح للقارئ فرصة التخيل وهنا تصبح قراءته للمكتوب عملية إبداعية لأنه؛ في أثناء عملية القراءة لا يقوم بفعل الاستهلاك للمقروء فحسب، بل يصبح مشاركًا إيجابيًا: (يقرأ يفكر يتخيل).

لقد سيطرت الصورة المرئية على النصوص السردية، حيث «تتكون الفنون الأدبية والمرئية من علامات تنطوي على منظومة دلالية، ويستقي القارئ دلالة النص بقراءته بموازاة الحياة مما يترتب عليه أيضًا قراءة الحياة بموازاة النص»<sup>(٣)</sup>. لقد

١- نفسه: ص ٤٨.

٢- نجيب محفوظ: الشحاذ، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ص ٥.

٣- ماري تريز عبد المسيح: التمثيل الثقافي بين المرئي والمكتوب، ص ٢٠.

صارت الصورة رمزاً من الرموز الفنية وظاهرة من الظواهر الثقافية الحداثية التي اکتزت بها النصوص الروائية، وتتوأكب النصوص مع عصر الصورة وثقافتها، خاصة أن الإدراك الآن صار إدراكاً مرئياً يتم بالمشاهدة، وبذلك انسحب دور الخيال الذي كان ينمو في ظل القراءة حيث الرسم بالكلمات، والحفر بالقلم على سطح الورق لتتطبع المعرفة في خيال القارئ وتقع في باطن ذاكرته.

### الأغنية ظاهرة سرد ثقافية:

إنَّ الواقعَ مُتغيِّرٌ، وإيقاع الحياة متطور، فلم يعد النص السردى منفصلاً عن الحياة، بل غداً جزءاً منها، ومُعبراً عنها، وممثلاً لتحويلات الثقافة. ومن هنا أخذ الروائي يتطلع إلى تطعيم سرده بجرعات ثقافية شعبية، «فالأغنيات موجودة في الواقع اليومي المرجعي ووسيلة فنية للإيهام بتشابه الواقعين الخارجي والسردى»<sup>(١)</sup>. ومن ثمَّ يصبح توظيف الأغنية في الرواية سلوكاً سردياً يقوم به الكاتب لتعزيز سرده فنياً، كما أن الكاتب يوظف الأغنية ليُكسب المشاهد السردية طبيعة تعبيرية ثقافية وثيقة الصلة بالمجتمع، وملموسة في الواقع المعيش، بل وممارسة في الحياة اليومية. وهذا يؤكد أن توظيف الأغنية يتلاحم أو يتوأكب مع التطور الثقافي للكتابة السردية.

لقد عُرِفَ الغناء خاصة بأنه طريقة من طرق العلاج ف«إذا كنت تغني وتدندنُ فأنت في حالة نفسية طيبة. الأغنية بهجة من مباحج الحياة، أيًا كانت طريقة غنائك. تنسيك متاعبك، وتحسُّ معها بالراحة والأمان»<sup>(٢)</sup>. كما أن الغناء من صور التعبير الصوتي ولعل «شتى صور التعبير بالصوت تُشفي: الغناء، الصفير، الترتيل،

١- نائز زين الدين: قارب الأغنيات والمياه المخاتلة «توظيف الأغنية في نماذج من القصة القصيرة والرواية»، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص ١٠.

٢- أحمد مستجير: بيولوجيا الخوف، ج ٢، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠١٠، ص ١٦٥.



الذندنَّة، الهمَّمة، إلقاء الشَّعر، الكلام، بل وحتى قولك أآآآآه»<sup>(١)</sup>.

وبناء على ما سبق فمن الجدير بالذكر أن «نجيب محفوظ» قد فطن إلى ذلك عندما وظف الأغاني في الثلاثية بأجزائها الثلاثة «بين القصرين، قصر الشوق، السكرية» فالبطل / السيد أحمد عبد الجواد محبٌ للطرب والغناء، ويرتاد مسرح منيرة المهديَّة، وتكتنز الثلاثية بذكر أسماء كثيرة لمطربين ومطربات كمنيرة المهديَّة، وعبد الحامولي، وعثمان المنيلاوي، وفي نهاية «قصر الشوق» يُحدثنا الراوي عن استماع البطل / السيد أحمد إلى أسطونات المطربة الجديدة «أم كلثوم»<sup>(٢)</sup>، وتكتنز الثلاثية بالمقاطع الغنائية، ويربط «محفوظ» بين مقطع الأغنية بالحدث والحالة النفسية للشخصية ولا يتسع المجال هنا لتحليل هذه الظاهرة الفنية، والتي تحتاج إلى دراسة مستقلة بذاتها.

ولقد واصل «محفوظ» توظيف الأغاني في جُل رواياته، فمثلاً: في روايته «ثرثرة فوق النيل» فمنذ الصفحات الأولى للراوية يصف الراوي شخصية «أنيس زكي» / الموظف الحكومي وطبيعة عمله التسجيل في السراكي<sup>(٣)</sup> وما يحيط به في غرفة عمله من ملفات يتراكم الغبار عليها، و«رائحة الغبار المتسللة ترامت من راديو الطرق أغنية (يا أمه القمرع الباب) فتوقفت يده عن الكتابة وغمغم: (الله)»<sup>(٤)</sup>. فعلى الرغم من روتين العمل الممل وكآبة الحجرة إلا أن حركة عجيبة دبت في الموظف وأخرجته من الملل إلى الانسجام والتناغم.

ولا تقتصر المسألة على «نجيب محفوظ» فقد وظف الأغنية الكثير من الروائيين والروائيات، ففي رواية (ليت أسماء) لـ «سامي إسماعيل» تؤجج الأغنية

١- السابق نفسه: ص ١٦٥.

٢- نجيب محفوظ: قصر الشوق، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ص ٤٠٤.

٣- مفردا سرّكي وهو دفتر تسجيل لحفظ عملية التسليم والتسلم أو الصادر والوارد.

٤- نجيب محفوظ: ثرثرة فوق النيل، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ص ٦.

الانفعالات والعواطف المخبوءة في نفس البطل، فيجتز الذكريات، ويدور بداخله منولوجاً واعياً يستدعي فيه الماضي الجميل المنفلت من بين يديه بانفلات وابتعاد المحبوبة: (بعدو الحبايب ببعدوا)<sup>(١)</sup>. فالأغنية تتسق مع نفسية البطل وما يعانیه من مشاعر الحسرة والندم على بعد محبوبته وفقدانها.

وفى رواية «الموتى لا يرتدون الأحذية» لـ «وفاء بغدادى» جاءت الأغنية لتعكس الحالة النفسية التي تعاني منها البطلة فتقرأ: «يوماً حدثتها عن دقائق متزايدة ونوم يرفض زيارتها وصوت فيروز الدافئ يحتضنها..... ينبج منها لحناً تحبه وتخافه فما كان منها إلا أن أرسلت لها أغنية للمطرب «محمد منير»... تهبط بها من السماء إلى الأرض حين تكون الأرض ملاذاً جيداً من الوهم، وتصعد حيث السماء حين تكون حلماً جميلاً»<sup>(٢)</sup>.

يتضح أن الأغنية أشبه ما تكون بالمعادل الموضوعي أو التجربة الشعرية التي تمر بها الشخصية، بحيث يصبح المقطع الغنائي مجسداً أو معبراً عن الحالة التي تعانيها الشخصية، بل تتكيف الشخصية وتنسجم مع الأغنية فتفيض مشاعرها، وتثار داخلها وجدانيات وذكريات، خاصة عندما تتجذب إلى الأغنية وتتعايش مع موسيقاها وتسرح بخيالها في كلماتها.

ولا يقتصر التمثيل التطبيقي على النماذج النصية المطروحة سابقاً، فمن الممكن أن تفتح النصوص وتزداد بزيادة التمثيل ونقل الاقتباسات والشواهد النصية.

ولقد حرصنا في دراستنا على رصد ظواهر سردية لم يسبق لنا دراستها ثقافياً. فثمة ظواهر ثقافية متعددة نطالعها داخل النصوص السردية، مثل: (الطعام،

١- سامي إسماعيل: ليت أسماء، دار العالم الثالث، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٩٨.

٢- وفاء بغدادى: الموتى لا يرتدون الأحذية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة أصوات أدبية، العدد ٤٣٠، ٢٠١١، ص ٢٤.

الملابس، المرأة، الروائح، العطور، البخور، الدم، المخدرات والكحوليات...)  
فهذه الأشياء الثقافية نظر إليها أغلب النقاد بوصفها مكملات هامشية تأتي من أجل  
وصف المشاهد السرديّة؛ ولذا مرّوا عليها مرور الكرام، بمعنى أنهم لم يجمعوا  
شتاتها أو يعملوا على ربطها بسياقاتها الثقافيّة، وتغيّراتها العصرية ودورها الوظيفي  
وتشكلاتها الثقافيّة وأبعادها الدلالية، مع مراعاة تحري طرائق الكتاب في سردها  
وتوظيفها، وما يمكن أن تحمله من أنساق ثقافيّة مُضمرة ولعل الكشف عنها يُعدُّ  
حقلاً بكرّاً صالحاً للبحث العلمي والدرس النقدي.

## ختاماً

تفرض طبيعة النص الأدبي طريقة المعالجة، خاصة أن النص حمّال أوجه؛ إذ يخضع لقراءات عدة ووجهات نظر متباينة، وما يهمنا أن تتسم التطبيقات والقراءات النقدية بالموضوعية؛ وأن تأتي التقييمات مشحونة فكرياً وثقافياً وبناء عليه يجب أن ينتخب الناقد ما يتماشى مع مكونات النصوص الثقافية، دون التطبيق الحرفي لمسكوكات نظرية. فالنص الأدبي لا ينفصل عن الواقع، فالشخصية في القصة أو الرواية ليست شخصية خيالية تنفصل تماماً عن الواقع المعيش، بل لها مرجعيتها الواقعية وتمثيلاتها الثقافية. وحرصاً على الإيجاز وعدم تكرار ما تم إيرادَه بمتن البحث، يُمكن أن نُجمل عددًا من التوصيات المنهجية عند دراسة النصوص السردية، وذلك على النحو الآتي:

- ١- إنَّ اعتماد السرديات *narratology* في دراسة النصوص السردية لم يقتصر على تجميد النص فحسب، بل أدى إلى قتله بعد غياب دوره الوظيفي كمحور العملية النقدية وتحوله إلى مجرد مثال دال على جودة القاعدة وصلاحية تطبيقها، ولعل هذا يُفضي بالدراسات إلى نتائج محدودة ومتشابهة.
- ٢- من المهم تبني نظرية سرد ثقافية تتسم بالجدية، وتصبح بديلاً ناجعاً عن السرديات التقليدية العبثية التي حصرت النص في ثيمات من مثل: أولاً: سارد تم الاختلاف على تسميته في ظل تعدد أدواره ووظائفه، وثانياً: زمان يتفرع ويتشعب ويتشظى، وثالثاً: بناء سردي تم تحويله إلى صناديق.
- ٣- عبثية الدراسات النقدية الموجهة للنصوص الأدبية في اختراع مخططات سخيفة، ووضع أشكال هندسية مُربكة للسيطرة على النص وتكبيله، وهذا بدوره أدى إلى موت النص وتجمده، بعد تجريده من إنسانيته وتحويل الدراسات النقدية إلى دراسات مستنسخة.

٤- النقد الأدبي هو عملية فكرية منظمة، تتسم بالموضوعية، وتبتعد في تناولها ومعالجتها للنصوص الأدبية عن الأهواء والانطباعات الشخصية؛ إذ يركز على مناهج لها آلياتها المحددة وإجراءاتها الواضحة، والتي تلزم الناقد باتباعها وتطبيقها على النص. وما نراه اليوم من نقد تطبيقي خاصة هو عملية نقدية تسيطر عليها الفوضى والتضارب والبعثرة والتشتيت والتلفيق والخلط والتداخل غير المنظم.

٥- النقد الثقافي للنص الروائي هو النقد القادر على تحليل النص وتأويله حسب رؤية شمولية ومقدرة فنية، مع مراعاة ملابسات النص، ومرجعياته الثقافية، وصولاً إلى المعنى المضمّر في ثنايا النص. كما أن الناقد البصير ينبغي له أن يستنبط المعنى من النص مرتكزاً على ما يُوحى به النص من دلالات مختلفة يجمع الناقد شتاتها ويضعها في أطر سياقية واضحة؛ لينتج لنا دلالة جديدة، وبذلك تحقق الكتابات النقدية متعة حقيقية لا تقل عن المتعة الناتجة عن قراءة النص الأدبي.

٦- النصوص السردية هي نصوص إنسانية حيوية تتأثر بالأنساق الثقافية، فهي نابعة وفق مؤثرات اجتماعية متنوعة، وتحولات ثقافية مُتغيّرة، وكل هذا من شأنه أن يدفع نحو إعادة النظر في مناهج السرد. ومن ثمّ فلا بدّ أن تتواكب النظرية النقدية مع ما يشهده المجتمع من تحول وتطور.

٧- ستُسهّم الدراسات الثقافية للنصوص السردية في استخراج المعاني المضمّرة، خاصة إذا تم ذلك عبر رؤية نقدية موضوعية، تركز على رصد الدلالات، وكشف الجماليات. ولعله من المهم أن تتضافر الجهود النقدية نحو صياغة نظرية سرد ثقافية.

## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر:

- أحمد أبو خنيجر: العمة أخت الرجال، مكتبة الأسرة، سلسلة الأدب، ٢٠٠٨.
- حمدي أبو جليل: لصوص متقاعدون، ميريت للنشر والمعلومات، ط٢، مارس ٢٠٠٤.
- سامي إسماعيل: ليت أسماء، دار العالم الثالث، القاهرة، ٢٠٠٧.
- محمد الفخراني: فاصل للدهشة، الدار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.
- نجيب محفوظ: زقاق المدق، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
- .....: قصر الشوق، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.
- .....: الطريق، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.
- .....: الشحاذ، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.
- .....: ثرثرة فوق النيل، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.
- وفاء بغدادى: الموتى لا يرتدون الأحذية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة أصوات أدبية، العدد (٤٣٠)، ٢٠١١.

### ثانياً: المراجع:

- أحمد علواني: الجسد بين المتخيل السردى والنسق الثقافى، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة / طنطا، ط١، ٢٠١٩.
- أحمد مستجير: بيولوجيا الخوف، الجزء الثانى، مكتبة الأسرة، ٢٠١٠.
- أماني أبو رحمة: آفاق التحويلات السردية نحو بعد ما بعد الحداثة (ملامح الجماليات القادمة)، المتقى الثالث للنص الجديد (ما بعد قصيدة النثر)، نظمته مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، من ٢ حتى ٤ فبراير ٢٠١٣.
- ثائر زين الدين: قارب الأغنيات والمياه المخاتلة «توظيف الأغنية في نماذج من القصة القصيرة والرواية»، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

- دانيال تشاندلر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ترجمة: د. شاکر عبد الحمید، مراجعة: نهاد صلیحة، أكاديمية الفنون، وحدة الإصدارات، دراسات نقدية، العدد (٣)، ٢٠٠٢.
- سعید یقطین: تحلیل الخطاب الروائي «الزمن، السرد، التبئیر»، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٣.
- السيد إبراهيم: نظرية الرواية «دراسة لمناهج النقد الروائي في معالجة فن القصة»، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨.
- شكري عزيز الماضي: أنماط الرواية العربية الجديدة، سلسلة عالم المعرفة، شهرية ع (٣٥٥)، سبتمبر ٢٠٠٨.
- صبري حافظ: البنية النصية لسيرة التحرر من القهر، فصول، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، الأدب والحرية، ج٢، صيف ١٩٩٢.
- عبدالله الغدامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٥.
- فريدريك جيمسون: التحول الثقافي (كتابات مختارة في ما بعد الحداثة ١٩٨٣-١٩٩٨)، ترجمة: محمد الجندي، مراجعة: فاطمة موسى، تصدير: السيد يسين، أكاديمية الفنون، وحدة الإصدارات، دراسات نقدية (٢)، ٢٠٠٠.
- ماري تريز عبد المسيح: التمثيل الثقافي بين المرئي والمكتوب، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٢.
- مايك فيزرستون: ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، ترجمة: أ. د/ فريال حسن خليفة، مراجعة: أ. د/ فتحي عبدالله دراج، مكتب الأسرة، سلسلة العلوم الاجتماعية، ٢٠١٠.
- محمد العبد: الصورة والثقافة والاتصال، فصول مجلة النقد الأدبي، مجلة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٢، صيف وخريف، ٢٠٠٣.
- معجب الزهراني: الرواية النسائية والخطاب الثقافي الجديد، بحث ضمن كتاب العربي، وزارة الإعلام، الكويت، سلسلة فصلية، العدد (٧٧)، ١٥ يوليو ٢٠٠٩.

- ميشيل بوتور: الرواية كبحث، ضمن كتاب الرواية اليوم، إعداد وتقديم: مالكوم براد بري، ترجمة: أحمد عمر شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني، العدد (١٩٨)، ١٩٩٦.
- نبيل الشاهد: العجائبي في السرد العربي القديم «مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة نموذجاً»، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠١٢.
- يمى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.



## References:

### First: Sources:

- Ahmad Abu Khaniger: The Aunt is the Sister of Men, The Family Library, Literature Series, 2008.
- Hamdi Abu Jalil: Retired Thieves, Merit Publishing and Information, Second Edition, March 2004.
- Sami Ismail: Wish Asmaa, The Third World House, Cairo, 2007.
- Mohammad Al-Fakharany: Separator for Surprise, House for Publishing and Distribution, Edition2, 2007.
- Naguib Mahfouz: zoqaq Al-Madaq, Lebanon Library, Beirut, Edition 1, 1990.
- .....: Qasr El Shawq, Misr Library, Cairo, without date.
- .....: The road, Misr Library, Cairo, without date.
- .....: The beggar, Library of Egypt, Cairo, without date.
- .....: Gossip over the Nile, Library of Egypt, Cairo, without date.
- Wafa Boghdady: The Dead Do Not Wear Shoes, The General Authority for Cultural Palaces, Literary Voices Series, 430, 2011.

### Secondly: References:

- Ahmed Elwany: The body between the narrative imaginative and the cultural system, Dar Al-Nabigha for Publishing and Distribution, Cairo/Tanta, 1st Edition, 2019.
- Ahmed Mostagir: The Biology of Fear, Part Two, The Family Library, 2010.
- Amany Abu Rahma: Prospects for Narrative Shifts Toward Post-modernism (Features of the Coming Aesthetics), The Third Forum for the New Text (Beyond the Prose Poem), organized by the Arwaq Foundation for Studies, Translation and Publishing, the Supreme Council for Culture, Cairo, from 2 to 4 February, 2013.
- Thaer Zain Al-Din: A Boat of Songs and Muddled Water «Using the Song in Models of the Short Story and the Novel», Arab Writers Union Publications, Damascus, 2001.
- Daniel Chandler: Glossary of Basic Terms in Sign Science (Semiotics, Translated by: Dr. Shaker Abdel Hamid, Revision by: Nihad Saliha, Academy of Arts, Publications Unit, Critical Studies, (3) 2002.

- Saeed Yaqtin: Analysis of the Narrative Discourse «Time, Narration, Focus» Arab Cultural Center, Casablanca, Edition 2, 1993.
- Al-Sayed Ibrahim: The theory of the novel, «A study of approaches to fictional criticism in treating the art of story», Quba Publishing House, Cairo, 1st Edition, 1998.
- Shukri Aziz Al-Mady: Styles of the New Arabic Novel, The World of Knowledge Series, Monthly (355), September 2008.
- Sabri Hafez: The Textual Structure of the Biography of Freedom from Oppression, Fosul, Volume 11, Number Two, Literature and Freedom «Part Two», Summer 1992.
- Abdullah Al-Ghadhami: Cultural Criticism (Reading in Cultural Patterns), The Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 3rd Edition, 2005.
- Frederick Jameson: Cultural Transformation, (Selected Writings in Postmodernism 1983-1998), Translated by: Muhammad Al-Jundi - Review by: Fatima Musa, Foreword: Al-Sayed Yessin, Academy of Arts, Publications Unit, Critical Studies (2), 2000.
- Marie Therese Abdel-Masih: Cultural representation between the visible and the written, The Supreme Council for Culture, Edition 1, 2002.
- Mike Fazerston: The Culture of Consumption and Postmodernity, Translated by: Prof. Dr. Feryal Hassan Khalifa, Revision by: Prof. Dr. Fathi Abdullah Darraj, The Family Office, Social Sciences Series, 2010.
- Mohammad Al-Abd: Image, Culture and Communication, Chapters of Literary Criticism Magazine, Quarterly magazine issued by the Egyptian General Book Authority, Issue 62, Summer and Autumn, 2003.
- Mujib Al-Zahrany: The Women's Novel and the New Cultural Discourse, Research within the book Al-Arabi, Ministry of Information, Kuwait, Quarterly Series, Issue (77), July 15, 2009.
- Michel Butor: The novel as a research, within the book of the novel today, Prepared and presented by: Malcolm Brad Barry, Translated by: Ahmed Omar Shaheen, The Egyptian General Book Authority, The second thousand book series, Issue (198), 1996.
- Nabil Al-Shahed: The Miraculous in the Old Arabic Narration, «One Hundred and One Nights, Wonderful Tales and Strange News as an Example», Dar Al-Warraq for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1st Edition, 2012.

- 
- Youmna Al-Eid: Narrative Techniques in Light of the Structural Method, Dar Al-Farabi, Beirut, 1st Edition, 1990.
  - Kusnir, Jaroslav. American Fiction: Modernism-Postmodernism, Popular Culture, and Metafiction ibidem-Verlag, 2007.
  - Tom Kindt and Hans-Harald Muller (ed): What Is Narratology? Questions and Answers Regarding the Status of a Theory, Walter de Gruyter, Berlin, New York, Copyright 2003.
  - Linda Kalof: Looking at animals in human history, Published by Reaktion Books Ltd, Michigan- London, First published 2007.

الفرائد الواردة في سياق الحديث  
عن الإعراض عن القرآن الكريم  
– دراسة دلالية وصفية –

**The Unique Discourse about  
Turning away from Holy Quran:  
A Descriptive, Pragmatic Study**

د. محمود علي عثمان عثمان  
جامعة الملك فيصل – المملكة العربية السعودية

**Dr. Mahmoud Ali Othman Othman**  
King Faisal University - KSA

<https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.07>





## Abstract

The purpose of the research is to highlight the phenomenon of the semantic mastery of the Quranic unives in the context of the Holy Quran, a phenomenon that reflects its graphic miracles in its style and aims to reveal its significance to the purposes of the Holy Quran and its Surah's, to achieve the aim of the study: the researcher used the linguistic analytical method and the descriptive method, the study concluded in its results to phenomenon of the artistic semantic consistency of the Qur'anic authors is related to the relations between the successive structures of the surah - in which the unique - whole is presented according to: a unique and lexical connotation of the context in which they were called, the purpose of the sura and the purposes of the Qur'an, so that the meaning of the whole meaning accurately and does not enrich other synonyms singing, to prove the building and artistic consistency and its renewed flow of shadows and meanings and meanings that expand and grow and overflowing and renewed by meditating in these unives, the study recommended the continuation of monitoring the phenomenon of semantic mastery of Quranic Unives mentioned in other subjects and renewal of our reading of the Holy Quran and study it to achieve its meditation.

**Keywords:** The semantic mastery, Unives.

## ملخص البحث

يهدف البحث إلى: الكشف عن ظاهرة التمكن الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم، وهي ظاهرة تعكس إعجازه البياني في أسلوبه، ولتحقيق هذا الهدف فقد سلك الباحث المنهج التحليلي اللغوي، والمنهج الوصفي، وخلصت الدراسة إلى أنّ ظاهرة التمكن الدلالي للفرائد القرآنية ترتبط بالعلاقات بين البنى المتوالية للسورة - الواردة فيها الفريدة - بأكملها على وفق: مناسبة دلالة الفريدة معجمياً، لسياقها الذي استدعاها، وهاتان العلاقتان مجتمعتان مكنتا الفريدة دلالياً من التفرد في سياقها بحيث تؤدّي المعنى المراد كله بدقة ولا يغني غيرها من مرادفات غناها، ليثبت بذلك بناؤها واتساقها الفني وفيضها المتجدد من الظلال والمعاني والدلالات التي تتسع وتنمو وتفيض وتتجدد بتدبر هذه الفرائد، وأوصت الدراسة بمواصلة رصد ظاهرة التمكن الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في موضوعات أخرى، وتحديد قراءتنا للقرآن الكريم ومدارسته بما يحقق تدبره.

الكلمات المفتاحية: التمكن الدلالي،

الفرائد.



## المقدمة

القرآن الكريم معجزة النبي ﷺ الخالدة، لا تنقضي عجائبه ولطائفه وأسراره، ولا تفنى غرائبه، أنزله الحكيم الخبير بميزان حكيم دقيق، فجاء في ذروة الفصاحة والبلاغة إلى الحد الذي عجز عنه جميع الناس، فكل حرف وكل لفظة فيه لا يغني غيرها عنها، وقد هداني الله تعالى إلى البحث في كنز من كنوز القرآن الكريم المتعلقة بإعجازه اللغوي والبياني، وإلى أسلوب من الأساليب المعجزة للتعبير القرآني، وهي الألفاظ الفرائد التي ذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم دون أن يتكرر جذرها اللغوي على أي حال من الأحوال، أو صيغة من الصيغ، وكانت هناك ألفاظ قريبة من معناها تشترك معها في الحقل الدلالي، ولكن لما أثر القرآن الكريم استعمال تلك الفرائد دون ما يقاربها من الألفاظ في المعنى، كان لذلك الإيثار سرّاً بلاغيّاً وإعجاز بياني جاء البحث ليكشف عنها بحول الله تعالى، مثبتاً تمكّنها الدلالي من موقعها في السياق القرآني الواردة فيه.

وقد عدّ علماء الإعجاز استعمال القرآن الكريم لأفصح الألفاظ بأحسن المواقع، متضمّنة أسلم المعاني، وأعلى الوجوه دلالة، من مخائل<sup>(١)</sup> إعجاز القرآن<sup>(٢)</sup>، حتى أوضح الخطّابي هذا العلم بقوله: «واعلم أنّ القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمّناً أصح المعاني»<sup>(٣)</sup>.

١ - مخائل: علامات، دلالات، ينظر: إبراهيم أنيس- عبد الحليم منتصر- عطية الصواحي- محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مادة (خيل)، مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٢٦٦.

٢ - ينظر: محمد حسين علي الصغير، تطور البحث الدلالي دراسة تطبيقية في القرآن الكريم. بيروت، دار المؤرخ العربي، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٤٨.

٣ - بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، سلسلة: ذخائر العرب (١٦)، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م، ص٢٧.



وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من الاعتبارات الآتية:

#### أولاً: الفوائد العلمية

- حلّ المشكلة البحثية المتمثلة ببيان المسوّغات التي مكّنت الفرائد القرآنية الواردة في ثنايا الحديث عن القرآن الكريم - دلاليًا من سياقها، وبيان الرؤية القرآنية التي يمكن أن تكشفها هذه الفرائد تجاه القرآن الكريم ذاته.

#### ثانياً: الفوائد التطبيقية

- فتح المجال أمام الباحثين في الحقلين القرآني والبلاغي للوقوف على ظاهرة التمكّن الدلالي للفرائد القرآنية الموضوعية، وتقديم بحوث تناول الفرائد القرآنية من جوانب موضوعية أخرى تناولتها الفرائد القرآنية.

- يمكن أن تكون هذه الدراسة نواة لتأليف معجم موضوعي للفرائد القرآنية، على غرار معاجم الألفاظ (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيلسوف الآبادي)، ومعاجم الآيات، وعلى غرار معجم الفرائد القرآنية الذي كان من فكرة الأستاذ باسم البسومي.

#### الدراسات السابقة

بعد الاطلاع والبحث لم أقف على دراسة مستقلة تناولت التمكّن الدلالي في الفرائد القرآنية الموضوعية الواردة عن القرآن الكريم، ومن أهم الدراسات المتعلقة بمجال الدراسة في موضوع الفرائد القرآنية ما يأتي:

أولاً: معجم الفرائد القرآنية<sup>(١)</sup>، رصد فيه مؤلفه الفرائد القرآنية، وقام باستخراج معانيها من المعاجم اللغوية وكتب التفسير التي تركّز على الجانب اللغوي، وهي دراسة معجمية بحثية.

١- باسم سعيد البسومي، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، رام الله، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

ثانياً: الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية<sup>(١)</sup>، تعرّض للأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية الواردة في ثنايا القصص القرآني فقط، فبين معنى الفرائد في كتب التفسير واللغة، ويذكر مرادفات الفريدة موازناً بينها وبين الفريدة موضع الدراسة؛ وصولاً إلى بيان الأسرار البلاغية التي كانت وراء اختيار تلك الفريدة دون غيرها من مرادفاتهما.

ثالثاً: بلاغة الفرائد القرآنية<sup>(٢)</sup>، حيث قامت الباحثة باستقراء الفرائد القرآنية كاملة وتصنيفها ودراستها، واستخراج الفنون البلاغية منها بعلمها الثلاثة.

رابعاً: الانفرادات اللفظية، دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية- دراسة تطبيقية، وهو عنوان مشروع علمي تقدمت به شعبة التفسير في قسم أصول الدين في الجامعة الأردنية لأطروحات الدكتوراة، شمل جميع سور القرآن الكريم، وقسم المشروع إلى سبع أطروحات، تمت الأطروحة الأولى من المشروع عام ٢٠١٥م، وتمت الأطروحة الأخيرة عام ٢٠١٧م، والمشروع عبارة عن دراسة دلالية موضوعية تربط بين دلالات الألفاظ الفريدة وبين شخصية وموضوعات السور الواردة فيها تلك الفرائد؛ للوقوف على أثر تلك الفرائد في تحديد موضوع السورة الواردة فيها.

فما تصنيفه الدراسة الحالية هو أنها تدرس التمكّن الدلالي في الفرائد القرآنية الموضوعية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم من منظور لغوي بياني سياقي، فلا تُدرس المفردة القرآنية خارج سياقها، وهذا - على حدّ علم الباحث - مما لم يُتناول بدراسة علمية مستقلة محكمة، فتبين لي بناء على ذلك حداثة وجدية الموضوع وعدم طرقه من قبل الباحثين على الرغم من أهميته.

١- عبد الله عبد الغني سرحان، مركز التدبّر للاستشارات التربوية والتعليمية، مطابع نجد التجارية، السعودية، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٢- سارة بنت نجر بن ساير العتيبي، رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

### منهج البحث:

وللإجابة عن أسئلة الدراسة اقتضت طبيعة الدراسة تعدد المناهج، ولذلك فإن الباحث جمع بين التحليل والوصف للفرائد القرآنية:

- المنهج التحليلي اللغوي: في تحليل الفرائد القرآنية لغويا لبيان معناها.
- المنهج الوصفي: الذي يرصد ويصف خصائص ظاهرة التمكن الدلالي الفني للفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن في التعبير القرآني؛ للتوصل إلى نتائج عملية فسّرت ووصفت بطريقة موضوعية دقيقة تنسجم مع المعطيات والبيانات الصحيحة لهذه الظاهرة.

### خطة البحث:

وتحقيقا لغاية البحث وأهدافه، ومحاولة للإجابة عن إشكاليته السابقة، فقد ارتأيت تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، والدراسة التطبيقية، وخاتمة.

المقدمة: وقد تضمنت عرض موضوع البحث، وإشكاليته، وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهجيته، وخطته.

التمهيد: التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث: الفريدة، والتمكن الدلالي.

الدراسة التطبيقية: مسوّغات التمكن الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم، وشملت أربعة مباحث كالاتي:

المبحث الأول: الإعراض عن القرآن الكريم.

المبحث الثاني: افتراء المشركين على القرآن الكريم

المبحث الثالث: محاكاة المنكرين والجاحدين من الكفار والمشركين.

المبحث الرابع: تكفل الله بحفظ القرآن الكريم وجمعه وبيانه

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث

أولاً: الفرائد

لغة: الفرائد جمع فريد وفريدة، مأخوذة من (فرد) وهو أصل صحيح يدل على وحدة، والفريد: الدرّ إذا نُظِمَ وفُصِّلَ بَيْنَهُ بغيره، وهو الذي لا مثيل له في جودته، والفريدُ والفرائدُ: الشُّدْرُ من فَضَّة الذي يَفْصَلُ بين اللؤلؤ والذهب، وقيل الفريدُ الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها، وذَهَبٌ مُفْرَدٌ مَفْصَلٌ بالفريد، وهو الدرّ الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد والذهب مفرد<sup>(١)</sup>.

اصطلاحاً: أول من أورد مصطلح الفرائد هو ابن أبي الإصبع المصري في كتابه (تحرير التحبير) تحت (باب الفرائد)، وقال في تعريفه: «هذا باب مختص بالفصاحة دون البلاغة؛ لأن مفهومه إتيان المتكلم بلفظة تنزل من كلامه منزلة الفريدة من حبّ العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته، وشدة عربيته، حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعزّ على الفصحاء غرامتها (خسرانها وفقدانها من الكلام)»<sup>(٢)</sup>.

١ - ينظر: جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة (فرد)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ٣/٣٣١؛ وأحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة (فرد)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، د. م. د. ط، ١٣٩٩هـ، ٤/٥٠٠.

٢ - تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٥٧٦.

وبهذا يرى الباحث أن الفرائد القرآنية هي: الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، ولم يتكرر جذرها اللغوي على أي صورة من صورها اللفظية، من حيث مادتها وصيغتها وهيئتها، ولا يسد غيرها من مرادفات مسدّها في موضعها، فتمكّنت بذلك دلالتها من موقعها في سياقها<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: التمكن الدلالي

التمكن لغة: من (مكن) بمعنى القدرة والاستطاعة والقوة والشدة والاستقرار، يقال (أمكنه) من الشيء جعل له عليه سلطاناً وقدرة، ويقال فلان لا يمكنه النهوض لا يقدر عليه، وتمكّن عند الناس علا شأنه، وتمكن المكان وبه استقر فيه، وتمكّن من الشيء قدر عليه أو ظفر به<sup>(٢)</sup>.

التمكن مرتبط بالأسلوب من حيث موضع البنية من النظم -إطار الجملة النحوية الواحدة- وحسن ملاءمة معناها لمعنى ما يجاورها من أبنية<sup>(٣)</sup>، يقول الجرجاني: «وهل قالوا: لفظة متمكنة، ومقبولة، وفي خلافه: قلقلة ونابية، ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنّبوء عن سوء التلاؤم، وأنّ الأولى لم تَلَقْ بالثانية في معناها، وأنّ السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في مؤدّاهما؟»<sup>(٤)</sup>.

١- صُعْتُ تعريف الفرائد من خلال الرجوع إلى: عبد الله عبد الغني سرحان، الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، ص ١٣؛ وغافل، والحلبي، التمكن الدلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم، ص ٢٠٢.

٢- ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (مكن)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٦ / ٢٢٠٥؛ وابن منظور، لسان العرب، مادة (مكن)، ١٣ / ٤١٤؛ وإبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (مكن)، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م، ص ٨٨٢.

٣- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني - جدة، دار المدني - القاهرة، ط ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٤٤؛ ومحمد غافل، وشكيب غازي، التمكن الدلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم، ص ١٩٨.

٤- دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٤٥.

وأما التمكن الدلالي للفرائد القرآنية من سياقها فيمكن تعريفه إجرائياً بأنه: مكانها من النظم، وتناسقها وحسن ملاءمة معناها المعنى ما يجاورها داخل التركيب، ويرتبط تمكن اللفظة بالعلاقات بين البنى المتوالية للنص بأكمله على وفق مناسبة اللفظة لمعناها وسياقها الذي ترد فيه، وهذه العلاقات المتماسكة بين هذه العناصر مجتمعة تمكن الفريدة دلاليًا من التفرد في سياقها بحيث تؤدي المعنى المسوقة من أجله بدقة ولا تغني لفظة أخرى تقترب من دلالتها العامة غناءها<sup>(١)</sup>.

الدراسة التطبيقية: مسوغات التمكن الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم

### المبحث الأول: الإعراض عن القرآن الكريم.

الإعراض: أَعْرَضَ عَنِ الشَّيْءِ بِمَعْنَى صَدَّ عَنْهُ، وَوَلَّاهُ ظَهْرَهُ، يُقَالُ أَعْرَضَ الشَّيْءُ يُعْرَضُ مِنْ بَعِيدٍ إِذَا ظَهَرَ<sup>(٢)</sup>، فقد أمر الله تعالى عباده بالإيمان بالقرآن والعمل به، وهذا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبليغه قومه ويطلبه منهم، ولكن الكفار أَعْرَضُوا عَنِ الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْهُدَى، وَأَخْلَدُوا إِلَى التَّقْلِيدِ وَإِلَى أَبْطِيلِ الْمُضِلِّينَ، فَيَدْعُونَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَاهِرٌ لَهُمْ، وَقَدْ صَوَّرَ الْقُرْآنُ حَالَ الْكُفَّارِ الْمَعْرُضِينَ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَصَيَّرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَنْعَامِ، فَهِيَ تَقْبَلُ بَدْعَاءَ رَاعِيهَا وَلَا تَفْهَمُ لِمَاذَا دَعَا، كَمَا بَيَّنَّ الْقُرْآنُ الْأَسْبَابَ وَالْمَوَانِعَ الَّتِي حَجَبَتْ الْكُفَّارَ عَنْ أَنْ يَبْصُرُوا الْحَقَّ بِقُلُوبِهِمْ، وَدَفَعَتْهُمْ إِلَى الْإِعْرَاضِ وَالصَّدِّ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهَذَا مَا سَنَعْرُضُهُ فِي الْمَطْلُبِينَ الْآتِيَيْنِ.

١- صُغِّتْ هَذَا التَّعْرِيفَ مِنْ خِلَالِ النَّظَرِ فِي: الْجِرْجَانِي، دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي، ٤٤؛ وَطَالِبُ مُحَمَّدِ إِسْمَاعِيلِ الزُّوْبَعِيِّ، مِنْ أَسَالِيبِ التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ دَرَسَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَأَسْلُوبِيَّةٌ فِي ضَوْءِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، دَارُ النَّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بَيْرُوتَ، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٣٥٩؛ وَالتَّمَكُّنُ الدَّلَالِيُّ لِلْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ص ٢٠٠.

٢- يَنْظُرُ الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، مَادَّةُ (عَرْضُ)، ٥٩٣/٢، وَأَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ، تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدُ عَوْضُ مَرْعَبٌ، مَادَّةُ (عَرْضُ)، دَارُ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ-بَيْرُوتَ-٢٠٠١م، ٣/٣٧، لِسَانُ الْعَرَبِ مَادَّةُ (عَرْضُ)، (٧/١٦٥).

## المطلب الأول: تمثيل وتصوير حال المعرضين عن القرآن الكريم.

جاءت فيه الفريدة ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۗ صُمُّ بَكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٧١ .

### أولاً: الدلالة المعجمية

النَّعِقُ: مصدر نَعَقَ يَنْعِقُ نَعَقًا وَنَعِيقًا، وهو صياح الراعي بالغنم وزجره إياها، والنعيق: دعاء الراعي الشاء، وهي كلمة تدلّ على صَوْت، ونعق: نادى، دعاء، سمى<sup>(١)</sup>، ومن معاني (النعيق) التي أضافها الألووسي: «التتابع في التصويت على البهائم للزجر»<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: السياق الخاص

تحدّث هذه الآية والتي قبلها<sup>(٣)</sup> عن الكفار المعرضين عن القرآن والهدى، فقد حكى الله تعالى عن الكفار أنهم عند دعائهم إلى اتباع ما أنزل الله تركوا النظر والتدبّر، وأخلدوا إلى التقليد، وقالوا معاندين: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من المعتقدات والتقاليد، وبعدها ضرب لهم هذا المثل تنبيهاً للسامعين لهم أنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وقلة الاهتمام بالدين، فصيرهم من هذا الوجه بمنزلة الأنعام، فمثل الذين كفروا في اتباعهم لأبائهم كالراعي الذي يصيح منادياً على بهائمهم، فلا تسمع إلا جرس النعمة ودويّ صوته ولا تفهم قوله،

١- ينظر: محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، مادة (نعق)، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ٢/٩٤٣؛ والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (نعق)، ٢/٢١٨.

٢- شهاب الدين محمود بن عبد الله الألووسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ١٤١٥ هـ، ١/٤٣٩.

٣- وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كُنَّا آبَاءَهُمْ وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ١٧٠.

وَضَرَبُ هذا المثل كناية عن عدم استجابة الكفار لما أنزل الله تعالى<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: سرّ اختيار الفريدة ﴿يَبْعُقُ﴾ في سياقها وأسرارها البلاغية

تشمل الفريدة ﴿يَبْعُقُ﴾ دلالات توحى بدم التقليد، وتزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، وتطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما، وهذا ما جعلها الأفضل لملاءمة للسياق، بالإضافة إلى الأسرار البلاغية الناشئة عن ذلك، وذلك كما يأتي:

- تشير الفريدة ﴿يَبْعُقُ﴾ بالإضافة إلى سياقها الواردة فيه إلى قاعدة هامة، وهي أنه لا بدّ من اكتمال الحواس (السمع والبصر والعقل) عند المدعو ليصل إلى الفهم والإدراك لما يُدعى إليه، فالكفار لم يعقلوا ولم يستجيبوا لما أنزل الله تعالى من الهدى والنور، فهم «كالصمّ لا يسمعون الحقّ سمع تدبر وفهم، وكالبكم الذين لا يستجيبون لما دعوا إليه، وكالعمي في الإعراض عن الأدلة حتى كأنهم لم يشاهدوها، ولذلك لم يصلوا إلى الحقّ؛ لأن اكتسابه إنما يكون بالنظر والاستدلال وأنّى لمن فقد هذه الحواس أن يصل إلى الحقّ ويقبله؟»<sup>(٢)</sup>.

- تشير الفريدة ومن خلال معناها المعجمي السابق عرضه إلى أن الكفار لم يستجيبوا لدعوة النبي ﷺ فبالرغم من الصوت العالي المتتابع من الراعي على غنمه؛ ليسوقها إلى المرعى، ويدعوها إلى الماء، ويزجرها عن الحمى، فتستجيب دعوته وتنزجر بزجره، ولكنها لا تعقل مما يقول شيئاً، وكذلك حال الكفار، فبالرغم من تتابع دعوة النبي ﷺ لهم للإيمان بالقرآن الكريم ووجود

١- ينظر: محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٨٩/٥؛ وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١/٤٣٩؛ وجماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط٣، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٦هـ، ص٢٦.

٢- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م، ٢/٤٥-٤٦.



ما يهيجهم ويستشيرهم لقبول دعوته من المعجزات الدالة على صدقه، إلا أن الكفار لا يفهمون منه ﷺ إلا كما تفهم البهائم من دوي الصوت.

- نستدل من المعنى المعجمي للفريدة ﴿يَنْعُقُ﴾ أنها تحوي -بالإضافة إلى معنى الصياح بصوت عالٍ وبتتابع - معنى الزجر، فالراعي يرفع صوته بالنعيق ليسوقها إلى المرعى، ويدعوها إلى الماء، ويزجرها عن الحمى، فالنعيق فيه متابعة وتقويم لمسير المنعوق به للوصول إلى الغاية وهي المرعى والماء، وهذا يجعل من الفريدة ﴿يَنْعُقُ﴾ ذات دلالات دعوية كثيرة، منها تسلية وتعزية للنبي ﷺ والدعاة من بعده عند عدم استجابة المدعوين لدعوتهم، فهدف الدعاة ينبغي أن يكون تقويم المدعوين والصبر عليهم حتى لو لم يعقلوا ويعرفوا الحق، والصورة المنفرة التي ترسمها الفريدة ﴿يَنْعُقُ﴾ ستبقى متجددة مستمرة وذلك في كل زمان ومكان لكل من تسول له نفسه التعامي عن الحق، وهذا ما توحيه صيغة المضارع للفريدة ﴿يَنْعُقُ﴾ الدالة على استمرار التجدد.

- إن اصطفاء القرآن للفريدة ﴿يَنْعُقُ﴾ في هذا السياق الذي يذم فيه التقليد بلا فهم ولا عقل ولا إدراك، متمكن من دلالتها المرادة في أن الكفار لم يصلوا إلى معرفة الحق ولم يستجيبوا لما دُعوا إليه، وعليه فالسياق يقتضي استعمال الفريدة ﴿يَنْعُقُ﴾ دون مرادفاتهما من مثل (ينادي، أو يصيح، أو يصوت، أو يدعو)، فهي لا تغني غناء الفريدة ﴿يَنْعُقُ﴾ ولا تعادل (النَّق) في دلالاتها الخاصة التي ذكرت سابقاً على الصياح والدعاء والنداء بصوت عالٍ وبتتابع للتهيج والزجر والاستجابة لدعوة الناقع دون فهم ما يُقال لها.

فالنِّدَاءُ: رَفْعُ الصَّوْتِ وَظُهُورُهُ، وَقَدْ يُقَالُ ذَلِكَ لِلصَّوْتِ الْمَجْرَدِ، وَإِيَّاهُ قَصَدَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ البقرة:

١٧١، أي: لا يعرف إلا الصَّوْتُ المجرَّد دون المعنى الذي يقتضيه تركيبُ الكلام، ويقال للمركَّب الذي يُفهم منه المعنى ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ أَقْوَمُ الظَّلْمِينَ﴾ الشعراء: ١٠.

وَالدُّعَاءُ يكون برفعِ الصَّوْتِ وخفضه يُقال دَعَوْتُهُ من بعيد ودعوت الله في نفسي، والصيحاح رفع الصَّوْتِ بما لا معنى له ولا يكون إلا لحيوان، وأما الصَّوْتُ فهو عام في كل شيء، تقول: صَوْتُ الحجرِ وَصَوْتُ البَابِ وَصَوْتُ الإنسان<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فالنداء أو التصويت أو الدعاء أو الصيحا قد تكون بصوت عالٍ ظاهر كالنعيق، ولكنها تخلو من الدلالات الخاصة الأخرى للفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ والتي ذكرت سابقاً، كما قد يعقل ويفهم المنادى والمدعو ما يُقال له، وقد لا يعرف إلا الصَّوْتُ المجرَّد دون المعنى الذي يقتضيه تركيبُ الكلام، بخلاف المنعوق به الذي لا يعقل ما يُلقى عليه، وجاء قوله تعالى ليؤكد هذه الدلالة الخاصة للفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ حيث ذكر المنعوق به بلازم من لوازمه، فقال تعالى: ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾ البقرة: ١٧١، وما لا يسمع أي لا يدرك بالاستماع إلا دعاء ونداء، كما أن الدعاء للقريب والنداء للبعيد، والفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ تجمع بين القرب والبعد، والكفار كانت دعوتهم من قريب ومن بعيد وبجميع الوسائل، والفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ تحتل القرب والبعد، ولكنها تنفرد بعدم الفهم لما يُدعى إليه المنعوق به.

- دلت الفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ مع سياقها الواردة فيه على الإيجاز بأسلوب الاحتباك<sup>(٢)</sup>؛ واتبعت الآية السابقة أسلوب الاحتباك لإصلاح الفكر

١- ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق محمد سليم، دار العلم، القاهرة، د. ط، د. ت)، ص ٣٨؛ والحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ص ٧٩٦؛ وأبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ١٤٦٦.

٢- الاحتباك: «أن يؤتى بكلامين في النص في كل منهما متضادان، أو متشابهان، أو متناظران، أو منفيان، أو يشتركان نوعان منهما في نص واحد، فيحذف من أحد الكلامين كلمة، أو جملة إيجازاً ويأتي ما يدل =

والارتقاء بالعقل والتنفير من التقليد الأعمى، ففي الآية حذفان: حذف من الأول وهو (داعيتهم وهو محمد ﷺ) وأثبت نظيره في الثاني وهو (الذي ينعق)، وحذف من الثاني (المنعوق به وهو الغنم) وأثبت نظيره في الأول (وهو الذين كفروا)، فيكون التقدير: مثلك يا محمد ﷺ ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به<sup>(١)</sup>، وقد حذف اسم الرسول ﷺ من الأول لدلالة الذي ينعق عليه في الثاني، وحذف المنعوق به من الثاني لدلالة (الذين كفروا) عليه في الأول.

وكان للمحذوف في الطرفين أثر في المعنى، ففي حذف الأول وهو اسم الرسول أو ما يدل عليه رفع لشأنه، حتى لا يُقرن بالذي ينعق بما لا يسمع، وأما المنعوق به (الغنم) فلم يصرح به بل ذكره بلازم من لوازمه ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾؛ احتقاراً وحقاً من شأنهم<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن عاشور: «والمثل هنا لما أضيف إلى الذين كفروا كان ظاهراً في تشبيه حالهم عند سماع دعوة النبي ﷺ إياهم إلى الإسلام بحال الأنعام عند سماع دعوة من ينعق بها في أنهم لا يفهمون إلا أن النبي ﷺ يدعوهم إلى متابعتهم من غير تبصر في دلائل صدقه وصحة دينه، فكل من الحالة المشبهة والحالة المشبهة بها يشتمل على أشياء: داع ومدعو ودعوة، وفهم وإعراض وتصميم، وكل من هاته الأشياء التي هي أجزاء التشبيه المركب صالح لأن يكون مشبهاً بجزء من أجزاء المشبه به،

= على المحذوف في الثاني، ويحذف من الثاني كلمة أو جملة أيضاً قد أتى ما يدل عليها في الأول، فيكون باقي كل منهما دليلاً على ما حذف من الآخر، ويكمل كل جزء الجزء الآخر ويتممه ويفيده من غير إخلال في النظم ولا تكلف»، ينظر: بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، ٣/١٢٩.

١- ينظر: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢/١٠٦.

٢- ينظر: أحمد عبد الله البيلي البدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٥م، ص ٩٩.

وهذا من أبداع التمثيل وقد أوجزته الآية إيجازاً بديعاً<sup>(١)</sup>.

إنّ استخدام أسلوب الاحتباك من خلال المحذوف في طرفي الآية غايته أخذُ العبرة والعظة للقارئ وللسامع لهذا المثل الذي جعل فيه الكافر كالبهيمة، بهذا الأسلوب الذي ينفذ إلى عقله وقلبه وفكره، ويمسّ سرائر نفسه، «فيكون في ذلك نهاية الزجر والردع لمن يسمعه عن أن يسلك مثل طريقه في التقليد»<sup>(٢)</sup>، فيصلح عقيدته بالتوحيد، ولا يسلك سبيل الكفار، وإلا صار كالبهيمة التي لا تعقل.

### المطلب الثاني: أسباب الإعراض عن القرآن الكريم

وردت فيه فريدتان، هما: ﴿رَانَ﴾، و﴿أَفْأَلَهَا﴾، وردت الفريدة ﴿رَانَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين: ١٤، ووردت الفريدة ﴿أَفْأَلَهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْأَلَهَا﴾ محمد: ٢٤، وسأتناول الفريدتين معاً؛ كونهما من الموانع التي تحجب القلب عن القرآن الكريم والإيمان.

#### أولاً: دلالة الفريدتين المعجمية

##### • دلالة الفريدة ﴿رَانَ﴾ المعجمية

الرَيْن: أصل يدلّ على غطاء وسِتْر، ورانت الخمرُ على قلبه: غلبته، ومن الباب: رانت نفسي ترين، أي خبثت وغثت، والرَيْن: الطَّبَعُ والدَّنَسُ، يقال: ران على قلبه ذنبه أي غطاه، وهو الذنب على الذنب حتى يسودّ القلب، وهذا من الغلبة عليه، وأران القوم، هلكت مواشيهم أو هزلت من شدة أصابتهم لأن ذلك مما غلبهم، والرون الشدة، ورونة الشيء شدة ومعظمه وغايته في حر أو برد أو

١- محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». (د. ط، تونس: دار سحنون، ١٩٩٧م)، ٢ / ١١١.

٢- الرازي، مفاتيح الغيب، ٥ / ١٨٩.

حرب أو حزن أو غم أو شبهه، والران: الغطاء والحجاب الكثيف والصدأ يعلو الشيء الجلي كالسيف والمرأة ونحوهما وما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب<sup>(٣)</sup>.

• دلالة الفريدة ﴿أَقْفَالَهَا﴾ المعجمية

قفل: أصل صحيح يدلّ أحدهما على أوبة (رجوع) من سفر، والآخر على صلابَة وشدة في شيء، فالأوّل القُفول، وهو الرجوع من السّفَر، وأمّا الأصل الآخر فالقَفِيل، وهو الخشب اليابس، ويقال: قفل النبات، وقفل الفجل، وذلك إذا اشتد هياجه فيبس وهزل، والقَفِيلُ: الشَّعْب الضيق كأنه دَرَبٌ مُقْفَلٌ (مُغْلَق) لا يمكن فيه العَدُو، ومكان غليظ، والمُقْتَفَلُ من الناس: الذي لا يَخْرُجُ من يَدَيْهِ خَيْرٌ، ومنه القُفْل: سُمِّيَ بذلك لأنّ فيه شداً وشدة<sup>(٤)</sup>.

تفرّدت هاتان اللفظتان في السياق السابق لكل منهما - والذي يتحدّث عن الموانع التي تحجب القلب عن القرآن - مع وجود مواضع أخرى مشابهة لهذين السياقين تتحدّث أيضاً عن الموانع التي تحجب القلب عن القرآن واستعملها القرآن من مثل: (الختم، والطبع)، وحتى يتسنى لنا تفسير الخاصية الدلالية والقصد الدلالي لاستعمال كل مانع من المانعين الفريدين ﴿رَانَ﴾ و ﴿أَقْفَالَهَا﴾ في سياقهما دون غيرهما من الموانع، كان لا بدّ من معرفة مفهوم هذه الموانع، وربطها بسياقها الواردة فيه.

٣- ينظر: ابن دريد، جهرة اللغة، مادة (رين)، ٤٤٩/١؛ والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (رين)، ٢٨١/١؛ وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (رين)، ٤٧٠/٢؛ وابن منظور، لسان العرب، مادة (رين)، ١٣/١٩٢.

٤- ينظر: إسماعيل بن عباد الصاحب، المحيط في اللغة، مادة (قفل)، تحقيق محمد آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ٤٢٧/٥؛ ومعجم مقاييس اللغة، ١١٢/٥؛ ولسان العرب، مادة (قفل)، ١١/٥٦٠.

## ثانياً: دلالة الفريدتين ﴿رَانَ﴾ و ﴿أَقْفَالَهَا﴾ السياقية

### • دلالة الفريدة ﴿رَانَ﴾ السياقية

وردت هذه الفريدة في سياق الحديث<sup>(١)</sup> عن الفجار الذين قالوا بأن القرآن الكريم أساطير الأولين وأقاصيص الأمم الأولى وليست كلام الله تعالى، بأسلوب الزجر والتهديد بالويل، ثم بيان الأسباب التي حجت عنهم رؤية الحق ودعتهم إلى مثل هذا القول الباطل<sup>(٢)</sup>.

### • دلالة الفريدة ﴿أَقْفَالَهَا﴾ السياقية

وردت هذه الفريدة في سياق الحديث<sup>(٣)</sup> عن المعرضين من المنافقين الذين يفسدون في الأرض بسفك الدماء الحرام، والبغي والظلم، ويقطعون أرحامهم، فهؤلاء المعرضون أبعدهم الله عن رحمته، وأصم آذانهم عن سماع الحق سماع قبول وإذعان، وأعمى أبصارهم عن إبطاره إبصار اعتبار، ثم بينت الآيات لهؤلاء المعرضين أنهم لو تدبروا القرآن وتأملوا ما فيه لدلهم على كل خير، وأبعدهم عن كل شر، ولكن على قلوب هؤلاء أقفالها قد أحكم إغلاقها، فلا تصل إليها موعظة، ولا تنفعها ذكرى<sup>(٤)</sup>.

١- وهي الآيات: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ ۗ وَمَا أَزْكَرَكَ مَا سَجَّيْنِ ۗ ۝٧﴾ ﴿كَيْتَ مَرْفُومٍ ۗ ۝٨﴾ ﴿وَلِئَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۗ ۝١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ

الَّذِينَ ۗ ۝١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كَلٌّ مَعْتَدٌ ۗ ۝١٢﴾ إِذَا نُفِثَ عَلَيْهِ، ابْتِنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۗ ۝١٣﴾ المطففين: ٧ - ١٣.

٢- ينظر: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٨/٣٥٩، والمختصر في تفسير القرآن الكريم، ص ٥٨٨.

٣- وهي الآيات: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ۗ ۝١٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۗ ۝١٤﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۗ ۝١٥﴾ محمد: ٢٢ - ٢٤.

٤- ينظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ، ٢٦ / ١١٩؛ والمختصر في تفسير القرآن الكريم، ص ٥٠٩.

ثالثاً: سرّ اختيار الفريدين ﴿رَانَ﴾ و ﴿أَقْفَالَهَا﴾ في سياقهما وأسرارهما البلاغية

- بين سياق الفريدين ﴿رَانَ﴾ و ﴿أَقْفَالَهَا﴾ الموانع التي حجبت الكفار والمنافقين عن أن يبصروا الحقّ بقلوبهم، وبين المولى سبحانه وتعالى أن سبب ذلك راجع إلى غفلة المكذبين وتطاولهم بالكبر والمعاصي، و«غَلَبَتْ عَلَيَّ قُلُوبُهُمُ الْمُعَاصِي وَأَحَاطَتْ بِهَا»<sup>(١)</sup>، حتى مَرَنُوا عَلَيْهَا، وجاوزوا الحدّ وبلغوا الغاية في المعصية، فانطمست قلوبهم عن الحقّ وأظلمت، فحينئذ يرين على القلب غطاء وحجاب ثقيل كثيف غليظ يمنع النور والإيمان والقرآن عن الوصول إلى هذا القلب، فَحَبُثْ وَغَثَا وَتَدَنَسْ وَضَعُفْ وَعَلَتْهُ شِدَّةٌ وَقَسْوَةٌ حتى فقد الإحساس وتبلد وربّما مات قلبه، كما قال ابن القيم - رحمه الله -: «موتاً لا يرتجى معه حياة ينتفع بها، بل حياته حياة يدرك بها الألم فقط»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في حديثه عن آثار المعاصي على القلب: «يصدأ من المعصية، فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير راناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انعكس فصار أعلاه أسفله، فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد»<sup>(٣)</sup>، ويقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه موضحاً مفهوم الران: «إنّ العبد إذا أخطأ خطيئةً نُكِنَتْ في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزَعَ

١- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي «معالم التنزيل». تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان الحرش، (ط٤)، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٣٦٥ / ٨.

٢- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة، المغرب، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٩٠.

٣- ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص ٦٠.

واستغفر وتاب سُقِلَ<sup>(١)</sup> قَلْبُهُ، وَإِنْ عادَ زِيدَ فيها حَتَّى تَعْلُوَ قلبه، وهو الرّان الذي ذكره الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

- نستدل من المعنى المعجمي للفريدين ﴿رَانَ﴾ و ﴿أَقْفَالُهَا﴾ أنه لا يغني غناءهما في سياقهما غيرهما من الألفاظ القريبة من دلالتهما من مثل (الختم والطبع) وإن اشتركت جميعها بكونها من الموانع التي تحجب القلب عن الإيمان، وتحمل طابع الإغلاق الفكري عن الحقّ والإعراض عنه، لكنها تفترق في نسبة المنع ومدى ثبوته ولزومه.

وحتى يتسنى تفسير الخاصية الدلالية والقصد الدلالي لاستعمال الفريدين ﴿رَانَ﴾ و ﴿أَقْفَالُهَا﴾ في سياقهما دون غيرهما من مرادفاتهما، كان لا بدّ من بيان الفرق بين مفهوم الران والختم والطبع والقفل، وحتى يظهر الفرق بينها كان لا بدّ من تقسيم مراحل إغلاقهم الفكري عن الحقّ والإعراض عنه إلى مراحل ثلاث:

### المرحلة الأولى: الإغلاق الفكري المؤقت الجزئي للمنافذ المؤدّية إلى الإيمان:

وتمثل هذه المرحلة الفريدة ﴿رَانَ﴾ وتقدّم بيان مفهومها الذي يدل على حجاب غليظ كثيف ثقيل، لكنه ليس بالسميك الذي يمنع الرؤية، فالعبد كما قال مجاهد رحمه الله تعالى: «يعمل بالذنوب فتحيط بالقلب، ثم ترتفع، حتى تغشى

١- (سُقِلَ قَلْبُهُ) بالسّين المهملة على البناء للمفعول، وفي رواية أحمد صُقِلَ بالصاد، ينظر: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة-القاهرة، ٢/ ٢٩٧، حديث رقم ٧٩٣٩، قال في القاموس: السقل الصقل وقال فيه صقله جلاه. والمعنى: نظف وصفي مرآة قلبه لأن التوبة بمنزلة المصقلة تمحو وسخ القلب وسواده حقيقياً أو تمثيلاً. ينظر: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية-بيروت، ٨/ ٢١٢.

٢- محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاکر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، رقم ٣٣٣٤، ٥/ ٤٣٤، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الألباني: حسن، انظر حديث رقم: ٢٥٥٠ في: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ١/ ٣٤٢.



القلب»<sup>(١)</sup>، بمعنى أن الذنوب تحيط بالقلب فإذا تتابعت<sup>(٢)</sup> ارتفعت حتى تغشى وتشمل القلب كله وتغطيه بحجاب كثيف ثقيل غليظ (الران)، فيثقل القلب من الذنوب، ويُحجَب عن القيام بوظيفته وهي إدراك الحق، فلا ينفذ الإيمان إلى قلبه، ولا يدخله فهم القرآن، ولكن هذا الران لا يعني عدم نفوذ الإيمان إلى القلب نهائياً، فهو إغلاق مؤقت جزئي للمنافذ المؤدية إلى الإيمان، وليس إغلاقاً دائماً تاماً لها.

ناسبت الفريدة ﴿رَانَ﴾ ما ذهب إليه السياق الذي بين الأسباب والموانع التي حجبت عنهم رؤية الحق، فالران حجاب وغطاء خفيف يزداد سمكا وكثافة وثقلا وغلظة كلما ارتكبت الذنوب والمعاصي تدريجياً؛ ذلك أن أصل الران - كما سبق بيان ذلك في المعنى المعجمي له - هو الصدأ يعلو الشيء الجلي كالسيف والمرأة، ويعني: اسوداد القلب من الذنوب؛ لأن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِّتَ في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نَزَعَ واستغفر وتاب سُقِلَ (جلا) قَلْبُهُ، وإن عاد زيدَ فيها حتى تَعَلَّوْ قلبه، وهو الران الذي ذكره الله، كما جاء في حديث النبي ﷺ السابق الذكر.

ولذلك فالفريدة (الران) لها دلالة خاصة على كونها حاجبا ومانعا قابلا للإزالة بالتوبة من المعاصي، وفي كونها تمثل إغلاقاً مؤقتاً جزئياً للمنافذ المؤدية إلى الإيمان، ولكن هذا الران يزداد سمكا بالعودة إلى المعاصي تدريجياً حتى يصل القلب إلى المرحلة الثانية من الإغلاق.

١ - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، د. م، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٢٤ / ٢٨٧.

٢ - يقول ابن عاشور: «ومجيء يكسبون بصيغة المضارع دون الماضي لإفادة تكرار ذلك الكسب وتعدده في الماضي»، التحرير والتنوير، ٣٠ / ٢٠٠.

المرحلة الثانية: التغطية على القلب وغلقه والاستيثاق من أن يدخله الإيمان:

وتمثل هذه المرحلة (الطبع والختم) وهما متقاربان دلاليًا؛ فكلاهما يعني في اللغة: بلوغ آخر الشيء، والتغطية على الشيء والاستيثاق من أن يدخله شيء<sup>(١)</sup>، لذا فهما يشتركان في معنى التغطية وعدم نفوذ الهدى والنور إلى قلب الكافر، فلا يوفق لخير.

ومع كون (الختم والطبع) متقاربين دلاليًا ولا نجد فارقا بين الختم والطبع في الاستعمال اللغوي إلا أن أبا هلال العسكري فرّق بينهما مبيّنًا افتراقهما في نسبة المنع ومدى ثبوته ولزومه، فيقول: «الفرق بين الطبع والختم: أن الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيد الختم، ولهذا يقال طبع الدرهم طبعًا وهو الأثر الذي يؤثر فيه فلا يزول عنه، كذلك قيل أيضا: طبع الإنسان لأنه ثابت غير زائل، وقيل: طبع فلان على هذا الخلق إذا كان لا يزول عنه»<sup>(٢)</sup>، وذكر الراغب الأصفهاني: أن «الطبع أعم من الختم»<sup>(٣)</sup>، وذكر ابن قيم الجوزية أن الختم والطبع يشتركان في معنى التغطية على الشيء والاستيثاق منه، ويفترقان في معنى آخر وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة فهو تأثير لازم لا يفارق<sup>(٤)</sup>، ولذلك فالطبع أشد من الختم، والختم أشد من الرين، قال مجاهد: الرين أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد من ذلك كله<sup>(٥)</sup>.

يقول الطبري رحمه الله: «إن الذنوب إذا تابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع، فلا يكون للإيمان إليها

- ١- ينظر في: معجم مقاييس اللغة، مادة (طبع)، ٣/ ٤٣٨، ولسان العرب، مادة (طبع)، ٨/ ٢٣٢، ومادة (ختم) في: معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٢٤٥.
- ٢- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص ٧٣.
- ٣- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٥١٥.
- ٤- ينظر: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ط، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ١٧/ ١٦-١٧.
- ٥- ينظر: لسان العرب، مادة (طبع)، ٨/ ٢٣٢.

مسلك، ولا للكفر منها مخلص، فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ نظير الطبع والختم على ماتدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها، فكذا لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم، إلا بعد فضه خاتمه وحله رباطه عنها<sup>(١)</sup>.

المرحلة الثالثة: مرحلة القفل على القلب والإغلاق التام لكل المنافذ المؤدية للإيمان:

وتمثل هذه المرحلة الفريدة ﴿أَقْفَالَهَا﴾ فيصل قلب المطبوع حينئذ إلى مرحلة القفل على قلبه ﴿أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالَهَا﴾، وفي آيات القرآن الكريم غالباً ما يقترب الختم والطبع والرین على القلوب بالأسماع أو الأبصار مباشرة، أما في آية ﴿أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالَهَا﴾ فقدّم أولاً ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ محمد: ٢٣، وبعد أن تحقق من عملية الصمّ والعمى معاً، ذكر ﴿عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالَهَا﴾، وفي هذا دليل على الإغلاق التام لكل المنافذ المؤدية للإيمان، أي أن القفل أشد وأقوى في عملية الغلق من الرین والختم والطبع.

### المبحث الثاني: افتراء المشركين على القرآن الكريم

جاءت الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ تصوّر عداوة المشركين للقرآن الكريم بتأويلهم وتحريفاتهم له، ووردت في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ الحجر: ٩٠ - ٩١.

أولاً: الدلالة المعجمية

اختلف أهل العربية في اشتقاق أصل (عضين) فمنهم من قال واحدها عضة، والعضة: الجزء والقطعة من الشيء، وأصلها عضوة فعلة، من عضيت الشيء، إذا

١- جامع البيان في تأويل القرآن، ١/ ٢٦٧.

فرَّقته وجزَّأته، والعَصِين: الفَرْق، ومنهم من قال: أصل العَصَةِ عَصَهة، فاستثقلوا الجمع بين هاءين فقالوا عَصَة، ومعنى العَصَة: السَّحر بلغة قريش، والعَصَة القَالَةُ القَبِيحَةُ<sup>(١)</sup>، والنَّمِيمَةُ، وقيل: هو من العَصَه، وهو: الكذب، والبهتان، والسبِّ المفحش، يقال: عَصَهُ عَصَهًا، وعصِيهَةً، أي: رماه بالبهتان، وهذا قول الكسائي رحمه الله تعالى<sup>(٢)</sup>، وقيل: «هو من العَصاه، وهو كل شجر يعظم وله شوك مؤذٍ»، قاله الفراء<sup>(٣)</sup>.

### ثانيا: السياق الخاص

تتحدَّث الآيتان السابقتان عن المقتسمين ويجوز أن يراد بهم جَمْع من المشركين من قريش، فيكون المراد بالقرآن مسمى هذا الاسم العلم وهو كتاب الإسلام، وقد اقتسموا القرآن بأقوالهم الكاذبة، فقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، ويجوز أن يراد بهم طوائف أهل الكتاب قسموا كتابهم أقساما، منها ما أظهره وآمنوا به ومنها ما أخفوه وكفروا به وفقا لأهوائهم وأغراضهم، فيكون القرآن مصدرا أطلق بمعناه اللغوي، أي المقروء من كتبهم، أو قسموا كتاب الإسلام، منه ما صدقوا به وهو ما وافق دينهم، ومنه ما كذبوا به وهو ما خالف ما هم عليه، قال عكرمة سَمَّوا بالمقتسمين لأنهم اقتسموا القرآن استهزاء به فقال بعضهم سورة كذا لي وقال بعضهم سورة كذا لي والمراد بالتقسيم والتجزئة تفرقة الصفات والأحوال لا تجزئه الذات<sup>(٤)</sup>.

- ١- ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (عضو، عضة)، ٦ / ٢٢٤١؛ ومعجم مقاييس اللغة، مادة (عضو)، ٤ / ٣٤٧، ولسان العرب، مادة (عضه)، ١٣ / ٥١٥.
- ٢- ينظر: علي بن حمزة الكسائي، معاني القرآن، قدم له: عيسى شحاته، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، ١٩٩٨م، ص ١٧٥-١٧٦.
- ٣- الفراء، معاني القرآن، ٣ / ٦٧.
- ٤- ينظر: مفاتيح الغيب، ١٩ / ١٦٨؛ ومحمد الأمين بن محمد الشنيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د. ط، بيروت-لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٢ / ٣١٨؛ والتحرير والتنوير، ١٤ / ٨٥.

ثالثاً: سرّ اختيار الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ في سياقها وأسرارها البلاغية

١- نستدل من المعنى المعجمي للفريدة ﴿عِضِينَ﴾ أن معانيها تدور حول التفرقة والتجزئة والسحر والكذب، والبهتان، والسبّ المفحش، والقالة القبيحة، والنميمة، والإيذاء.

٢- يوحى سياق الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ بمدى تكذيب المشركين وأهل الكتاب وعنادهم ومزيد عداوتهم للقرآن الكريم وللنبي ﷺ، فمعنى جعلهم القرآن عضين حكمهم بأنه مفترى وتكذيبهم به<sup>(١)</sup>، حيث قَسَمُوا القول فيه إلى حق وباطل عنادا وعدوانا.

٣- إن الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ لا يغني غناءها غيرها من مثل: أجزاء؛ فهي لا تعادل الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ في دلالتها الخاصة على ما يلي:

- عدم دلالة الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ على مطلق التجزئة والتفريق، «فالتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الأعضاء من ذي الروح المستلزم لإزالة حياته وإبطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعض من المثليات»<sup>(٢)</sup>، معنى ذلك أنهم لم يجزئوا القرآن بهدف تيسير وتسهيل قراءته وحفظه وفهمه والعمل به، كما هو الحال في تقسيم القرآن الكريم ثلاثين جزءاً، بل كان هدفهم من التعضية إيذاء القرآن بجعله ذا أعضاء وأجزاء متفاصلة متباينة مختلفة فيما بينها وعزلها وتفريقها عن بعضها فهي غير قابلة للرجوع إلى أصلها مثل أعضاء الجزور إذا قطعت<sup>(٣)</sup>، بمعنى تفريق وحدة وبنية وارتباط والتئام القرآن الكريم، بتفريق معانيه

١- ينظر: روح المعاني، ٧/ ٣٢٥.

٢- أبو السعود العمادي، محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ، ٩٣/٤.

٣- ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ٤/ ٢٤٠.

ونظمه، والإيمان ببعضه والكفر ببعضه الآخر، كما قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ البقرة: ٨٥.

- التعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية للتخصيص على كمال قبح وشناعة ما فعلوه بالقرآن العظيم<sup>(١)</sup>، وبالنبي ﷺ إذ كانوا يقصدون بقالتهم القبيحة عن القرآن الطعن فيه، والنميمة والإفساد بين النبي ﷺ وبين الناس؛ لإبعاد الناس عن الإيمان بدينه.

- التعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية للدلالة على أنهم «أكثروا البهت على القرآن ونوّعوا الكذب فيه»<sup>(٢)</sup>، حيث قال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، ومما يدل كذلك على إكثارهم من البهت على القرآن الكريم لفظ ﴿ الْمُفْتَسِمِينَ ﴾ وهو افتعال من قسم إذا جعل شيئاً أقساماً، وصيغة الافتعال هنا تقتضي تكلف الفعل وتطلبه والاجتهاد فيه<sup>(٣)</sup> فعلى هذا فمعنى (التعضية) أي فرقوا القرآن بشدة وجهد.

- كما أن التعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية للدلالة على اضطرابهم وعبثهم، فهم لا يثبتون على قول واحد بحق القرآن والنبي ﷺ، فتارة يقولون شاعر وتارة كاهن، وتارة ساحر، كما قال تعالى في حق المكذبين بالقرآن الكريم: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ سورة (ق: ٥).

وأما كلمة (أجزاء) فلا تعطي الدلالات السابقة للفريدة ﴿ عَصِينَ ﴾ فهي تدل على «مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعض من المثليات»<sup>(٤)</sup>، والقرآن يضره التعضية فهي تسلب عنه وحدته وروحه، كما تدور

١- ينظر: تفسير أبي السعود، ٩٣/٤.

٢- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سمير البخاري، د. ط، الرياض: دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م، ١٠/٥٩.

٣- ينظر: التحرير والتنوير، ١٤/٨٥.

٤- تفسير أبي السعود، ٩٣/٤.

معاني (جزأ) على الاكتفاء والاستغناء، بمعنى الاستغناء عن الأصل، كما قال ابن فارس: «والجزء: استغناء السائمة عن الماء بالرطب»<sup>(١)</sup>، «إِنَّ قَوْلَكَ اجْتَزَا يَقْتَضِي أَنَّهُ دُونَ مَا يَحْتَاج إِلَيْهِ وَأَصْلُهُ مِنَ الْجُزْءِ وَهُوَ اجْتِزَاءُ الْإِبِلِ بِالرُّطْبِ عَنِ الْمَاءِ وَهِيَ وَإِنْ اجْتَزَأَتْ بِهِ يَقْتَضِي أَنَّهُ دُونَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهُ فَهِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ بَعْضُ الْحَاجَةِ»<sup>(٢)</sup>، ومعنى ذلك أن الجزء قد يستغني عن الأصل بغيره ولكن ليس استغناء بالكلية، بل يبقى الجزء بحاجة للأصل، ويُفهم من ذلك أنه لو قال: وجعلوا القرآن أجزاء بدل عضين، لكانت تجزئتهم غير تامة، وبقي الجزء الذي قسموه له نوع تعلق بالقرآن، ولكن لما قال عضين فهم أن تجزئتهم تامة لا علاقة لها بالأصل مستغنية عنه، ولا أمل في إرجاع العضو المقسوم إلى أصله، وهذا دليل على عظيم جرمهم، فهم قد وصفوا القرآن بصفات يستحيل التقاؤها مع القرآن بحال، كما أنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه الآخر المخالف لأهوائهم مثل نسخ شريعتهم وإبطال بُنوة عيسى الله تعالى، بصورة يستحيل معها أن يبقى قرآن بالهيئة والإعجاز والالتئام والارتباط الذي أنزله المولى سبحانه، ولا يمكن هذا في حق القرآن الكريم فهو وحدة واحدة، كما قال عنه البقاعي: «منتظم التأليف أشد انتظام، متلائم الارتباط أحكم التئام»<sup>(٣)</sup>، وبما أن الجزء له نوع تعلق بالأصل فقد تظهر فيه خواص الكل وصفاته<sup>(٤)</sup>، وأما الشيء المعصّي (القرآن) فلا تظهر في أعضائه خواص القرآن وصفاته؛ لأنه الأعضاء المتفرقة قد فصلت وجُزئت تماما عن الأصل، فهم بتعضيتهم للقرآن قد نزعوا روحه التي تسري فيه، فكيف تظهر في الأعضاء المتفرقة صفات القرآن، ومن هنا نقول يتكون القرآن الكريم من ثلاثين

- ١- يقول ابن فارس: (جزأ) أصل واحد يدل على الاكتفاء بالشيء، والجزء: استغناء السائمة عن الماء بالرطب، والجزء: الطائفة من الشيء، ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (جزأ)، ٤٥٥/١؛ ولسان العرب، مادة (جزأ)، ٤٥/١.
- ٢- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ١/١٢٠.
- ٣- البقاعي، نظم الدرر، ٤/٢٣٧.
- ٤- ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (سطو)، ط١، د. م: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ، ٣٦٩/١.

جزءاً وليس عضواً؛ لأن الأجزاء وحدة واحدة لا تستغني عن بعضها، وإنما التجزيء فقط لسهولة الحفظ وتيسير الفهم، وليس لإحداث اللبس وتشكيك الناس والإيمان ببعض القرآن وتنحية البعض الآخر والكفر به.

ومن هذا يتبين أن لفظ (أجزاء) لا يعطي الدلالات السابقة للفريدة ﴿عُضِينَ﴾، كما لا يتناسب وسياق الآية الذي يصور مدى تكذيب المشركين وأهل الكتاب وعنادهم ومزيد عداوتهم للقرآن الكريم وللنبي ﷺ، ويصور افتراءاتهم على القرآن الكريم التي تهدف إلى إحداث قطيعة معرفية مع القرآن الكريم وعزله عن مقاصده وسياقه، وصولاً إلى تجاوزه، واستبداله بمرجعيات وضعية، ولا شك أن هذه الفريدة تصور هذه العداوة للقرآن ليس في زمن النبي ﷺ فحسب بل العداوة والتعضية في كل زمان ومكان للنيل من القرآن الكريم، وأنى لهم ذلك!

جاءت الفريدة ﴿عُضِينَ﴾ في جملة خبرية مستعملة في لازم الفائدة<sup>(١)</sup>، فالملتسمين على علم بما فعلوا من التقسيم، ولكن المتكلم وهو المولى سبحانه يخاطبهم ليعلموا أنه سبحانه مطلع على قسمتهم، ومراقب لأقوالهم، وفي ذلك إيحاء لهم بأن يتدبروا في هذا الذي زعموه عن القرآن؛ ليظهر لهم صدقه، فيوقنوا أن القرآن لا يكون إلا من إنزاله سبحانه، وهذا الخبر مسوق لتسلية النبي ﷺ ووعيدا لمن افتري على القرآن وجعله عضين.

١ - «الأصل في توجيه الكلام الذي يتضمن خيراً ما أن يكون الغرض منه الإعلام بالخبر الذي دل عليه الكلام، أي: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو الجمل الخبرية، ويسمى هذا عند علماء البلاغة فائدة الخبر، وقد يراد من توجيه الكلام الذي يتضمن خيراً ما، إعلام المخاطب بأن المتكلم عالم بالحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية، ولا بد عندئذ من أن يكون المخاطب عالماً به، ويسمى هذا عند علماء البلاغة لازم الفائدة». عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ١ / ١٧٣.



### المبحث الثالث: محاجة المنكرين والمجاهدين من الكفار والمشركين.

وجاءت فيه الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣، ووردت في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان آية: ٣٣.

#### أولاً: دلالة الفريدة اللغوية

التفسير في اللغة: تفعيل من الفَسْر، والفَسْر: البيان والتوضيح والإظهار وكشف المغطى، فَسْرُ الشَّيْءِ يَفْسِرُهُ وَتَفْسِرُهُ فَسْرًا وَفَسْرُهُ أَبَانُهُ، والفَسْر والتَّفْسِرَة: نظر الطَّيِّبِ إِلَى الْمَاءِ وَحُكْمُهُ فِيهِ، وَالتَّفْسِيرُ كَشْفُ الْمُرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمُشْكَلِ<sup>(١)</sup>.

يَبِّنُ الرَّاعِبُ أَنَّ الْفَسْرَ وَالسَّفْرَ يَتَقَارَبُ مَعْنَاهُمَا كَتَقَارَبَ لَفْظُهُمَا لَكِنْ جُعِلَ الْفَسْرُ لِإِظْهَارِ الْمَعْنَى الْمَعْقُولِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِمَا يَنْبِئُ عَنْهُ الْبَوْلُ: تَفْسِرَةٌ، وَسُمِّيَ بِهَا قَارُورَةُ الْمَاءِ، وَجُعِلَ السَّفْرُ لِإِبْرَازِ الْأَعْيَانِ لِلْأَبْصَارِ، فَقِيلَ: سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ عَنِ وَجْهٍهَا وَأَسْفَرَ الصَّبِيحُ<sup>(٢)</sup>.

والتفسير في الاصطلاح: للعلماء في تعريفه أقوال كثيرة، ومنها: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية<sup>(٣)</sup>.

نستدل من المعنى المعجمي للفريدة أنَّ معانيها تدور حول البيان والتوضيح والإظهار والكشف.

#### ثانياً: السياق الخاص

بعد أن حكى الله تعالى شبهةً لمشركي مكة واستقصى أكثر معاذيرهم وتعللاتهم وألقمهم أحجار الرد إلى لهواتهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا

١- ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (فسر)، ٤ / ٥٠٤؛ ولسان العرب، مادة (فسر)، ٥ / ٥٥.

٢- ينظر: المفردات في غريب القرآن، ص ٦٣٦.

٣- ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط ٣، ١٣٦٢هـ-١٩٤٣م، ٣ / ٢.

نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَجِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ الفرقان: ٣٢، حيث قالوا: إذا كنت تزعم أنك رسول من عند الله، فهلا أنزل القرآن عليك جملة واحدة، «عطف على ذلك فذلِكَ»<sup>(١)</sup> جامعة تعمّ ما تقدم وما عسى أن يأتوا به من الشكوك والتمويه بأن كل ذلك مدحوض بالحجة الواضحة الكاشفة لترهاتهم»<sup>(٢)</sup>، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، وقد أبان الله تعالى في هذه الآية تأييد نبيه بالوحي وإبطال حجج المشركين، فهم كلما جاءوا بمثل أو شبهة جئناك بالجواب الحق الثابت عليه في نفس الأمر، ويكون أصدق في الواقع، وأحسن تفسيراً وبيانا مما يقولون<sup>(٣)</sup>، و«ينقض عليهم ما يأتون به»<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: سرّ اختيار الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ في سياقها وأسرارها البلاغية

- يوحى سياق الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ بمدى جهل وزيف وعناد الكفار والمشركين الذين لا يفتؤون يثيرون الشُّبه ويلقون اقتراحاتهم وأسئلتهم الباطلة معارضة للنبي ﷺ لإبطال أمره وأمر القرآن الكريم، ولكن المولى سبحانه يبرئ ساحتها فيجيبه في مقابلة أسئلتهم التي هي مثل في البطلان بالجواب الحق القالع لعروق أسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية، والذي ينحي عليها بالإبطال ويحسم مادّة القيل والقال، مع كون هذا الجواب الحق أحسن تفسيراً وكشفاً وإيضاحاً للحقائق<sup>(٥)</sup>.

- إنَّ الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ لا يغني غناءها غيرها من مثل: تأويلاً؛ لأنها لا تعادل الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ في دلالتها الخاصة، فبالرغم مما هو شائع عند المتقدمين

١- فذلِكَ (مفرد): جمعها فذلِكَات، مصدر (فذلِكَ)، بمعنى: خلاصة، مُجمل ما فُصِّل، ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/ ١٦٨٣. وإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ٢/ ٢٧٨.

٢- التحرير والتنوير، ١٩/ ٢١.

٣- ينظر: التفسير المنير، ١٩/ ٥٨-٦٠.

٤- جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥/ ١١٦.

٥- ينظر: تفسير أبي السعود، ٥/ ١٠٥؛ وأضواء البيان، ٥/ ٢٩٩.

من المفسرين كالطبري ومن قبله من كونهما بمعنى واحد وأنها مترادفان، ولكن الإمام الزركشي رجح أن هناك فرقا بين التأويل والتفسير وأنها ليسا بمعنى واحد، فقال: «والصحيح تباينهما»<sup>(١)</sup>، والمتأمل في سياق الآية السابقة يتبين له اصطفاء القرآن الفريدة ﴿تَقْسِيرًا﴾ دون لفظ التأويل مثلا، وورد لفظ (التأويل) في سياقات أخرى سبع عشرة مرة، بينما الفريدة ﴿تَقْسِيرًا﴾ وردت مرة واحدة في القرآن، وهذا دليل واضح على وجود فروق ودلالات وإيحاءات خاصة بالفريدة ﴿تَقْسِيرًا﴾ اقتضت اصطفاءها على كلمة (تأويلا) وإن اتفقتا على كونهما تفسيراً للفظ وبيان معناه، ومما ذكره العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل مما يلزمنا في بيان سبب اصطفاء الفريدة ﴿تَقْسِيرًا﴾ دون كلمة (تأويلا) أن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص، حيث ذكر الراغب أن التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل التأويل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها<sup>(٢)</sup>، فهنا يرى الراغب أن التفسير أعم من التأويل، والعموم في الفريدة ﴿تَقْسِيرًا﴾ يتناسب مع تنكير ﴿يَمَثِلُ﴾ الدال على التعميم لمجيئه في سياق النفي، يقول ابن عاشور: «وتنكير ﴿مَثَلٌ﴾ في سياق النفي للتعميم، أي بكل مَثَلٍ، والمقصود: مَثَلٍ من نوع ما تقدم من أمثالهم المتقدمة... ودل على إرادة هذا المعنى من قوله ﴿بِمَثَلٍ﴾ قوله أنفا: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ الفرقان: ٩، عقب قوله: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ الفرقان: ٨»<sup>(٣)</sup>، ويفهم من ذلك أن الكفار جاؤوا بشبه كثيرة ومتنوعة يعترضون بها على القرآن، وعلى النبي ﷺ فجاءت الفريدة ﴿تَقْسِيرًا﴾ لتدل

١- البرهان في علوم القرآن، ٢/ ١٤٩.

٢- ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، ١/ ١١.

٣- التحرير والتنوير، ١٩/ ٢١.

بعمومها على كشف الحجة وتجليه الدليل وإظهار البرهان في كل ما أثاروه من أمثال وشبهه فلا يبقى بعد ذلك غموض ولا شبهة فيظهر حينئذ الحق وينكشف.

ومن العلماء من يرى أن التفسير يخالف التأويل بالتباين، يقول الماتريدي في بيان وجه التباين: «التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون قطع»<sup>(١)</sup>، فالماتريدي يرى أن التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهها واحدا، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها، بما ظهر من الأدلة وبدون قطع<sup>(٢)</sup>، وبناء على هذا التباين بين التفسير والتأويل يكون اصطفااء الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ في هذا السياق في محله ولا تغني عنها كلمة (تأويل) فالمقام مقام مواجهة ومجابهة ومقارعة لا تصلح فيه التأويلات والاحتمالات والمراوغات وتقديم الحلول المحتملة، فهو يتطلب قطعاً وكشفاً وحسماً لشبههم ودمغاً وقلعاً لعروق أمثالهم الباطلة وكشفاً وإيضاحاً للحقائق بوجه واحد صحيح وبرهان قاطع.

- إن الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ تكشف الحجة للوصول إلى الشيء المغطى وهو الحق، وهو الغاية التي يسعى القرآن للوصول إليها، وليس إفحام المعارضين والانتصار والغلبة عليه في مقارعاتهم ومحاجاتهم، ومما يقوي هذا المعنى ما يأتي:

- وَمِنْ نَكْتِ دَقَائِقِ الاستعمال مجيء ﴿وَأَحْسَنَ﴾ أفعال التفضيل، وهي إما ألا تكون على بابها؛ فالتفضيل حينئذ للمبالغة، ومعنى كونه أحسن، أنه أحق في الاستدلال، إذ ليس في حججهم حسن، وما كان كذلك فلا بد أن يصل إلى

١- أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ١/ ١٨٥.

٢- ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق محمود القيسية ومحمد أشرف الأناسي، ط ١، أبو ظبي: مؤسسة النداء، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ٤/ ١٩٢.

الحقّ ويكشف عنه، أو أن يكون التفضيل على حقيقته، وحينئذ يُراد بالحُسن ما يَبْدُو من بَهْرَجَةٍ سَفَسَطَتِهِمْ وَشُبَّهِهِمْ فيجبيء الكشف عن الحق أحسن وقعا في نفوس السامعين من مغالطاتهم<sup>(١)</sup>.

- مجيء الآية على هيئة الاستثناء المفرغ، وهو استثناء من أحوال عامة يقتضيها عموم الأمثال؛ لأن عموم الأشخاص يستلزم عموم الأحوال، أي لا يأتونك بمثل إلا حال إيتائنا إياك الحقّ الذي لا محيد عنه وأحسن تفسيراً، وجعل ذلك مقارناً لإتيانهم وإن كان بعده للدلالة على المسارعة إلى إبطال ما أتوا به تشبيهاً لفؤاد النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، والمسارعة في إبطال شبه الكافرين دليل على بطلان شبههم وعدم أحقيتها بالاستدلال، وصحة الردّ والإجابات عليها، مما يعني تحقق الكشف عن الحجة والدليل ومن ثم الوصول إلى الحقّ.

- مجيء الفعل ﴿حِثَّنَاكَ﴾ بصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع، أو إشارة إلى تعظيم مجيء الحقّ وأنه أمر مرعي لم يترك إلى أن يفعل بعد<sup>(٣)</sup>، بمعنى تحقق مجيء الحقّ من الله تعالى حال إتيانهم بالمثل، وتحقيق مجيء الحقّ دليل على كشفه وإظهاره وإبطال أمثال الكفار وشبههم، ودليل على أحقيته في الاستدلال، وعظمته عند الله تعالى، وقوته بنفسه وعدم التباسه بالباطل.

١- ينظر: التحرير والتنوير، ١٩/ ٢٣.

٢- ينظر: تفسير أبي السعود، ٥/ ١٠٥؛ والمرجع السابق، ١٩/ ٢٢.

٣- دلالة الماضي على تحقق الوقوع كثيراً ما كان يستخدمها الألويسي وابن عاشور في تفسيريهما، لذا وظفت ذلك في هذا المقام. ينظر على سبيل المثال: روح المعاني، ٦/ ٣٤١، عند قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ سَقَوْا فِي النَّارِ لَمْ يَبْهَرُوا فِيهَا زُفَيْرٌ وَسَهِيْقٌ﴾ هود: ١٠٦؛ ٧: ٣٦٩ عند قوله تعالى: ﴿فَالْقَوْمَ الْأَسْفَلُ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ النحل: ٢٨؛ والتحرير والتنوير، ٢٣/ ٢٦، عند قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ يس: ٥١؛ ٢٩/ ٤٩ عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ الملك: ٢٧.

## المبحث الرابع: تكفل الله بحفظ القرآن الكريم وجمعه وبيانه

احتوى هذا المبحث على فريدة واحدة، وهي: ﴿تُحْرِكُ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ القيامة: ١٦.

### أولاً: الدلالة المعجمية

الحركة: ضدّ السكون، حَرَكٌ يَحْرِكُ حَرَكَةً وَحَرَكَاً<sup>(١)</sup>، وتحرّك الشخصُ: حاول مضاعفة العمل وبذل الجهد لينجح<sup>(٢)</sup>، ولا تكون الحركة إلا للجسم، وهو انتقال الجسم من مكان إلى مكان<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: السياق الخاص

نهى الله تعالى نبيه ﷺ في هذه الآية عن التعجّل في حفظ القرآن مخافة أن يتفلّت منه، فقد كان رسول الله ﷺ يحرك شفّتيه ولسانه بالقرآن إذا أنزل عليه قبل فراغ جبريل عليه السلام من قراءة الوحي حرصاً على أن يحفظه ﷺ فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ طه آية: ١١٤.

وردت الفريدة ﴿تُحْرِكُ﴾ في القرآن الكريم مرة واحدة مع تكرر الموقف ذاته الذي يرشد فيه الله تعالى نبيه ﷺ إلى كيفية تلقي القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ طه: ١١٤، ولكن المنهي عنه في آية سورة طه هو العجلة، بينما المنهي عنه في آية سورة القيامة هو تحريك اللسان، والفريدة ﴿تُحْرِكُ﴾ لا تغني عنها الفريدة ﴿تَعْجَلُ﴾ في

١- ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (حرك)، ٢/ ٤٥؛ ولسان العرب، مادة (حرك)، ١٠/ ٤١٠.

٢- ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة مادة (حرك)، ١/ ٤٧٩.

٣- ينظر: المفردات في غريب القرآن، ص ٢٢٩.

٤- ينظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق يوسف الغوش، ط ٤، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٤٢٨هـ، ٧/ ٣٦٥.

سياق سورة القيامة، وحتى يتسنى لنا تفسير الخاصية الدلالية لاستعمال الفريدة ﴿تَحْرِكُ﴾ في سياقها دون الفريدة ﴿تَعَجَّلُ﴾، كان لا بد من معرفة مفهوم هذه الفريدة، وربطها بسياقها الواردة فيه.

ثالثاً: سرّ اختيار الفريدة ﴿لَا تُحْرِكُ﴾ في سياقها وأسرارها البلاغية

- جاءت الفريدة بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار والتجدد، وهذا يوحي بأن آيات القرآن ستتتابع في نزولها على النبي ﷺ وهي في تزايد، ولذلك نهاه الله تعالى عن تحريك لسانه حال نزول هذه الآية وفيما بعد إلى أن يكتمل نزول القرآن الكريم، وهذا إخبار عن الغيب بأنه سيكتمل، فسورة القيامة من أوائل ما نزل بمكة، وقد أخبرت عن تتابع نزول القرآن في المستقبل على النبي ﷺ إلى أن يكتمل، وأن الله سيجمعه في قلبه ﷺ، ووقع ذلك حقاً، فكان هذا إخبار عن الغيب، ودلّ على إعجاز القرآن ووقوع التحدي به، فهل استطاع أحد من المشركين أن يحول دون نزول القرآن على النبي ﷺ وهم يسمعون هذه الآية تخبر بتكفل الله ووعده بجمع القرآن في قلبه ﷺ؟!!

- دلت الفريدة ﴿لَا تُحْرِكُ﴾ على آداب تلقي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام، وقد نهى النبي ﷺ عن تحريك لسانه والمبادرة إلى حفظه قبل أن يقضى إليه بالوحي؛ وقد يكون هذا النهي لما فيه من عدم الفهم، فأمر أن يصغي إلى جبريل عليه السلام بقلبه إلى أن يقضى إليه بالوحي.

- بين الله تعالى مدى النهي عن العجلة ومدتها<sup>(١)</sup> في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ طه: ١١٤، ولكنه لم يبين ذلك في آية سورة القيامة الواردة فيها الفريدة ﴿لَا تُحْرِكُ﴾، بل بين سبحانه كيفية العجلة بتحريك اللسان؛ ولعل ذلك مناسبة لمقصد سورة القيامة القائم على إظهار

١- ينظر: أضواء البيان، ٨ / ٣٧٤.

قدرة الله، فاكْتساب العلم وحفظه لا يكون إلا بتوفيق الله تعالى<sup>(١)</sup>، ولذا فمجيء هذه الفريدة لإرشاد النبي ﷺ إلى عدم الاستعانة في طلب الحفظ بالترجيع وتحريك اللسان بل يطلبه من الله تعالى وقد تكفل الله بحفظه.

- نَهَى المولى سبحانه نبيه ﷺ في الفريدة ﴿لَا تُحْرَكْ﴾ عن تحريك لسانه في تلقي القرآن مع كونه أميا ثم جَمَعَ القرآن في قلبه من غير دراسة ولا تكرار وحفظها لمجرد سماعه لها، وتبليغها دون نسيان على مر الزمن أمر خارق للعادة يدل على كون القرآن معجزا، وتنبئها على أنه ﷺ لا كسب له في هذا القرآن بغير حسن التلقي إبعادا له عن قول البشر، وإثباتا لنبوته ﷺ، وتمهيدا بما يحرك من لسانه بالقرآن قبل تمام الإلقاء لذم ما طبع عليه الإنسان من العجلة<sup>(٢)</sup> الواردة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ القيامة: ٢٠.

- تدلّ الفريدة ﴿لَا تُحْرَكْ﴾ على تلقي النبي ﷺ ما يوحى إليه على عجلة، وهذا يوحى بحرص النبي ﷺ وكمال اعتناؤه بتلقي القرآن خشية أن يتفلت منه، كما يوحى بمزيد حبه ﷺ للقرآن وحرصه على أداء الرسالة، قال عامر الشعبي<sup>(٣)</sup>: «إنما كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حبه له، وحلاوته في لسانه، فنهي عن ذلك حتى يجتمع؛ لأن بعضه مرتبط ببعض»<sup>(٤)</sup>.

١- ينظر: مفاتيح الغيب، ٣٠/ ١٩٧.

٢- ينظر: المرجع السابق، ٣١/ ١٢٨؛ ونظم الدرر، ٨/ ٢٤٩.

٣- عَامِرُ بْنُ شَرَّاحِيلَ بْنِ عَبْدِ بْنِ ذِي كَبَّارٍ، وَذُو كَبَّارٍ: قَيْلٌ مِنْ أَقْبَالِ الْيَمَنِ، الشَّعْبِيُّ الْحَمِيرِيُّ، أَبُو عَمْرٍو: رَاوِيَةٌ، مِنَ التَّابِعِينَ، يَضْرِبُ الْمَثَلَ بِحَفْظِهِ، وَلَدَ وَنَسَأَ وَمَاتَ فَجَاءَ بِالْكَوْفَةِ، اتَّصَلَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَكَانَ نَدِيمَهُ وَسَمِيرَهُ وَرَسُولَهُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ، وَكَانَ ضَعِيفًا نَحِيفًا، وَلَدَ لِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ، وَسُئِلَ عَمَّا بَلَغَ إِلَيْهِ حَفْظُهُ، فَقَالَ: مَا كَتَبْتُ سُودَاءَ فِي بَيْضَاءَ، وَلَا حَدِيثِي رَجُلٌ بِحَدِيثِ إِلا حَفْظَتُهُ، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ الثَّقَاتِ، اسْتَقْبَضَاهُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَكَانَ فَقِيهًا، شَاعِرًا، وَاخْتَلَفُوا فِي اسْمِ أَبِيهِ فَقِيلَ: شَرَّاحِيلُ وَقِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ، نَسَبَتْهُ إِلَى شَعْبٍ وَهُوَ بَطْنٌ مِنْ هَمْدَانَ، وَفِيهِ أَقْوَالٌ فِي وَفَاتِهِ: سَنَةَ ١٠٣، وَ١٠٤، وَ١٠٥، وَ١٠٦، وَ١٠٧. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ٧/ ٣٢٩، وخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ٣/ ٢٥١-٢٥٢.

٤- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٩/ ١٠٦؛ وروح المعاني، ١٥/ ١٥٧.



- تدل الفريدة ﴿لَا تُحْرَكُ﴾ على نهي النبي ﷺ عن مسارعة جبريل عليه السلام في قراءته لما يوحى إليه، وهذا يدل على أن القراءة لا تكون إلا بتحريك اللسان بالحروف، وقد نقل ابن رشد في «البيان والتحصيل» عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه سئل عن الذي يقرأ في الصلاة، لا يُسمع أحدا ولا نفسه، ولا يحرك به لسانا، فقال: «ليست هذه قراءة، وإنما القراءة ما حرك له اللسان»<sup>(١)</sup>.
- تدل الفريدة ﴿لَا تُحْرَكُ﴾ على أن عملية تلقي النبي ﷺ للقرآن كاملا كان في اليقظة، يقول أبو شهبه: «والقرآن الكريم لم ينزل شيء منه إلا عن طريق جبريل عليه السلام ولم يأت شيء منه عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحى به في اليقظة وحيًا جليًا»<sup>(٢)</sup>.
- ومما تجدر الإشارة إليه أن الفريدة ﴿لَا تُحْرَكُ﴾ لا تدل فقط على فرادتها في استعمال القرآن وحسب، بل تومئ بتفرد القرآن عن الكتب السماوية بتكفل الله تعالى بحفظه المطلق له، ولذلك تُفرد هذه اللفظة في القرآن الكريم فيه دلالة على تفرد المولى سبحانه بحفظ القرآن، أي: لا تحرك بالقرآن لسانك حال نزول هذه الآية وفيما بعد إلى أن يكتمل نزول القرآن الكريم، ولا تخش تفلته منك، وليس لك إلا تلقي القرآن وتبليغه؛ لأن الله تكفل بحفظه، وأعفاك من مؤنة المشقة في تحصيله، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩، يقول ابن كثير: «أنه عليه السلام كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه، من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه؛ لئلا يشق عليه. فقال: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿ القيامة: ١٦-١٧، أي: أن

١- ابن رشد القرطبي، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١/ ٤٩١.

٢- محمد بن سويلم أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣م، ص٦٣.

نجمه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئاً»<sup>(١)</sup>.

- إن تسجيل القرآن الكريم لحادثة تلقي النبي ﷺ للقرآن الكريم له دلالة الخاصة في تفرد القرآن بكونه خاتم الشرائع السماوية وناسخها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران: ١٩، وبذلك أصبح القرآن الكريم كالجوهرة النفيسة والدرّ الذي يفصل بين الذهب (الكتب السماوية) في القلادة المفصلة، فالدر (القرآن) فيها فريد والذهب (الكتب السماوية) مفرد.

١ - ابن كثير في تفسيره. ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٥/٣١٩.

## الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

### أولاً: النتائج

١- من عادات القرآن الكريم الأسلوبية استعماله في الحديث عنه فرائد، وهي متمكّنة دلاليًا من سياقها ويتلاءم معناها مع معنى ما يجاورها من الألفاظ داخل التركيب، ويرتبط تمكّن الفريدة بالعلاقات بين البنى المتوالية للنص بأكمله على وفق مناسبة اللفظة لمعناها وسياقها الذي استدعاها، وهذه العلاقات المتماسكة بين هذه العناصر مجتمعة تمكّن الفريدة دلاليًا من التفرد في سياقها بحيث تؤدي المعنى المسوقة من أجله بدقة ولا تغني لفظة أخرى تقترب من دلالتها العامة غناءها.

٢- عكست الفرائد محل الدراسة فرادتها في استعمال القرآن، وليس ذلك فحسب بل عكس بعضها كذلك تفرد القرآن ذاته بها، كما في الفرائد ﴿تَفْسِيرًا﴾ و﴿لَا تُحْرَكْ﴾، التي دلّت على تفرد القرآن في كونه أحسن تفسيراً وأنه محفوظ بحفظ المولى سبحانه.

٣- عكست الفرائد فرادة الحدث المسوق في الآية، كما في الفريدة ﴿لَا تُحْرَكْ﴾ فقد دلّت على فرادة حادثة تلقي النبي ﷺ للقرآن من جبريل عليه السلام، والفريدة ﴿عِضِينَ﴾ التي دلّت على فرادة وغرابة قسمة المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين.

٤- عكست الفرائد تفرد القرآن بمنهجه في معالجة إعراض الكفار وتحريفاتهم للقرآن من خلال وصفهم بأوصاف فريدة تنبئ عن طباع فريدة لهم، فناسب منهج القرآن الفريد في ذلك طبائعهم الفريدة، وذلك من خلال الفرائد ﴿رَانَ﴾ و﴿أَقْفَالَهَا﴾ و﴿يَنْعُقُ﴾ و﴿عِضِينَ﴾.

٥- عكست الفرائد تفرّد القرآن بمنهجه في محاكاة الكفار بالحجة والبرهان، وذلك من خلال الفريدة ﴿تَسِيرًا﴾، وفي ذلك إشارة دعوية وهي من باب قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥.

٦- تعلق القلب بالله تعالى لا بالأسباب الدنيوية، وأن تحصيل العلم لا يكون إلا بتوفيق الله تعالى، وذلك من خلال الفريدة ﴿لَا تُحْرَكُ﴾.

### ثانيا: التوصيات

١- مواصلة رصد الفرائد في القرآن الكريم بشكل عام، والفرائد الواردة بشأن الموضوعات القرآنية التي تناولتها الفرائد القرآنية على وجه الخصوص، ودراستها بطريقة أكثر عمقا، وأحسن عرضا، وأشمل نفعاً.

٢- تجديد قراءتنا للقرآن الكريم ومدارسته بما يحقق تدبر القرآن الكريم، وبما يعمل على التصدي لمشاريع الطاعنين في القرآن الكريم التي تهدف إلى هدم الدين.

## قائمة المصادر والمراجع

- الألويسي، محمود بن عبد الله (ت ١٣٩٣هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ١٤١٥هـ.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، مادة (عرض)، دار إحياء التراث العربي-بيروت-٢٠٠١م.
- البسومي، باسم سعيد، معجم الفرائد القرآنية، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، رام الله، د. ط، ١٤٢٢هـ.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بيروت، دار الكتب العلمية د. ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ١٣٦٢هـ-١٩٤٣م).
- السعران، محمود، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، القاهرة: دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٩٧م.
- أبو السعود العمادي، محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.
- ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، إصلاح المنطق، تحقيق أحمد محمد شاکر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٤٩م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمود القيسية ومحمد الأتاسي، ط١، أبو ظبي: مؤسسة النداء، ٢٠٠٣م.

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠هـ)، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، د. م، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد (ت ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د. ط، بيروت-لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.
- أبو شُهبة، محمد بن سويلم (ت ١٤٠٣هـ)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٣هـ.
- الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق يوسف الغوش، ط ٤، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٤٢٨هـ.
- الطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». (د. ط، تونس: دار سحنون، ١٩٩٧م).
- عباس، حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها-دراسة-، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ط، ١٩٩٨.
- عمر، أحمد مختار (ت ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط ١، د. م: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، د. م، د. ط، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
- القرطبي، ابن رشد (ت ٥٢٠هـ)، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سمير البخاري، د. ط، الرياض: دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م.
- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق محمد سليم، دار العلم، القاهرة، د. ط، د. ت).

## References:

- Al-Alusi, Mahmoud bin Abdullah (1393 AH), Spirit of meanings in the interpretation of the great Qur'an and the seven motions, investigation by Ali Abdel-Bari Attia, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, without edition, 1415 A.H.
- Al-Azhari, Abu Mansour Muhammad bin Ahmed (370 AH), Refining the Language, Investigation: Muhammad Awad Marab, Article (Presentation), Arab Heritage Revival House - Beirut - 2001.
- Al-Bassoumi, Basem Saeed, Glossary of Quranic Verses, Noun Center for Qur'anic Studies and Research, Ramallah, without edition, 1422 AH.
- Al-Beqai, Ibrahim bin Omar (885 AH), organized the pearls in proportion to verses and fences, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Alami, without edition, 1415 AH-1995.
- Al-Razi, Muhammad bin Omar (606 AH), The Keys of the Unseen, The House of Arab Heritage Revival, Beirut, 3rd edition, 1420 AH.
- Ragheb Al-Isfahani, Al-Hussain Bin Muhammad (502 AH), Vocabulary in Gharib Al-Qur'an, Investigation by Safwan Adnan Al-Dawoudi, Dar Al-Qalam, Al-Sham Al-Shamiya, Damascus, Beirut, 1st edition, 1412 AH.
- Al-Zarqani, Muhammad Abd al-Azim (1367 AH), Manahil Al-Irfan in the Sciences of the Qur'an, Egypt: Issa Al-Babi Al-Halabi and Company Press, 3rd edition, 1362 AH -1943 A.D.
- Alsueranu, Mahmoud, Linguistics Introduction to the Arab Reader, Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, 2nd edition, 1997 AD.
- Abu al-Saud al-Emadi, Muhammad ibn Mustafa (982 AH), the interpretation of Abu al-Saud or guiding the sound mind to the merits of the Holy Book, put his footnotes Abdel Latif Abdel Rahman, Beirut-Lebanon, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st edition, 1419 AH.
- Ibn al-Sakit, Ya`qub ibn Ishaq (244 AH), *al-Islah al-Muntiq*, Investigation of Ahmed Muhammad Shaker and Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Ma`rif, Cairo, 4th edition, 1949.
- Al-Suyuti, Jalaluddin Abdul Rahman (911 AH), Perfection in the Sciences of the Qur'an, investigation by Mahmoud al-Qaysiyyah and Muhammad al-Atassi, 1st edition, Abu Dhabi: Al-Nida Foundation, 2003AD.
- Al-Shatby, Ibrahim bin Musa (790 AH), Al-Mwafatat, investigation by Mashour bin Hassan Al Salman, Dar Ibn Affan, d. M, 1st floor, 1417AH-1997AD.

- Al-Shanqeeti, Muhammad al-Amin bin Muhammad (1393 AH), the lights of the statement in clarifying the Qur'an in the Qur'an, d. I, Beirut-Lebanon: Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution, 1995 AD.
- Abu Shahba, Muhammad ibn Swailem (1403 AH), Introduction to the Study of the Noble Qur'an, Sunnah Library, Cairo, 2nd edition, 1423 AH.
- Al-Shawkani, Muhammad bin Ali (1250 AH), fath alqadir, combining the art of novel and know-how from the science of interpretation, the investigation of Youssef Al-Ghosh, 4th edition, Dar Al-Maarifa, Beirut-Lebanon, 1428 AH.
- Al-Tabari Muhammad bin Jarir (310 AH), jamie albayan in the interpretation of the Qur'an, investigation by Ahmed Muhammad Shaker, Al-Resala Foundation, 1st floor, 1420 AH-2000.
- Ibn Ashour, Muhammad al-Tahir bin Muhammad (1393 AH), "Editing and Enlightenment" Editing the Good Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book. "(Dr. I, Tunis: Dar Sahnoun, 1997 AD).
- Abbas, Hasan, Characteristics and Meaning of Arabic Letters - Study -, Damascus: Publications of the Union of Arab Writers, without edition, 1998.
- Omar, Ahmad Mukhtar (1424 AH), A Dictionary of Contemporary Arabic Language, 1st edition, d. M: The World of Books, 1429 AH.
- Ibn Faris, Ahmed bin Zakaria (395 AH), Dictionary of Language Standards, investigation by Abd al-Salam Haroun, Dar al-Fikr, d. M., D. I, 1399 AH -1979 AD.
- Al-Qurtubi, Ibn Rushd (520 AH), albayan waltahsil walshurh waltawjih waltael-il fi masayil almustakhrajati, the investigation of Muhammad Hajji and others, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 2nd edition, 1408 AH.
- Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr ibn Farah Shams al-Din (671 AH), aljamie of Ahkam al-Qur'an, investigation by Samir al-Bukhari, d I, Riyadh: House of Books World, 2003.
- Abu Hilal Al-Askari, Linguistic Differences, Muhammad Salim Investigation, Dar Al-Alam, Cairo, without edition, No publishing date.





# مصطلحُ المعادل الموضوعيِّ قراءة ثانية

## Term (Objective Correlative) A Second Reading

أ. د. فتحي «محمد رفيق» أبو مراد

جامعة البلقاء التطبيقية - كلية الحصن الجامعية - الأردن - إربد

أ. د. ناصر حسن عيد يعقوب

جامعة البلقاء التطبيقية - كلية الحصن الجامعية - الأردن - إربد

**Prof. Fathi "mohammad rafeeq" Abu Morad**

Al-Balqa Applied University - Al-Hosn University College - Jordan - Irbid

**Prof. Naser hasan eid yacoub**

Al-Balqa Applied University - Al-Hosn University College - Jordan - Irbid

<https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.08>





## Abstract

Term (Objective Correlative) A Second Reading

This study tries to find out what is meant by the expression "objective correlative" and to follow its different translations into Arabic according to its chronology. It also tries to show similarities and differences in those translations by giving reasons for each of them and the obstacles that face readers to understand the meaning and semantics of the expression.

Then, the study proceeds to discover the nature, the conception and the main components of this expression, and its main aim to find out objective and sensitive correlative for the hidden feelings of the poet's world through art and sensory images and forms that are reviewable and which are able to stimulate an emotional state for the receiver which is similar to that of the poet himself.

The study depends on the data taken from the integrated approach and borrows many of its means and procedures to describe and analyze the data in this study in response to the nature of the subject whose components stretch to contain matters. Some relate to the source language (English) and obstacles in translation, others re-

## ملخص البحث

حاولت الدراسة، استكناه حقيقة مصطلح (Objective Correlative) المعادل الموضوعي، ورصد ترجماته المختلفة إلى اللغة العربية، حسب تسلسلها الزمني، وتتبع الاختلافات والابتلاجات في هذه الترجمات، وتعليل أسباب هذا وذلك، وبيان إشكالات الترجمة في فهم معنى المصطلح ودلالاته.

ومن ثم شرعت الدراسة في كشف طبيعة هذا المصطلح، ومفهومه، ومكوناته الأساسية، وجوهره القائم على إيجاد معادلات موضوعية حسية لمكونات عالم الشاعر الداخلي المجرد، ومحاولة تجسيد هذا العالم المجرد عبر صور وأشكال فنية حسية قابلة للمعانية، وفي الآن نفسه قادرة على إثارة حالة شعورية في المتلقي تشبه إلى حدٍ كبير تلك الحالة التي يعانها الشاعر نفسه.

وقد اتكأت الدراسة على معطيات المنهج التكاملي، واستعانت بكثير من وسائله، وآلياته في الوصف والتحليل في مقاربتها لموضوع الدراسة، استجابةً لطبيعة الموضوع نفسه الذي تمتدُّ أوصاله وشرائبه في سرايب مسائل عدة؛ فمنها ما يتصلُّ بلغة (المصدر) اللغة الأجنبية، وإشكاليات الترجمة. ومنها ما يتصلُّ بلغة (الهدف) اللغة العربية، وقضايا الترادف

late to the target language (Arabic) and the issues of tandem, verb al joint,echoic and its effect on translating the expression. Some relate to the practical aspects of some texts which were included in the study and the integrated and comprehensive view needed for poetry.

This study comes to some conclusions, such as: The expression "objective correlative" focuses on the external sensitive correlative of the inner feeling of the poet. The different practical experiences are polarizing on constructive and stylistic forms that are able to express forms and give images at the same time. The uses of language for certain propose are able to represent the inner abstract feeling of the poet through sensitive images that reveal the poet's feelings and thoughts and to draw a similar image in the reader's awareness.

**Keywords:** (the objective correlative, the term, the expression, the formation, the unseen, the scene).

والمشترك اللفظي، وقضية الاختيار. ومنها ما يتصل في الجانب التطبيقي لبعض النصوص التي تضمنتها الدراسة، وما يستدعيه النص الشعري من نظرة تكاملية شمولية.

وخلصت الدراسة إلى نتائج عدّة، منها: أنّ مفهوم هذا المصطلح يدور حول إيجاد معادلات حسية خارجية لحالات الشعور الداخلية للشاعر، وأنّ الممارسات العملية المختلفة لمعطيات المعادل الموضوعي تتمحور حول استقطاب أدوات فنية وأسلوبية قادرة على التعبير والتشكيل والتصوير في آن واحد، وما إلى ذلك من استعمال اللغة، استعمالاً خاصاً قادراً على تجسيد المجرّد الداخلي للشاعر، عبر صور حسية تبوح بعواطف الشاعر وأفكاره، وترسم لها صورةً مشابهة في وعي القارئ.

الكلمات المفتاحية: (المعادل الموضوعي، المصطلح، التعبير، التشكيل، الغيب، المشهد).

## مقدمة

حظي مصطلحُ المعادل الموضوعي (objective correlative) بوفرةٍ ملحوظةٍ من الدراسات السابقة، غير أن أغلب هذه الدراسات - على أهمية بعضها - كانت تركز على جانب بعينه من جوانب هذا المصطلح المتنوعة والمتباينة في آن. ولم تقارب الموضوع بدراسة متخصصة متكاملة - فيما أعلم - . لذا جاءت الدراسة الحالية، تحاول تحقيق هذه الغاية. وتنظر للموضوع نظرة شمولية تكاملية، تتناول جذوره ومنابعه، وترجماته وتسمياته المختلفة، ومن ثم تستكنه مفهومه ومقوماته الأساسية، وتطبيقاته المتباينة. وأخيراً ترصد انعكاساته وآثاره في مرآة النقد. وتحاول الدراسة، في هذا كله، أن تقرأ الموضوع قراءة ثانية، لاسيما فيما يتصل بالجانب التطبيقي لهذا المصطلح.

وقد تراءى للباحث أن تنتظم الدراسة في مبحثين اثنين. يتقدمهما تمهيدٌ جامع، وتليها خاتمة دالة، تبوح بأهم النتائج والمستخلصات. تناول الباحث في التمهيد قضايا عدة تتعلق بالمصطلح، وقضاياها بشكل عام؛ منها: المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي لكلمة (مصطلح)، والدلالات المختلفة التي تحصلها المعنى الاصطلاحي.

تناول المبحث الأول: (المصطلح: قضايا وإشكالات). استهل الباحث هذا المبحث بمفهوم الترجمة: لغةً واصطلاحاً، وبعض قضايا الترجمة وإشكالاتها، وتبينت الدراسة أن من أهم هذه الإشكالات في ترجمة المصطلح الغربي: عدم الاتفاق على ترجمة، أو تسمية واحدة للمصطلح. وهي ظاهرة ملحوظة في أغلب المصطلحات التي تم نقلها إلى العربية. وهذا نفسه ما ظهر وتجلّى في ترجمة مصطلح (objective correlative) محور الدراسة.

وتناول المبحث الثاني: (النظرية والتطبيق). إذ حاولت الدراسة في هذا المبحث، تحديد مفهوم مصطلح (objective correlative)، وكشف دلالاته المختلفة، وشرعت في مقارنة موسّعة لبعض النصوص الشعرية في الأدب الحديث والأدب القديم، في ضوء معطيات المعادل الموضوعي؛ سعياً منها لتضام النظرية والتطبيق.

وقد اتكأت الدراسة على معطيات المنهج التكاملي، واستعانت بكثير من وسائله وآلياته في الوصف والتحليل، في مقاربتها لموضوع الدراسة؛ استجابةً منها لطبيعة الموضوع نفسه الذي تمتدّ جذوره في منعرجات مسائل عدة؛ فمنها ما يتصل باللغة الأجنبية، وإشكالات الترجمة. ومنها ما يتصل باللغة العربية، وقضايا الترادف، والمشارك اللفظي وقضية الاختيار، وأثار ذلك كله في ترجمة المصطلح وفهمه، واقتناص دلالاته ولحظاته الجمالية. ومنها ما يتصل بمفهوم المصطلح نفسه، وأبعاده ومنابعه عند إليوت، وكيفيات تلقيه وتطبيقه عند النقاد وتمثله.

غير أنّ ثمة مسألة أخرى في غاية الأهمية، تستدعي النظرة التكاملية الشمولية، بشكل خاص، تتمثل في الجانب التطبيقي؛ إذ إنّ الدراسة عمدت في حيز ملحوظ منها إلى مقارنة بعض النصوص الشعرية، في ضوء معطيات مصطلح المعادل الموضوعي، وجسّ عصبها الأساس في إنتاج خطّ الدلالة، ومكان الجمال. وغنيّ عن البيان، أنّ النص الشعري بحدّ ذاته، هو بنية لغوية تكاملية تتكتم على مكونات اجتماعية ونفسية ولغوية وجمالية. وبذلك فلا بدّ للدارس من نظرة تكاملية شمولية تستطيع أن تغوص في أحافير هذه المكونات، وتقبض على دلالاتها، ولحظاتها الجمالية.

## تمهيد- المصطلح: المفهوم وقضاياها

اللغة كائن حيّ متغيّر، ولللفظة الواحدة في كل لغة من اللغات، بما تحمله من دلالات معنوية أو فكرية، عالمان: عالِم خاص، وآخر عام؛ فالكلمة حين تُنقل من عالمها الخاص إلى العام، تصير كلمة عامة متداولة الاستعمال، أو كما يقول كولردج: «عملة ناعمة الملمس أمحي ما عليها من رسم وكتابة لكثرة الاستعمال»<sup>(١)</sup>. أما حين تُنتقل الكلمة من عالمها العام إلى الخاص، أي حين تنتقل من المعنى العام إلى المعنى الخاص، فتصير «حينئذ تلك الكلمة (مصطلحًا)، له دلالاته الخاصة في مجالات المعرفة المختلفة»<sup>(٢)</sup>. وعمومًا فإن (المصطلح) علامة لغوية خاصة، تقوم على ركنين أساسيين، لا سبيل إلى فصل دالها التعبيري عن مدلولها المضموني، أو حدّها عن مفهومها، أحدهما الشكل أو التسمية، والآخر المعنى، أو المفهوم أو التصرّور يوحدهما «التحديد أو التعريف»، أي الوصف اللفظي للمتصرّور الذهني. آية ذلك كله أن: المصطلح دليل لساني يتشكّل من لفظ، ومفهوم، يقوم الأول بتحديد الثاني.

يعود المعنى اللغوي لكلمة (مصطلح) إلى الأصل الثلاثي: صَلَحَ يَصْلُحُ وَيَصْلُحُ صَلَاحًا وَصُلُوحًا<sup>(٣)</sup>. والصلاح ضد الفساد. وتصلح القوم بينهم. والصلح: السّلم. وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلّحت. وكلمة (مصطلح) في اللغة العربية مصدر ميمي للفعل (اصطلح).

١- ينظر: عناد غزوان، (المعادل الموضوعي: مصطلحًا نقديًا)، بغداد، مجلة الأقالام، عدد ٩، ١٩٨٤: ٣٤.

٢- ينظر المرجع السابق: ٣٤-٣٥.

٣- ينظر: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، [د. ت]، مادة (صلح). ينظر أيضًا: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١، مادة (صلح).



أما المعنى الاصطلاحي لكلمة (مصطلح)؛ فهو اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما، يُنقل عن موضعه الأول<sup>(١)</sup>، فهو اتفاقهم على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وإخراجه من المعنى اللغوي، إلى معنى آخر لمناسبة بينهما. المصطلح، إذاً: «لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية»<sup>(٢)</sup>، وهو «لفظ موضوعي يؤدي معنىً معيناً بوضوح ودقة. بحيث لا يقع أي لبس في ذهن القارئ أو السامع»<sup>(٣)</sup>.

ولا بدّ في كل مصطلح من وجود مشاركة، أو مناسبة، أو مشابهة كبيرة أو صغيرة بين مدلوله اللغوي، ومدلوله الاصطلاحي<sup>(٤)</sup>. فإذا انعدمت مثل هذه الحدود الموضوعية في دلالة اللفظ (المصطلح) وقع الاضطراب في استخدامه. والاضطراب قد يؤدي إلى سوء فهم تلك الدلالة، وبالتالي قد يؤدي إلى خلق أحكام مضطربة وضبابية، وخاصة في الثقافة الأدبية والنقدية. وهنا يبرز خطر الاضطراب في استخدام المصطلح سبباً ونتيجة<sup>(٥)</sup>. ولا ننسى أنّ الحقل الابستمية تتحدّد بتحدّد دلالات مصطلحاتها، واستقرار مفاهيمها. وبقدر رواج المصطلح وشيوعه؛ يحقق العلم أو الحقل المعرفي ثبات منهجيته<sup>(٦)</sup>.

آية ذلك كله أنّ المصطلح: أداة توصيلية تواصلية للتعبير عن معنى، أو فكرة، أو موضوع في مجال اختصاص معيّن.. وهو لفظٌ موضوعي ينبغي أن يتّسم

- ١- علي بن محمد الشريف الجرجاني، (٨١٦هـ/١٤١٣م)، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٨.
- ٢- أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٨٩: ١٠.
- ٣- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩: ٢٥٢.
- ٤- ينظر: أ- عبد النبي اصطيف، "مصطلح النقد العربي الحديث والمؤثرات الأجنبية فيه"، مجلة المعرفة السورية، ووزارة الثقافة، دمشق، العددان (٣٢٢-٣٢٣)، تموز - آب، (١٩٩٠): ١٠٢.
- ب- أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: ١٠-١١.
- ٥- ينظر: أ- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨: ١.
- ب- أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: ٩ - ١٠.
- ٦- ينظر: نور الدين السدّ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزائر، دار هومة، ١٩٩٧، ص ١٣.

بالوضوح والضبط والثبات، وعدم الانزياح الدلالي<sup>(١)</sup>.

أخيراً، يواجه المصطلح العربي صعوبات كثيرة، لا سيما المصطلح العربي المعاصر بشكل عام، والمصطلح النقدي، والشعري، والمصطلح الغربي المترجم بشكل خاص. ومن هذه الصعوبات<sup>(٢)</sup>:

أولاً: عدم الاتفاق على تسمية المصطلح؛ سواء العربي الموضوع، أو المترجم المقصود. ومن هنا تنشأ الحاجة إلى تثبيت تسمية المصطلح.

ثانياً: عدم الاتفاق على تحديد دلالة المصطلح ومفهومه سواءً -العربي أو المترجم-. ومن هنا تنشأ الحاجة لتحديد دلالة المصطلح ومفهومه. لأن ذكر المصطلح دون تحديد الدلالة بدقة، يضعف من قيمة المصطلح، وقدرته كقوة تجميعية تكثيفية، لأن الأصل في المصطلح: أن يؤدي دلالته بوضوح ودقة. أما إذا تعددت الدلالة، فقد المصطلح قيمته الاصطلاحية والفنية إلى حد كبير. ومال إلى صنف أدبي آخر، ربما هو (الرمز الفني)، من حيث اعتماده الكبير على السياق.

ثالثاً: عدم معرفة محددات المصطلح. ومن هنا تنشأ الحاجة للوقوف على محددات المصطلح، ومنابع فكرته وجذوره، والعوامل الأدبية والاجتماعية والفكرية والفنية، وما إلى ذلك من أمور قد تفرز المصطلحات المختلفة.

١- يوضح عز الدين إسماعيل الغاية من المصطلح بقوله: «أن يكون - المصطلح - أداة تجميع لطائفة من المعلومات، أو الصفات النوعية، أو الخصائص في أصغر حيز لغوي دال هو اللفظة، بحيث تقوم اللفظة بديلاً في الفكر عنه» عز الدين إسماعيل، «أما قبل» [افتتاحية العدد]، مجلة فصول، المجلد ٧، العددان (٣-٤٩)، ص ٤.

٢- ينظر: عبد النبي اصطيف، مجلة المعرفة السورية: ١٠٣.

## المبحث الأول- المصطلح: قضايا وإشكالات

## أولاً: المصطلح وقضايا الترجمة

ظهر مصطلح المعادل الموضوعي (objective correlative)<sup>(١)</sup> عند ت. س. إليوت عام ١٩١٩ م في دراسة مشهورة له، بعنوان (هاملت ومشكلاته)، وهي من جملة الدراسات التي تضمنها كتاب إليوت «الغابة المقدسة». ومن أهم المفاتيح التي تكشف خفايا قصيدته المشهورة (الأرض اليباب). المتأمل في النقد العربي الحديث يلحظ: أن ثمة عدّة ترجمات، وتسميات، ودلالات ظهرت لهذا المصطلح، في مقاربات النقاد له.

يراد بالترجمة في المعاجم اللغوية معانٍ عدة، منها: التفسير والنقل والإيضاح. جاء في لسان العرب: «التُرْجَمَانُ والتُرْجَمَانُ: المفسّر للسان، وهو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى، وقد ترجمه وترجم عنه،... ويقال قد ترجم كلامه إذا فسّره بلسان آخر»<sup>(٢)</sup>. وجاء في معجم الوسيط: «ترجم الكلام: بينه ووضحه. وكلام غيره، وعنه: نقله من لغة إلى أخرى. ولفلان: ذكر ترجمته»<sup>(٣)</sup>.

يُعدُّ الغموض والاضطراب من المشكلات التي رافقت عملية ترجمة المصطلح الغربي وتطبيقه؛ فاضطراب المصطلح النقدي، وعدم استقراره عند الكثير من النقاد العرب، أدى إلى سوء فهم دلالات المصطلح. وبالتالي قد يؤدي هذا إلى خلق أحكام مضطربة وضبابية يكتنفها الغموض والجهل معاً. وهذا الاضطراب لم يكن سمة خاصة بالمصطلح حسب، بل هو واحد من سمات الحركة الثقافية

١- ثمة من يرى أن هذا المصطلح ظهر من قبل على يد (واشنطن ألتون) الذي قدمه في محاضراته عن الفن ضمن سلسلة محاضراته: "مقدمة في الخطاب" حوالي ١٨٤٠، ينظر: «محاضرات في الفن»، غوتنبرغ دوت أورغ (بالإنكليزية) نسخة محفوظة ٢٤ سبتمبر ٢٠١٥ على موقع واي باك مشين.

٢- ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (ترجم).

٣- المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ج:١ مادة (ترجم).

العربية عامة. أما غموض المصطلح وعدم وضوحه؛ فهذا ناشئ عن سوء الترجمة حيناً، أو سوء استعماله حيناً آخر، فضلاً عن الخلط والاضطراب بين المصطلحين: العربي القديم الواضح الدلالة والاستقرار، والغربي أو الأجنبي الذي يكتنفه الغموض، وعدم وضوح الرؤية خاصة حين يُطبَّق.

ويرى أحمد مطلوب<sup>(١)</sup> أن أغلب مشكلات المصطلح وترجمته تعود إلى:

أولاً: اختلاف ثقافة المؤلفين والباحثين، وهم ثلاثة أنواع: الأول: ذو ثقافة أجنبية، يقرأ الأدب ونقده باللغة الأجنبية. الثاني: ذو ثقافة مضطربة، يقرأ الأدب الأجنبي ونقده بالعربية. والثالث: ذو ثقافة عربية، يأخذ من كل فن بطرف. وبالتالي، فإن اختلاف ثقافة المؤلفين والباحثين يؤثر بشكل مباشر في ترجمة المصطلح، وفهمه ووضعه وتسميته وتحديد دلالاته.

ثانياً: إشكالية (الاشتراك اللفظي) في اللغة العربية، ودلالة المصطلح الواحد على عدة أشياء<sup>(٢)</sup>. وبالتالي، فإن ترجمة المصطلح الأجنبي بمصطلحين أو أكثر، أو اشتراك مصطلحين عربيين في ترجمة مصطلح أجنبي يخلق نوعاً من التشويش والغموض والضبابية في فهم المصطلح.

ثانياً: مصطلح (objective correlative): تسمياته وترجماته المختلفة

وكما هو الشأن في ترجمة أي مصطلح، فليس غريباً، أن نرى إلى أي حد تعددت ترجمات النقاد لمصطلح (Objective Correlative)، وكذلك، لمضمون الفقرة التي ورد فيها هذا المصطلح في مقالة ت.س. إليوت: (هاملت ومشكلاته)، وتباينت تبايناً جلياً، كما سيظهر من خلال سرد هذه الترجمات

١ - أحمد مطلوب، المصطلح النقدي: دراسة ومعجم عربي - عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ط١، ٢٠١٢: ٢٢.

٢ - الترادف: اختلاف الألفاظ في الحروف واتفاقها في المعنى. أي دلالة لفظين أو أكثر على معنى واحد.

وتفاصيلها. وقد استقصت هذه الدراسة إحدى عشرة<sup>(١)</sup> ترجمة لهذه الفقرة. نوردها حسب تسلسل ظهورها الزمني، كي نتبين أوجه الشبه والاختلاف في هذه الترجمات.

وبداية نورد النص الأصلي بلغته الإنجليزية لمصطلح (objective correlative) كي يكون حاضرًا بين يدي القارئ الكريم:

“The only way of expressing Emotion in the form of art is by finding an `objective correlative` : in other words a set of objects a situation ` a chain of events which shall be the formula of that particular emotion: such that when the external facts which must terminate in sensory experience ` are given the emotion is immediately evoked”<sup>(2)</sup>

أولاً: ترجمة رشاد رشدي ١٩٦٢م

«الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الوجدان في الفن هي بإيجاد (معادل موضوعي)...، أو بعبارة أخرى بخلق جسم محدد أو موقف أو سلسلة من الأحداث تعادل الوجدان المعين الذي يراد التعبير عنه حتى إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية- التي لا بد أن تنتهي إلى خبرة حسية- تحقق الوجدان المطلوب إثارته»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: ترجمة جميل الحسني ١٩٦٣م

«البديل الموضوعي... إنه سلسلة من الأهداف وموقف معين، وسلسلة من الأحداث التي تتكون منها جميعاً معادلة تلك العاطفة المعنية؛ بحيث يتم تحريك

١- أشار عناد غزوان في دراسته القيمة عن المعادل الموضوعي إلى سبع ترجمات ينظر مجلة الأقلام، عدد ٩، ١٩٨٤، المعادل الموضوعي مصطلحاً نقدياً. وثمة ترجمة أخرى لنصرت عبد الرحمن في كتابه (في النقد الحديث)، وقد اتضح إنها نقل حرفي عن ترجمة إحسان عباس ينظر: في النقد الحديث، ط١، ١٩٧٩: ٢٠٣-٢٠٤.

2- Selected Essays \ T.s.Eliot. Date of pub 1986: 145

٣- عن / عناد غزوان، مجلة الأقلام، عدد ٩، سنة ١٩٨٤: ٣٧.

هذه العاطفة حالما يقدم الشاعر الحقائق الخارجية التي ينبغي أن تنتهي بتجربة حسية»<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: ترجمة إحسان عباس ١٩٦٥م

«إنَّ الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة إنما تكون بالعثور على معادل موضوعي وبعبارة أخرى العثور على مجموعة أشياء، على موقف، على سلسلة من الأحداث تكون هي الصيغة التي توضع فيها العاطفة؛ حتى إذا أعطيت الوقائع الخارجية التي لا بد أن تنتهي خلال التجربة الحسية استثيرت العاطفة على التو»<sup>(٢)</sup>.

### رابعاً: ترجمة فائق متى ١٩٦٥م

«إنَّ السبيل الوحيد للتعبير عن الوجدان في الفن هو إيجاد معادل موضوعي؛ أو بعبارة أخرى، إيجاد مجموعة من الأشياء، أو موقف، أو سلسلة من الأحداث، لتصبح قاعدة لهذا الوجدان بنوع خاص؛ حتى إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية التي لا بد وأن تنتهي إلى خبرة حسية، تحقق الوجدان المراد إثارته»<sup>(٣)</sup>.

### خامساً: ترجمة فؤاد دواردة ١٩٦٦م

«إنَّ الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في الفن تتمثل في العثور على (معادل موضوعي)، أو بتعبير آخر على مجموعة من الأشياء أو موقف أو سلسلة من الأحداث تتكون منها هذه العاطفة بالذات»<sup>(٤)</sup>.

### سادساً: ترجمة محمود الربيعي ١٩٦٨م

«إنَّ الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في قالب فني إنما تكون بإيجاد معادل

١- عن / المرجع السابق: ٣٧.

٢- عن / المرجع السابق: ٣٧.

٣- فائق متى، (إليوت)، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٩١: ٢٩.

٤- عن / عناد غزوان، مجلة الأقلام / عدد ٩ سنة ١٩٨٤: ٣٧.

موضوعي لها. وبعبارة أخرى مجموعة من الموضوعات أو موقف أو سلسلة من الأحداث تشكّل وعاء لهذه العاطفة الخاصة، بحيث تنفجر هذه العاطفة في الحال عندما تقدم الأحداث الخارجية موضوعية في تجربة حسية»<sup>(١)</sup>.

سابعاً: ترجمة محمد غنيمي هلال ١٩٧٣م

«إن الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في صورة فنية هي العثور على (معادل موضوعي)، وبعبارة أخرى: على مجموعة من الأشياء، أو على موقف، أو على سلسلة من الأحداث تكون بمثابة صورة للانفعال الخاص، بحيث متى استوفيت الحقائق الخارجية التي يجب أن تنتهي إلى تجربة حسية، فإن الانفعال يثار إثارة مباشرة»<sup>(٢)</sup>.

ثامناً: ترجمة مجدي وهبة ١٩٧٤م

«إن الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في صورة الفن إنما تكون بإيجاد (معادل موضوعي) أو بعبارة أخرى مجموعة من الموضوعات وموقف وسلسلة أحداث تكون صيغة ذلك الانفعال بشكل خاص، بحيث إذا ذكرت الحقائق الخارجية التي لا بد أن تنتهي إلى تجربة حسية مثل الانفعال في الحال بالذهن»<sup>(٣)</sup>.

تاسعاً: ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ١٩٨٠م

«الطريق الوحيد للتعبير عن الشعور في شكل فني هو إيجاد (معادل موضوعي) له، أو بعبارة أخرى إيجاد مجموعة أشياء، أو وضع، أو سلسلة أحداث تؤلف مكونات ذلك الشعور المحدد، بحيث عندما تقدم تلك الحقائق

١- محمود الربيعي، في نقد الشعر، دار المعارف بمصر ١٩٦٨: ١٩٥.

٢- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مطبعة نهضة، مصر، ١٩٧٣: ٣٢٤.

٣- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم مصطلحات العربية في اللغة العربية والأدب، مكتبة لبنان ط٢، ١٩٨٤: ٣٧٠-٣٧١، علماً بأن هذه الترجمة، وردت أول مرة في معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، ١٩٧٤: ٣٥٩.

الخارجية التي يجب أن تنتهي بتجربة حسية فإن الشعور يستثار في الحال»<sup>(١)</sup>.

### عاشراً: ترجمة غزوان ١٩٨٤م

«إنَّ السبيل الوحيد للتعبير عن العاطفة بشكل فني هو إيجاد (معادل موضوعي) لها؛ أو بعبارة أخرى (بإيجاد) مجموعة موضوعات، أو موقف، أو سلسلة أحداث ستكون صيغة تلك العاطفة الخاصة (التي يراد التعبير عنها) حتى إذا اكتملت الحقائق الخارجية التي لا بد أن تنتهي إلى خبرة حسية، فإن العاطفة تستثار في الحال»<sup>(٢)</sup>.

### حادي عشر: ترجمة كمال أبو ديب ١٩٨٤م

«إنَّ الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في شكل فني هي إيجاد (معادل موضوعي) وبكلمات أخرى، طقم من الأشياء، أو موقف، أو سلسلة من الأحداث ستشكّل الصيغة (الحاملة) لتلك العاطفة بالذات. بحيث أن تلك العاطفة تستثار فوراً حين تعطى الحقائق الخارجية التي ينبغي أن تنتهي في التجربة الحسية»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا، يتضح أن ثمة عدّة تسميات ظهرت لمصطلح (objective correlative) عند النقّاد؛ إذ إنّ تعدد ترجمات هذا المصطلح إلى اللغة العربية أفرز، بدوره، عدداً من التسميات لهذا المصطلح بحسب ما فهمه كل من ترجم هذا المصطلح، وتمخّض هذا التعدد في الفهم عن تعدد في التسميات، أيضاً، مثل:

- ١- عبد الواحد لؤلؤة، الأرض البياب: الشاعر والقصيدة، مكتبة التحرير بغداد ط٢، ١٩٨٦: ٢٧.
- ٢- عناد غزوان، مجلة الأعلام عدد ٩ سنة ١٩٨٤: ٣٩.
- ٣- كمال أبو ديب، هاملت، ت.س. إلبوت، مجلة المهدي للثقافة والفنون، العددان (٣-٤)، ١٩٨٤: ٣٧.



التبادل الموضوعي<sup>(١)</sup>، والبديل الموضوعي<sup>(٢)</sup>، والترابط الموضوعي<sup>(٣)</sup>، والمكافئ الموضوعي<sup>(٤)</sup>، والمعادل الموضوعي، وأرجح بأن هذه التسميات كلها صحيحة، ويمكن فهمها من المصطلح بلغته الأصلية، ولعل ظاهرة المشترك اللفظي، في اللغة العربية، وظاهرة الترادف، ودلالة المصطلح الواحد على عدة أشياء تلقي بظلالها، مرة أخرى، على هذه التسميات، مع إن الشائع في معظم المقاربات النقدية استعمال تسمية المعادل الموضوعي. ولعل رشاد رشدي، هو أول من استعمال هذه التسمية في كتابه مقالات في النقد الأدبي (الصادر عام ١٩٦٢ عن دار الجيل، القاهرة)، حيث جعلها عنواناً لإحدى مقالاته في الكتاب. ثم تأثر به الآخرون، وساروا على نهجه.

ويرى الباحث، بدوره، أن تسمية (المعادل الموضوعي)، هي الأنسب والأدل لمصطلح (objective correlative)، لذا فالدراسة ستعتمد هذه التسمية، وتتداولها في الإشارة إلى هذا المصطلح.

المتأمل في هذه الترجمات يلحظ: أن أوجه الاختلاف أكثر من أوجه الالتقاء، حتى في ترجمة معنى اللفظة الواحدة، حتى أن بعض الجمل والمقاطع في النص الأصلي لم يلتق فيها اثنان على ترجمة واحدة. وإليك تفصيل ذلك:

- ١- وردت هذه التسمية في ترجمة إحسان عباس ومحمد يوسف نجم لكتاب: النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي هامين ج ١، دار الثقافة بيروت، ١٩٥٨: ١٤٨.
- ٢- وردت هذه التسمية في ترجمة جميل الحسني لكتاب: شعراء المدرسة الحديثة، دراسة نقدية، م. ل. روزنتال، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٣: ١٢٣.
- ٣- وردت هذه التسمية عند عبد الواحد لؤلؤة في:  
أ- البحث عن معنى، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٣: ٢١٣، ٦٩، ٦٨.
- ب- الأرض البيضاء، الشاعر والقصيد، ت.س. إلبوت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠: ٢٧.
- ٤- وردت هذه التسمية عند كوثر الجزائري.

## أولاً - كلمة (Emotion) ظهر لها أربع ترجمات هي:

- ١ - عاطفة عند كل من: كمال أبي ديب، عناد غزوان، محمود الربيعي، إحسان عباس، جميل الحسني، فؤاد دواردة ونصرت عبد الرحمن.
- ٢ - انفعال عند كل من: محمد غنيمي هلال ومجدي وهبة.
- ٣ - شعور عند: عبد الواحد لؤلؤة فقط.
- ٤ - وجدان عند كل من: فائق متي، ورشاد رشدي.

## ثانياً - المقطع (in the form of art) ظهر له خمس ترجمات هي:

- ١ - في شكل فني، عند كل من: أبي ديب، غزوان، لؤلؤة.
- ٢ - في الفن، عند كل من: رشدي، دواردة، متي.
- ٣ - في قالب فني، عند: الربيعي فقط.
- ٤ - في صورة الفن، عند: وهبي.
- ٥ - في صورة فنية، عند: غنيمي.
- ٦ - تجاهلها كل من: إحسان عباس، وجميل الحسني.

## ثالثاً - المقطع (correlative objective) ظهر له ترجمتان هما:

- ١ - معادل موضوعي، عند الجميع.
  - ٢ - عدا جميل الحسني الذي سمّاه: بديل موضوعي.
- رابعاً - المقطع (asset of objects) ظهر له خمس ترجمات هي:
- ١ - مجموعة أشياء، عند كل من: إحسان، دواردة، لؤلؤة، متي، غنيمي.
  - ٢ - طقم من الأشياء، عند: أبي ديب فقط.

٣- مجموعة موضوعات، عند كل من: الربيعي، وهبة، غزوان.

٤- جسم محدد، عند: رشدي.

٥- سلسلة أهداف، عند: الحسني.

خامساً - كلمة: (a situation) ظهر لها ثلاث ترجمات هي:

١- موقف، عند كل من: غزوان، متى، أبي ديب، إحسان، الربيعي، رشدي، دوار، وهبة، غنيمي.

٢- موقف معين، عند: الحسني فقط.

٣- وضع، عند: لؤلؤة فقط.

سادساً - اللفظ: (the formula) ظهر لها تسع ترجمات هي:

١- ستكوّن صيغة، عند كل من: غزوان، إحسان، وهبة.

٢- تتشكل الصيغة، عند: أبي ديب

٣- لتصبح قاعدة، عند: متى

٤- تؤلف مكونات، عند: لؤلؤة

٥- تشكل وعاء، عند: الربيعي

٦- تعادل، عند: رشدي

٧- معادلة، عند: الحسني

٨- تتكوّن منها، عند: دوار

٩- تكون بمثابة صورة، عند: غنيمي

سابعاً - المقطع: (sensory experience) ظهر له ترجمتان هما:

١- التجربة الحسية، عند كل من: أبي ديب، لؤلؤة، الربيعي، غنيمي، إحسان، الحسني، وهبة

٢- خبرة حسية، عند كل من: غزوان، متى، رشدي

٣- تجاهلها فؤاد دوارة

ثامنًا- المقطع: (the emotion is immediately evoked) ظهر له عشر  
ترجمات هي:

١- فإن العاطفة تستثار في الحال، عند غزوان

٢- تحقق الوجدان المراد إثارته، عند متى

٣- العاطفة تستثار فوراً، عند أبي ديب

٤- فإن الشعور يستثار في الحال، عند لؤلؤة

٥- مثل الانفعال في الحال في الذهن، عند وهبة

٦- تنفجر هذه العاطفة في الحال، عند الربيعي

٧- استثيرت العاطفة على التو، عند إحسان

٨- يتم تحريك هذه العاطفة، عند الحسنی

٩- تحقق الوجدان المطلوب إثارته، عند رشدي

١٠- فإن الانفعال يثار إثارة مباشرة، عند غنيمي

١١- تجاهل ترجمة المقطع فؤاد دوارة

وهكذا، فلعل إشكالية الاشتراك اللفظي في اللغة العربية، ودلالة الكلمة الواحدة على عدة أشياء. وبالتالي ترجمة المصطلح الأجنبي، (أو الكلمة الأجنبية) بمصطلحين، (بكلمتين) أو أكثر، أو اشتراك مصطلحين عربيين في ترجمة مصطلح أجنبي واحد؛ يؤدي إلى هذا التباين والاختلاف في هذه الترجمات لمصطلح (correlative objective) والفقرة التي ورد فيها، أيضاً. اضفُ إلى ذلك: فإن

اختلاف ثقافة المؤلفين والمترجمين وتباينها أدى، بدوره، إلى اختلاف وتباين في الفهم بحسب ما فهمه كل من قرأ هذا المصطلح، والفقرة التي ورد فيها، وترجمه. وتمخض عن هذا التعدد في الفهم تعدد في الترجمات، أيضاً. ولعل هذا كله أدى إلى مزيد من التباين والاختلاف في هذه الترجمات والتسميات لهذا المصطلح، والفقرة التي ورد فيها، أيضاً. وهذا مؤشر دال على حال المصطلح العربي وواقعه بشكل عام، ويبرز الحاجة الملحة لوجود هيئة عربية عليا موحدة تتولى الإشراف على وضع المصطلحات العربية الأدبية والنقدية، وتضع في رأس اهتمامها النقاط الثلاث الآتية: تثبيت تسمية المصطلح، وتحديد دلالة أو دلالات المصطلح، ومعرفة محدداته المختلفة، والعوامل المنتجة له.

### المبحث الثاني - النظرية والتطبيق

أولاً: مفهوم مصطلح<sup>(١)</sup> (objective correlative): الدلالة والتطبيق

ولا مرأء في أن إشكالية إقرار مفهوم المصطلح، وتحديد دلالاته، والانفاق على تسمياته كانت ولا تزال من بين المسائل المهمة في الفكر النقدي، وخاصة مع بروز الاتجاهات النقدية الحداثية، وتصاعد المناهج النسقية ذات المدد الألسني.

١- المتأمل في المعادل الموضوعي يلحظ أن ثمة غير قليل من الاختلاف في وجهات النظر حوله، من هنا تعددت التسميات والإشارات التي استخدمها النقاد في الإشارة إليه، مثل: معادل، نظرية، ركن، معيار، مصطلح؛ فثمة من النقاد من رأى أن المعادل الموضوعي يشكل نظرية مستقلة في النقد الأدبي. ومنهم من رأى أنه يشكل ركناً من أركان نظرية في النقد الأدبي. ومنهم من رأى أنه يشكل معياراً معتمداً في النقد والتحليل. ومنهم من شكك في أصالة فكرته. ومنهم من انتقد نظرية إلبوت بقوله: إن المعادل الموضوعي، أيضاً، يسمح بإقامة صلات أكثر تجديداً وأقل مباشرة. كذلك، يعيب على إلبوت افتراضه بأن نيات الكاتب المتعلقة بالتعبير الفني ستفهم مباشرة، ويقول إنه يوجد «معادلة لفظية لأية حالة عاطفية تستثير تلك العاطفة وحدها عندما تستخدم».

ولعل جزءاً من هذا التعدد والاختلاف في وجهات النظر يعود إلى تعدد منابع فكرة المعادل الموضوعي، وتردها عند غير واحد من النقاد المعروفين، أمثال: هيوم، وباوند، وسانتيانا، ووجودها في كثير من مظان النقد، ولا سيما النقد الفرنسي. وقد أشار الباحث سابقاً إلى أن العبرة ليس في وجود الفكرة. فالأفكار موجودة والمعاني مطروقة، وما من فكرة تجلت في نظريه وشاعت بين النقاد إلا وكان لها من قبل وجود هنا أو هناك. لكن الاعتبار يكون لمن يلملم أوصال هذه الفكرة ويجمعها في بناء نظري جديد يخرجها إلى النور ويلح عليه.

ينضاف إلى ذلك ما أغرقتنا به الدراسات العربية المعاصرة من مصطلحات غريبة جديدة، إن على مستوى التنظير، أو الممارسة النصية مواكبةً للمشهد النقدي العالمي. الشيء الذي جعل تحديد مضامينها وضبط مفهومها أمراً ملحاً، يستوجب المساءلة ويتطلب البحث. من هنا ستحاول الدراسة الحالية تحديد مفهوم مصطلح (objective correlative)، وكشف دلالاته، وعرض بعض تطبيقاته في الأدب الحديث والأدب القديم.

### ثانياً: مفهوم المعادل الموضوعي: دلالاته ومقوماته الأساسية

المعادل الموضوعي هو أحد المصطلحات النقدية الحديثة، وهو مصطلح اقترن ظهوره مع الشاعر الناقد ت.س.إليوت في مقاله المشهورة (هاملت ومشكلاته)، سنة ١٩١٩، كما أشرنا سابقاً.

بداية، لا بدّ من الوقوف على مفهوم هذا مصطلح، وتحديد دلالاته ومقوماته الأساسية<sup>(١)</sup>، ووظيفته؛ لأن ذكر المصطلح دون تحديد دلالاته بدقة، يضعف من قيمة المصطلح، وقدرته كقوة تجميعية تكثيفية، لأنّ الأصل في المصطلح: أن يؤدي دلالاته بوضوح ودقة. أما إذا تعددت الدلالة؛ فقدّ المصطلح قيمته الاصطلاحية والفنية إلى حد كبير. ومال إلى صنف أدبي آخر، ربما هو (الرمز الفني) من حيث اعتماده الكبير على السياق، كما أشرنا سابقاً.

١- ينظر دراسات تطبيقية للباحث نفسه:

أ- فتحي أبو مراد، (المعادل الموضوعي: بين النظرية والتطبيق، قصيدة الأرض لمحمود درويش نموذجاً)، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، عدد ٣٣، ٢٠٠٧.  
ب- فتحي أبو مراد، دراسة تحليلية في مفضلية المثقب العبدية النونية في ضوء نظرية المكافئ الموضوعي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث - (العلوم الإنسانية)، ٢٠١٤.

على أية حال، فإن المعادل الموضوعي مصطلحٌ نقدي يُشير إلى الأداة الرمزية المستخدمة للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف. ويوفر مصطلح المعادل الموضوعي عنواناً للطريقة التي يقدم بها الفن مجموعة من التمثيلات التي قد لا يُصرحُ بالعاطفة فيها، لكنها - التمثيلات - تعبر عن هذه العواطف. عرّف ت.س. إليوت المعادل الموضوعي بقوله: «إنَّ السبيل الوحيد للتعبير عن العاطفة بشكل فني هو إيجاد «معادل موضوعي» لها، أو بعبارة أخرى (بإيجاد) مجموعة موضوعات، أو مواقف، أو سلسلة أحداث ستكوّن صيغة تلك العاطفة الخاصة (التي يراد التعبير عنها) حتى إذا اكتملت الحقائق الخارجية التي لا بدَّ أن تنتهي إلى خبرة حسية، فإن العاطفة تستثار في الحال»<sup>(١)</sup>.

يستخدمُ إليوت هذا المصطلح، إذًا، ليشير تحديدًا إلى الآلية الفنية التي تُستثار بها عواطف الجمهور المستهدف بالعمل الفني. وبسبب هذا المفهوم وصف إليوت مسرحية هاملت لشكسبير بأنها: (فشلٌ فني بالقطع)؛ فعواطف هاملت القوية تجاوزت الحقائق المعطاة في المسرحية، مما يعني أنها لم تكن مدعومة (بمعادل موضوعي) ملائم. يُقر إليوت بأن هذه الظروف شيء يعرفه كل إنسانٍ حساس، لكن تمثيل حساسية هاملت درامياً أثبت كونه أكبر من قدرة شكسبير الفنية. ويهدف إليوت من خلال ذلك كله إلى بيان الخلل الدرامي في بناء مسرحية هاملت الذي يكمن في أن عواطف شخصية هاملت قد تجاوزت الحقائق الدرامية للمسرحية. وفي نفس السياق ينص إليوت على أن (الاحتمية الفنية) تكمن في ملاءمة الجو الخارجي التامة للعاطفة. ووظيفة المعادل الموضوعي تكمن في التعبير عن عواطف الشخصيات عن طريق العرض أكثر من وصف المشاعر.

وهكذا، فالقضية ليس في سكب العواطف، أو تكثيفها، بل في الوقوع على الوعاء الخارجي للمعادل الموضوعي القادر على تجسيد هذه العاطفة، والخلوص

١- عناد غزوان، مجلة الأقاليم، عدد ٩، ١٩٨٤: ٣٩.

بها من نطاق النفس المجرد، إلى حيز الوجود الخارجي الملموس، بحيث يكون هذا الوعاء أو المعادل قادرًا على إثارة الانفعال في نفس المتلقي، وخلق حالة في نفسه تشبه تلك التي يعاينها الشاعر، وتنزع نفسه للتعبير عنها. فاهتمام إليوت بالمعادل الموضوعي «لا ينصرف إلى الفكر والعاطفة لذاتهما، بقدر ما ينصرف إلى المعادل العاطفي للفكر، أو النموذج الذي يصنعه الشاعر من عواطفه وأفكاره»<sup>(١)</sup>، ويؤسس من خلاله بناءً الفني المستقل بحياته الذاتية دون الاعتماد إطلاقاً على الشاعر وظروف تأليفه.

المعادل الموضوعي، إذًا، يقوم على اتحاد بين الذات (العاطفة والفكر)، وبين الموضوع (عناصر الوجود المختلفة)، حيث تقوم الذات بتلمس عناصر الوجود الخارجي، وتختار أحد عناصره لتتخذ أداة لقبولية أو موضوعة عواطفها وأفكارها من خلاله. والشعر الناجح في مفهوم المعادل الموضوعي «إنما هو دائماً تصوير للفكر والشعور بتقرير الأحداث في العمل الإنساني أو الأشياء في العالم الخارجي»<sup>(٢)</sup>. فالقضية ليست في العواطف والمشاعر ذاتها؛ فكل بني البشر لديهم أحاسيس وعواطف ومشاعر، وربما أن بعضهم لديه من العواطف والمشاعر ما يفوق أعظم الشعراء، وإنما يقع الاعتبار في قدرة الشاعر على تصوير هذا المحيط فنيًا بالاتكاء على مجموعة موضوعات أو مواقف، أو سلسلة أحداث تطرحها معطيات الوجود الخارجي، أو يتصورها ذهن الشاعر. يقول إليوت في هذا: «وعندما نقرأ قصيدة أو قصة ننسى كل ما هو خارج عنها. أفلا ننسى أيضاً الشاعر أو الكاتب الذي كتبها؟ فتصبح هي الحقيقة الوحيدة الكائنة التي تتضاءل إلى جانبها جميع الحقائق الأخرى حتى حقيقة الكاتب الذي كتبها»<sup>(٣)</sup>.

١- مائيسن، ت. س إليوت: الشاعر الناقد، ترجمة: إحسان عباس، بيروت، ط١، ١٩٦٥، ص ١٣٠، ١٣٢.

٢- مائيسن، ت. س إليوت: الشاعر الناقد، ص ١٣٢.

٣- نقلاً عن محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٣: ٣٢١-٣٢٢.



فالمعادل الموضوعي، إذًا، يتشكّل من اتحاد مستويين، الأول: القلب، أو الوعاء المعادل، أو الصورة الخارجية، وهو المستوى الظاهري المحسوس، والآخر هو دلالة المعادل أو معناه، وهو المستوى الخفي المجرد، وبين هذين المستويين ثمة شبه نفسي يربط بينهما، وبذلك فالمعادل الموضوعي ليس الصورة وحدها، أو المعنى وحده، وإنما البنية المتشكّلة من اتحادهما ومزجهما معًا. بالتجسيد والتجريد يتمّ هذا الاتحاد والمزج؛ حيث يختصّ التجريد بالصورة؛ فتتخلص المعطيات الحسية من بعض أثقال المادة، وتفقد ماديتها وتنهار حدودها المادية وعلاقتها المنطقية، لتتحوّل إلى دلالات تجريدية. ويختصّ التجسيد بالمعنى؛ فتكتسب المعاني والحالات النفسية والمعنوية المجردة خصائص وسمات المادة المحسوسة؛ فيتماهى المعنى في الصورة، والصورة في المعنى، ويمتزجان ويتحدان في بنية حسية حيوية، بالتالي فإننا لا نستطيع عند قراءة المعادل الموضوعي الاكتفاء بأحد الطرفين دون سواه، فكلاهما مقصود، والمعادل كلٌّ غير قابل للتجزئة<sup>(١)</sup>.

### ثالثًا: من تطبيقات المعادل الموضوعي

(عالم الغيب ومكوناته - المشهد: مكوناته الفنية وكياناته الدلالية)

يرى إليوت في نظرية المعادل الموضوعي: أن معضلة الشاعر الكبرى تكمن في قدرته على تجسيد عواطفه، وأحاسيسه، وأفكاره، ووضعها في معادلات حسية معيّنة، ومنذ الأزل والإنسان عامة والأديب، أو الشاعر خاصة، وهو يكابد هذه المعضلة بشكل أو بآخر؛ إذ إن كل نفس تنطوي على عالم غير متناهٍ من مكونات عالم الغيب المدهشة، وتصطّرع في أعماقه آلاف المشاعر والأحاسيس والأفكار الواعية أو غير الواعية.

ولا سبيل أمام الشاعر لإخراج مكونات عالم الغيب المجرد إلا عبر تجسيدها،

١- ينظر: علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى، ط١، القاهرة، ١٩٧٨: ١١١.

أو قولبتها في مشهد حسيّ معيّن قابل للقراءة والاستنتاج، خارج حدود ذات. وبالتالي، فإن الشاعر يجدّ في البحث عن الوسائل اللغوية والأدوات الفنية القادرة على رسم ملامح هذا المشهد وتفاصيله وتجسيدها. وهنا تختلف أساليب الشعراء، وتباين وسائلهم اللغوية، وحيلهم الفنية المختارة. وهذا، بدوره، يؤدي إلى تباين جودة كل عمل، وتمييزه عن سواه.

وإليوت بوصفه شاعرًا، قبل أن يكون ناقدًا، فقد عانى هذه المعضلة في تجسيد أحاسيسه، ورأى أن الطريقة الأفضل لتجسيد مكونات عالم الغيب المجرّد لديه، تتحقق عبر رسم مشهد فني سمّاه (المعادل الموضوعي)، غير أن واقع هذا المشهد وحقيقته أوسع من أن ينحصر في هذه التسمية (المعادل الموضوعي)؛ إذ إن هذا المشهد المجرّد لمكونات عالم الغيب في أعماق الشاعر، يمكن أن يرسمه الشعراء بوسائل بلاغية وأسلوبية متنوّعة؛ فأحيانًا ننظر في هذا المشهد، فنراه يتجسّد عبر صورة رمزية فنية تنهض على الإيحاء والتلميح، وتندّ عن التصريح والتوضيح. وأحيانًا نراه يتأسس على صورة تشبيهية مثقلة بالبتّ والدلالة والجمال. وربما نرى أشكالًا وقوالب فنية متنوّعة، وكيفيات دلالية وإيحائية وجمالية عدّة، يعزّز حصرها في شكل فني واحد؛ إذ إنها ربما تجوس آفاق البلاغة العربية، وورثتها الشرعية: الأسلوبية الحديثة، وما تركز عليه من استعمالات خاصة للغة. وبالتالي تصبح هذه الإشكال الحسية، أو القوالب المجسّدة، أو المعادلات الموضوعية، حسب تعبير إليوت، تصبح بؤرًا للتوتر القرائي والدلالي، وبروزات لغوية لافتة لانتباه القارئ، أو حيلة لغوية ترجى الفهم التعجّل لمضمون عالم الغيب المجرّد المُصرّع في حنايا الشاعر، ومنعرجات نفسه الخبيثة. وتنتقل بوعي القارئ من مكونات عالم الغيب المجرّد الغائر في الأعماق، إلى صورة هذا العالم عبر مشهد فني خارجي مجسّد؛ مكوناته الأساس: ألفاظ وصور وكلمات، يحاورها القارئ وتحاوره، ويجدّ في التقاط دلالتها وإيحاءاتها، والإمساك بلحظاتها الجمالية التلذذ

والإمتاع . فالمشهد، إذن، هو ما تدركه بحواسك؛ وهو ما يمكن أن تراه بعينك، أو تسمعه بأذنك. أو تدركه بعقلك. فهو يظل مشهداً حسيّاً تتراءى مكوناته الفنية، وكيّنوناته الدلالية، وسائر تفاصيله وملامحه على صفحة القصيدة .

غاية الأمر وملاكه: أن يكون الشاعر مدركاً أنه أمام ثنائية طرفها الأول: داخلي، وطرفها الآخر خارجي، أي ثنائية المجرّد والمحسوس، أو ثنائية القلب والقالب، أو بمعنى آخر ثنائية عالم الغيب ومكوناته، والمشهد الشاخص أمامه وكيّنوناته الدلالية. وأن يكون قادراً، أولاً، على التمييز بينهما، حتى إذا ما استكّنه حقيقة عالم الغيب ومكوناته؛ بدأت في وعيه مرحلة جديدة من المعاناة، إنها مرحلة (الحدس والاختيار)؛ الحدس في أي الوسائل الفنية الأقدر على تصوير عالمه الداخلي المجرّد، ومن ثم الانفصال عن الذات، واختيار الوسيلة التي رشّحها الحدس، ومن ثم تبدأ المرحلة الأخيرة: مرحلة الإبداع اللغوي، أو الصياغة الفنية للوسيلة المختارة، وصبّها في القالب الفني المناسب القادر على تصوير أعماق الشاعر والبوح بها. وفي مخاض هذه العملية (الحدس والاختيار) تتوضّح صورة العمل الفني ودرجة نجاحه أو فشله.

وبعد هذه المراحل الثلاث (الحدس والاختيار والصياغة)، تصل العملية الإبداعية إلى مرحلة المواجهة بين القارئ، وحصيلة اختيارات المبدع الماثلة أمام المتلقي، على شكل نص أدبي لصورة عالم الغيب المجرّد عبر المشهد الفني، أو المعادل الموضوعي لهذا لعالم المجرّد. وهنا يُلاحظ، مرة أخرى، أن المشاهد والصور تتعدد بتعدد الاختيارات اللغوية، والقوالب الحسية، أو الصور الفنية.

ومرحلة المواجهة بين القارئ والنص، هي مرحلة التلقّي؛ مرحلة القراءة لبنية لغوية حيّة، مستقلة بذاتها، ومنقطعة عن الشخصية الشعرية التي أبدعتها، إنها المشهد الجمالي المائل أمام القارئ عبر القصيدة. والقارئ وحده هو مَنْ

يستطيع أن يصنّف شكل هذا المشهد الحسي المعادل الموضوعي؛ هل هو رمز فني، أم صورة معينة من صور التشبيه، أم شكل من أشكال استلهام التراث، أو استدعاء نص من النصوص الغائبة؟ وما إلى ذلك إلى الأشكال الفنية القادرة على تجسيد المعنوي المجرد، وقولبتة أو وضعه، عبر قوالب حسية، تنصبّ في بنية لغوية حية قابلة للاستنطاق والقراءة، تقع خارج حدود الذات، تنداح على صفحة القصيدة، ويضطلع القارئ بمهمة تفكيكها، واقتناص دلالتها، والإمساك بلحظاتها الجمالية والتلذذ والإمتاع؛ فالإيوت يرى: أن تأثير الشعر في حياة الناس بالغ الأهمية، وله على المدى البعيد أثر بين على سلوكهم ومشاعرهم، وطريقة حياتهم؛ فإذا تأثروا بشيء، لا بدّ وأن تتبعه خطوات سلوكية - سلبيًا أو إيجابًا - يشمل كل مجالات حياتهم.

ومن هنا، تتضح معالم الوظيفة الاجتماعية للشعر، كما يكشف عنها المعادل الموضوعي عند إيوت. وما الشعر عنده إلا ذلك المعادل الموضوعي المتشبيء من امتزاج الذات بالموضوع، في بنية حية منقطعة عن واقعها، ومستقلة بحياتها الذاتية عبر رحلة الزمان، لكنها بنية قابلة للتأمل والتفحص والاستنطاق، بفضل قدرتها على توليد طبقات جديدة للمعنى، كلما تناولها الفكر، وحاورها مرة بعد مرة.

وهكذا، يلحظ: أن مفهوم العادل الموضوعي، يتمحور حول إيجاد معادلات حسية خارجية لحالات الشعور الداخلية للشاعر، وأن الممارسات العملية المختلفة لمعطيات المعادل الموضوعي، تتمخض عن نتائج أوسع من الرؤية النظرية المتداولة عند أغلب الدارسين. وترى أن مصطلح المعادل الموضوعي؛ إنما هو وسيلة استقطاب أدوات فنية ورمزية أخرى: بنائية وأسلوبية وجمالية قادرة على التعبير والتشكيل والتصوير في آنٍ واحدٍ؛ إذ إن كل معادل موضوعي، لا تعدم النظرة

الفاحصة أن تصنّفه ضمن صورة فنية وجمالية معينة، كصورةٍ من صور التشبيه المختلفة، أو صورةٍ من صور الرمز الفني المتنوّعة، أو صورةٍ من صور استدعاء التراث. أو نصٍّ من النصوص الغائبة، أو صورةٍ من صور المجاز الأخرى. أو ربما اتكأت على سلاسل، أو تفاصيلٍ من مفردات الواقع المعيش، وما إلى ذلك من استعمال اللغة استعمالاً خاصّاً قادراً على تجسيد المجرّد الداخلي للشاعر عبر صور حسية تبوح بعواطف الشاعر وأفكاره، وترسم لها صورةً مشابهة في وعي القارئ.

آية ذلك كله؛ أن المعادل الموضوعي يُشير إلى الأداة الرمزية، أو الحيلة اللغوية المستخدمة للتعبير عن مفاهيم مجردة؛ كالعواطف والأفكار، وما إلى ذلك.

غير أن بلاغة النص الشعري لا يمكن تلمّسها، إلا حينما تنتظم تلك الصور سمةً أسلوبيةً وبنائيةً، أو حيلةً لغويةً إيحائيةً، ويتآزر هذا المزيج الفني كله، في تشكيل تنوّعات لغوية خاصة، أو (سمات تضليلية جمالية)، تعرقل نمطية القراءة الألفية، وتحاول اقتناص دلالات مرجأة تعوم في سماء النص، وتتسامى عن تحديد دلالات نهائية لمعناه.. إنها تحاول أن تثير في القارئ حالات شعورية وعاطفية، تشبه تلك التي يعانها الشاعر نفسه. والشاعر، بدوره، يغرف من معين داخلي لا قرار له أو حدود، تنسرب أحافيره بين الوعي واللاوعي، بين الواقع والخيال، بين الخرافة والأسطورة، وإذا استطاع الشاعر أن يقع على معادل موضوعي قادر على تجسيد بعض ملامح هذا المزيج المدهش من المجرّدات، أو يثير في المتلقي حالة تشبه حالته، كان في غاية السعادة الحياتية والنشوة الجمالية.

وأخيراً، فإن الغاية من المصطلح، بشكل عام: «أن يكون - المصطلح، أي مصطلح - أداة تجميع لطائفة من المعلومات، أو الصفات النوعية، أو الخصائص

في أصغر حيز لغوي دالّ هو اللفظة، بحيث تقوم اللفظة بديلاً في الفكر عنه»<sup>(١)</sup>.  
أما على مستوى التطبيق، فإننا نفهم أن الغاية من مصطلح المعادل الموضوعي أن يكون: أداة تجميع لوسائل أسلوبية وتعبيرية ورمزية جمالية، قادرة على استكناه عالم الغيب المجرد؛ عالم العواطف والأفكار، وتجسيدها في معادلات حسية. وهذا يتطابق، تماماً، مع غاية إليوت في المعادل الموضوعي<sup>(٢)</sup>.

عرضنا فيما مضى لنظرية المعادل الموضوعي. وسنحاول في هذا القسم من الدراسة استلهاً هذه المعطيات في نظرية إليوت، ونتلمّس الكيفيات اللغوية، والمشاهد الفنية، واللحظات الجمالية التي تراءت من خلالها هذه المعطيات.

وقد اختارت الدراسة خمسة نصوص من الشعر العربي القديم، والشعر العربي الحديث، وأحدها نصّاً أجنبياً مترجماً من قصيدة (الأرض اليباب) للشاعر الناقد إليوت، صاحب نظرية المعادل الموضوعي. ويتراءى في كل نصّ منها صورة فنية حسية مختلفة عن الأخريات لمفهوم المعادل الموضوعي. وقد حرصت الدراسة على أن تضع (عنواناً دالاً) لكل قسم من أقسام الدراسة التطبيقية، يؤشر على الصورة الفنية الخاصة التي تراءى من خلالها مفهوم المعادل الموضوعي.

## ١ - المعادل الموضوعي ومشهد التشبيه

نبدأ، أولاً، بنصّ، أو مشهدٍ من الشعر العربي القديم، وهي أبيات لمجنون ليلي. يتجلّى فيها مفهوم المعادل الموضوعي في صورة تشبيهية خاصة، تجسّد عواطف الشاعر وأفكاره وأحزانه. وبالتالي فالمعادل الموضوعي، هنا يتماهى تماماً في هذه الصورة التشبيهية. إذًا، فالشاعر، عملياً، يوظف المعادل الموضوعي،

١- عز الدين إسماعيل، «أما قبل» [افتتاحية العدد]، مجلة فصول، المجلد ٧، العددان (٣-٤٩)، ص ٤.  
٢- "الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الوجدان في الفن هي بإيجاد (معادل موضوعي)...، أو بعبارة أخرى بخلق جسم محدد أو موقف أو سلسلة من الأحداث تعادل الوجدان المعين الذي يراد التعبير عنه حتى إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية - التي لا بد أن تنتهي إلى خبرة حسية - تحقق الوجدان المطلوب إثارتته".

بشكل عفويّ، من خلال هذه الصورة التشبيهية المثقلة بالثبّ والدلالة. وهذا لا يعني أننا نزعّم أن القدماء قد عرفوا هذا المصطلح، بل هو الإحساس بضرورة التعبير عما يمور في أعماق النفس، ويعتمل في حناياها ومنعرجاتها الخبيئة.

ولعل هذا، بدوره، يؤشر إلى أن القدماء قد شعروا بصعوبة التعبير عما يمور في أعماقهم، كما شعر إليوت نفسه - وسواه - في القرن العشرين، وتوصّلوا إلى فكرة إيجاد معادل موضوعي خارجي لعواطفهم. كما توصّل إليوت إلى ذلك. لكن بأساليب فنية أخرى. غير أن جوهر الفكرة واحد، وهو: أن التعبير عن العاطفة والفكر بشكل فني، إنما يكون بإيجاد معادل موضوعي خارجي لها.

والشعراء القدماء، حقيقة، قد مارسوا هذا الفعل بشكل واضح، كما تنطق بذلك إبداعاتهم الشعرية بشكل خاص. لكنهم مارسوه بوسائل بلاغية وأسلوبية متنوعة. ربما تجوس آفاق البلاغة العربية، ووريتها الشرعية: الأسلوبية الحديثة، وما ترتكز عليه من استعمالات خاصة للغة. وتتراعى في صور فنية عدّة. كما نرى في هذا المشهد الفني القائم على صورة تشبيهية مثقلة بالثبّ والدلالة والجمال لمجنون ليلي:

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةَ قَيْلٍ يُغْدَى	بَلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرْكٌ فَبَاتَتْ	تُجَادِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
لَهَا فَرُخَانٍ قَدْ تُرِكَابِقْفُرٍ	وَعَشْمَا تَصَفَّقَهُ الرِّيحُ
إِذَا سَمِعَا هُبُوبَ الرِّيحِ هَبَا	وَقَالَا أُمَّنَا، تَأْتِي الرُّوَّاحُ
فَلَا بِاللَّيْلِ نَالَتْ مَا تَرْجَى	وَلَا فِي الصُّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَّاحُ

هذه الأبيات قالها المجنون في محبوبته (ليلى العامرية)، حينما علم برحيلها؛

فترأت له صورة القطة، وهي صورة نسجها خياله، وقد علفت بالشرك. وهي طائر سريع جداً. وطائر يحب صغاره كثيراً. ومما يعمق مأساة هذه القطة أن لها فرخين صغيرين في عش تتقاذفه الرياح؛ مما يجعل مأساتها مزدوجة؛ فواحدة في نفسها العالقة في الشرك، وما لها منه فكاك، وأخرى في صغيرها المشرفين على الهلاك.

نلاحظ هنا، أن الشاعر يريد أن يصور ما في نفسه من حزن وألم، ويجسده في مشهد حسي معادل له؛ فأسقط ما في نفسه في هذه الصورة الشعرية؛ ليطبعها بطابع الحزن والألم، ثم ينقل هذا الحزن إلى القارئ. ويتمثل الحزن في هذه الأبيات بالشاعر وليلى والقطة والفراخ؛ إذ يشبه الشاعر دقات قلبه بالقطة التي وقعت في شرك. وتحاول التخلص منه والعودة إلى فراخها تكاءً على سرعتها الكبيرة. وكذا في تذكرها لفراخها تترأى صورة مأساوية فاجعة؛ إذ لم يشفع لهذه القطة حبها العظيم لصغارها، أو تذكرها لهم، أو سرعتها في الخلاص من هذا الشرك. والعودة إليهم، ولذلك فهي لم تنل هذا ولا ذاك.

فصورة الشاعر وليلى والقطة وفراخها، إذاً، كلها تشكل مأساة، وجاءت النغمات الموسيقية السريعة في الأبيات لتعميق هذه المأساة والإيحاء بها؛ إذ جاءت تتلاءم مع سرعة خفقان القلب، وسرعة القطة، وسرعة الرياح العاتية التي تدخل من بعيد ومن قريب (وعشهما تصفقه الرياح). وكذلك، فإن عناصر الطبيعة الأخرى في هذه الأبيات ساعدت في شحن المشهد بالبت والدلالة. والمعروف أن الطبيعة تكون؛ إما عاملاً مساعداً في إضفاء جوّ الفرح والسرور، أو عاملاً مساعداً إضفاء جوّ الحزن والكآبة. وهنا يظهر جوّ الحزن مرة أخرى.

ومن دلالات هذا المشهد الحسي، أيضاً، وإيحاءاته، أنه يشي، أولاً، بوجود بناء تصويري مائل أمام المتلقي يقوم على تقنية التشبيه، فهذا المقطع يطرح



موضوعاً يتمحور حول القلب والقطاة والفراخ، ودلالة كل واحد منها. ويؤسس في ذهن المتلقي بناءً تشبيهيًا؛ طرفه الأول: المشبه، وهو القلب بكلِّ مكنوناته من حزن وألم وإحساس فاجع بالفقد. وطرفه الآخر: المشبه به، وهو القطاة.

والتشبيه تقنية فنية تصويرية، تثير في ذهن المتلقي فضاءً من الاحتمال التخيلي الرؤيوي، يفتح شهية المتلقي على النص، وتلبية حاجاته المعرفية والجمالية<sup>(١)</sup> التي أسسها، أصلاً، طرفا التشبيه واستكناه ما تحمله الجملة الاستهلالية (جملة التشبيه) من سيمياء الدلالة عامة. «ومن المعروف في أدبيات التشبيه أن (المشبه به) دوام له أفضلية على المشبه، ويتمثل فضله في أنه يحمل الصفة بنسبة مثالية، أما (المشبه) فيحملها بنسبة أقل، ولذلك جاز تشبيه الناقص بالكامل»<sup>(٢)</sup>، فهل يعني ذلك أن الشاعر حينما شبه قلبه وأحاسيسه بالقطاة، قد صبَّ اهتمامه على المشبه به / القطاة، وأنه يرى أن للقطاة أفضلية على قلبه وأحاسيسه / المشبه؟ لو تأملنا قليلاً في مشهد التشبيه للحظنا وجود التشبيه الدائري في الأبيات؛ فالشاعر أتى بكلمة واحدة للمشبه، وبقية الأبيات جاءت تدور حول المشبه به، وذلك لأن الشاعر يريد أن يضفي على المشبه ما استطاع من أجواء الحزن، وبالتالي فمن المؤكد أن الشاعر لم يفكر بقضية (الأفضلية)، بقدر ما فكر بوسيلة فنية لإخراج (مكنونات عالم الغيب) المُصرَّع في أعماقه بالخرن والأسى، ومحاولة تجسيده، أو قولته في (مشهد حسّي معاين)، قابل للقراءة والاستنطاق خارج حدود ذات، فاهتدى إلى هذه المشهد التشبيهي.

ويلاحظ أن ثمة ازدواجاً في التشبيه؛ يتشكل من الموصوف / قلبه وأحاسيسه، والصورة الواصفة / القطاة والفراخ. وهذا الازدواج هو نفسه الذي يتراءى

١- ينظر: يوسف ناصر شبانة، قصيدة ملائكة الرحمة لإبراهيم طوقان، التشبيه الكبير والهندسة الإيقاعية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ٧م، ١ع، كانون ثاني، ٢٠١١: ٥٠.

٢- المرجع السابق: ٥٤.

في طرفيَّ (المعادل الموضوعي)؛ فالشاعر قد أتى بما يمكن أن يتخيله المتلقي في هذا المجال؛ فأسس نسقاً بنيوياً متوازياً بين طرفي التشبيه، مما أفرز بنتين دلالتين متوازيتين، شكّلتا مرتكزاً دلاليّاً، ستظل أصداءه تتجاوب في كل تفاصيل هذا المشهد الفني. فالشاعر، إذًا، أثار لدى المتلقي هذا الأفق الرؤيوي الذي سيلازمه أثناء تلقيه للنص.

ينطوي التشبيه إذًا، على نمط بنائي ثنائي: المشبه / القلب، والمشبه به / القطاة، وعلاقة تماثل دلالي تخلق شكلاً من أشكال الازدواج من الحقائق الموصوفة، والصورة الواصفة، ما إن تقترن بعضها ببعض حتى تنطق<sup>(١)</sup> بفيض وفير من الدلالات والإيحاءات المحسوسة والتخيّلة. وبذا يهدم الشاعر جدر الفصل بين المشبه والمشبه به، ويقرب بينهما، حتى لا يكاد يرى فرقاً بين: المشبه / القلب، بكل مكنوناته من حزن وألم وإحساس فاجع بالفقد، والمشبه به / القطاة. فالعلاقة إذًا، وثيقة بين طرفي التشبيه؛ فكلاهما يشعّ بدلالات الحزن والأسى والألم.

ولعل هذا الفهم مستمد، أصلاً، من فلسفة التشبيه نفسه، الذي يقوم على علاقة من التماثل الدلالي<sup>(٢)</sup>، تعمل باستمرار على التقريب بين المشبه / الموصوف، والصورة الواصفة / المشبه به، وبذلك تتحقق غاية الشاعر في الوصول إلى مراده، والإيحاء بأحاسيسه وحزنه، وتوحيد العلاقة بين قلبه / المشبه، وسائر عناصر المشبه به / القطاة والفراخ. واستخلاص الدلالات نفسها: دلالات الحزن والألم والفقد، فكل من المشبه والمشبه به، أصبح ينطوي على هذه الدلالات نفسها، دون أن تظل أفضلية لأحدهما على أخيه، في مفهوم الشاعر وإحساسه العميق بالحزن.

١- محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية،

تونس، ١٩٨١: ١٤٢

٢- محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات: ١٤٢

آية ذلك كله: أن المعادل الموضوعي في الأبيات السابقة، يتراءى من خلال (مشهد التشبيه)، ومكوناته الفنية، وكياناته الدلالية المتنوعة؛ مثل: قلب الشاعر والقطاة وفراخها والشرك والرياح، وما إلى ذلك. فكأن هذه العناصر مثلت شرائح ساعدت في إضفاء ذلك الجو الحزين، الذي أراد الشاعر أن يوحي به من خلال مشهد التشبيه.

وهكذا، فقد وجد الشاعر في مشهد (صورة القطاة) معادله الموضوعي، فنقل كل مشاعره وأحاسيسه تجاه فراق الحبيبة (ليلي)، إلى جو القطاة، وفراخها المشرف على الهلاك. وقدم هذه الصورة التشبيهية المجسدة إلى المتلقي، كي يتأملها، ويستشف منها مشاعره وعواطفه وأفكاره، مما يعني إثارة، أو خلق حالة عند المتلقي تشبه تلك التي يعانها الشاعر نفسه.

## ٢- المعادل الموضوعي ومشهد الرمز الفني

التأمل في بنية قصيدة المثقب العبدى، يلحظ أنها تتأسس على بنية رمزية كلية، تستغرق القصيدة من أولها إلى آخرها، وبالتالي، فإن الرؤية الفاحصة، تلحظ أن الشاعر قد راح يجسد عواطفه وأفكاره ورؤاه من خلال هذا المشهد الفني الرمزي. وبالتالي، فإن المعادل الموضوعي لأفكار الشاعر وعواطفه تتماهى في هذا المشهد الرمزي المحسوس، لذا اختار الباحث عنوان: (المعادل الموضوعي ومشهد الرمز الفني) لهذا القسم من الدراسة، كي يكون مؤشراً موجزاً ودالاً على جوهر العلاقة بين الطرفين.

وإذا كان مجنون ليلي، أنفأ، استخدم المعادل الموضوعي استخداماً جزئياً، تمثل في مستهل القصيدة. فإننا نجد أن المثقب العبدى في (مفضليته النونية) يبني قصيدته كاملة على المعادل الموضوعي، كما أشرنا؛ إذ يتراءى المعادل الموضوعي من خلال بنیان رمزي متكامل، ينتظم القصيدة من أولها، ثم أواسطها «لتصب

في اكتمال الانفعال، وتوثيق عرى السياق والموقف في الغرض الأساسي<sup>(١)</sup>.  
فلوحات القصيدة المتعددة تتلفّع بوشاح رمزي شفاف، وتتأزر كلها لتوحي  
بتجربة الشاعر الواقعية، والمتصلة بمواجهته لعمر وبن هند في خصومته معه.

التأمل في القصيدة، يلحظ أن الشاعر يوظف المرأة / فاطمة معدلا موضوعيا  
لعمر بن هند، والعلاقة التي يرغب أن تسود بينهما، وهي علاقة تكافؤ ومماثلة.  
فالشاعر قد وجد في المرأة ضالته المنشودة، فاتخذها معادلا موضوعيا كي يحمّلها  
قضيته، ورؤيته لنوع العلاقة التي يرغب بها مع عمر بن هند؛ فالشاعر لا يخاطب  
امرأة حقيقية. إنما المرأة هنا معادل موضوعي لعمر وبن هند، فالشاعر يكشف عن  
حبه العميق للمرأة / عمرو، وفي الوقت ذاته لا يكون هذا الحب على حساب  
كرامته، وكرامة قومه، والشاعر لا يريد الحرب، ولا يريد السلام المذل لقومه،  
ولذلك أتى بهذا المعادل الموضوعي، المبتوثة سائر متعلقاته في جنبات القصيدة،  
ليوضح رؤيته هذه، ويوحي بها إلى المتلقي، فينقل تجربته الشعورية إليه؛ ويثير فيه  
مشاعره وأحاسيسه.

التأمل في قصيدة المثقب العبدى؛ يلحظ أن الشاعر يرسم (مشهدًا فنيًا  
رمزيًا) إيحائيًا، تصدّره المرأة / فاطمة / الرمز. والمشهد وسيلة فنية يمكن للقارئ  
أن يدركه بحواسه؛ فقد يراه بعينه، أو يسمعه بأذنه. أو يفهمه بعقله. وتنداح  
مكونات هذا المشهد الفنية وكيوناته الدلالية وسائر تفاصيله وملامحه على صفحة  
القصيدة؛ فالمرأة / فاطمة اضطلعت بهذه المهمة الفنية: مهمة الرمز الفني / المعادل  
الموضوعي، ومن هذا الرمز / المرأة تسرّبت الكثير من الرموز الفرعية التي تبادلت  
الأدوار، وتناوبت في تجسيد روية الشاعر، وقولبتها أو ووضعها في نماذج حسّية  
تكافؤها، وتوحي بضمونها. وهذا بالضبط ما ألحّ عليه إليوت، من ضرورة تصوير  
العواطف فنيًا، وإخراجها من حيز الذات المجرد، إلى حيز الوجود الموضوعي

- المرجع السابق: ٢٠٤.

الخارجي . يقول المثقب العبدى:

أَفَاطِمَ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعِينِي      وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُكَ أَنْ تَبِينِي  
فَلَاتَعِدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ      تَمُرُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي  
فَإِنِّي لَو تُخَالِفُنِي شِمَالِي      خِلَافِكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي  
إِذَا لَقَطَعْتُهَا وَلَقَلْتُ بَيْنِي      كَذَلِكَ أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِينِي

تشكل المرأة في هذه الأبيات الرمز المحور الذي تنتظم القصيدة من خلاله، وبه تتصل بقية العناصر، ومنه تستمد القصيدة حركتها ونموها البنائي، ويشع هذا الرمز في الآن نفسه، بأبعاد تجربة الشاعر وانفعالاته. فالرمز يتشكل من مستويين: المستوى الأول قلب الرمز، أو صورته. وتمثل في المرأة / فاطمة، وهو المستوى الظاهري المحسوس. أما المستوى الآخر، هو دلالة الرمز، أو معناه، وتمثل بعمر بن هند، وهو المستوى الذي لم يصرح به الشاعر في هذه الأبيات، وهو المستوى الخفي. المتأمل في العلاقة بين مستويي الرمز؛ لا يلحظ أية علاقة بين هذين المستويين: فاطمة وعمر خارج القصيدة، غير أنها علاقة نفسية تلمسها الشاعر في بواطنه ووعيه. وحينما أحس الشاعر بهذا الشبه النفسي الذي وحد بين علاقته بعمر بن هند، والمرأة، كما تقدمها القصيدة؛ فقد وحد الشاعر بين مستويي الرمز، فاطمة، وعمر، فاتحداً معاً، واكتسب كل منهما من صفات الآخر وسماته، حتى بات الفصل بينهما أمراً غير يسير.

لنتأمل في جوهر هذا الرمز / المرأة، وما يبثه من إيهاعات ودلالات، تكشف عن أبعاد تجربة الشاعر النفسية والواقعية؛ فالشاعر قد حمل هذا الرمز / المرأة أبعاد قضيته مع عمر بن هند، وراح يتحدث معها انطلاقاً من هذا المفهوم، فاكتسب حديثه معها طابع العنف والتهديد والكبرياء والنزق، وكشف عن طبيعة العلاقة

بينه وبينها. فابتدأ بالفطم (أفطم) إيحاءً بالقطعية والفراق، لكنه سبق هذا الفطم بحرف نداء للقريب، وهذا إيحاء بقربها النفسي والذهني من الشاعر، وليس هذا حسب، بل إنه رخمها فقال: أفطم وهذا الترخيم والتخفيف للمرأة يوحى ولا يصريح بمعنى التحبب لهذه المرأة، ولكن بقية البيت توحى بحالة الشاعر النفسية، ونزقه وقلقه تجاه هذه المرأة التي يطلب منها المتعة، وهي هنا متعة الرؤية ليس أكثر، فهو يحب هذه المرأة جداً رغم ذلك كله؛ إذ إن فراقها بالنسبة إليه فاجعة، ومع ذلك فالشاعر لا يتوانى عن قطع علاقته بها، إن هي رفضت أن تمتعه بالرؤية. «ويبدو أن الشاعر كان مشغولاً بالبحث عن الصفاء والود، ولكن هذا لم يتحقق له، ولذلك تتعمق الهوة بين الشاعر وفاطمة كلما مضى في مخاطبتها، ولذلك فهو يأمرها وينهاها عن أن تكون مواعيدها باطلة وكاذبة، ويرفض هو أن يكون شخصاً هامشيّاً» أمامها<sup>(١)</sup>.

فَلَا تَعِدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ      تمر بها رياح الصيفِ دوني

ثمة أوصاف معنوية عدّة، يخلعها الشاعر على المرأة، فهي كاذبة، وقد أعطى صورة بشعة لهذا الكذب، فشبّه مواعيدها برياح الصيف التي تجلب الرمال والغبار، في حين أنه ينتظر منها الخير، ولكن لا يأتي منها سوى الشر، وكل هذا يوحى بأعماق نفسية الشاعر وتأزمه وقلقه، حتى يصل إلى درجة من التأزم يصل معها إلى حدّ قطع يده لو تخالفه. ولاحظ تركيزه على البين / الفراق والقطعية، حيث ترددت في الأبيات الأربعة كلمة (البين) ثلاث مرات، وهذا إلحاح من الشاعر لفاطمة، ولكنها لا تحير جواباً. فالأبيات السابقة تنتهي بتعميق حيرة الشاعر، ولا تحدد فيما إذا استجابت فاطمة للشاعر ووصلته.

لقد جاءت هذه المقدمة الغزلية الرمزية من خلال الرمز المحور / المرأة، برؤية

٨١ - موسى ربابعة، قراءة النصّ الشعري الجاهلي: ٨١.

كاملة لتصوير الشاعر لطبيعة العلاقة بينه وبين فاطمة الرمز / الظاهر، وعمر بن هند معنى الرمز الخفي. وهذا يكشف عن فاعلية الرمز وقدرته على الإيحاء بأبعاد تجربة الشاعر، ودور الرمز في تنامي القصيدة من خلاله، وكذلك نموه من خلالها. إن الشاعر يرغب في العلاقة مع عمرو بن هند، بل ويحبه ويقدره، ولذلك فهو لا يريد الحرب معه، وفي الآن ذاته لا يريد السلام المذل لنفسه وقومه، بل يريد علاقة متكافئة بين الطرفين، ومعاملة بالمثل: «كذلك اجتوي من يجتويني»، لذلك فالشاعر لم يصوّر نفسه خاضعاً مستسلماً للآخر رغم حبه له، بل أصر على التكافؤ.

### ٣- المعادل الموضوعي ومشهد التراث - استدعاء الرمز الديني

المتأمل في قصيدة (بلييس) لنزار قباني، يلحظ أنها تفور بعواطفه الحزن والألم على زوجته بلييس، التي قُتلت بيد الغدر والحقد، ولم يجد الشاعر سوى استدعاء رموز تراثية دينية غارقة في بحر الحقد والقتل والظلم؛ مثل شخصية (أبي لهب)، وبالتالي، فإن الشاعر راح يجسّد عواطفه وأفكاره من خلال توظيفه لهذا الرمز التراثي الديني؛ فترأت صورة المعادل الموضوعي المّجسد لعالمه الداخلي من خلال مشهد تراثي ديني واضح. من هنا استلهم الباحث عنوان هذا القسم من الدراسة.

يقوم جوهر المعادل الموضوعي على التعبير عن عواطف الشاعر، بواسطة وضعها فنيّاً في معادلات حسية مكافئة لها. وموحية بجوهرها وماهيتها، ولا تفهم العاطفة هنا في حدود ضيقة لا تخرج عن الإطار الداخلي للشاعر، وإنما بوصفها المرأة التي ينعكس من خلالها وقع الوجود على الوجدان، وبالتالي فإن كل تفاعلات الشاعر مع واقعة المعيش ستنعكس خلال هذه المرأة العاطفية. وتتجلى آثارها في النفس: عواطف وأحاسيس مختلفة، يقوم الشاعر بتجسيدها وبنائها فنيّاً.

وفي ظل هذا الفهم، فإن مهمة الشعر تتسع لتعبّر عن أية تجربة، سواء أكانت

تجربة عاطفية، أم تجربة حياتية معيشة. وكما ينقل محمود الربيعي عن إليوت، فإن إليوت يحذّر في هذا الصدد أن يكون مفهومنا للشعر نابغاً من هذه الفائدة التي يؤديها الشعر. لا من الشعر نفسه، «أما إذا تولدت القناعة لدينا بأن مفهوم الشعر ينبع من المتعة الجمالية التي يحققها الشعر، فلا بأس بعد ذلك في أن يتناول الشعر أي أغراض حياتية مهما كانت»<sup>(١)</sup>.

وفي (قصيدة بلقيس) لنزار قباني، نراه يكابد آلامه وأحزانه وغضبه، بعيد اغتيال زوجته (بلقيس) في بيروت، ويحاول أن يجسّد مكنونات عالمه الداخلي، وما يصطرع في أعماقه من المشاعر والأحاسيس، والأفكار الواعية، أو غير الواعية، تجاه فاجعة مقتل زوجته.

ولا يجد نزار أمامه وسيلة فنية لإخراج مكنونات عالمه الداخلي، إلا عبر تجسيدها، أو قولبتها في (مشهد حسّي معاين)، قابل للقراءة والاستنطاق خارج حدود ذاته، وبالتالي، فإننا نراه يجدّ في البحث عن الوسائل اللغوية، والأدوات الفنية القادرة على رسم ملامح هذا المشهد وتفصيله وتجسيدها؛ فيهديه وعيه المنفجوع بالفقد، وحده الفني إلى استدعاء مشهد تراثي ديني تتراءى فيه صورة (أبي لهب)، وتتجسّد من خلاله كل معاني الحقد والغدر والكفر، وكل ما يتصل بهذا المشهد التراثي من إحياءات ودلالات ومشاعر. من هنا نرى الشاعر يقدم لنا مشهداً قوامه: سلسلة من الأشياء الموضوعية، والأحداث والأوصاف، يللم أجزاءها في ترابط موضوعي لا يتصل بالذات؛ فتلتقي أواصرهما في صورة فنية موحية بتجربة الشاعر المعيشة المتصلة بمقتل (زوجته بلقيس)، فتستثير فينا مشاعر وأحاسيس الشاعر التي يوحى بها هذا المشهد، دون أن يصرح لنا الشاعر باسم يحدد هذه المشاعر والأحاسيس، ودون أن يصرح لنا بأسماء من يعدم القتل الحقيقيين بلقيس، لكنه يقدم لنا صورة موحية بذلك كله، في خلال هذا المشهد الفني / المعادل الموضوعي لأفكاره وعواطفه. يقول نزار قباني:

١ - محمود الربيعي، في نقد الشعر، (مرجع سابق)، ص ١٩٩.



## سَأَقُولُ فِي التَّحْقِيقِ :

كَيْفَ غَزَا لَتِي مَاتَتْ بِسَيْفِ أَبِي لَهَبٍ

كُلُّ اللُّصُوصِ .....

يُدْمَرُونَ .. وَيُحْرَقُونَ ..

وَيَنْهَبُونَ .. وَيَرْتَشُونَ ..

وَيَعْتَدُونَ عَلَى النِّسَاءِ ..

كَمَا يُرِيدُ أَبُو لَهَبٍ ..

كُلُّ الْكِلَابِ مُوظَّفُونَ ..

وَيَأْكُلُونَ ..

وَيَسْكُرُونَ ..

عَلَى حِسَابِ أَبِي لَهَبٍ ..

لَا قَمَحَةٌ فِي الْأَرْضِ ..

تَنْبُتُ دُونَ رَأْيِ أَبِي لَهَبٍ

لَا سِجْنٌ يُفْتَحُ ..

دُونَ رَأْيِ أَبِي لَهَبٍ ..

لَا رَأْسٌ يُقَطَعُ

دُونَ أَمْرِ أَبِي لَهَبٍ<sup>(١)</sup>

١- نزار قباني، قصيدة بلقيس، ط٤، ١٩٩٠: ٦٠-٦٣.

فالشاعر في هذه الصورة، قد جعل شخصية (أبي لهب) معادلاً موضوعياً لمنْ يعدهم المسؤولين عن قتل زوجته بلقيس، جسّد من خلاله كل عواطف الغضب والإدانة التي تغور في أعماقه تجاه هؤلاء المسؤولين. وما يمارسونه من قهر وإذلال وفساد طال مختلف مجالات الحياة العربية. حتى أضحي هؤلاء القتلة يمارسون القهر والتدخل في أخص خصائص الحياة الاجتماعية، حتى في الاقتصاد والسياسة، فقد وصل القهر والتحكّم إلى حدّ أنه لا قمحة تنبت في الأرض دون رأي أبي لهب، ولا سجن يفتح دون رأي أبي لهب، ولا رأس يقطع دون أمر أبي لهب.

يبدو أن الشاعر ممتلئ بعاطفة الغضب والاحتقار، على أولئك الخونة العملاء الذين قتلوا زوجته، وقد جسّد هذا الشعور وأخرجه من ذاته وصبّه في شخصية أبي لهب، هذا الرمز التراثي الديني / المعادل الموضوعي الخارجي لشعوره؛ فهذه الجزئيات والتفاصيل والأحداث الموضوعية التي قدمها الشاعر «بينها ترابط لا يتعلق بالذات، فهو إذاً، لا يقدم صورة ذاتية تقرر الحال تقريراً، ولكنه يقدم صورة بين أجزائها ترابط موضوعي لا يفسد جماله الجهر والتقرير بوصف الحال»<sup>(١)</sup>.

وبعد ذلك كله، تأمل في نفسك بعد أن تقرّأ هذه الصورة؛ إلا تتولّد فيك عاطفة وشعور وأثر؟ ألا تتشكل في ذهنك صورة لشخصية أبي لهب وأفعالها؟ ألا تثار فيك عاطفة ما تجاه هذه الشخصية؟ هذه العاطفة التي تتولّد في نفسك لم يسمها الشاعر، ولكنها هي العاطفة نفسها أو ما يشبهها، هي التي تمور في أعماق الشاعر ذاته تجاه شخصية أبي لهب. ولا سيما حينما تستدعي في ذهنك تراث هذه الشخصية المظلم الممتلئ بالكفر والغدر والفجور، وكما أخبر عنها القرآن الكريم (تبت يدا أبي لهب وتبّ).

١ - عبد الواحد لؤلؤة، البحث عن معنى: ٦٩.

وهكذا، فإن الشاعر قام بنقل مشاعره وعواطفه إلى خارج ذاته، وخلعها على معادل موضوعي خارجي مكافئ لها، عبر مشهد الرمز التراثي، حتى إذا تلقاها القارئ استشارت لديه عاطفة تشبه عاطفة الشاعر نفسه؛ فالبيوت ينظر للشعر على أنه بناء فني مستقل، يتشكّل من اتحاد الفكر والحس، دون اعتبار لمؤلفه أو ظروف تأليفه، والمهم قدرة هذا البناء على الإشعاع والإيحاء وخلق الأثر في نفوس الآخرين. فهذا الأثر هو الذي تتجلى من خلاله الاستجابة الجمالية للشعر، وهو الذي يولد عنصر المتعة واللذة فينا. وأليست الحياة بكاملها قائمة على المتعة واللذة؟ وما هدف الإنسان في كل تداخلاته في الحياة سوى المتعة. وتأمل في نفسك، في كل طموحاتك، أليست المحصلة النهائية لكل ذلك هي المتعة؟ ولكل هدف تحقّقه متعته الخاصة، ولكل طموح لذته المميزة. والشعر يحقق متعة جمالية من نوع آخر، ولكن ألا ترى أن المتع كلها تهزّ في النفس وترًا واحدًا، ترتعش لأثره الذات كلها.

#### ٤- المعادل الموضوعي ومشهد الرمز الفني

تتأسس قصيدة الأرض لمحمود درويش على مجموعة من الرموز الفنية الجزئية، مثل: رمز (خديجة)، إذ جعل الشاعر هذا الرمز معادلا موضوعيا لأفكاره، ورؤاه لقضيته الوطنية، وبالتالي، فقد تجلّت صورة المعادل الموضوعي في هذا المشهد الرمزي؛ مما استدعى عنوان هذا القسم من الدراسة.

المتأمل في هذه قصيدة، يلحظ أنها تتكوّن من سلسلة من تصويرات حالات من الشعور والإحساس والرؤى للأرض والإنسان، والتي تتمحور كلها حول فكرة التشبث بالأرض، والاتحاد معها والحلول فيها، بغية انبعاث جديد يحطم إرادة المحتل الظالم، ويحرر الأرض والإنسان من براثنه. وهنا نرى الشاعر يكابد معضلة (التعبير والتصوير) معا. أولاً: فهو يكابد معضلة التعبير عما يصطرع

في أعماقه من آلاف المشاعر والأحاسيس والأفكار، التي ولّدها فعل الاحتلال واغتصاب الأرض وقتل الإنسان. وثانيًا: هو يكابد معضلة تصوير هذه المشاعر والأحاسيس والأفكار، ومكوناتها القابعة في عالم الغيب المدهش في أعماق الشاعر؛ بشكل فني يُمكن المتلقي من فهمه والإحساس به، تماما كما أحسّ به الشاعر نفسه. ولا سبيل أمام الشاعر لإخراج مكونات عالم الغيب المجردة، إلا عبر تجسيدها أو قولبتها في (مشهد حسيّ معين)، قابل للقراءة والاستنتاج خارج حدود ذات، وبالتالي، فإن الشاعر يجدّ في البحث عن الوسائل اللغوية، والأدوات الفنية القادرة على رسم ملامح هذا المشهد، وتفصيله، وتجسيدها؛ فيهديه وعيه وحده إلى اختيار معادل موضوعي قادر على تجسيد مشاعره وأحاسيسه.

يتراءى هذا المعادل الموضوعي من خلال مشهد الرمز الفني، الذي تتأسس القصيدة على سلاسل مترابطة من تفاصيله وتصويراته. ويشتدّ وضوح هذه الفكرة باشتداد وضوح صورتها الرمزية، أو معادلها الموضوعي، الذي تطرحه القصيدة - حسب تعبير إليوت - أو باشتداد بروزها على النقيض من صورة تقابلها. وهذا هو الأساس الفني الذي تقوم عليه قصيدة الأرض. وهي أحسن مثال للتعبير عن الفكر والشعور في شكل فني. يقول محمود درويش:

في شهر آذار، في سنة الانتفاضة، قالت لنا الأرض

أسرارها الدموية. في شهر آذار مرت أمام

البنفسج والبنديقية خمس بنات. وقفن على باب

مدرسة ابتدائية، واشتعلن مع الورد والزعر

البلدي. افتتحن نشيد التراب. دخلن العناق

النهائي - آذار يأتي إلى الأرض من باطن الأرض  
يأتي، ومن رقصة الفتيات - البنفسج مال قليلاً  
ليعبر صوت البنات. العصافير مدت مناقيرها  
في اتجاه النشيد وقلبي  
أنا الأرضُ  
والأرض أنتِ  
خديجة! لا تغلقي الباب  
لا تدخلني في الغياب  
سنطردهم من إناء الزهور وحبل الغسيل  
سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل  
سنطردهم من هواء الليل  
وفي شهر آذار، مرت أمام البنفسج والبنقدية خمس  
بنات. سقطن على باب مدرسة ابتدائية. للطباشير  
فوق الأصابع لون العصافير. في شهر آذار قالت  
لنا الأرض أسرارها<sup>(١)</sup>.

يمضي الشاعر في تصوير رؤيته لقضيته والتعبير عنها: إيحاءً وتلميحاءً، لا  
تصريحاً وتوضيحاً، فيجد ضالته المنشودة في الرمز الفني / المعادل الموضوعي  
الذي يتخذ منه وسيلةً فنيةً للتعبير عن الشيء المخيف الذي لا يمكن التعبير عنه،

١ - محمود درويش، ديوان محمود درويش، بيروت، دار العودة، ط ١٢، قصيدة الأرض، ص ٦١٨ -  
٦١٩.

أو عن الشيء المأمول القابع في أعماقه وأحاسيسه. ويجدّ في البحث عن الوسائل القادرة على نقله من حيز المجرد، إلى حيز الملموس، ولكن ليس نقلًا آليًا جامدًا، بل ينقله كما يحسّ به هو نفسه، ويرغب في نقله إلى المتلقي كما هو.

فالمتلقي لا يعرف كنه إحساس الشاعر وأفكاره، ولكنه يمكن أن يعرف شكل هذا الإحساس، إذا ما خرج من أعماق الشاعر عبر كلمات وصور خاصة. من هنا راح الشاعر يجدّ في تصوير إحساسه، وموضعة رؤيته الكلية حول المقاومة والتشبث بالأرض. فحاول أن يتخفف من مشاعره ورؤاه، وينفصل عنها، ويتأملها عن بُعد، بغية إيجاد المعادل الموضوعي القادر على تصويرها، وبسطها على صفحة القصيدة، كي تكون ملكًا للمتلقي أكثر منها ملكًا للشاعر نفسه.

وقد اختار الشاعر لهذه الرؤية صورة فنية فريدة، تمثلت في الصورة الرمزية (خديجة)، هذا المزيج الفني الرائع من الحسّ والموضوع، الذي تتضمن فيه كل عناصر قضية الشاعر الواقعية المعيشة؛ فخديجة هي الشاعر بكل رؤاه، وهي الشعب الفلسطيني بكل قواه وأطيافه، وهي الأم الفلسطينية التي تحمل وتلد وتتكاثر، وهي «الأمة العربية»<sup>(1)</sup>، وهي ربة الخصب والانبعاث الأسطورية القارّة في المخزون الجمعي الإنساني، وهي في الوقت نفسه الأرض الفلسطينية، بكل تفاصيلها الطازجة والأليفة للشاعر، وهي الشاهد على مأساة الشعب الفلسطيني، ومقاومته المستمرة.

فخديجة، إذًا، تمثل المعادل الموضوعي الأكبر لرؤية الشاعر وإحساسه العميق، بضرورة توحد الإنسان بأرضه، لتشكيل تلك القوة الجمعية المطلقة القادرة على مقاومة جبروت العدو، وطرده من كل تفاصيل الحياة الفلسطينية، والتخلّص من آثار المأساة التي شهدت الفضائح، والتخاذل العربي الملطخ بدماء الشهداء،

١ - ينظر: أحمد أبو حاقه، الالتزام في الشعر العربي، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٧٩، ص ٦٤٢.

والمثقل بمظاهر التشرد والضياع، التي تنبعث إحياءاتها من (حبل الغسيل) خاصة، «وخديجة شحنت الصياغة بدلالة مكثفة، فهي ترمز للوطن (فلسطين) من ناحية، وترمز للشعب الذي تكون هي (أم) له من ناحية أخرى، وبذلك أقام الشاعر علاقة محورية، طرفاها (الأنا - الأنت)، ومركزها الأرض، لتتحد الأصوات الثلاثة في صوت واحد هو (النحن) المتمثل في الفعل (سنطردهم)»<sup>(١)</sup>. من هنا راح الشاعر يؤكد ثقته بضرورة النصر، عبر تكرار هذا الفعل المقاوم، مهما كان طريق النضال طويلاً طويلاً:

سنطردهم من إناء الزهور وحبل الغسيل

سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل

سنطردهم من هواء الجليل

وهكذا، يلحظ أن الشاعر قد قدم، من خلال هذه اللوحة، سلسلة من الأشياء والمواقف والصور، التي لا تتصل بذاته مباشرة، أو تصرح بأفكاره وتقررهما إلى المتلقي، وإنما ترتبط بروابط موضوعية خارجية، تتحد كلها لتوحي بتجربة الشاعر الحسية مع الأرض، وتستثير في المتلقي بعض أفكار الشاعر وعواطفه ومشاعره. فالشعر - كما ينقل مائيسن عن إليوت في تصوره للمعادل الموضوعي - «يجب أن يوحى للذهن بشيء أكثر من الذي يقرره تقريراً مباشراً»<sup>(٢)</sup>.

والشاعر، هنا، استطاع أن يخلق بنية لغوية حيّة مستقلة بذاتها، منقطعة عن الشخصية الشعرية التي أبدعتها. إنها بنية المعادل الموضوعي المائل، أمام القارئ، عبر المشهد الجمالي للرمز الفني. والرمز الفني هو أحد الأشكال الفنية القادرة

١ - محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش: دراسة أسلوبية، غزة، مطبعة، المقداد، ٢٠٠٠، ص ٧٢.

٢ - ف. أمائيسن، ت. س إليوت، ص ١٤٢.

على تجسيد المعنوي المجرد، وقولته، أو موضعتها عبر قوالب حسية، تنصبّ في بنية لغوية حية، قابلة للاستنطاق والقراءة، تقع خارج حدود الذات، تنداح على صفحة القصيدة. ويضطلع القارئ بمهمة تفكيكها، واقتناص دلالتها، والإمساك بلحظاتها الجمالية والالتذاذية والإمتاعية.

وبعد؛ فالمهم - عند إيوت - ليس القضية النفعية التي حملها الشعر، وإنما قدرته على إحداث الأثر الفني فينا، هذا الأثر الذي يجعلنا أكثر حساسية وشفافية ويقظة، ويزودنا برؤية جديدة للمألوف، تحطم إطار الإلف والعادة، بل ويجعلنا أكثر وعياً وتحسساً بأنفسنا ومشاعرنا العميقة، التي لا نستطيع أن نضع لها أسماء. تلك المشاعر تشكل الطبقة الباطنة العميقة لوجودنا وإحساسنا. فإذا استطاع الشاعر عبر هذه البنية الحية للمعادل الموضوعي / الرمز الفني جعلنا، ولو للحظات قليلة، ندرك كنه هذه الطبقات الخبيثة في أعماقنا؛ فقد أثر فينا، وحقق لنا المتعة واللذة. وهذا التأثير ليس بالسهل أن يحققه كل شعر. ويعول إيوت كثيراً على هذا التأثير في حياة الأمة؛ إذ يرى فيه أثراً بعيد المدى. وعلى حدّ تعبير محمود الربيعي، فإن «هذا التأثير الحي في مشاعر الأمة وفي حياتها وفي لغتها هو الوظيفة الاجتماعية للشعر بالمعنى الأعم لهذه العبارة»<sup>(١)</sup>. وهذا، تماماً، ما يرمي إليه محمود درويش، ويسعى لتحقيقه في شعره؛ فالكلمة إذا أثرت في الأعماق، ستحوّل إلى خطوات سلوكية، تفعل فعل الرصاصة. وهذه هي الوظيفة الاجتماعية للشعر المقاوم.

## ٥ - المعادل الموضوعي ومشهد الواقع المعيش

اختارت الدراسة، في هذا القسم، أبياتاً محددةً من قصيدة (الأرض اليباب) لإيوت، بوصفها أبيات صاحب نظرية المعادل الموضوعي نفسه، وبالتالي فهي محاولة لرصد مدى تمثّل الرؤية النقدية في التجربة الشعرية للشاعر الناقد

١ - الربيعي، محمود، في نقد الشعر، (مرجع سابق)، ٢٠٠-٢٠١.



نفسه (إليوت)، وقد تمّ اختيار عدة مقاطع من هذه قصيدة، تمثل فيها المعادل الموضوعي بصورة واضحة، وقد تصادف أن كان موضوع هذه المقاطع مشاهد من الواقع المعيش الذي يعانيه الشاعر نفسه، آنذاك. ولعل في هذا الأمر ينطوي سرّ اختيار عنوان هذا القسم من الدراسة، ومضمونها، أيضاً.

يعدّ المعادل الموضوعي واحداً من أهم المفاتيح التي تكشف متاهات قصيدة (الأرض البياب)<sup>(١)</sup>. هذه القصيدة التي تعبر عن أحاسيس الجيل الضائع، وبؤس العالم المعاصر الذي طحنته الحرب العالمية الأولى، وما خلفته هذه الحرب من ضياع وخراب ودمار وعقم، وخواء طال الأرض والإنسان في آن واحد. ولم يبق للإنسان هذا العصر من الأمل، سوى اجترار ذكريات الماضي الجميل والتحصّر عليه.

وقد استخدم إليوت في تصوير هذا الحال مشهداً حسيّاً، تراءى من خلاله مئات الأساطير القديمة، وإشارات أكثر من خمسة وثلاثين شاعراً، وبسبع لغات أجنبية<sup>(٢)</sup>. المتأمل في هذه القصيدة، يلحظ أنها «تتكون من سلسلة من تصويرات حالات من الشعور، لا تركز إلى شيء ثابت، سوى كونها تصدر عموماً عن أعماق فكر رجل واحد»<sup>(٣)</sup>. وقد استخدم إليوت في هذا المشهد الحسي العديد من المعادلات الموضوعية، المبنية أساساً على مفردات الواقع المعيش، لتصوير هذه الحالات من الشعور التي تعتوره، والأفكار التي تطرحها الأرض البياب؛ ففي المقطع الثاني من القصيدة (لعبة شطرنج)، يوظف إليوت المرأة الباذخة، وما يحيط بها من مظاهر الترف والبذخ، معادلاً موضوعياً لتصوير بعض مشاعره، وأفكاره تجاه واقعه المعيش، وما اعتراه من زيف مادي، وتكالب عليه أدى إلى خراب الأرض، وضياع الإنسان، يقول إليوت:

- ١- ينظر: الأرض البياب، الشاعر والقصيدة، ت.س. إليوت، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة: ٢٧.
- ٢- ينظر: المرجع السابق: ١٧٩، لمزيد من الاطلاع ينظر أيضاً عاطف جودة نصر النص الشعري ومشكلات التفسير، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦: ١١٠-١١٤.
- ٣- عبد الواحد لؤلؤة، البحث عن معنى: ٢٠٠.

الأريكة التي جلستِ عليها، مثل عرش ممرد،

توهج فوق الرخام، حيث المرأة

ترفعها قوائم مشغولة بمثمر الكروم<sup>(١)</sup>

يصوّر الشاعر في (لعبة شطرنج)، إحساسه العميق بما وصل إليه واقعه، من مظاهر البذخ والترف الخيلاء والانشغال بالمظاهر الكاذبة، والتكالب على الزيف المادي. ويصوّر هذه المرأة المشغولة بخيلائها وزينتها، وما يحيط بها من مظاهر كاذبة؛ فالأريكة التي تجلس عليها مثل عرش ممرّد توهّج فوق الرخام، والمرأة القريبة منها ترتفع على قوائم دقيقة الصنع، كأنها من صنع امرأة بارعة في فن الحياكة والتطريز، وبينما تجلس هذه المرأة الباذخة في هذه الغرفة الفاخرة، تُشأغل بلعبة شطرنج؛ نجد ابنتها (بيانكا) في الغرفة المجاورة تُغتصب، وفي اللحظة التي تفقد فيها الأم الملك، ينجح الدوق في اغتصاب بيانكا. فالشاعر يعيب على واقعه ما لحق به من زيف وتكالب على عالم المادة، وما اعتراه من غفلة وسهو، وانجرار مع تيار البذخ والمظاهر الكاذبة، ويرى أن ذلك كله أدى، ويؤدي إلى الضياع والخراب والعقم، وفقدان العفة والنقاء.

ونستشف من خلال هذا المعادل الموضوعي / صورة المرأة المخدوعة، بزينتها وخيلائها، استلهاما لروح التراث، واستدعاءً لبعض النصوص الأسطورية الغائبة، لاسيما تلك (الملكة الأسطورية) التي جلست على كرسيها، وُشغلت بجمالها وزينتها وخيلائها، عن تدبير شؤون بلادها؛ فكان ذلك سبباً لدمار تلك البلاد وخرابها، وانتشار العقم والحرب والخواء في إرجائها، تماما كما شغلت (كيلوبترا)، وغفلت عن تدبير شؤون بلادها؛ فكانت النتيجة الحتمية ضياع ملكها وخراب وطنها.

١- ت.س. إلبوت، قصيدة الأرض اليباب: ٣٧.

وفي المقطع الثالث من الأرض اليباب (موعظة النار)، يقدم إليوت عددا من المعادلات الموضوعية لأفكاره ومشاعره، تجاه الحاضر المعيش وتفصيله البائسة، وما اعتراه من ضياع وعقم وجفاف، قياساً إلى الماضي المشرق الجميل، وذلك من خلال توظيفه لصورة (نهر التايمز)، الذي جسّد من خلاله كل مشاعره وأحاسيسه وأفكاره:

خيمة النهر هوت: أواخر الورقات

تتشبث ثم تغور في الضفة الرطبة. الريح

تجتاح الأرض السمراء، غير مسموعة. الحوريات انصرفن.

أيها (التميز) الحبيب، اجر الهوينا، حتى أتمّ أغنيتي.

النهر لا يحمل قناني فارغة، أوراق شطائر،

مناديل حرير، علب مقوى، أعقاب دخائن

أو شواهد أخرى من ليالي الصيف. الحوريات انصرفن.

ورفاقهن، المتسكعون من ورثة أرباب المال؛

انصرفوا، ولم يتركوا عناوين.

عند مياه (ليمان) جلستُ وبكيتُ..

أيها (التميز) الحبيب، اجر الهوينا حتى أتمّ أغنيتي،

أيها (التميز) الحبيب، اجر الهوينا، لأنني لا أرفع صوتي عالياً ولا طويلاً<sup>(١)</sup>.

١- ت.س. إليوت، قصيدة الأرض اليباب: ٤٢ - ٤٣.

يوظف إليوت صورة النهر هذه، الممتدة بين الماضي والحاضر، معادلاً موضوعياً للإيحاء بأفكاره ومشاعره وأحاسيسه، ويقدم للمتلقي صورة مريرة لحال هذا النهر في الحاضر، وما تحمله هذه الصورة من إيحاءات الموت والعقم والخراب؛ فالأشجار التي كانت تحفّ بصفتي النهر، وكانت موائلاً للعشاق والمحبين، قد هوت وغارت في الطين. والرياح التي كانت تحمل بذور اللقاح، قد أضحت رياح صيف، لا تحمل غير الرمال والخواء والخراب؛ فأضحت الأرض قاحلة عقيمة، ومياه النهر أصبحت عكرة لا تحمل إلا الطين والأتربة، ولم تعد الحياة عامرة على صفتي النهر؛ فقد انتهى كل شيء بانتهاء ليالي الصيف، وتفرّق العشاق، ولم يتركوا عناوين لهم، فامحّت آثارهم من النهر، ولم يعد النهر، كما كان في السابق، يحمل قناني فارغة وأوراق شطائر ومناديل حرير، أو أعقاب سجائر، وما إلى ذلك من لوازم الحياة والعشاق؛ فقد ماتت الحياة على صفتي النهر، وانتهت قصص الحب بين العشاق بالعقم والخراب، بلا تواصل أو زواج، حتى حوريات النهر رحلن؛ لأنهن لم يعدن يجدن ما يشجعهن على البقاء؛ فكل شيء قد انتهى، وآل إلى الخراب والعقم على صفتي النهر.

هذه هي صورة التاييمز المعاصرة، إذًا، كما يراها إليوت، وكما تنعكس في مرآة نفسه وعلى صفحة روحه، يقدمها للمتلقي من خلال هذا المشهد الحسي لنهر التاييمز الذي تطرحها القصيدة. وهي بطبيعة الحال «معادلات موضوعية للأفكار التي تقدمها (الأرض اليباب)، ويشتد وضوح فكرتها باشتداد وضوح صورتها الماثلة في صورة النهر، أو اشتداد بروزها على النقيض من صورة تقابلها. وهذا يشكل أهم الأسس الفنية التي تقوم عليه قصيدة إليوت الكبرى. وبذلك، فقد استطاع إليوت التعبير عن شعوره في شكل فني قابل للقراءة والمعاينة خارج حدود الذات.

## خاتمة

خلصت الدراسة إلى نتائج عدّة، منها:

- لُحِظَ أَنَّ المِصْطَلَحَ: أداةً توصليةً تواصليةً للتعبير عن معنى أو فكرة أو موضوع في مجال اختصاص معين... وهو لفظٌ موضوعي، أو أكثر، ينبغي أن يتّسم بالوضوح والضبط والثبات وعدم الانزياح الدلالي.
- يواجه المصطلحُ العربي صعوبات كثيرة، لا سيما المصطلح الغربي المترجم بشكل خاص. ومن هذه الصعوبات: عدم الاتفاق على تسمية المصطلح، وعدم الاتفاق على تحديد دلالة المصطلح ومفهومه، وعدم معرفة محدداته.
- تعددت ترجمات مصطلح (Objective Correlative) إلى اللغة العربية، بحسب ما فهمه كلٌّ من ترجم هذا المصطلح، وتمخّض هذا التعدد في الفهم عن تعدد في التسميات، أيضًا، مثل: التبادل الموضوعي، والبديل الموضوعي، والترابط الموضوعي، والمكافئ الموضوعي، والمعادل الموضوعي. غير أن مصطلح (المعادل الموضوعي) هو المصطلح الأكثر تداولًا وانتشارًا.
- عند صياغة المعادل الموضوعي يقف الشاعر أمام ثنائية طرفها الأول: داخلي، وطرفها الآخر: خارجي، أي ثنائية (المجرد والمحسوس)، أو بمعنى آخر ثنائية (عالم الغيب ومكنوناته)، و(المشهد الشاخص وكيوناته الدلالية). ويجب أن يكون قادرًا، أولاً، على التمييز بينهما، حتى إذا ما استكّنه حقيقة عالم الغيب ومكنوناته بدأت في وعيه مرحلة جديدة من المعاناة، إنها مرحلة (الحدس والاختيار)؛ الحدس في أي الوسائل الفنية الأقدر على تصوير عالمه الداخلي المجرد والإيحاء به، ومن ثم الانفصال عن الذات، واختيار الوسيلة الفنية التي رشّحها الحدس لتجسيد المجرد في مشهد معين.

- تعودُ فكرة المعادل الموضوعي عند إليوت إلى جذور ومنابع عدّة؛ فالمتأمل في ثقافة إليوت يلحظ أنها ثقافة عميقة ومتعددة الجذور والمنابع؛ فالرجل قد أحاط بثقافات عصره، واستلهم تراث أمته، حديثة وقديمة، وتمثل هذا التراث وهضمه، حتى أضحت ثقافته مزيجاً متعدد الأصول والمنابع، تلتقي فيه حداثة المعاصر مع أصالة التراث، ويكفي أن تتأمل قصيدته المشهورة الأرض اليباب حتى تلحظ مدى اتساع ثقافته وتعدد جذورها.
- تركتُ فكرة إليوت في المعادل الموضوعي أصداءً نقدية عدّة، عربيًا وغربيًا. ويلحظ أنّ ثمة غير قليل من الاختلاف في وجهات النظر حولها، من هنا تعددت التسميات والإشارات التي استخدمها النقاد في الإشارة إلى المعادل الموضوعي، مثل: معادل، نظرية، ركن، معيار، مصطلح؛ فثمة من النقاد من رأى أن المعادل الموضوعي يشكّل نظرية مستقلة في النقد الأدبي. ومنهم من رأى أنه يشكّل ركنًا من أركان نظرية في النقد الأدبي. ومنهم من رأى أنه يشكّل معيارًا معتمدًا في النقد والتحليل. ومنهم من شكك في أصالة فكرته. ومنهم من شنّ هجومًا مباشرًا عليها، مثل: (م.هـ. أبرامز) و(والتر ألن) و(جون كيسي)، وغيرهم.
- أما على مستوى التطبيق وتحليل النصوص الشعرية، فإننا نفهم أنّ الغاية من مصطلح المعادل الموضوعي أن يكون هذا المصطلح: أداة تجميع واستقطاب لوسائل رمزية فنية: أسلوبية وتعبيرية وجمالية قادرة على استكناه عالم الغيب المجرد؛ عالم العواطف والأفكار وتجسيدها في معادلات حسية. وهذا يتطابق، تمامًا، مع غاية إليوت في المعادل الموضوعي.

## قائمة المصادر المراجع

### أولاً: المصادر:

- ابن علي ابن القاضي التهانوي، محمد: كشاف اصطلاحات الفنون، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- ابن محمد الشريف الجرجاني، علي: (٨١٦هـ/١٤١٣م)، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥.
- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، جمال الدين: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، [د.ت].

### ثانياً: المراجع:

- أبو حاقه، أحمد: الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٩.
- أبو ديب، كمال: هاملت، ت.س. إليوت، مجلة المهدي للثقافة والفنون، العددان (٣-٤)، ١٩٨٤.
- أبو مراد، فتحي: - (المعادل الموضوعي: بين النظرية والتطبيق، قصيدة الأرض لمحمود درويش نموذجاً)، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، عدد ٣٣، ٢٠٠٧.
- (دراسة تحليلية في مفضلية المثقب العبدية النونية في ضوء نظرية المكافئ الموضوعي)، مجلة جامعة النجاح للأبحاث - (العلوم الإنسانية)، ٢٠١٤.
- إسماعيل، عز الدين، «أما قبل» [افتتاحية العدد]، مجلة فصول، القاهرة، المجلد ٧، العددان (٣-٤)، (١٩٨٧).
- اصطفى، عبد النبي: «مصطلح النقد العربي الحديث والمؤثرات الأجنبية فيه»، مجلة المعرفة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، العددان (٣٢٢-٣٢٣)، تموز - آب، (١٩٩٠).
- البوشيخي، الشاهد: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٨٢.

- التكرلي، نهاد: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٩.
- الحاكم، عزيز: ترجمة النص الأدبي من المساكنة إلى الانفلات، العلم الثقافي، السبت ١٧ ماي ١٩٩٧.
- الدين السدّ، نور: الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزائر، دار هومة، ١٩٩٧.
- الربيعي، محمود: في نقد الشعر، دار المعارف بمصر. ١٩٦٨.
- الرويلي، وسعد البازعي، ميجان: دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠.
- الغذامي، عبد الله: الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط١، ١٩٨٥.
- القاسمي وآخرون، علي: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٣.
- الهادي الطرابلسي، محمد: خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨١.
- جودة نصر، عاطف: النص الشعري ومشكلات التفسير، مكتبة لبنان، ناشرون، ١٩٩٦.
- درويش، محمود: ديوان محمود درويش، بيروت، دار العودة، ط١٢.
- زكريا، ميشال: الألسنية، (علم اللغة الحديث)، قراءات تمهيدية، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٨٥.
- سكوت، ويلبرس خمسة مداخل إلى النقد الأدبي، ترجمة: عناد غزوان، وجعفر الخليلي، وزارة الثقافة والإعلام، (إحدى مقالات إبيوت)، بغداد، ١٩٨٦.
- صلاح زكي أبو حميدة، محمد: الخطاب الشعري عند محمود درويش: دراسة أسلوبية، غزة، مطبعة، المقداد، ٢٠٠٠.
- عاصي، ميشال: الفن والأدب، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٣.
- عبد النور، جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٤.



- عشري زايد، علي: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى، القاهرة، ط١، ١٩٧٨.
- علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، ١٩٨٤.
- علي بوخاتم، مولاي: مصطلحات النقد العربي السيميائي، الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.
- غزوان، عناد: (المعادل الموضوعي: مصطلحاً نقدياً)، بغداد، مجلة الأقلام، عدد ٩، ١٩٨٤.
- غنيمي هلال، محمد: النقد الأدبي الحديث، مطبعة نهضة مصر، ١٩٧٣.
- فضل، صلاح: بلاغة النص وعلم الخطاب، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢.
- قباني، نزار: قصيدة بلقيس، ط٤، ١٩٩٠.
- لؤلؤة، عبد الواحد: ١- البحث عن معنى، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٣.
- أثر إليوت على الشعراء العرب المعاصرين، الأرض الياب: الشاعر والقصيدة، مكتبة التحرير، بغداد، ط٢، ١٩٨٦.
- ماثيسن، ف. أ. ت. س إليوت: الشاعر الناقد، ترجمة: إحسان عباس، بيروت، ط١، ١٩٦٥.
- متي، فائق: (إليوت)، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٩١.
- مرتاض، عبد الملك: قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل - تحليل سيميائيات، كتاب الرياض، عدد ٤٦-٤٧، مؤسسة اليمامة، الرياض، ١٩٩٩.
- مطلوب، أحمد:
- معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٨٩.
- المصطلح النقدي: دراسة ومعجم عربي - عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.

- ميشال شريم، جوزيف: دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٨٤.
- ناصر شبانة، يوسف: قصيدة ملائكة الرحمة لإبراهيم طوقان، التشبيه الكبير والهندسة الإيقاعية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، م٧، ع١، كانون ثاني، ٢٠١١.
- هايمين، ستانلي: النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ج١، ترجمة: إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، دار الثقافة بيروت، ١٩٥٨.
- وجليسي، يوسف: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨.
- وهبة وكامل المهندس، مجدي: معجم مصطلحات العربية في اللغة العربية والأدب، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤.

## References:

- Abdel Nour, Jabbour: The Literary Lexicon, Dar Al-Alamlil-Malayyn, Beirut, 2nd Edition, 1984.
- Abu Deeb, Kamal: Hamlet, T.S. Elliott, Almahid 'The Cradle' Magazine for Culture and Arts, Issues (3-4), 1984.
- Abu Hamida, Muhammad Salah Zaki: The Poetic Discourse of Mahmoud Darwish: A Stylistic Study, Gaza, Al-Miqdad press 2000.
- Abu Haqa, Ahmad: Commitment in Arabic Poetry, Dar Alilimlilmalayeen, Beirut, 1st Edition, 1979.
- Abu Murad, Fathi: The objective correlative: between theory and practice, Mahmoud Darwish's poem as a model, Journal of the College of Islamic and Arabic Studies, Dubai, Issue 33, 2007.
- Al-Bouchikhi, the witness: Critical and rhetorical terms in the book Al-Bayan WaAltabeen for Al-Jahiz, New Horizons Publications, Beirut, 1st Edition, 1982.
- Al-Din Al-Sadd, Nour: stylistics and discourse analysis, Algeria, Dar Houma, 1997.
- Al-Ghadhami, Abdullah: Sin and Atonement, The Literary Cultural Club, Jeddah, 1st Edition, 1985
- Al-Hadi Al-Trabelsi, Mohamed: The Characteristics of Style in Shawqiyat, Tunisian University Press, Tunis, 1981.
- Al-Hakim, Aziz: Translating the literary text from Cohabitation to Breakdown, Al-Alam Al-Thaqafi, Saturday 17 May 1997
- Ali Bukhatim, Moulay: The terminology of Arabic semiotic criticism, problematic, origins and extension, Arab Writers Union Publications, Damascus, 2005.
- Al-Jirjni, Ibn Muhammad al-Sharif, Ali: (816 AH/1413 CE): The Book of Definitions, Lebanon Library, Beirut, 1985
- Alloush, Said: A Dictionary of Contemporary Literary Terms, University Library Publications, Casablanca, 1984.
- Al-Qasimi, Ali, et al: A Dictionary of Modern Linguistics Terms, Lebanon Library, Beirut, 1st Edition, 1983.
- Al-Rawaili, and Saad Al-Bazai, Megan: The Literal Critic's Guide, Illumination of More than Fifty Contemporary and Modern Critical Currencies and Terms, Arab Cultural Center, Beirut, 2nd Edition, 2000.

- Al-Rubaie, Mahmoud: In Criticism of Poetry, Dar Al Ma'aref, Egypt 1968
- Al-Tahanwi, Ibn Ali Ibn Al-Qadi, Muhammad: Dictionary of Art Names, Part 1, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1998.
- Al-Takarli, Nihad: Trends of French Contemporary Literary Criticism, Publications of the Ministry of Culture and Arts, Baghdad, 1979.
- An Analytical Study of MufadhalyatAlmuthaqib Al-Abdi Al-Abdi Al-Nuniya in Light of the Theory of objective correlative), An-Najah University Journal for Research - (Human Sciences), 2014.
- Ashry Zayed, Ali: On the Building of the Modern Arabic Poem, Dar Al-Fusha, Cairo, 1st Edition, 1978.
- Assi, Michel: Art and Literature, Dar Al-Andalus, Beirut, 1963.
- Astif, Abd al-Nabi: "The term of Arabic modern criticism and the foreign influences in it", Syrian Knowledge Magazine, Ministry of Culture, Damascus, Issues (322-323), July - August, (1990).
- Darwish, Mahmoud: Diwan of Mahmoud Darwish, Beirut, Dar Al-Awda, 12th edition.
- Elliott's Impact on Contemporary Arab Poets, The Dry Land: The Poet and the Poem, Al-Tahrir Library, Baghdad, 2nd Edition, 1986.
- Fadl, Salah: The Rhetoric of the Text and the Science of Discourse, The World of Knowledge, Kuwait, 1992.
- GhanimiHilal, Muhammad: Modern Literary Criticism, NahdetMisr Press, 1973.
- Ghazwan, Inad: (the objective correlative: a critical term), Baghdad, Al-Aqlam Magazine, Issue 9, 1984
- Hayman, Stanley: Literary Criticism and its Modern Schools, Part 1, translated by Ihsan Abbas and Muhammad Yusef Najm, House of Culture, Beirut, 1958.
- Ibn Manzur, Muhammad bin Makram, Jamal al-Din: Lisan al-Arab, investigation by Abdullah Ali al-Kabir, Muhammad Ahmad Hassaballah, and Hashem al-Shazly, Dar al-Ma'arif, Cairo, [no date].
- Ismail, Ezz El-Din, "As for Before" [Editorial Issue], Fusoul Magazine, Cairo, Volume 7, Issues (3-4), (1987).
- Judeh Nasr, Atef: The Poetic Text and Problems of Interpretation, Lebanon Library, Publishers, 1996.

- Lu'luu'a, Abdul Wahid: 1- The Search for Meaning, Freedom House for Printing, Baghdad, 1973.
- Mathieson, F. A: T. S. Elliott: The Critical Poet, translated by Ihssan Abbas, Beirut, 1st Edition, 1965
- Matloob, Ahmed:
  - The Glossary of Ancient Arab Criticism Terms, Lebanon Library Publishers, Beirut, 1989.
  - The Critical Term: An Arabic-Arabic Study and Lexicon, Lebanon Library Publishers, Beirut, 2012.
- Matti, Faiq: (Elliot), Dar Al Ma'arif, Egypt, 2nd Edition, 1991.
- Michel Shreim, Joseph: A Guide to Stylistic Studies, University Studies Foundation, Beirut, 1984.
- Murtad, Abd Al-Malik: Reading the text between the limited use and infinite interpretation - semiotics analysis, Riyadh Book, No. 46-47, Al-Yamamah Foundation, Riyadh, 1999.
- Nasser Shabana, Yusef: The Poem of the Angels of Mercy by Ibrahim Toukan, The Great Simile and Rhythmic Geometry, The Jordanian Journal of Arabic Language and Literature, Vol. 7, Issue 1, January, 2011.
- Qabbani, Nizar: The Poem of Balqis, 4th Edition, 1990
- Scott, Wilpers, Five Entries to Literary Criticism, translated by: InadGhazwan, and Jaafar al-Khalili, Ministry of Culture and Information, (one of Elliott's articles), Baghdad, 1986.
- Waglesy, Youssef: The Problem of the Term in the New Arab Critical Discourse, publications of the difference, Algeria, 1st Edition, 2008.
- Wahba, Majdi and Kamel Al-Muhandis, : A Dictionary of Arabic Terms in Arabic Language and Literature, Lebanon Library, 2nd Edition, 1984.
- Zakaria, Michel: Linguistics, (Modern Linguistics), Introductory Readings, 2nd Edition, University Foundation for Studies, Beirut, 1985.

# مكافحة الجرائم الإلكترونية وعقوباتها

دراسة فقهية مقارنة بأحكام القانون

الجنائي الإماراتي والمصري

## Combating Cyber Crimes According to Provisions of the UAE and Egyptian Criminal Laws (A Comparative Jurisprudence Study)

أ. د. أحمد المرصي سعيد عمر

جامعة الوصل - دبي - الإمارات

د. محمد النذير الزين عبد الله

جامعة بورتسودان - السودان

**Prof. Ahmed Elmurdi Saeed Omar**

Al Wasl University - Dubai, UAE

**Dr. Mohmmmed Alnazer Alzaen Abullahi**

Port Sudan National University - Sudan

<https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.09>





## Abstract

By this forgoing paper which bearing the title: Combating Electronic Crimes According to Provisions of Criminal Laws of Emirates and Egypt, It Aims to, Enforcement to principals of shariah Law actualization which intents deterrence commission crimes through mechanism of” Amr Bil Maroof and Nahy An Munkar”, actualization to the measures of shariah Law that prevent disobedience and electronic crimes. To explain that application of shariah legal maxims such as: «Al Ghurm Bi Al ghum» whereby it implies whoever owns illegally as a result of committing an offense on a property of whosoever should be suffered a penalty, typically to the legal maxim « La dharar wa La dirar «.(damage should be removed)

The research methodology which adopted is the descriptive and analytical methods where the researcher intents to define, explains elements and punishments of the crimes. On the other hand the researcher under took the analytical method where he proceeds comparison between the provisions of the two selective criminal laws of Emirates and Egypt, for the achievement the purpose of identification of the similarity and distinctiveness.

The problems that presumed to be settled by this research such as: Are there any legal basis to criminalize electronic crime with reference to shariah law? Are there any legal justifications to enforce pun-

## ملخص البحث

يتناولُ هذا البحثُ التعريفَ بتقنية المعلومات، وماهية الجريمة الإلكترونية، والأخطار الناجمة عنها وتصنيف المجرمين الإلكترونيين، وتنوع الجرائم المتعلقة بتقنية المعلومات، والأسباب التي تعزي إلى صعوبة الكشف عنها، وإيراد نموذجاً للجرائم التقنية وفقاً لأحكام القانون الجنائي الإماراتي والمصري المتعلقين بمكافحة جرائم تقنية المعلومات.

ويشيرُ البحثُ في إيجازٍ إلى: التعريف بالجريمة، وركنها المادي، وبيان شروط الركن المادي، والركن المعنوي، والعقوبة الأصلية للجريمة، والعقوبة في صورتها المشددة، والعقوبات البديلة. وينطوي البحثُ أيضاً على الأسس الشرعية المتضمنة حظر الجرائم الماسة بتقنية المعلومات تبعاً لنصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والقواعد الفقهية القاضية بحظر جرائم الانتحال الإلكتروني.

ويشتملُ هذا البحثُ على مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي: المبحث الأول الأصل الشرعي في تحريم الجرائم الإلكترونية، والمبحث الثاني تعريفات عامة للجرائم المعلوماتية وتصنيفها، والمبحث الثالث أنواع المجرمين



ishment of fine on the criminal hackers? What are the dangerous consequences for committing the electronic crimes? What are the negative effects for commission electronic crime on individuals and societies at large, and what are the preventive international standards measure and strategies in this context?

Concerning the expected achievements by this research, It will enrich the Islamic Library because a comparative research on this topic is so scarce and limited. It will guide the researchers by exploring a new referencing methods for application shariah law, It provides and exposes the legal measure for combating the electronic crimes by using the techniques of detection the electronic criminals by hiding cameras, intelligent phone thumb prints to enable the police investigative officer to deter, identify and arrest the electronic criminals. In the light of combating the researcher advises government officers' bankers and others to provide top advanced sophisticated technological systems to protect their computers and account numbers against the expected threads of the electronic offences.

**Keywords:** (Electronic - Law - Emirates - Egyptian - Crimes).

المحترفين في المعلوماتية التقنية، وصعوبة اكتشافهم، والمخاطر الأمنية للإنترنت، والمبحث الرابع نماذج من أحكام القانون الجنائي الإماراتي والمصري في مكافحة الجرائم الإلكترونية، والمبحث الخامس الأدلة الرقمية لإثبات الجرائم الإلكترونية وفقاً للقضاء بين الإماراتي والمصري، ثم جاءت الخاتمة لتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: (الإلكتروني - القانون - الإماراتي - المصري - الجرائم).

## المقدمة

تحتوي المقدمة على سبب اختيار هذا الموضوع، والمنهج البحثي المتبع، والأدلة الشرعية على تحريم الجرائم الإلكترونية، فالدراسات السابقة.

أ- سبب اختيار هذا الموضوع: لم يعد هناك تعريفٌ مُحدَّدٌ للجرائم الإلكترونية حتى هذه اللحظة لدى فقهاء القانون الجنائي، فلكل عالم وجهته في التعريف فالبعض يعول على طبيعة الفعل، والبعض يعول على الحق المعتدى عليه، وفريق آخر من الفقهاء يعول على الوسيلة المُستخدمة في ارتكاب الجريمة والقانون الذي أُخترقت أحكامه، ولذا دارت بخاطري عدة عناوين لهذه الورقة، منها:

- المصالح الجوهرية التي يحميها الشرع والقانون: قانون مكافحة جرائم تقنية المعلومات نموذجًا.
- وعنوان آخر: جرائم الجوال المحمول وتقنية المعلومات (الكمبيوتر والإنترنت) شرعًا وقانونًا.
- وعنوان ثالث: مكافحة الجرائم الإلكترونية، بحث مقارن بأحكام القانون الجنائي الإماراتي والمصري، ولقد استحسن الباحث هذا العنوان الأخير لإيجازه، واتساع معناه ليشمل الموضوعين سابقين الإشارة، ورأى الباحث لخطورة هذا الطابع من الإجرام المشاركة بهذه الورقة البحثية.

ب- المنهج البحثي الذي اتبعه الباحث: استحسن الباحث الرجوع إلى مصادر الفقه، والتفسير، وشروح السنة في بيان مشروعية تحريم الجرائم الماسة بتقنية المعلومات، والاستعانة من بعد الله تعالى بمصادر الفقه القانوني وآراء شراح القانون الوضعي في خصوص تكييف الجريمة وتصنيفها،

وتصنيف المُجرمين، وبيان خطورتها، ثمَّ عَوَّلَ على أحكام القانون الجنائيّ الإماراتيِّ والمصريِّ المتعلقين بجرائم تقنية المعلومات، وعليه سَلَكَ البحثُ المنهجَ التحليلي الاستقرائي الفقهّي القانوني المقارن.

ج- الدراسات السابقة: كثيرةٌ هي الدراساتُ، والبحوثُ، والرسائلُ التي كُتِبَتْ حولَ موضوع: جرائم تقنية المعلومات أو التزوير والنصب والاحتيال المُرتكب من خلال الكمبيوتر والإنترنت، ودونك فيما يلي طائفة منها:

١- أساليب إجرامية بالتقنية الرقمية، ماهيتها، ومكافحتها، دراسة مقارنة: د. مصطفى محمد موسى، دار الكتب القانونية، المحلة الكبرى، مصر، طبعة (٢٠٠٥م).

٢- جرائم استخدام الكمبيوتر وشبكة المعلومات العالمية: الجريمة عبر الإنترنت: د. ممدوح عبد الحميد عبد المطلب، مكتبة دار الحقوق الشارقة، طبعة (٢٠٠١م).

٣- جرائم المحمول والإنترنت: بهاء المري، منشأة المعارف، الإسكندرية (٢٠١٨م).

٤- الحماية الجنائية الموضوعية لعمليات البنوك الإلكترونية: دراسة مقارنة: د. عبد الحلیم فؤاد الفقي، دار مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠١٩م).

٥- الدليل الجنائي والتزوير في جرائم الكمبيوتر والإنترنت: د. عبد الفتاح بيومي حجازي، دار الكتب القانونية المحلة الكبرى القاهرة، طبعة (٢٠٠٤م).

٦- شرح جرائم تقنية المعلومات: القانون رقم (١٧٥) لسنة ٢٠١٨م: بهاء المري، منشورات منشأة المعارف الإسكندرية، طبعة (٢٠١٩م).

٧- شرح قانون مكافحة جرائم تقنية المعلومات لدولة الإمارات العربية المتحدة: د. عبد الرازق المواقى عبد اللطيف، سلسلة الدراسات القانونية والقضائية، طبعة (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).

٨- الوسيط في الجرائم المعلوماتية: د. محمد نصر محمد، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

وملاحظة جديرة بالذكر هي أن:

أ- وجه الاتفاق بين هذه الورقة البحثية والبحوث سالفة الذكر كافة تُعنى جميعها بمكافحة ظاهرة الإجرام الإلكتروني.

ب- وجه الاختلاف بين هذه الورقة والدراسات المذكورة في هذا الصدد أن تلك البحوث تركز على شروح أحكام الفقه القانوني الوضعي، وما تتميز به هذه الورقة البحثية أنها في خصوص شرح القانون الجنائي الإماراتي والمصري المقارن بأحكام الشريعة الإسلامية وقواعدها الفقهية.

### المبحث الأول: الأصل في مشروعية تجريم الجرائم الإلكترونية

- الأصل في مشروعية تجريم الجرائم الإلكترونية نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، وقواعد الفقه الإسلامي.

- المصالح التي تمسها الجرائم الإلكترونية:

إنَّ التجريمَ الإلكتروني يمس كافة مصالح الإنسان؛ مثل: أكل أموال الناس بالباطل، والاحتيال، والسرقه، والنصب، والإتلاف، وإتلاف المستندات، وانتهاك الخصوصية الشخصية، وانتهاك الخصوصية الأسرية، وإفشاء الأسرار الخاصة، وإفشاء الأسرار الرسمية المتعلقة بالمهنة، وإفشاء أسرار الدولة، والتحريض على

التمرد والعصيان المدني، والتحريض على المظاهرات، والتحريض على قلب الأنظمة الدستورية القائمة على سدة الحكم، والمتاجرة بالدعارة، وعرض الأفلام الهابطة والمخلّة بالآداب والأخلاق العامة، وغيرها من صور التجريم... إلخ.

الأدلة الشرعية على تجريم الجرائم الإلكترونية:

أولاً - أدلة التجريم من القرآن الكريم:

أ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾<sup>(١)</sup>

يقول المفسرون في سياق النهي عن التجسس لما فيه من انتهاك الخصوصية: «التجسس: هو البحث عن عيوب الناس، حيث نهى الله تعالى عن البحث عن عيوب الناس، وتتبع عوراتهم»<sup>(٢)</sup>.

وارتكاب الجرائم الإلكترونية فيه طابع من التجسس والاطلاع على خصوصية الغير.

ب - قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُ تِجَارَةً عَنْ رَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي دلالة الآية على الحكم يقول المفسرون في بيان قوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ» يعني بالحرام بالربا والقمار، والسرقه، والخيانة، والغصب، ونحوها من العقود الفاسدة.<sup>(٤)</sup>

١ - سورة الحجرات: الآية (١٢).

٢ - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ): مختصر تفسير البغوي، اختصار وتعليق د. عبد الله بن أحمد بن علي الزبير، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، ط (د.ت)، ص ٨٨٩، الواحدي، أبي الحسين علي بن أحمد الواحدي (ت ٦٨٤هـ): الوجيز في تفسير الكتاب، العزيز، ج ٢، دار القلم دمشق والدار الشامية، بيروت، ط ١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ج ٢١، ص ١٠١٩.

٣ - سورة النساء: الآية (٢٩).

٤ - البغوي، مختصر تفسير البغوي، ج ١، ص ١٧٦.

- وبالنظر إلى الجرائم الإلكترونية، فإنَّ الكسبَ غير المشروع أو السبب في الخسارة غير المشروعة هو نتاجُ الجرائم الإلكترونية، والقصد الجنائي الكامن في ارتكابها.

ج- قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (٣٠) حَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ<sup>(١)</sup>.

- وجه الدلالة من الآية: ذهبَ المفسرون بأنَّ الآيةَ دَلَّتْ على: تحريم الكذب والبهتان، وقال ابنُ مسعود (رضي الله عنه): هو شهادة الزور<sup>(٢)</sup>.

ويقول الواحدي: إنَّ المراد بقول الزور هو الإشراك بالله<sup>(٣)</sup>.

- وبالنظر لأحكام القانون الجنائي في خصوص مكافحة الجرائم الإلكترونية المرتكبة على شبكات الإنترنت وغيرها تقوم على عنصر الغش، وتزييف المحررات، والمستندات الرسمية، والغش على المواقع الإلكترونية.

ثانياً- أساس التحريم من السنة النبوية الشريفة:

أ- ما وردَ أنَّ التزويرَ وقولَ الزورِ منهئُ عنه:

- ما أخرجه البخاري، ومسلم، والحافظ، والمنذري، واللفظ له من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: «كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً، الإِشْرَاقُ بالله، وعقوق الوالدين، ألا وشهادة الزور، وقول الزور، وكان متكئاً، فما زال يكررها حتى قلنا، ليته سكت»<sup>(٤)</sup>.

١- سورة الحج: الآية (٣٠).

٢- البغوي، مختصر تفسير البغوي، ص ١١٩.

٣- الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ٧٣٣.

٤- متفق عليه: أخرجه البخاري، في صحيحه (٥٩٧٦)، ومسلم، في صحيحه (٨٧) والترمذي، في سننه (١٩٠١) المنذري، زكي الدين بن عبد العظيم بن عبد القوي، المنذري (ت ه ٦٥٦هـ): الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، دار ابن حزم، ط ١، (١٤٢٢-٢٠٠١م)، الترغيب من شهادة الزور، (٣٣٩١).

ب- إنَّ الجرائمَ الإلكترونيَّة في ارتكابها انتهاكٌ للخصوصيةِ والاطلاع على عوراتِ الناس، وقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك:

- لما أخرجه ابنُ ماجه، والحافظ، والمندري من حديث ابن عباس (رضي الله عنه)، قال: عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «مَنْ سترَ عورةَ أخيه سترَ الله عورته يوم القيامة، ومَنْ كشف عورةَ أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته:»<sup>(١)</sup>.

ج- من صور الجرائم الإلكترونية الترويج لبيع الخمر، وسرقة أموال الناس، والدعارة، والإعلان عن مواخير الدعارة، والأماكن المخصصة لها، وقد نهت السنة النبوية عن هذه الأفعال الإجرامية.

- لما أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داوود، والنسائي، والمندري واللفظ له من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»<sup>(٢)</sup>.

ووجه الدلالة من هذا النصّ الحديثي: أنه تستخدم الأجهزة الإلكترونية حديثاً للترويج عن أماكن الدعارة وإرشاد الجمهور إلى أماكنها، وتستخدم هذه الأجهزة في استراق المعلومات الرقمية الحاسوبية الخاصة بالمجنى عليهم، ومن ثم الاعتداء على أموالهم بالنهب والسرقة والاختلاس، وكم تسببوا في إفلاس شركات، وجامعات، وأثرياء، ومؤسسات.

١- المندري، الترغيب والترهيب كتاب الحدود، حديث رقم (٣٤٤٦) وابن ماجه، في السنن (٢٥٤٦)، وقال ابن ماجه حسن الإسناد.

٢- المندري، الترغيب والترهيب كتاب الحدود رقم (٣٥١٩)، والبخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، وأبو داؤود (٤٦٨٩)، والنسائي (٨ / ٦٤، ٦٥).

## ثالثاً - أساس التحريم وفقاً لقواعد الفقه الإسلامي:

هنالك عدة قواعد فقهية تحظر تسبیب الضرر، وتوجب ضمان ما أتلّف منها:

أ- قاعدة - الضرر يزال، ولا ضرر ولا ضرار: انظر القاعدة رقم (٢٠) من مجلة الأحكام العدلية<sup>(١)</sup> والقاعدة رقم (١٩) من قواعد الزرقا.

إنَّ الضررَ يجبُ إزالته، ويجب عدم إيقاعه لأنه محظور، وارتكاب الجريمة التقنية هو من قبيل الجرائم التي يجب مكافحتها؛ لأنها تسبب أضراراً. وأصل هذه القاعدة الحديث النبوي: الذي أخرجه البيهقي والحاكم، وأحمد، ومالك، وابن ماجه، والدارقطني بسند عن ابن عباس وعبادة بن الصامت (رضى الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لا ضرر ولا ضرار في الاسلام»<sup>(٢)</sup>.

ب- قاعدة - على اليد ما أخذت حتى تؤديه: وأصلها الحديث المشهور الذي أخرجه أصحاب السنن الأربعة عن سمرة بن جندب، قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (على اليد ما أخذت حتى تؤديه)<sup>(٣)</sup>. ومعناها من أخذ شيئاً بغير وجه حقّ يجب عليه ضمانه. (انظر القاعدة رقم (٤٣) من مجلة الأحكام الشرعية للشيخ القارئ الحنبلي<sup>(٤)</sup>).

- 
- ١- علي حيدر: درر الأحكام شرح مجلة الأحكام، تعريب المحامي، فهمي الحسيني، منشورات دار الجليل، بيروت ط ١ (١٤٠١-١٩٩١م)، القاعدة (٢٠)، الزرقاء، أحمد بن محمد (ت ١٣٥٧هـ): شرح القواعد الفقهية، منشورات دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية (١٤٠٩-١٩٨٩م)، القاعدة رقم (١٩).
  - ٢- الدارقطني، السنن: كتاب الأفضية والأحكام حديث رقم (٤٤٩٣-٤٤٩٤-٤٤٩٥-٤٤٩٦)، وموطأ الإمام مالك باب القضاء في المرافق، حديث رقم / ١٤٢٤.
  - ٣- الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ): نيل الأوطار شرح نتقى الأخبار، دار الحديث، القاهرة، (١٤٢٦-٢٠٠٥م). ج ٥ كتاب العارية والوديعة حديث رقم (٢٣٩٠)، ص ٣١٥، أبي داوود، السنن: كتاب الإجارة، باب تضمين العارية، حديث، رقم (٣٥٦١).
  - ٤- علي القارئ، أحمد بن عبد الله: مجلة الأحكام الشرعية وفقاً للمذهب الحنبلي فقهاً وأصولاً، تحقيق دكتور عبد الوهاب إبراهيم، ودكتور / محمد إبراهيم، الطبعة الأولى (١٤٠١-١٩٨١م). قاعدة رقم (٤٣).



فمن حَقَّقَ أي كسب غير مشروع بسبب الجرائم الإلكترونية: يجب عليه رده أو ضمانه.

ج- قاعدة - الخراج بالضمان<sup>(١)</sup>. وتقابل هذه القاعدة قاعدة فقهية أخرى نظيرة لها في المعنى وهي: (الغرم بالغنم)، انظر أشباه السيوطي<sup>(٢)</sup> القاعدة رقم (١٠)، وقواعد الزرقا القاعدة رقم (١١). ومجلة الأحكام العدلية القاعدة رقم (١٤).

ومعنى القاعدة على المكلف ضمان ما أتلفه سواء بسبب الضرر الناتج عن الجرائم الإلكترونية أو غيرها من الجرائم.

### المبحث الثاني- تعريفات عامة للجرائم المعلوماتية وتصنيفها

أولاً - تعريف جرائم تقنية المعلومات:

أ- عَرَّفَهَا بهاء المري بأنها: «نشاط إجرامي تستخدم فيه تقنية الحاسوب الآلي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كوسيلة أو هدف لتنفيذ الفعل الإجرامي المقصود»<sup>(٣)</sup>، وهذا تعريف ساقه أيضاً الدكتور اللواء / محمد الأمين بشرى في بحثه: التحقيق في جرائم الحاسب الآلي ص ٣٠.

ولعله من الضروري إيراد تعريف تقنية المعلومات بأنها: (the information technology) هو مجال يشمل جميع تخصصات الحوسبة، (علوم الكمبيوتر

١- أصل هذه القاعدة الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه: الشافعي، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي، وابن حبان عن عائشة (رضي الله عنها): انظر سنن ابن ماجه كتاب التجارات باب (٤٣) الخراج بالضمان حديث (٢٢٤٣).

٢- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (١١١٥هـ): الأشباه والنظائر في قواعد فروع فقه الشافعية، تحقيق عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، صيدا، طبعة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م)، القاعدة رقم (١٠).

٣- مصطفى محمد موسى، أساليب إجرامية بالتقنية الرقمية: ماهيتها ومكافحتها، دراسة مقارنة، دار الكتب القانونية، مصر الكبرى، طبعة (٢٠٠٥م)، ص ٥٦ و شرح جرائم تقنية المعلومات ص ١٦.

ونظم المعلومات وهندسة البرمجيات)، حيث إنه يركزُ على الجانب العلمي لعلوم الكمبيوتر كما أنه يوفر وينتج برمجيات ذات جودة عالية<sup>(١)</sup>.

ب- تعريف جرائم المعلوماتية: عرّفها عبد الفتاح بيومي حجازي بقوله: (نشاط جنائي يمثلُ اعتداءً على برامج وبيانات الحاسب الإلكتروني)<sup>(٢)</sup>.

ج- تعريف الجريمة الإلكترونية: أورد مشروع القانون العربي النموذجي في شأن مكافحة جرائم التزوير والإنترنت الذي أقره مجلس وزراء الداخلية العرب ومجلس وزراء العدل العرب في ٢٢ / ٥ / ٢٠٠٣ م والذي تمّ إقراره من جامعة الدول العربية، حيث عرّفَ الجريمة الإلكترونية في المادة (١) منه بأنها: (كلُّ فعلٍ مؤثّم يتم ارتكابه عبر أي وسيط إلكتروني)<sup>(٣)</sup>.

### تصنيفات الجرائم الإلكترونية:

وردت عدة تصنيفات للجرائم الإلكترونية منها:

#### أولاً: تصنيف وزارة العدل الأمريكية:

في عام (٢٠٠٠م) أصدرت وزارة العدل الأمريكية بعد إنفاذها قانون الكمبيوتر الفيدرالي إلى عدة مكاتب كمكتب التحقيقات الفيدرالية، والخدمة السرية الأمريكية، وخدمات الجمارك، ومكتب مكافحة المخدرات والأسلحة النارية، جاء ضمن تصنيفها بأن الجريمة الإلكترونية تشمل:<sup>(٤)</sup>

- ١- بهاء المري، شرح قانون جرائم تقنية المعلومات (المصري): قانون رقم ١٧٥ لسنة ٢٠١٨م، دار المعارف الإسكندرية، طبعة (٢٠١٩م)، ص ٤٣.
- ٢- عبد الفتاح بيومي حجازي: الدليل الجنائي والتزوير في جرائم الكمبيوتر والإنترنت، دراسة متعمقة في جرائم الحاسب الآلي، دار الكتب القانونية، مصر الكبرى، طبعة (٢٠٠٤م)، ص ٦.
- ٣- بهاء المري: جرائم المحمول والإنترنت: منشأة دار المعارف الإسكندرية، طبعة (٢٠١٦م)، ص ٢٢.
- ٤- الدليل الجنائي والتزوير في جرائم الكمبيوتر والإنترنت ص ٦-٨ وجرائم استخدام الكمبيوتر وشبكة المعلومات العالمية ص ٩٢-٩٣.

- ١- السطو على بيانات الكمبيوتر.
- ٢- الإتجار بكلمة السر.
- ٣- حقوق الطبع (البرامج، والأفلام، والتسجيل الصوتي)، وعمليات الهاكرز (القرصنة).
- ٤- سرقة الأسرار التجارية باستخدام الكمبيوتر.
- ٥- تزوير الماركات التجارية باستخدام الكمبيوتر.
- ٦- تزوير العملة باستخدام الكمبيوتر.
- ٧- الصور الجنسية الفاضحة واستغلال الأطفال.
- ٨- الاحتيال بواسطة شبكة الإنترنت.
- ٩- الإزعاج عن طريق شبكة الإنترنت.
- ١٠- تهديدات القنابل بواسطة شبكة الإنترنت.
- ١١- الإتجار بالمتفجرات، والأسلحة النارية أو المخدرات أو غسيل الأموال عن طريق شبكة الإنترنت.

ثانياً- تصنيف مكتب التحقيقات الفيدرالي:

(Federal Intelligence Breau) وفقاً للتصنيف الذي أصدره عن جرائم المعلوماتية في عام ٢٠٠٠م، (F.B.I) بأنَّ جرائم المعلوماتية هي:

- ١- اقتحامات شبكة الهواتف العامة أو الخاصة بواسطة الكمبيوتر.
- ٢- اقتحامات شبكة الكمبيوتر الرئيسة لأي جهة.

- ٣- انتهاكات السرية المؤرخة على بعض المواقع بالإنترنت.
- ٤- انتهاكات سلامة الشبكة المعلوماتية.
- ٥- التجسس الصناعي.
- ٦- برامج الكمبيوتر المسروقة.
- ٧- البرامج الأخرى عندما يكون الكمبيوتر العامل الرئيس في اقرار هذه المخالفات.

### ثالثاً- جرائم الحاسب الآلي الاقتصادية:

من الجرائم الأساسية التي تدرج تحت هذا النوع:<sup>(١)</sup>

- ١- الاحتيال المعلوماتي: هي الجرائم التي يلجأ للجاني فيها للتلاعب بالحاسب الآلي للحصول بوجه غير مشروع على الأموال.
- ٢- قرصنة برامج الحاسب الآلي.
- ٣- التجسس المعلوماتي في نطاق الأعمال.
- ٤- الإلتلاف المتعمد للمعلومات سواء كان بصورة مادية أو غير مادية.
- ٥- عدم الحصول على إذن للدخول على نظام المعلومات الإلكترونية.
- ٦- سرقة الخدمات واستعمالها بصورة غير مصرح بها.
- ٧- الجرائم التقليدية التي ترتكب في نطاق الأعمال.

١- محمد نصر محمد: الوسيط في جرائم المعلوماتية: مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ص ٤١-٤٣

## رابعاً- الجرائم التقنية المتصلة بانتهاك الحرمات الخاصة:

- ١- الاستخدام غير المشروع للبيانات الشخصية.
  - ٢- القيام بتجميع معلومات صحيحة ولكنه على نحو غير مشروع.
  - ٣- إنشاء المعلومات الشخصية وإساءة استعمالها.
  - ٤- انتهاك القواعد والإجراءات التشريعية المنظمة للخصوصية.<sup>(١)</sup>
- خامساً- الدخول والاستعمال غير المصرح بهما للنظام المعلوماتي:
- ١- الدخول غير المصرح به في النظم المعلوماتية.
  - ٢- الدخول غير المصرح به في النظم المعلوماتية بقصد ارتكاب جريمة.
  - ٣- النشاط الاعتراضي غير المشروع على للنظام المعلوماتي.
  - ٤- الأفعال غير المشروعة المتصلة بالمعلومات الشخصية المعالجة آلياً.<sup>(٢)</sup>
- سادساً- الاحتيال المعلوماتي لسرقة المعلومات: ويتمثل في عدة جرائم منها:
- ١- التلاعب في معلومات المعالجة إلكترونياً للحصول على ربح غير مشروع.
  - ٢- تزوير معلومات المعالجة آلياً بقصد استخدامها في أفعال غير مشروعة.
  - ٣- الحصول بوجه غير مشروع على معلومات المعالجة آلياً.
  - ٤- القرصنة على البرامج المعلوماتية.<sup>(٣)</sup>

١- الوسيط في الجرائم المعلوماتية، محمد نصر محمد، ص٧، ص٤١.

٢- المصدر السابق، ص٤٢.

٣- المصدر نفسه، ص٤٣.

سابعاً- الجرائم التي يساهم الحاسب الآلي في ارتكابها:

- ١- تخريب وإتلاف المكونات المادية أو غير المادية.
- ٢- الاستخدام غير المشروع للحاسبات وإعاقة المستخدمين الشرعيين من الوصول إلى المعلومات.
- ٣- استخدام نظم المعلومات للاعتداء على أمن الأفراد وسلامتهم.
- ٤- التهديد باستخدام النظم المعلوماتية لابتزاز المجني عليه.
- ٥- الترويج وصناعة الأجهزة والمعدات التي تساعد على ارتكاب الجرائم المعلوماتية<sup>(١)</sup>.

ثامناً- تصنيف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية لجرائم تقنية المعلومات:

بدأ اهتمام منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (O.E.C.D)

وتعرف بـ «Organization of Economic Developing Countries»

بدراسة الجرائم الاقتصادية الناشئة عن تقنية المعلومات فنظمت عقد عدة مؤتمرات مع الدول الأعضاء في المنظمة وكان ذلك في عام ١٩٨٥م، وفي عام ١٩٨٦م فأصدرت تقريراً بعنوان: جرائم الحاسب الآلي، حثت المنظمة الأعضاء على أن تضمن في قوانينها الوطنية أحكاماً خاصة بالجرائم المعلوماتية ونصت في تقريرها على أن الجرائم الآتية من طائفة الجرائم المعلوماتية<sup>(٢)</sup>، والتي منها:

- ١- إدخال معلومات في الحاسب الآلي أو محوها منه بوجه غير مشروع وذلك بقصد تحويل الأموال التي تتضمنها المعلومات.

١- المصدر نفسه، ص ٤٣.

٢- الوسيط في الجرائم المعلوماتية، محمد نصر محمد، ص ٤٤.

- ٢- إدخال معلومات في الحاسب الآلي أو محوها، أو اعتراض نظام الحاسب الآلي، وذلك بقصد إعاقة المعلومات.
- ٣- استغلال برامج الحاسب الآلي وطرحها تجاريًا بالأسواق بقصد انتهاك حقوق المالك أو الحصول بوجه غير مشروع على هذه المعلومات.
- ٤- الدخول أو الاعتراض بوجه غير مشروع على نظام الحاسب الآلي متى كان الدخول أو الاعتراض بنية ارتكاب جريمة.
- ٥- الاستعمال غير المشروع أو المصرح به لنظام الحاسب الآلي.
- تاسعاً- تصنيف المجلس الأوروبي للجرائم المعلوماتية:

بدأ اهتمام مجلس التعاون الأوروبي بالجرائم المعلوماتية من خلال مؤتمر رؤساء معاهد العلوم الجنائية الذي أقيم في عام ١٩٧٦م، وقد أصدر توصيته رقم: ١٢ / ٨١ والتي أقرها مجلس وزراء التعاون الأوروبي في دورته المقامة في ٢٠ / ٦ / ١٩٨١ م وكان ضمن ما جاء بالتوصية تعريفه للجرائم الإلكترونية، وبأنها من الجرائم الاقتصادية وقد جاء ما نصه<sup>(١)</sup>:

- ١- جرائم سرقة المعلومات.
- ٢- التجسس المعلوماتي.
- ٣- التلاعب بالبيانات المعالجة إلكترونياً.

١- المصدر السابق، ص ٤٦.

## المبحث الثالث- أنواع المجرمين الإلكترونيين المحترفين في المعلوماتية التقنية وصعوبة اكتشافهم، والمخاطر الأمنية للإنترنت:

يصنف علماء القانون الجنائي المجرمين الإلكترونيين إلى ثلاثة أقسام، هي<sup>(١)</sup>:

**القسم الأول:** مجرمون من داخل المؤسسة: وهم من أخطر أنواع المجرمين معرفتهم بنقاط القوة والضعف في المؤسسة، وينتشر هذا النوع من المجرمين بكثرة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

**القسم الثاني:** مجرمون من خارج المؤسسة: ويسمون بالمحترفين للشبكة الإلكترونية أو الهاكرز، ويعرفون بالإنجليزية (Network Hackers)، ويصطلح عليهم بقراصنة الشبكة الإلكترونية، والدور الإجرامي الذي يقومون به أنهم يعتمدون على خبراتهم وقدراتهم المتميزة في اختراق شبكات الحاسوب الآلي، وهذا النوع له طائفتان:

أ- الطائفة الأولى منهم: يقومون بعمل منظم يخترقون به شبكات البنوك التجارية والشركات الاستثمارية، وهدفهم تحقيق الكسب غير المشروع.

ب- الطائفة الثانية منهم: ناسخو البرامج الإلكترونية ويطلق عليهم بالإنجليزية (Software Crackers)، ويصطلح عليهم بقراصنة البرامج، وهم متخصصون في فك الشفرات، ويقومون بخرق مقاييس الحماية التي تمنع استنساخ البرامج. فتقوم الكراكز بهذا النشاط لتحقيق غرضين هما: أ) القيام به لتحقيق مصالح شخصية. ب) القيام به لتحقيق كسب مادي غير مشروع.

١- أساليب إجرامية بالتقنية الرقمية، مصطفى محمد موسى ص ٢٤-٢٧ والوسيط في الجرائم المعلوماتية، محمد نصر محمد، ص ٣٦-٣٨.



القسم الثالث: صانعو الفيروسات، ويصطلح عليهم بالإنجليزية.

(Virus Builders)، ويتمتع هؤلاء بقدرات تؤهلهم من اختراق الحواسيب. فيدخلون في الحاسوب عمليات حسابية لا تنتهي تؤدي إلى استنفاد ذاكرة الجهاز إلى انهياره ويطلق عليها (System Crash).

صعوبة إثبات جرائم الحاسوب الآلي واكتشافها:

هنالك عدة صعوبات مردها إلى تعثر تقديم الأدلة المثبتة للجرائم المعلوماتية وهي<sup>(١)</sup>:

- أ- سهولة إخفاء الجريمة المعلوماتية.
- ب- صعوبة الوصول إلى الدليل.
- ج- غياب الدليل المادي.
- د- سهولة محو آثار الجريمة في أقصر وقت ممكن.
- هـ- إحجام المجني عليه من الإبلاغ إما عن جهل أو نقص خبرة.
- و- ضحالة خبرة القائمين على جهاز مكافحة الجرائم الإلكترونية.
- ز- عدم ظهور الدليل المادي إلا للخبراء المختصين وهم ليسوا من القضاة أو رجال الشرطة.
- ح- فقدان الآثار التقليدية للجريمة.
- ط- عدم رؤية الدليل: فيمكن الجاني في أقل من ثانية محو آثار الجريمة كلية وطمسها، وقد يبدو من المستحيل القبض عليه أو معرفته.

١- الوسيط في الجرائم المعلوماتية، محمد نصر محمد، ص ٣٦-١١٤.

ي- صعوبة التعاون الدولي في الجرائم المعلوماتية: كعدم وجود معاهدات ثنائية أو جماعية بين الدول على نحو يسمح بالتعاون المثمر.

ك- عدم وجود نموذج واحد إجرامي متفق عليه من الجرائم المعلوماتية.

ل- عدم وجود تنسيق في الإجراءات الجنائية المتبعة في شأن الجرائم المعلوماتية بين الدول.

م- صعوبة أو مشكلة تحديد الاختصاص المكاني في جرائم المعلوماتية.

ن- ضخامة كم المعلومات في الجرائم المعلوماتية فحاسب صغير طباعة المعلومات في ذاكرته قد يكلف آلاف الصفحات، وفي الوقت ذاته قد لا تقدم تلك المعلومات دليلاً مثمراً في التحقيق أو المحاكمة.

### المخاطر الأمنية للإنترنت:

هنالك عدة مخاطر أمنية للإنترنت يمكن إيجازها فيما يلي:

التجسس الإلكتروني - والقرصنة عبر الإنترنت - والجرائم المنظمة - والمافيا عبر الإنترنت - وغسل الأموال - والمخدرات - ولعب القمار - وتهديدات التجارة الإلكترونية - وبطاقات الائتمان، وغيرها من الجرائم، وسنعلق عليها موجزاً<sup>(١)</sup> فيما يلي:

ودعنا الآن نعلقُ بشيءٍ من الإيضاح البسيط على هذه المخاطر:

١- التجسس الإلكتروني: هناك اعتقادٌ سائدٌ بأنَّ أنظمة معلومات الدول العربية يخترقها الهاكرز (القراصنة)، وإنما الجانب الأخطر هو التجسس الدولي الذي تقوم به بعض الدول فتنتقل أسرار دول إلى دول أخرى.

١- مدوح عبد الحميد عبد المطلب: جرائم استخدام الكمبيوتر وشبكة المعلومات العالمية: الجريمة عبر الإنترنت، البحث والتحقيق في جرائم الكمبيوتر، مكتبة دار الحقوق الشارقة، الإمارات العربية، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ص ٣٠-٨٦.

وفي القديم كانت الدول تجند الجواسيس وتدريبهم ليقوموا بنقل هذه المعلومات إلى دولهم إلا أنه بعد اكتشاف وتعميم التعامل بالإنترنت انتقلت الجاسوسية عالمياً عن طريق هذا النظام.

٢- القرصنة عبر الإنترنت: تسببت القرصنة عن طريق الإنترنت في تسبب خسائر بلغت مليارات العملات، وكانت نتيجتها تسبب الخسائر للدول، وتصدر عادة الدول قراراتها بفصل الموظفين أو العمال الذين تساهلوا في تسريب هذه المعلومات.

٣- الجريمة المنظمة أو المافيا: هنالك حقيقة ثلاثة أنواع من المافيا، وهي: الأولى: وهي المافيا الإيطالية والمنتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، ومهمتها نشر الرعب، والإرهاب، والاتجار بالمخدرات، وغيرها من الأنشطة. والثانية: عصابات إجرامية منظمة تسمى نفسها المافيا تشبيهاً بها لا علاقة لها بالمافيا الأم.

والثالثة: حركات شبابية مسلحة هنا وهناك تسمى نفسها المافيا. وتستخدم شبكات المافيا الإنترنت في تنفيذ مشروعاتها من خلال أسلوبيين هما:

أ- استخدام شبكة الإنترنت كأداة للاتصالات لإدارة العمليات واصطياد الضحايا لتوسيع أنشطتها، والمساهمة في غسل الأموال.

ب- استخدام المافيا أموالها لرشوة الموظفين في الأجهزة الأمنية والجهاز التنفيذي بالدولة لغرض الطرف عن أعمالها.

٤- غسل الأموال عبر الإنترنت: للتحقيقات التي قامت بها شرطة ال F.B.I الأمريكية وبعد التحريات المكثفة اتضح لها أن عصابات غسل الأموال

موجودة بأعداد متزايدة بجمهورية الدومينيكان وجزر كاراكو وجزر الأنتيل، فأصدرت أوامرها باعتقال مدراء عصابات غسل الأموال. ويصف خبراء علوم الجريمة بأن غاسلي الأموال أذكاء وبارعين، وهم يتطلعون باستمرار إلى طرق جديدة في غسل الأموال وخداع السلطات.

٥- تجارة المخدرات عبر الإنترنت: تعد شبكات الإنترنت وسائل جيدة وفعالة لشرح أساليب زراعة ومعالجة تعاطي المخدرات، وتشرح من خلالها للجمهور كيفية صناعة بعض الوصفات والمستحضرات المستخلصة من المخدرات المحظورة؛ كالهيروين، والماريجوانا، والحشيش، أو الـ (Hemp). (Indien).

٦- ممارسة لعب القمار عبر الإنترنت: تعد الولايات المتحدة الأمريكية من أكبر الدول ممارسة للعب القمار في العالم، ويُعدُّ القمار مشروعًا ومصدرًا مهمًا لتنمية الدخل، ومن ثم ينتقل القمار الأمريكي عن طريق الفضاء والإنترنت إلى العالم. والآن عن طريق فضائيات الإنترنت توجد مئات المواقع تمارس المراهنات الرياضية.

٧- تهديد التجارة الإلكترونية عبر الإنترنت: ودونك الأمثلة الآتية:

أ- في ألمانيا هدد أحد الجناة بأنه استولى عن طريق الإنترنت على معلومات كروت الائتمان للمشاركين، وهدد بأنه إن لم يدفع له مبلغًا معينًا سيفشي أرقام كروت الائتمان، فقبضت عليه الشرطة وقدم للمحاكمة، وأدين بالسجن.

ب- في ديسمبر ١٩٩٤م ألقت سلطات الشرطة القبض على فردين قاما بالتحايل عن طريق شبكة الإنترنت، ووعدا بإرسال السلع التي يتم طلبها إلكترونيًا

فور دفع قيمة السلعة، غير أن المشترين الذين طلبوا السلعة، وقاموا بالدفع لم يحصلوا على السلعة فقبضَ عليهما، وقُدِّمًا للمحاكمة، وأدينوا بالسجن.

ج- اليوم يكون التسويق عن طريق الإنترنت أمرًا سهلًا، لكن عند وقوع حالة خداع للمستهلك يكون التعرفُ على المتهم أمرًا صعبًا جدًا.

٨- الاستيلاء على معلومات بطاقات الائتمان عن طريق الإنترنت:

أصبحت مسألة اقتحام قاعدة بيانات بطاقة الائتمان (Credit Card) أمرًا سهلًا بالنسبة للمحترفين في شبكات الإنترنت، كما أنه توجد أجهزة تخترق هذه البطاقة وتسجل الأرقام السرية بداخلها، وعند عرضها لأماكن البيع يثبت المجرمون في أجهزة الخضم كاميرات خفية للتعرف على أرقام هذه البطاقات وسرقة أموال حاملها.

### المبحث الرابع- نماذج من أحكام القانون الجنائي المصري والإماراتي في مكافحة الجرائم الإلكترونية:

أولاً- نماذج من أحكام القانون الجنائي المصري:

نصَّ المشرعُ المصري وفقًا لأحكام القانون رقم (١٧٥) لسنة ٢٠١٨ م والمتعلق بجرائم تقنية المعلومات، على الأحكام المتعلقة بتعريف كل جريمة وبيان ركنها المادي، وشروط الركن المادي، وركنها المعنوي (أي القصد الجنائي)، فالعقوبات التي قررها المشرع: العقوبات الأصيلية، والبديلة والتبعية، وذلك كله وفقًا للمواد: (١-٣٥) شاملة. وللتدليل دونك النماذج الثلاثة الآتية:

١- جريمة الاعتداء على سلامة البيانات والمعلومات والنظم المعلوماتية:

«... كل مَنْ أتلف أو عطل أو عدل مسار أو ألغى كليًا أو جزئيًا متعمدًا أو

دون وجه حق، البرامج والبيانات أو المعلومات المخزنة أو المعالجة المولدة، أو المخلقة على أي نظام معلوماتي وما في حكمه أيًا كانت الوسيلة التي استخدمت في الجريمة<sup>(١)</sup>، يعاقب...».

أركان الجريمة: ركنها المادي:

١- الاعتداء على نظم معالجة المعلومات المخزنة أو المواد المخلقة أو المولدة حسبما ورد في النص.

الركن المعنوي: هو قيام الإدارة<sup>(٢)</sup> والقصد الجنائي بأن يكونَ الجاني على علم بأن نشاطه غير مشروع ويُعرضه للمساءلة عليه قانونياً.

العقوبة: يعاقب الجاني بالسجن لمدة لا تقل عن سنتين أو بالغرامة لا تقل عن مائة ألف جنيه مصري أو خمسمائة ألف جنيه مصري أو بإحدى هاتين العقوبتين.

٢- جريمة الاعتداء على البريد الإلكتروني أو الموقع أو الحساب الخاص:

«... كل مَنْ أتلف أو عطل أو ابطأ أو اختزن بريدًا إلكترونيًا أو موقعًا أو حسابًا خاصًا بأحد الناس، يعاقب...»

- فإذا وقعت الجريمة على بريد إلكتروني أو موقع أو حساب خاص بأحد الأشخاص الاعتبارية الخاصة، تكون العقوبة الحبس لمدة لا تقل عن ستة أشهر أو بغرامة لا تقل عن مائة ألف جنيه مصري<sup>(٣)</sup>.

أركان الجريمة - ركنها المادي: يتمثل الركن المادي في كل سلوك إنساني يحصل به اعتداءً على البريد الإلكتروني أو موقع الحساب الخاص بأي شخص

١- انظر المادة (١٧) من قانون تقنية المعلومات المصري لسنة ٢٠١٨.

٢- شرح جرائم تقنية المعلومات، ص ١٠٥-١٤١.

٣- انظر المادة (١٨) من قانون تقنية المعلومات المصري لسنة ٢٠١٨ م.

طبيعي أو اعتباري، يؤدي إلى إتلاف أو تعديل أو إبطال أو اختراق له، أيًا كانت الوسيلة التكنولوجية المستخدمة.

الركن المعنوي: تُعدُّ هذه الجريمة من الجرائم العمدية، فيشترط في القصد الجنائي توافر عنصري العلم والإرادة المتخللة بارتكاب أي فعل من الأفعال المحظورة الواردة في النص.

العقوبة: تختلف العقوبة فيما إذا كان الحق المعتدى به لفرد من الأفراد الطبيعيين فقررَّ المشرع العقوبة في صورتها المخففة وهي السجن مدة شهر أو الغرامة. فإن كان الحق المعتدى فيها لشخص اعتباري فيأتي الظرف المشدد للعقوبة فيعاقب الجاني بالسجن ستة أشهر أو الغرامة<sup>(١)</sup>.

### ٣- جريمة الاعتداء على تصميم موقع:

«... كل مَنْ أتلَّف أو عطل أو أبطأ أو شوه أو أخفى أو غير تصاميم موقع خاص بشركة أو مؤسسة أو منشأة أو شخص طبيعي بغير وجه حق<sup>(٢)</sup> يعاقب...».

أركان الجريمة - ركنها المادي: أي سلوك مادي أيًا كانت طبيعته يرتكبه الجاني بقصد إتلاف أو تعطيل أو تشويه أو إخفاء موقع خاص بشركة أو مؤسسة أو منشأة أو شخص طبيعي دون وجه حق مشروع<sup>(٣)</sup>.

الركن المعنوي - هو توافر القصد الجنائي بعنصرية العلم والإرادة بأن يكون الجاني عالمًا بنتائج فعله، ومريدًا لتحقيق الفعل غير المشروع.

العقوبة - السجن لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وبغرامة لا تقل عن عشرين ألف جنيه.

١- انظر شرح جرائم تقنية المعلومات المصري لسنة ٢٠١٨ م ص ١٢٣-١٢٧.

٢- انظر المادة (١٩) من قانون تقنية المعلومات المصري لسنة ٢٠١٨ م.

٣- شرح جرائم تقنية المعلومات المصري لسنة ٢٠١٨ م ص ١٣٣-١٣٧.

## ثانياً - نماذج من أحكام القانون الجنائي الإماراتي:

نصَّ المشرع الإماراتي على مكافحة الجرائم الإلكترونية بموجب قانون مكافحة جرائم تقنية المعلومات لدولة الإمارات العربية المتحدة، وفقاً للمرسوم الاتحادي رقم (٥) لسنة ٢٠١٢م، طبقاً لأحكام هذا القانون نصَّ المشرع على أحكام المكافحة تبعاً لأحكام المواد (١-٥٠) شاملة. ودونك التعليق على ثلاثة مواد من بينها:

## ١ - جريمة الاعتداء على بيانات طبية ومعلومات إلكترونية:

«... كل مَنْ حصل أو استحوذ، أو عدل، أو أتلّف، أو أفشى بغير تصريح بيانات أي مستند إلكتروني، أو نظام المعلومات الإلكتروني، أو معلومات إلكترونية عن طريق الشبكة المعلوماتية أو موقع إلكتروني، أو نظام المعلومات الإلكتروني، أو وسيلة تقنية معلومات، وكانت هذه البيانات أو المعلومات تتعلق بفحوصات طبية، أو تشخيص طبي أو علاج أو رعاية طبية أو سجلات طبية، يعاقب بالسجن المؤقت».

## أركان الجريمة: ركنها المادي:

- ١ - أن يرتكب الجاني فعلاً يمس البيانات الطبية.
- ٢ - أن يتمثل الفعل في الاستحواذ أو الحصول أو التعديل أو الإتلاف أو الإفشاء.
- ٣ - الركن المعنوي: أن يتوافر القصد الجنائي بمعناه العام المشتمل على العلم والإرادة.

العقوبة: السجن المؤقت وفقاً للاختصاص النوعي والعقابي للمحكمة<sup>(١)</sup>.

١ - انظر شرح قانون مكافحة جرائم تقنية المعلومات الإماراتي لسنة ٢٠١٢م ص ٩١-٩٣.



٢- الجريمة المتعلقة بالبرامج الضارة بالشبكة المعلوماتية أو نظام المعلومات الإلكتروني أو إحدى وسائل تقنية المعلومات:

«... كل مَنْ أدخل عمدًا أو دون تصريح برنامج معلوماتي إلى الشبكة المعلوماتية، أو نظام معلومات إلكتروني، أو إحدى وسائل تقنية المعلومات، أو أدى ذلك إلى إيقافها عن العمل، أو تعطيلها أو تدمير أو مسح أو حذف أو إتلاف أو تغيير البرنامج أو النظام، أو الموقع الإلكتروني، أو بيانات المعلومات، يعاقب<sup>(١)</sup>...».

أركان الجريمة- الركن المادي:

١- سلوك الجاني فعلاً يتمثل في وضع برنامج معلوماتي في الشبكة المعلوماتية، أو وسائل تقنية المعلومات<sup>(٢)</sup>.

٢- تحميل الجهاز أو الشبكة أو النظام بعض البرامج ذات الأثر الضار.

٣- أن يترتب على فعله إيقاف الشبكة المعلوماتية، أو تعطيلها، أو تدمير البرنامج الذي فيها، أو التأثير عليه بالمسح أو الحذف أو التغيير.

الركن المعنوي: توافر القصد الجنائي بمعناه العام المتمثل في العلم والإرادة أو القصد.

العقوبة: كل مَنْ يرتكب الجريمة المعرفة وفقاً لهذه المادة يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن ٥ سنوات أو الغرامة التي لا تقل عن ٥ آلاف درهم ولا تزيد عن ثلاثة ملايين درهم، أو إحدى هاتين العقوبتين.

١- انظر المادة (١٠) من قانون مكافحة جرائم تقنية المعلومات الإماراتي لسنة ٢٠١٢م.

٢- انظر شرح قانون مكافحة تقنية المعلومات الإماراتي ص ١٠٣-١١٣.

## ٣- جريمة الاحتيال الإلكتروني:

«... كل مَنْ استولى لنفسه أو لغيره بغير حق على مال منقول أو منفعة، أو على سند، أو توقيع هذا السند، وذلك بالاستعانة بأية طريقة احتيالية أو باتخاذ اسم كاذب أو انتحال صفة غير صحيحة عن طريق الشبكة المعلوماتية، أو نظام معلومات إلكتروني، أو إحدى وسائل تقنية المعلومات، يعاقب...»<sup>(١)</sup>.

## أركان الجريمة - ركنها المادي:

١- أن تتوافر عناصر جريمة الاحتيال التقليدي التي تقوم على عنصر الغش وانتحال شخصية للحصول على كسب غير مشروع يحصل عليه الجاني، وتسبب خسارة غير مشروعة تضيير الغير<sup>(٢)</sup>.

٢- أن تتوافر جريمة الاحتيال الإلكتروني المتمثلة في:

أ- تغيير المعلومات المراد إدخالها سواء كان كلاً أو بعضاً.

ب- حذف جزء من المعلومات.

ج- إعاقة المعلومات من أداء وظيفتها.

الركن المعنوي: توافر القصد الجنائي بمعناه العام المتمثل في العلم، والإدارة، والمتخلل بارتكاب أي فعل من الأفعال المشار إليها بالنص.

العقوبة: كل مَنْ ثبت في حقه الجريمة المعرفة في هذه المادة يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن سنة أو الغرامة التي لا تقل عن مائتين وخمسين ألف درهم ولا تتجاوز المليون ألف درهم، وجاز للمحكمة إدانته بإحدى هاتين العقوبتين<sup>(٣)</sup>.

١- انظر المادة ١١ من قانون مكافحة تقنية المعلومات الإماراتي لسنة ٢٠١٢ م.

٢- انظر شرح قانون مكافحة جرائم تقنية المعلومات الإماراتي ص ١٢٤-١٢٥.

٣- انظر المرجع السابق: ص ١٢٦-١٣٣.

## المبحث الخامس - الأدلة الرقمية لإثبات الجرائم الإلكترونية وفقاً للقضاءيين المصري والإماراتيّ:

الجرائم الإلكترونية شأنها في الإثبات شأن سائر الجرائم تثبت بوجه عام فتثبت الجرائم كافة بوسائل الاقرار، والشهادة، والمستندات، والقرائن وفقاً لأحكام قانون الإثبات المصريّ والإماراتيّ.

كما تثبت أيضاً بطرق إثبات أخرى خاصة على خلاف الجرائم الأخرى، وتسمى هذه الطرق الأخرى الخاصة بالأدلة الرقمية أو الإلكترونية. إذا ما هي الأدلة الرقمية؟

عرفتها المادة (٥) من قانون مكافحة تقنية المعلومات الإماراتي لسنة ٢٠٠٦م وفقاً للفقرة الأولى من هذه المادة بما مؤداه: «كل ما يمكن تخزينه أو معالجته أو توليده أو نقله بوسائل تقنية المعلومات، وبوجه خاص الكتابة، والصور، والصوت، والأرقام، والحروف، والرموز، والإشارات، وغيرها».

كما عرف قانون التوقيع الإلكتروني المصريّ رقم (١٥) لسنة ٢٠٠٤م الكتابة الإلكترونية بما مؤداه: «كل حروف أو أرقام أو رموز أو أية علامات أخرى تثبت على دعامة إلكترونية أو رقمية أو ضوئية، أو أية وسيلة أخرى متشابهة، وتعطى دلالة قابلة للاشتراك».

أنواع الأدلة الإلكترونية أو الرقمية وفقاً للفقهاء الأمريكيّ: صَنَّفَتْ وزارة العدل الأمريكية الأدلة الرقمية إلى ثلاثة أنواع؛ هي: <sup>(١)</sup>

١ - السجلات المحفوظة في الكمبيوتر: وهي الوثائق المكتوبة والمحفوظة فيه؛ مثل البريد الإلكتروني، وملفات برامج معالجة الكلمات ورسائل غرف المحادثة

١ - بهاء المري، جرائم المحمول والإنترنت، ص ٣٧٠-٣٧١، بهاء المري، شرح جرائم تقنية المعلومات: ص ٣٧٩.

على الإنترنت.

٢- السجلات التي تم إنشاؤها بواسطة الكمبيوتر: وتُعدُّ من مخرجات برامج الكمبيوتر، وسجلات الهاتف المحمول.

٣- السجلات التي تم إدخالها في الكمبيوتر: مثل أية أوراق تحمل بيانات مثل ما يكتب على الفيس بوك أو الإكسيل، وقد تمَّت معالجتها بواسطة البرنامج الذي تم استخدامه<sup>(١)</sup>.

حجية الأدلة الرقمية: نصت المادة (١١) من قانون مكافحة تقنية المعلومات على أن: «يكون للأدلة المستمدة أو المستخرجة من الأجهزة أو المعدات، أو الوسائط أو الدعامات الإلكترونية، أو النظام المعلوماتي، أو من برامج الحاسب، أو من أية وسيلة لتقنية المعلومات نفس قيمة أو حجية الأدلة الجنائية المادية في الإثبات الجنائي متى توافرت بها الشروط الفنية الواردة باللائحة التنفيذية».

إمكانية استرجاع الأدلة الرقمية: من الممكن استرجاع الأدلة الرقمية بعد محوها، واصلاحها بعد إتلافها، وإظهارها بعد إخفائها، وذلك باستخدام العديد من البرامج في الكمبيوتر التي تعيد ما تمَّ حذفه من الملفات أو المعلومات الرقمية<sup>(٢)</sup>.

سابقة قضائية في قبول الأدلة الرقمية تبعا لأحكام القضاء المصري: من القضايا المشهورة في الرأي العام المصري قضية: (عماد الكبير)، وهو سائق تاكسي تمَّ احتجازه والقبض عليه دون وجه حق مشروع من ضابط المباحث بقسم بولاق الدكرور في (٢٠ يناير ٢٠٠٦م)، وقام الضابط بتعذيب المتهم بعد القبض عليه، وذلك بأن أولج في دبره عصا غليظة ليجبره على الاعتراف بجرم ما، ثم قام بتصويره بكاميرا التليفون لتكون دليلاً عليه لفضحه أمام زملائه من السائقين،

١- بهاء المري، جرائم المحمول، ص ٣٧٠.

٢- بهاء المري، شرح جرائم تقنية المعلومات، ص ٣٧٩.

ولكن تسرّب الفيديو وتبادله العامة من السائقين على جوالاتهم المحمولة إلى أن فجرت إحدى الصحف الفضيحة، وقدّم الفيديو المتحصل عليه إلى ضابط التحقيق، وأحيل المتهم إلى محكمة جنابات الجيزة التي اطّمنت إلى الدليل المقدّم إليها، وقضت بمعاينة الضابط بالسجن ثلاث سنوات<sup>(١)</sup>.

### الخاتمة

في الختام أرجو التقدم بالنتائج والتوصيات الآتية:

#### أولاً- النتائج:

- ١- الأساس الشرعي لتحريم الجرائم المتعلقة بتقنية المعلومات نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وقواعد الفقه الإسلامي.
- ٢- ترسي الشريعة الإسلامية الأسس العامة التي تحظر الفعل وتفسح المجال لولاة الأمور لتقعيد النصوص التجريبية، ومن الأسس العامة التي تجرم الجرائم الإلكترونية: (الغش، والتزوير، والترويج لشرب الخمر، والترويج للتعامل بالمخدرات، أو لعب القمار والميسر، وإرهاب الآخرين، والتجسس، وسرقة الأموال، واختلاسها، وانتهاك الخصوصية، وإفشاء الأسرار الزوجية، وإفشاء أسرار المهنة، وإفشاء أسرار الدولة).
- ٣- ترتكب الصور المذكورة سلفاً في البند السابق عن طريق تقنية المعلومات.
- ٤- يجد رجال الأمن والشرطة والقضاة صعوبة في إثبات الجرائم الإلكترونية للأسباب التي بينها في محتوى هذا البحث.

١- المصدر السابق، ص ٣٨١، بهاء المري، جرائم المحمول والإنترنت: ص ٣٧٢.

## ثانياً - التوصيات:

- يُوصى القائمون، والموظفون، والعاملون في تقنية المعلومات بالتزام النصائح والتوصيات الآتية:
- التزام المؤسسات الحكومية والخاصة على السواء اتباع إجراءات أمنية صارمة ودقيقة وعالية التقنية لحماية أجهزتها من خطر الجريمة.
- تدريب الموظفين من رجال الأمن، والشرطة، والنيابة في أنظمة متطورة وعالية التقنية؛ لتعينهم على الكشف عن الجريمة وملاحقة الجناة.
- حث المؤسسات المختصة بالتشريع في الدول كافة إلى سن قوانين رادعة للجناة.
- عقد الدول اتفاقيات ثنائية ومتعددة الأطراف سواء كانت دولية أو ثنائية أو متعددة الأطراف أو إقليمية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات.

## قائمة المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ): مختصر تفسير البغوي، اختصار وتعليق د. عبد الله بن أحمد بن علي الزبير، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض (د.ت).
- بهاء المري:
- جرائم المحمول والإنترنت: منشأة دار المعارف الإسكندرية، طبعة (٢٠١٦م).
- شرح قانون جرائم تقنية المعلومات (المصري): قانون رقم ١٧٥ لسنة ٢٠١٨م، دار المعارف الإسكندرية، طبعة (٢٠١٩م).
- الدارقطني، علي بن عمر (ت ٢٨٥هـ): سنن الدارقطني، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، طبعة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م).
- الزرقاء، أحمد بن محمد (ت ١٣٥٧هـ): شرح القواعد الفقهية، منشورات دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد: شرح الزرقاني على موطأ مالك، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- السندي، أبو الحسن الحنفي (ت ١١٣٨هـ): شرح سنن ابن ماجه، تحقيق: الشيخ مأمون شيحا، منشورات دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٩م).
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ): الأشباه والنظائر في قواعد فروع فقه الشافعية، تحقيق عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، صيدا، طبعة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م).
- الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ): نيل الأوطار شرح نكتي الأخبار، دار الحديث، القاهرة، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- الصديقي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر: عون المعبود على شرح سنن أبي داود، منشورات ابن حزم، الطبعة الأولى، (د.ت).

- عبد الرزاق الموفي عبد اللطيف: شرح قانون مكافحة تقنية المعلومات لدولة الإمارات العربية المتحدة، المرسوم الاتحادي رقم: ٥ لسنة ٢٠١٢م، منشورات معهد دبي القضائي، الطبعة الأولى، (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).
- عبد الفتاح بيومي حجازي: الدليل الجنائي والتزوير في جرائم الكمبيوتر والإنترنت، دراسة متعمقة في جرائم الحاسب الآلي، دار الكتب القانونية، مصر الكبرى، طبعة (٢٠٠٤م).
- علي حيدر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تعريب المحامي، فهمي الحسيني، منشورات دار الجليل، بيروت الطبعة الأولى (١٤٠١هـ-١٩٩١م).
- علي القارئ، أحمد بن عبد الله: مجلة الأحكام الشرعية وفقاً للمذهب الحنبلي فقهاً وأصولاً، تحقيق: دكتور / عبد الوهاب إبراهيم، ودكتور / محمد إبراهيم، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ-١٩٨١م).
- محمد الأمين البشري: التحقيق في جرائم الحاسب الآلي والإنترنت، بحث منشور- في المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، عدد خاص، المجلد (١٥)، العدد (٣٠) ص ٣٢٢-٣٢١.
- محمد نصر محمد: الوسيط في جرائم المعلوماتية: مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).
- مصطفى محمد موسى: أساليب إجرامية بالتقنية الرقمية: ماهيتها ومكافحتها، دراسة مقارنة، دار الكتب القانونية، مصر الكبرى، طبعة (٢٠٠٥م).
- ممدوح عبد الحميد عبد المطلب: جرائم استخدام الكمبيوتر وشبكة المعلومات العالمية: الجريمة عبر الإنترنت، البحث والتحقيق في جرائم الكمبيوتر، مكتبة دار الحقوق الشارقة، الإمارات العربية، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
- المنذري، زكي الدين بن عبد العظيم بن عبد القوي، المنذري (ت ٦٥٦هـ): الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، (٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
- الواحدي، أبي الحسين علي بن أحمد الواحدي (ت ٦٨٤هـ): الوجيز في تفسير الكتاب، العزيز، ج ٢، دار القلم دمشق، والدار الشامية (بيروت)، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).



## References:

- ALQURAN ELKAREEM
- Ali Haider: Durr Elhukkam Sharh Mujallat Elahkam Tareeb Elmuhami Fahmy Elhussaini Daraljeel Bairut Etabat Aola(1991-1401H).
- Alshaikh Ali Elqari Ahmed Bin Adallah: Majalat Alahkam Elsharyyah Wifqan Lilmathab Alhanbali Tahqeeq Eldiktor Abdulwahab Ibraheem Wa Diktor Mommmed Ibrahim Atabat Alola (1981-1401H).
- Assuytti Jalal Edean Bin Abularhman Abin Abu Bakr (D.911H): Alashbah Wa Elnazair Fi Qawaid Alfiqh Ashafitahaeq Abulkareem Elfudaili Almaktabah Elasyryah Syada Tabat(2008-1428H).
- Azzruqa Ahmed Bin Mohmmmed (D.1357H) Sharrah Elqawaid Efighyyait Man-shorat Dar Elqalam Dimashq Ettbat Elthanyat (1989-1409H).
- Baha El- Mirry: Sharh Qaanoon Jarayim Tugnyat Elmaloomat (Almasri): Q anoon Ragm 175 Lisanat 2018 Dar elmaarif Eliskandaryyah Tabat2019.
- Baha Elmurry: Jarayem Almahmool Wa Alinternet: Munshat Dar Emaarif Elis-kandaryyah Tabat(2016).
- Dr. Abdulfattah BEyomy Hljazy: Eldaleel Ejinaiy Wa Altazweer Fi Jarayim El-cumbiyooter Wa Elinternet Dirasat Mutamiqat Fi Jaraym Elhasib Elally Dar Elkutub Elqanoonyat Misrsa Alkubra Tabat (2004)
- Dr. Abdulrazzaq Almuafy Abdulateef: Sharah Qanoon Mukafahat Tuqnyat El-malomat Lidolat Eimarat Alarabyyat Alumtahidat Elmarsoom Elitihadi Raqam (5) Lisanat (2012) Munshorat Mahad Dubai Eelqadai Eltabat Elola (2016-1437).
- Dr. Mumdoh Abulhameed Abdulmutalab: JarayimIstikhdam Elkambuter Wa Shabakat Elmalomat Elalamyyah: Ejaremah Abr Einternetmaktabat Dar Elho-goog Elsharijah Elimarat Elarabyyah Eltabat Alola(2000-1421h)
- Elbaghawyy Abu Mohmmmed Elhusain Bin Masood Elfarra Elshafiyy (D.516H): Mukhtasar Tafseer Albaghawylkhtisar Wa Taleeq Dr. Abdallah Bin Ahmed Bin Ali Muasasat Zayid Bin Sultan Al Nahyan Lilaamal Elkgaryyah Dar Elsalam Lil-nashr Wa Eltoozii Elryad Arabia.
- Elmunthiri Zikyeddain Bin A bulazim Bin Abdulqawy (D.656): Atargheeb Wa Etarheeb Min Elhadeeth Elshareef Dar Ibn Hazam Eltabat Elola (2001-1422H).

- Elwahidy Abualhussain Ali Bin Ahmed (D.684 H): Alwajeez Fi Tafseer Elkitab Alazeez J(2) Dar Elqalam Dimashq Wa Edarelshamyah (Bairut) Eltabat Aloala (1995-1415).
- Major General: Mohmmmed El-ameen Bushra: Altahqeeg Fi Jaryem El hasib A lali Wa Elinternet Bath Manshoor Fi Elmajalah Elarabyyah Lilildirasat Elamnyyah Wa Etadreeb Adad Khas, Elmujalad (15) Adad (30) pp321-322
- Mohmmmed Nasr Mohmmmed: ALwaseet Fi Aljarayym Elmalomatyah: Markaz Eldirasat Alarabyyah Llnashr Wa Altauzee Alqahirat Eltabat Aloala (2015-1436)
- Mohmmmed Elobaidaly: Jarayaim Elamwal Elilectronyyah Wa Ogubatuha (P.h.D Thesis) Malysia (2012).
- Mustafa Muhmmmed Musa: AaleebIjramyyat Biltuqnyat Elraqmyyat: Mahyatuha Wa Mukafahtuha Dirasat Muqaranat Dar Elkutub Elqanonyyat Misra Elkubra-Tabat (2005)



مَنْهَجُ الْعَلَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ سَعِيدِ كَعْبَاشٍ  
فِي كِتَابِهِ «شَرْحُ الصُّدُورِ لِتَفْسِيرِ سُورَةِ النُّورِ»  
دِرَاسَةٌ فِي أَثَرِ الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي كَشْفِ الْمَعَانِي التَّفْسِيرِيَّةِ

**The Approach of the Scholar  
Mohammed bin Ibrahim Saeed Kabash in his book  
(i.e. Sharh Al-Sudur - Surat Al-Nur) the Impact of  
Pragmatic Linguistic in Revealing Interpretative Meanings**

د. إبراهيم براهيم  
جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ . قالمة - الجزائر

**Dr. Ibrahim Brahimi**  
University 8th May 1945 - Guelma, Algeria

<https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.10>





## Abstract

Linguistic semantics is one of the important aspects in the comprehension and analysis of texts in the various fields of Arabic sciences; including that of exegesis. Therefore, exege tesdid not miss the role of the linguistic semantics in understanding the meanings of the Noble Qur'an and its objectives, and the deduction of its rules. This study aims at analytical description of the sources of the Arabic semantics and its aspects in the exegesis of the scholar: Mohammed Kaabeche, as a methodological and cognitive basis from which he could understand the meanings of Qur'an. The study is limited to his exegesis of Surat Al-Nur, entitled: (i.e. Expanding breasts in the exegesis of Surah An-Nur). The study of this type of semantics sought a review of knowledge associated with the Arabic language and its linguistic system; which needed to monitor some of its dimensions, revealing some of its hidden parts. The methodology required to have five sections, an introduction and a conclusion containing the results of the study.

**Keywords:** linguistic semantics, exegesis, Surat al-Nur, rules, types semantics.

## ملخص البحث

تُعَدُّ الدَّلَالَةُ اللُّغَوِيَّةُ مِنَ الْجَوَانِبِ المَهْمَةِ فِي فَهْمِ النَّصُوصِ وَتَحْلِيلِهَا فِي مُخْتَلَفِ حُقُولِ عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ؛ إِذْ لَمْ تَغْبِ عَنِ الْمُفَسِّرِينَ مَكَانَةَ الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي فَهْمِ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَقَاصِدِهِ وَاسْتِنْبَاطِ أَحْكَامِهِ. وَلِذَلِكَ جَاءَ مَوْضُوعُ هَذِهِ الدَّرَاسَةِ وَصَفًا وَتَحْلِيلًا لِمَصَادِرِ الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَبَيَانًا لِمَظَاهِرِهَا فِي تَفْسِيرِ الْعَلَامَةِ مُحَمَّدِ كَعْبَاشٍ، بِوَصْفِهَا أَسَاسًا مَنْهَجِيًّا وَمَعْرِفِيًّا اسْتَقَى مِنْهَا فَهْمَهُ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَاقْتَصَرَتْ الدَّرَاسَةُ عَلَى تَفْسِيرِهِ لِسُورَةِ النُّورِ الْمُسَمَّى بِـ «شَرْحِ الصُّدُورِ لِتَفْسِيرِ سُورَةِ النُّورِ». وَاسْتَدْعَى دَرَاةً هَذَا النَّوعِ مِنَ الدَّلَالَةِ اسْتِعْرَاضُ مَعَارِفٍ مُرْتَبِطَةٍ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَنِظَامِهَا اللِّسَانِي؛ وَهُوَ مَا سَتَسَعَى إِلَى رِصْدِ بَعْضِ أبعادِهِ، وَكَشْفِ جَانِبٍ مِنْ خَبَائِهُ؛ وَاقْتَضَى الْمَنْهَجُ أَنْ تَكُونَ الدَّرَاسَةُ فِي خَمْسَةِ مَبَاحِثَ، تَتَّصِرُهَا مُقَدِّمَةٌ، وَتَقْفُوهَا خَاتِمَةٌ بِنَتَائِجِ الدَّرَاسَةِ.

الكلمات المفتاحية: الدَّلَالَةُ اللُّغَوِيَّةُ، التَّفْسِيرِ، سُورَةِ النُّورِ، الْأَحْكَامَ، أَنْوَاعُ الدَّلَالَةِ.



## المقدمة

تعد علوم اللغة من المعارف الأساس التي ارتكز عليها الفقهاء والمفسرون في فهم النصوص الشرعية وتحليلها؛ وقد بدت آثار هذا التصور جلية فيما ألف في وقت مبكر في معاني القرآن الكريم، وفي ألفاظه، واشتقاقها، وفصيحتها، وغربها... وما سوى ذلك؛ مما أدى إلى ظهور مباحث متعددة لها في أصول الفقه والتفسير؛ وهو الأمر الذي نبّه على أهميته علماء العربية وحثوا عليه؛ وعقدوا له أبواباً على غرار «فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية»؛ وضمن هذا الباب أكد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) أهمية الأخذ بالدرس اللغوي بشكل عام في إدراك معالم الشريعة واستنباط أحكامها؛ وذلك في قوله: (اعلم أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب، وأن الانتفاع به ليس إلى غاية، ولا وراءه من نهاية. وذلك أن أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه (واستخف حلمه) ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي حوِّطت الكافة بها، وعُرضت عليها الجنة والنار من حواشيتها وأحنائها، وأصل التشبيه لله تعالى بخلقه منها، وجاز عليهم بها وعنهما)<sup>(١)</sup>.

والدراسة الدلالية جانب أصيل من العلوم اللغوية التي عرفها الإنسان منذ القدم، سعيًا منه إلى إدراك ما حوله من حقائق الأشياء ومعانيها، وقد تطورت أبحاثها وتنوعت حتى صارت علماً قائماً بذاته، يعرف في الدرس اللساني المعاصر بـ «علم الدلالة (la sémantique)»؛ بل إن العلاقة الوطيدة لهذا العلم بالعلوم الأخرى جعلت منه نقطة التقاء محورية لعمليات معرفية إدراكية مختلفة من نحو: التحليل، والتفسير، والتأويل، والقراءة، والفهم. وليس يخفى على الدارسين ما للدلالة اللغوية من أثر في توجيه المعنى في القرآن الكريم واستنباط أحكامه؛

١- ابن جني أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تخ: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، ٢٠٠٦، ج ٣، ص ٢٤٥.



قصد تسهيل فهمها للعامّة من الناس . وذلك لا يكون إلا بدراسة نظام اللغة العربية ومستوياته (صوتاً، و صرفاً، وتركيباً، ومعجماً)؛ وقد نزل القرآن الكريم بلسان هذه اللغة الشريفة: ﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، و﴿وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] . وهذا ما ألح إليه بعض من المفسرين؛ ومنهم ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) إذ يقول - وهو يصف تفسير التابعين للقرآن الكريم - (إذا أجمعوا على شيء فلا يُرتابُ في أنّه حجةٌ، فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجةً على بعض ولا على من بعدهم، ويُرجعُ في ذلك إلى لغة القرآن الكريم أو السنة أو عموم لغة العرب)<sup>(١)</sup>.

وقد أظهر علماء التفسير بذلك حرصهم على إجادة علوم اللغة العربية وإتقانها، فغاصوا في اللغة العربية كشفا عن دررها ولآئها؛ فكانت تفاسيرهم منها عذبا لاستقامة المنهج وسلامة التصور، وصورة ناصعة للمنهج اللغوي السليم، وجدنا هذا المسلك القويم عند المفسرين القدامى، من نحو ما نجده في تفسير «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» للمفسر «جار الله الزمخشري» (ت ٥٣٨هـ). وفي العصر الحديث في تفسير «التحرير والتنوير» للمفسر «محمد الطاهر بن عاشور» (ت ١٩٧٣م)، وفي «التفسير البياني للقرآن الكريم» للمفسرة عائشة بنت عبد الرحمن المعروفة بـ «بنت الشاطيء» (ت ١٩٩٨م) وسوى هؤلاء الأعلام من المفسرين عدد غير قليل.

وقد حذا حذوهم المفسر العلامة المعاصر محمد بن إبراهيم سعيد كعباش في تفسيره للقرآن الكريم المعروف بـ «نَفْحَاتُ الرَّحْمَانِ فِي رِيَاضِ الْقُرْآنِ»؛ وقد بدت لي أهميته في هذا المسلك من خلال تفسيره لسورة النور التي خصها بكتاب

١- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٩٩٩، ج ١، ص ١٠.

مستقل سمّاه «شَرْحُ الصُّدُورِ لِتَفْسِيرِ سُورَةِ النُّورِ»<sup>(١)</sup> - وهو جزء من تفسيره الكبير للقرآن الكريم-؛ حيث قدم إشارات لغوية متنوعة؛ كانت السند القوي في تيسير فهم ما تضمنته هذه السورة من أحكام جليلة لا سيما ما تعلق بالتوجيهات الأخلاقية والآداب في المعاملات الاجتماعية؛ إذ لا يكاد يخلو تفسيره لكل آية من آيات سورة النور مما أسماه هو؛ بـ «التحقيق اللغوي»؛ الذي أرى فيه فصلاً لغوية مهمة متضمنة لمسائل دلالية متميزة؛ جديرة بحظوة الدارسين وعنايتهم. وتكمن أهمية هذه الدراسة في توجيه الدارس اللغوي لهذا التفسير الذي يجد فيه مجالاً خصباً للتحليل اللغوي في قضايا المعجم والنحو والصرف والصوت... وقد دل ذلك كله بالنسبة لنا على إدراك المفسر لأهمية المنهج اللغوي في استنباط الأحكام الشرعية المتضمنة في السورة، وكشف من جانب آخر عن سعة اطلاعه ورصيده المعرفي المشبع بعلوم اللغة العربية. هذه المسائل اللغوية المهمة، وهذه الأبعاد المميزة لشخصية المفسر هو ما ترنو هذه الدراسة - وفق منهج وصفي استقرائي - إلى الكشف عنه وإبراز بعض جوانبه.

ومع عرض هذه المسائل كان من الأهمية بمكان بيان مفهوم الدلالة اللغوية وأنواعها، وأهميتها عند المفسرين، ومصادرها في تفسير هذا المفسر المعاصر؛ الذي أضاف لبنة جديدة إلى صرح مكتبة التفسير في هذا القطر الزاخر ماضيه وحاضره بجهود العلماء المفسرين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن سورة النور حظيت باهتمام العلماء والمفسرين في العصر الحديث؛ ومن الدراسات المعاصرة التي ألفت فيها:

- تفسير سورة النور، لأبي الأعلى المودودي<sup>(٢)</sup>.

١- ينظر: محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٧؛ وقد جاء تفسيره هذا للسورة في كتاب متوسط الحجم، ويضم ٢٠٨ صفحة.  
٢- أبو الأعلى المودودي (ت ١٩٧٩م)، تفسير سورة النور، تر: محمد عاصم الحداد، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط ١، ١٩٦٠.

- انشراح الصدور في تدبر سورة النور، لسليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم<sup>(١)</sup>.
- وقد جاءت الدراسة من حيث تصميمها وفق ما يأتي:
- مقدمة أوضحت فيها أهمية الدلالة اللغوية ومنزلتها في توجيه معاني القرآن الكريم واستنباط أحكامه.
- خمسة مباحث عرضت فيها لجانب من سيرة المفسر «محمد بن إبراهيم سعيد كعباش»، فمفهوم الدلالة اللغوية وأنواعها، فأهمية الدلالة اللغوية عند الأصوليين والمفسرين، ثم تطرقت لمصادر الدلالة اللغوية في تفسير الشيخ كعباش، ثم فصلت القول في أنواع الدلالة اللغوية في «شرح الصدور لتفسير سورة النور».
- خاتمة أوجزت فيها أهم نتائج الدراسة.

#### المبحث الأول: لمحة من سيرة المفسر «محمد بن إبراهيم سعيد كعباش»

هو محمد بن إبراهيم سعيد المعروف بـ(كعباش)، من مواليد بلدية العطف محافظة غرداية - من محافظات الجنوب الجزائري - وآل سعيد فرع أصيل من عشيرة أولاد بكة المعروفة في بلدة العطف (المشهورة بتاجانينت).

أبصر نور الحياة خلال سنة ١٩٢٩م في حُضن أبوين كريمين هما: سعيد إبراهيم بن باحمد، وبهون شيخة بنت الحاج محمد. تركه والده يتيمًا فقيرًا لا يزيد عمره على سنتين، وليس معه إلا أختان توفيت إحداهما؛ فأصبح وحيد أمه وأخته وقرّة عين لهما؛ واعتنت أمه بتربيته على حُبِّ الله ورسوله وعلى حفظ كتاب الله

١- سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، انشراح الصدور في تدبر سورة النور، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط١، ٢٠٠٥.

في سنِّ مبكرة، وقد وهبه الله ذاكرةً قويَّةً، وذكاءً لامعاً ولم يكن كتابُ قريته ليُفْنَعِ طموحَه في التعلُّم، فارتحل إلى «معهد الحياة» بمدينة القرارة عند الإمام الشيخ بيوض الحاج إبراهيم بن عمر، ثم ارتحل إلى تونس الخضراء حيث درس العلوم العربية والشرعية في الجامع الزيتوني، ودرس العلوم التطبيقية في المعهد الخلدوني. وقد أسهم العلامة محمد بن إبراهيم سعيد كعباش بقسط وافٍ من التّضحية والجهاد في صفوف جبهة التحرير الوطني، ثم تشرف بعضوية المنظمة الوطنية للمجاهدين دون منٍّ ولا غرور.

بدأ العمل في مجال التربية والتعليم أستاذاً ثم مديراً في القطاع الديني الحرّ زمن الاستعمار، ثم في القطاع العمومي بعد الاستقلال الوطني حتى تقاعده عن العمل سنة ١٩٩٠ م. انتسب إلى الجامعة في أوائل السبعينيات؛ فحصل على شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي، وكان قد انخرط عضواً رسمياً في حلقة العزابة للمسجد الجامع بالعطف في سنة ١٩٥٨ م. ثم عينته الحلقة إماماً ومرشداً في سنة ١٩٧٠ م، وهو ما يزال يقوم بمهمته النبيلة في الإصلاح الديني والاجتماعي نصحاً وإرشاداً وتجليّة لمعاني كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على منبر المسجد، بعد أن حذا بصفوف الأجيال على مقاعد الدراسة لما يقارب من أربعين سنة في مسيرة مهنية متواصلة لم تنقطع بمدة مرض، ولم ينحرف عن الخط لوجهة أخرى، وذلك بفضل الله تعالى، وهو متزوج وأبٌ لتسعة أبناء، وفقه الله تعالى لمواصلة مسيرته في نصره دينه وخدمة كتابه، وجعل عمله خالصاً لوجهه تعالى.

استطاع بتوفيق الله وعونه استكمال تفسيره للقرآن الكريم في حلقات الدرس التي كان يعقدها أسبوعياً في مساجد المدينة؛ وقد حمل هذا التفسير عنوان: «نفحات الرحمان في رياض القرآن»؛ وقد أقيم بمناسبة ختمه لهذا التفسير مهرجان

ديني احتفالي ضخم انعقد في يوم السبت ٢٢ جمادى الثانية ١٤٣٦هـ الموافق ليوم: ١١ إبريل ٢٠١٥م؛ رعته السلطات الرسمية بحضور وزير الشؤون الدينية، ومحافظ الولاية والسلطات المحلية، وحضور عدد من علماء الجزائر ومشايخها؛ وقد حظي سنة ٢٠١٦م بمنحه وسام الاستحقاق الوطني من قبل رئيس الجمهورية بوصفه شخصية علمية مشهوداً لها بالعطاء العلمي. هذا التفسير الذي نحسب أنه يضاف إلى رصيد الأمة قاطبة مبرزاً الجهود العلمية لعلماء الجزائر في تفسير كلام الله تعالى وتيسير فهمه وحفظه<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثاني: تعريف الدلالة اللغوية وأنواعها

الدلالة من المفاهيم البارزة قديماً وحديثاً، وتتبع النظر فيما تمنحه المعاجم اللغوية للجذر الذي تتولد منه هذه المادة اللغوية (دلل) يقدم لنا قدراً من المعطيات المعرفية التي تتمحور كلها حول معنى رئيس هو: الهداية والإرشاد إلى القصد المرغوب، والطريق السوي<sup>(٢)</sup>؛ وهو المعنى الذي نلمسه في آيات القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>، والأحاديث الشريفة<sup>(٤)</sup>. ودلالة اللفظ هدايته إلى معناه<sup>(٥)</sup>؛ أي أن

١- ينظر في هذه السيرة الموجزة كتاب: مجموعة من المؤلفين، فعاليات مهرجان ختم تفسير القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، دار الكتاب الملكي، بئر التوتة، الجزائر، ط ١، ٢٠١٥، ص ١٨.

٢- ينظر: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة دار الجليل، بيروت، لبنان، (د.ط)، ١٩٨٨، مادة (دلل).

٣- في مثل: ﴿إِذ تَسْتَقِ أَصْحَابَكَ فَأَقُولُ هَلْ أَذْكَرُ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ [طه: ٤٠]. و﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدْكَرُ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِي يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ [القصص: ١٢]. و﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْكَرُ عَلَىٰ حَرِّكَ تُجِزُّكَ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

٤- في مثل قول الرسول ﷺ: ﴿إنا لدال على الخير كفاعله﴾ رواه الترمذي في سننه في كتاب العلم باب " ما جاء الدال على الخير كفاعله الحديث رقم ٢٦٧٠؛ للتوسع ينظر: الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح، تح: إبراهيم عوض، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، مصر، ط ٢، ١٩٧٥م، ج ٥، ص ٤١، وأخرجه الألباني بأنه حديث صحيح، رقم الحديث ٣٣٩٩. وللتوسع ينظر: الألباني محمد ناصر الدين (ت ١٩٩٩م)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٨٨، مج ١، ص ٦٤٠.

٥- ينظر: الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٨، ٢٠٠٥، مادة (دلل).

الدلالة هي الموصلة إلى مراد اللفظ ومقصوده في الكلام.

ولا تختلف التحديدات الاصطلاحية لمفهوم الدلالة كثيراً عما سلف؛ فقد عرفها الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) في مفرداته بقوله: (الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي؛ ﴿مَادَلَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ [سبأ: ١٤]، وأصل الدلالة مصدرٌ كالكتابة، والإمارة. والدال: من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثم يُسمى الدالُّ والدليلُ دلالةً، كتسمية الشيء بمصدره<sup>(١)</sup>.

وحدها الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بقوله: (هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول)<sup>(٢)</sup>.

ويضيف زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) في تحديده لمفهوم الدلالة ببيان أقسام الدلالة التي جعلها ثلاثة أقسام:

أ- دلالة اللفظ على معناه مطابقةً،

ب- وعلى جزئه تضمّن،

ج- وعلى لازمه الذهني التزام. والأخيرة شاملة لدلالة الاقتضاء، ودلالة الإشارة، ودلالة الإيماء؛ لأنه إن توقّف صدق المنطوق أو صحته على إضمار فدلالة اقتضاء، وإلا فإن دلَّ على ما لم يُقصد فدلالة إشارة، وإلا فدلالة إيماء:

١- الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط ٢٠٠٩، باب حرف الدال ص ٣١٦.

٢- الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، (د.ط)، ١٩٨٥، ص ٩٣.

فالأوّل؛ مثل الحديث النبوي الشريف: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup> أي؛ المؤاخذة بهما.

والثاني؛ كقوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي؛ أهلها.

والثالث؛ كقولك لملك عبدٍ: أعتقه عني، ففعل؛ أي مَلَّكهُ لي، فأعتقه عني<sup>(٢)</sup>.

نلاحظ من خلال هذه التحديدات اللغوية والاصطلاحية شيوع مفهوم الدلالة في التراث العربي وازدهاره في ميادين متعددة. ففي الدرس اللغوي العربي تجلت صورته في عديد المباحث من نحو: الحقيقة والمجاز، والمشارك اللفظي، والترادف، والأضداد، والاشتقاق<sup>(٣)</sup>؛ وتعدى اهتمام الدارسين لها مجال الدرس اللغوي؛ بل صارت مجالاً خصباً للأبحاث الأصولية الفقهية، والتفسيرية، والمنطقية الفلسفية وسواها...

وفي الدرس اللساني المعاصر نجد أن الدلالة غدت مفهوماً محورياً في التحليل اللغوي، بل أمست علماً مستقلاً بذاته وصف بـ «علم الدلالة la sémantique»؛ وعرفه الدارسون بأنه: ((دراسة المعنى)) أو ((العلم الذي يدرس المعنى)) أو ((ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى))...<sup>(٤)</sup>. وتنقسم الدلالة في الدرس اللساني - بحسب مستويات النظام اللغوي - إلى أربعة أقسام: دلالة معجمية، ودلالة صوتية، ودلالة صرفية، ودلالة نحوية؛

١ - أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق: باب طلاق المكره والناسي، الباب ١٥، رقم ٢٠٤٥. للتوسع ينظر: ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت. ط، ص ٦٥٩. وأخرجه الألباني بأنه حديث صحيح، رقم الحديث ١٨٣٦؛ للتوسع ينظر: الألباني محمد ناصر الدين (ت ١٩٩٩م)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق، مج ١، ص ٣٧٥.

٢ - ينظر: زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تح: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩١، ص ٧٩.

٣ - ينظر في بيان اصطلاحات هذه المباحث اللغوية المهمة في الدراسة اللغوية: إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٢، ص ١٧٣، ١٨٥.

٤ - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط ٥، ١٩٩٨، ص ١١.

وسياتي التفصيل عن حضورها في تفسير الشيخ كعباش لاحقاً.

### المبحث الثالث: أهمية الدلالة اللغوية عند الأصوليين والمفسرين

انصب اهتمام الأصوليين والمفسرين على السبل المعينة على فهم النص القرآني المقربة لمعانيه؛ فكان إدراك سنن اللغة العربية وكنه أسرارها المطيعة المثلى لتحقيق مقاصدهم الشرعية؛ إذ أسهموا في وضع أسس الممارسة اللغوية الدلالية؛ فتحدثوا (عن العام والخاص، وعمّا في اللغة من بعض ألوان التّجوز والترادف والاشتراك، أي ما تملّي به إحياءات اللغة نفسها، وما تملّيه طبيعة التطور، واهتموا بدلالة الألفاظ؛ والتطور الدلاليّ لللفظ حتى يتمكنوا من تحديد المعنى المقصود من وراء الأساليب التي يتعرضون لها؛ فتحديد المعنى يتوقف عليه معرفة الحكم وتحديدُهُ<sup>(١)</sup>).

هذه الجهود من الأصوليين والمفسرين عدت إضافةً فريدةً للبحث الدلاليّ في الدرس اللغويّ العربي القديم، وقد أسسوا بها لمسلّكهم في فهم ألفاظ القرآن الكريم؛ ومن ذلك أنّه كان من منهجهم (إذا لم يكن للكلمة اصطلاح خاص في القرآن والسنة وجب أن تفسر حسب عموم لغة العرب؛ وذلك إذا ذكرت الكلمة ذكراً مطلقاً أي؛ إن لم يذكّر الله تعالى، ولا النبي ﷺ في سياقها ما يوضح المراد منها، ولم يذكّر لها تفسيراً، ولا فسرّها الصحابةؓ، أو فسرّها الصحابة واختلفوا، وكذلك التابعون؛ ولذلك كان المفسرون يستعينون في ذلك بالشعر)<sup>(٢)</sup>.

ثم إنهم فرقوا بين الألفاظ؛ ومن ذلك التفريق بين المطلق والمقيد؛ (فالمطلق: هو عبارة عن اللفظ الخاص الشائع في جنسه من غير شمول لعدد ما، ولا تعيين

١- ينظر: السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، ١٩٩٦، ص ١١.

٢- محمود أحمد الزين، أهمية اللغة العربية في فهم القرآن والسنة، دائرة الشؤون الإسلامية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١٨.



كلفظ (حيوان) فهو خاص بالجنس، ويدل على أمر واحد شائع في جنسه دون حصر، والمقيد: هو اللفظ الذي خرج عن الشيوخ بوجه ما، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء: ٩٢]؛ فلفظ (رقبة) خاص مطلق قيد بقيد لفظي<sup>(١)</sup>.

ودلالة اللفظ على المعنى عند علماء الأصول والتفسير (محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص. ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النظم: إما أن يكون ثابتاً بنفس النظم أولاً، والأول: إن كان النظم مسوقاً له فهو العبارة، وإلا فالإشارة، والثاني: إن كان الحكم مفهوماً من اللفظ لغة فهو الدلالة، أو شرعاً فهو الاقتضاء، فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهاداً. فقوله: لغة، أي يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل، كالنهي عن التأيف في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوع من الأذى بدون الاجتهاد<sup>(٢)</sup>.

وبالنظر إلى منهج الأصوليين والمفسرين يتضح لنا أنهم يعتمدون في تحديد الدلالة اللفظية على أسس ثلاثة هي:

- أولها: النظر في الدلالة الأولى للفظ المفردة.
- ثانيها: تتبع التطور الدلالي لتلك اللفظة، وما يظللها من المفاهيم التي تتوارد عليها بعرف الاستعمال.
- ثالثها: مراعاة تحقيق أهداف الشريعة بالتعرف إلى قصد المشرع<sup>(٣)</sup>.

١- ينظر: السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، مرجع سابق، ص ٩٧.

٢- الشريف الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص ٩٣.

٣- ينظر: السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، مرجع سابق، ص ١١٧.

## المبحث الرابع: مصادر الدلالة اللغوية في تفسير الشيخ كعباش

اعتمد المفسر في تفسيره «شرح الصدور لتفسير سورة النور» على عدة مصادر لبيان الدلالة اللغوية لألفاظ هذه السورة المباركة من القرآن الكريم؛ يأتي في صدارتها القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ويليهما كلام العرب شعراً ونثراً

### ١- القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم من أهم المصادر التي اعتمدها الشيخ كعباش في تفسيره للقرآن الكريم، وفي بيان دلالة ألفاظه وتراكيبه، وهذا النهج من المفسر في تفسير القرآن بالقرآن؛ يظهر اعتقاده الجازم بحجية لغة النص القرآني وقراءته؛ وهو لا يختلف في ذلك عن شأن اعتقاد النحاة في أن (العبادَ إنما كَلَّمُوا بكلامهم، وجاءَ القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون، فإنما أجريَ هذا على كلامهم وبه أنزلَ القرآن)<sup>(١)</sup>، وعلى هذا فحري بمن يريد أن يفهم الخطاب القرآني أن يتدرج من لغة هذا الخطاب نفسه ثم الانتقال إلى سواه؛ وقد كان هذا فهم الرسول ﷺ؛ وهو أول مفسر للقرآن الكريم ومن تبعه من الصحابة والتابعين.

بدا هذا التصور عند الشيخ كعباش واضحاً في تفسيره؛ فمرجه الأول في بيان دلالات القرآن الكريم في سورة النور هو الاستدلال لها بالقرآن الكريم؛ وقد أحصيت أكثر من خمس وسبعين (٧٥) آية قرآنية استدلت بها، ويأتي سياق هذا الاستدلال عادة ما في إطار الإثبات والتوضيح لحكم شرعي أو وصفه أو إجماله أو تفصيله أو سواها من المقاصد؛ ومن ذلك بيان المفسر للدلالة اللغوية للفظ

١- سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تخ: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط ٣، ١٩٨٨، ص ٣٣٢.

«المُحْصَنَات»<sup>(١)</sup> في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٤]؛ ورد الوصف في القرآن لمعنيين: الإحصان بالزواج الشرعي ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]؛ أي الحرائر المتزوجات تحرم خطبتهن ونكاحهن. ويأتي الوصف بمعنى العفة والطهارة وهو المراد في هذه الآية، ومنه قوله تعالى في مريم الْحَمْدُ لِلَّهِ: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١]<sup>(٢)</sup>؛ فنلاحظ أنه استشهاد لدلالة هذا اللفظ بآيتين من موضعين مختلفين من القرآن.

ومن ذلك أيضاً توضيحه للدلالة اللغوية للفظ «زكا» في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]؛ زكا يزكو: صلح، يقال زكا الزرع إذا صلح ونما، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]. بمعنى صالحاً تقياً<sup>(٣)</sup>. والأمثلة كثيرة عند المفسر في تفسير القرآن بالقرآن؛ ومنها - كما سبق القول - ما يفيد التوضيح أو التعميم أو التخصيص.

## ٢ - الحديث الشريف

يعد الحديث النبوي المصدر الثاني عند الشيخ كعباش في تفسيره للقرآن الكريم، وفي استخلاص الدلالة اللغوية لألفاظه وتراكيبه، ولا خلاف في منزلة الحديث الشريف عند الأصوليين والمفسرين؛ إلا ما كان من أهل النحو؛ وهم

- ١ - من ألفاظ القرآن الكريم التي وردت في أكثر من موضع، ومن ذلك: سورة النساء في الآية ٢٥، سورة المائدة الآية ٥٥، سورة النور في الآيتين ٢٣، ٥٤. للتوسع ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، د. ط، ١٣٦٤هـ، ص ٢٠٦.
- ٢ - محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٣٢.
- ٣ - نفسه، ص ٦٢.

معدورون بحسن اعتقادهم وحرصهم على سلامة منهجهم اللغوي<sup>(١)</sup>.

وعلى نهج المفسرين سار الشيخ كعباش في استدلاله بالحديث النبوي الشريف توضيحاً للمعاني الجليلة لألفاظ القرآن وتأكيدها، وفي تفسيره لسورة النور؛ وقد أحصيت قرابة خمسة وأربعين (٤٥) حديثاً نبوياً شريفاً جُلِّها مثبتة في مسرد الفهارس<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك ما جاء في سياق بيان الدلالة اللغوية للفظ «الأيامى» من قوله تعالى: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيْمَانَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]. فبعد شرحها بقوله: مفردُه أَيِّمٌ، يستوي فيه المذكور والمؤنث؛ أي الرجل لا زوجة له، والمرأة لا زوج لها، سواء أتزوج أحدهما من قبل أم لم يتزوج، وسواء أكانت المرأة بكراً أو ثيباً<sup>(٣)</sup>.

قال رسول الله ﷺ: ﴿أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءٌ<sup>(٤)</sup> الْخَدَيْنِ تَأَيَّمْتُ عَلَى وَلَدِهَا الصَّغَارِ حَتَّى يَبْلُغُوا أَوْ يُعْغِنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٥)</sup>.

وفي سياق مماثل جعل الشيخ كعباش من الحديث سنداً قوياً في تأييد

- ١- يعلل الأصوليون في النحو عدم تعويلهم الكبير على الحديث النبوي في وضع أدلة النحو بهذين السببين؛ (وهما السبب العقدي، والسبب اللغوي الصرف، وهو أن الحديث في أغلبه روي بالمعنى ولم يرو باللفظ). للتوسع ينظر: سعيد الأفغاني (ت ١٩٩٧م)، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٧، ص ٥٩.
- ٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٢٠٢.
- ٣- ينظر في شرح هذه اللفظة القرآنية: الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، باب حرف الهمزة، ص ١٠٠.
- ٤- السفع: السواد والشحوب؛ أراد أنها بذلت نفسها وتركت الزينة والترفة حتى شحبت لونها واسود، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها؛ للتوسع ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ)، لسان العرب، مصدر سابق، مادة (سفع).
- ٥- ينظر: باب فضل من يعول يتيمًا، من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وزاد في شرحه: أَيْمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصَبٍ وَجَمَالَ حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا أَنَا وَهِيَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ. للتوسع ينظر: العسقلاني أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، السعودية ط ١، ١٣٧٩هـ، ج ٥، ص ٤٣٦.

رؤيته اللغوية التحليلية الجامعة لدلالة المفاهيم الشرعية ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَنْصُرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]؛ ارتكز في تحليله لمفهوم غَضِّ البَصْرِ الحَافِظِ لسلوك المسلم من جريرة تبعاته؛ بقول الرسول ﷺ في نصح الإمام علي - كرم الله وجهه - ﴿يَا عَلِيُّ لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَىٰ وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ﴾<sup>(٦)</sup>.

ولا يكتفي الشيخ كعباش بحديث واحد سنداً لتحليله؛ بل يتبع هذا الحديث النبوي بأخر أبلغ وصفاً وتمثيلاً؛ وهو حديث الرسول ﷺ عن عبد الله بن مسعود. قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبَدَلْتَهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ﴾<sup>(٧)</sup>. هذا الحشد للأحاديث النبوية في موضع واحد من التفسير تؤكد مكانة السنة في نفس المفسر منهجاً معيناً على بيان الدلالات اللغوية التي يطفح بها النص القرآني.

### ٣- كلام العرب

لا يختلف الدارسون في كون كَلامِ العَرَبِ حُجَّةً في الاستشهاد والاستدلال؛ وقد سلك المفسرون مسلك النُحَاةِ فِي الأَخْذِ بِهَذَا المَبْدَأِ؛ وليس أوضح في بيان منزلة هذا الكلام ولا أجمل من وصف الإمام علي - كرم الله وجهه - في قوله: (كلامُ العَرَبِ كالمِيزَانِ الذي يُعَرَفُ بِهِ الزِيَادَةُ وَالتَّنْقِصَانُ، وَهُوَ أَعْدَبُ مِنَ المَاءِ، وَأَرْقُ مِنَ الهَوَاءِ، إِنْ فَسَّرْتَهُ بِذَاتِهِ اسْتَصْعَبَ، وَإِنْ فَسَّرْتَهُ بِغَيْرِ مَعْنَاهِ اسْتَحَالَ).

٦- رواه الترمذي في كتاب الأدب في باب ما جاء في نظرة المفاجأة، رقم الحديث ٢٧٧٠. للتوسع ينظر: الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، مصدر سابق، ج ٥، ص ١٠١. وأخرجه الألباني بأنه حديث حسن رقم الحديث ٧٩٥٣؛ للتوسع ينظر: الألباني محمد ناصر الدين (ت ١٩٩٩م)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق، مج ١، ص ١٣١٦.

٧- رواه الحاكم في مستدركه؛ في كتاب الرقاق، رقم الحديث ٧٨٧٥. للتوسع ينظر: النيسابوري الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، تخ: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢٠٠٢، ج ٤، ص ٣٤٩.

فالعربُ أشجارٌ وكلامُهم ثمارٌ<sup>(١)</sup>، وقد كان للشيخ كعباش في تفسيره عناية متميزة بهذا الجانب بوصفه مصدرًا أصيلاً لبيان دلالة الألفاظ في تفسيره.

## أ- الشعر

عني الشيخ كعباش في بيان دلالة الألفاظ بالاعتماد على الشعر الذي هو كتاب العرب وحافظ مآثرهم وقيمهم الأخلاقية والاجتماعية؛ وهو ما دعاه إلى أن يجعل من الشواهد الشعرية مرتكزاً أميناً لإيضاح المعاني، والهداية إلى مقاصدها الرشيدة؛ وقد كفانا مسرد الفهارس باستخراج شواهد الشعرية التي تجاوزت أربعة عشر شاهداً شعرياً<sup>(٢)</sup>. وسأكتفي هنا بإيراد بعضها على سبيل التمثيل، ومن ذلك ما ورد في سياق شرحه للفتحة «سراب» من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]؛ قال المفسر: (السرابُ أو الأُلُّ ما يراه المسافر كالماء من بعيد في أرض مستوية عند اشتداد الحرِّ حتى لكانه بركة ماء، وهو يلتصق بالأرض، بينما الأُلُّ يرتفع عنها في وقت الضحى)<sup>(٣)</sup>. ثم يستشهد لهذا الكلام بقول الشاعر (من بحر الطويل):

فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُهُمْ كَلْمَعِ سَرَابٍ بِالْفَلَا مِتْلَقٍ<sup>(٤)</sup>

وفي بيانه للدلالة اللغوية للتركيب سنا برفقه «من قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣]، قال المفسر: السنا- بالقصر- ضوء البرق؛ وبريق النار، والسنا- بالمد- الشرف والرفعة<sup>(٥)</sup>؛ جمع ذلك ابن زيدون في هذا البيت

- ١- الرازي أبو حاتم (ت ٢٧٧هـ)، كتاب الزينة، معجم اشتقائي في المصطلحات الدينية والثقافية، تخ: سعيد الغامبي، منشورات الجمل، بغداد، العراق، (د.ط)، ٢٠١٥، ص ٩١.
- ٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٢٠٦.
- ٣- المصدر نفسه، ص ١٣٦.
- ٤- لم أعثر له على قائل؛ وهذا البيت الشعري المجهول القائل شاهد أغلب المفسرين لهذه الآية من سورة النور.
- ٥- ينظر: الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص ٤٢٩.

الشعري (من بحر الرمل):

يَا أَحَا الْبَدْرِ سَنَاءَ وَسَنَا حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَعَكَ<sup>(٦)</sup>.

وفي سياق بيانه لدلالة لفظة المشكاة في سورة النور، الآية (٣٥)<sup>(٧)</sup> من السورة استشهد بشعر أبي تمام (ت ٢٣١هـ)؛ إذ يقول: وقد استمد أبو تمام المثل لمدوحه حين عاب عليه جُلَّاسُ الخليفة، إذ قالوا: الخليفة هو أعظم من المثل الذي جئت به فقال لتوه (من بحر الكامل):

لا تنكروا ضربي له من دونه مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ  
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاتِ وَالنَّبْرَاسِ<sup>(٨)</sup>.

ولعل الملاحظة البارزة في هذا الجانب؛ أن منهج الشيخ كعباش في أخذه بالشواهد الشعرية في تفسيره قائم على منهج الأخذ بالشواهد الشعرية المعلومة القائل، والمجهولة المشهورة في الاستشهاد في الموضع الذي يراه مناسباً لذلك.

## ب- النثر

أجاد العرب في نثرهم كما برعوا في شعرهم؛ فصاغوا من كلامهم روائع الأقوال والأمثال والحكم السائرة؛ وقد مال الشيخ كعباش في تفسيره إلى الأخذ بالمأثور منها لما يحمله من دلالات لغوية متنوعة؛ وكان أكثر ما استشهد به من مأثور أقوال الصحابة والتابعين<sup>(٩)</sup>. لما له من فضل في فهم أحكام الدين؛ مع ما اتصفت به

٦- ابن زيدون (ت ٤٦٣هـ)، ديوان ابن زيدون، تخ: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ٢٠٢٠، ١٩٩٤، ص ٢٠٩.

٧- ينظر في موضع الاستشهاد به: محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٢٢.

٨- الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام (ت ٢٣١هـ)، تقديم ومراجعة: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ٢٠٢٠، ١٩٩٤، ج ١، ص ٣٦٢.

٩- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٢٠٥.

من البساطة في بنيتها ودلالاتها؛ مما يتناسب وتفسير القرآن الكريم للخاصة والعامّة من الناس في حلقات الدرس والمساجد.

ويأتي في صدارتها القول المأثور الذي روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ ذلك أن بعض آي هذه السورة ارتبط بها في قصة الإفك، وأول كلام استشهد به لها؛ هو قولها رضي الله عنها: ((علموا نساءكم سورة النور والغزل))<sup>(١)</sup>؛ محرّضةً المؤمنين بهذا القول على ضرورة تعليم النساء سورة النور لما شملته مما يتعلق بهن من أحكام التشريع، واستشهد لها بحديث آخر<sup>(٢)</sup>؛ ((حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل. قلت لعمرة: أو منعن؟ قالت: نعم»)).<sup>(٣)</sup>

ومن ذلك أيضاً استشهاد المفسر<sup>(٤)</sup> بما أورده عن سيدنا عمر رضي الله عنه في قصة: قول أحد رجلين لآخر: ما أنا بزان ولا أمي بزانية. فقالوا: إنه قد مدح أباه وأمه، فقال عمر: قد عرض لصاحبه، فجلده الحد ثمانين جلدة<sup>(٥)</sup>. فأشار المفسر بذلك إلى نباهة سيدنا عمر وفطنته لمقصد الرجل. وقد أورد عدداً من الأقوال المأثورة لعدد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم من نحو: الفاروق عمر بن الخطاب، وأبي بن

١- الاستشهاد بهذا القول المأثور عند المفسر جاء في المقدمة في سياق الحث على تعلم سورة النور؛ وهو جزء من قولها: ((لا تنزلوا النساء الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن سورة النور والغزل))؛ وهو حديث اختلف في درجة صحته عند علماء الحديث؛ للتوسع ينظر باب تعليم المرأة الكتابة، رقم الحديث ١٧٨: الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٩٥، ج١، ص٣٤٦.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٠٥.

٣- الحديث مروى في صحيح البخاري؛ كتاب الأذان، باب انتظار الناس الإمام العالم حديث، رقم ٨٦٩. للتوسع ينظر: البخاري الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط٢، ٢٠٠٢م، ص ٢١١.

٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٣٤.

٥- روي هذا الحديث في موطأ مالك كتاب الحدود، باب الحد في القذف والنفي والتعريض الحديث رقم ١٩. للتوسع ينظر: الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، الموطأ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥، ج١، ص ٨٣٠.



كعب، والحسن بن علي، ومالك بن أنس... وذكر المفسر- إلى جانب كلام الصحابة رضي الله عنهم - أقوالاً عامة مأثورة في الحياة الاجتماعية؛ وهي أمثال مشهورة وبسيطة تتساق مع الخطاب التفسيري في المساجد؛ حيث يحضر الخاصة من أهل العلم والعامّة من الناس. من نحو: إيرادُه للأمثال الآتية: «كل إناء بما فيه يرشح»، و«إن الطيور على أمثالها تقع»، و«الوقاية خير من العلاج»<sup>(١)</sup> في سياق التمثيل على وقاية المجتمع من الآفات غير الأخلاقية.

وليس يفوتنا في هذا المقام ذكر ما لأقوال العلماء والمفسرين، من أثر في تفسير الشيخ كعباش لسورة النور؛ لا سيما ما تعلق بإيراد آراء المفسرين القدامى والمحدثين وآرائهم ممن فسروا سورة النور أو استوقفتهم بعض أبعادها. وقد وجدناه مثلاً يستأنس في أكثر من موضع بمقولات المودودي وآرائه في تفسيره لهذه السورة<sup>(٢)</sup>؛ من نحو: استشهاده في مقدمة كتابه بمقولة للمودودي تدل على أهمية هذه السورة الكريمة، وما اشتملت عليه من تعاليم وأحكام سامية في الحياة الخلقية والاجتماعية للمسلمين<sup>(٣)</sup>.

ونجدّه يسترسل في موضع بيان عقوبة الجلد والرجم للزاني واختلاف الفقهاء حولها بالاستشهاد بمقولة لسيد قطب في تفسيره: «في ظلال القرآن الكريم» حول الخلاف الفقهي في الجمع بين الجلد والرجم للمحصن<sup>(٤)</sup>. وهو لا يقف عند حدود الاستشهاد والأخذ بهذا التفسير أو ذاك؛ بل ربما مارس نقدها أو قارن بين الآراء المتباينة فيها، ووجدناه في غير موضع يأخذ برأي هذا المفسر أو ذاك، أو يميل إلى رأي الجمهور في هذه المسألة أو تلك.

- ١- ينظر في هذا الأمثال كتب الأمثال العربية القديمة والحديثة؛ ومن ذلك كتاب: طاهر الجزائري (ت ١٩٢٠م)، أشهر الأمثال، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط ٠١٢، ٢٠١٢.
- ٢- ينظر: محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، الصفحات؛ ٥٢، ٦١، ٩٥، ١٢٨، ١٣٣.
- ٣- المصدر نفسه، ص ٠٩.
- ٤- المصدر نفسه، ص ٢٣.

## المبحث الخامس: أنواع الدلالة اللغوية في «شرح الصدور لتفسير سورة النور»

تنقسم الدلالة في الدرس اللساني المعاصر كما سبق القول؛ بحسب مستويات النظام اللغوي إلى أربعة أقسام؛ دلالة معجمية، ودلالة صوتية، ودلالة صرفية، ودلالة نحوية؛ وسأحاول في هذا المبحث - إن شاء الله - إبراز جوانب من تجلياتها في تفسير الشيخ كعباش من خلال تفسيره لسورة النور المعروف بـ «شرح الصدور لسورة النور».

### ١ - الدلالة المعجمية

هي الدلالة الأولى التي تنصرف إليها الأذهان حينما نريد تعرّف معنى كلمة ما، هذه الكلمة نجدّها في معاجم اللغة وقواميسها الاصطلاحية، وهي دلالة وضعية؛ أي وضعها المجتمع، وارتضاها مقابلاً لألفاظ بعينها<sup>(١)</sup>؛ ولعل أهم ما يميز هذا النوع من الدلالة أنها متغيرة، وليست قارةً بل متجددة؛ تحكّمها سنن التطور والتجدد في الحياة. يبدو هذا النوع من الدلالة اللغوية المهيمن في تفسير الشيخ كعباش في تفسيره لسورة النور؛ إذ لا تكاد تخلو آية من الآيات الأربع والستين (٦٤) من سورة النور منها؛ وهذا التركيز من المفسر على هذا النوع من الدلالة اللغوية؛ لأنها تحقق مقاصده في التفسير، وهو التيسير والتسهيل لألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه؛ حتى يفهم العامة من الناس الأحكام الشرعية المتضمنة في آيات السورة.

ويقوم تحديد الدلالة المعجمية لألفاظ القرآن الكريم عند الشيخ كعباش على مبدأين اثنين:

أ- المبدأ الأول: على بيان المعاني المتعددة التي يحيل عليه اللفظ؛ ويتدرج

١ - ولذلك يسميها إبراهيم أنيس بالدلالة الاجتماعية، للتوسع ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط ٠٥، ١٩٨٤، ص ٤٨.

في ذلك من المعنى الرئيس أو المركزي ثم ينتقل إلى المعنى الثانوي أو الهامشي؛ ويؤدي السياق بنوعيه اللغوي أو المقامي التداولي في هذه الحالة دوره في ترجيح المعنى المراد. هذا ما لمسناه مثلاً فيما جاء في الآية الأولى (٠١) من سورة النور في دلالة الفعل: ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾<sup>(١)</sup> أسند الإنزال والفرض إلى الله تعالى ليدل ذلك على عظم شأنها (وَفَرَضْنَاهَا) بمعنى: أوحينا العمل بها على اعتبار ما ورد فيها من الأحكام، أو بمعنى: التعيين والتقدير كما ثبت ذلك في علم الله، وهذا المعنى لمجمل معانيها من أحكام وغيرها<sup>(٢)</sup>. نلاحظ أن المفسر قد أورد الرأي المجمل في بيان دلالة الفعل، ولم يوسع في عرض كل الدلالات مثلما سلك بعض المفسرين، ثم إنه لم يكتف بالمعنى اللغوي الصريح بل تدرج إلى المعنى المقصود؛ وهو المعنى الفقهي. ومن ذلك أيضاً ما جاء في الآية (٠٤) في دلالة الاسم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: ورد الوصف في القرآن لمعنيين: الإحصان<sup>(٣)</sup> بالزواج الشرعي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]؛ أي الحرائر المتزوجات تحرم خطبتهن ونكاحهن، ويأتي الوصف بمعنى العفة والظهار<sup>(٤)</sup>. يبدو لنا هنا أن المفسر قد تدرج في بيان الدلالة اللغوية من المعنى الأساس إلى المعنى

١- جاء في مختار الصحاح: الفَرْصُ: الحز في الشيء، والفرض أيضاً ما أوجبه الله تعالى، سمي بذلك: لأن له معالم وحدوداً وقوله تعالى: ﴿وَقَالَكَ لَا أَخَذْتُ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيْبًا مَقْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨]؛ أي مقتطعاً محدوداً والتفريضة: التحزيب، وقرئ: ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ بالتشديد؛ أي فصلناها. للتوسع ينظر: الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، د. ط، ١٩٨٦، مادة (فرض)، ص ٢٠٩.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٥.

٣- الإحصان عند الفقهاء: هو أن يكون الرجل عاقلاً بالغاً مسلماً دخل بامرأة بالغة عاقلة حرة مسلمة بنكاح صحيح. للتوسع ينظر: التعريفات الفقهية، المفتي السيد محمد عميم الإحسان المجددي البرقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٣، ص ١٩. وفي المعاجم اللغوية: أَحْصَنَ الرجل إذا تَزَوَّجَ، فَهِيَ (مُحْصَنٌ)، بفتح الصاد، و(أَحْصَنَتِ) المرأة عَفَّتْ، وَأَحْصَنَهَا زَوْجُهَا فَهِيَ (مُحْصَنَةٌ) و(مُحْصَنَةٌ).. للتوسع ينظر: الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، مصدر سابق، مادة (حصن) ص ٥٩.

٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٥.

الفرعي، أي ما ينتج عن هذا المعنى؛ فالإحصان الذي هو الزواج الشرعي الذي ضبطته الشريعة ثمرته في الواقع الاجتماعي العفة والطهارة.

وعلى هذا ينهض المعنى المعجمي للألفاظ المفسرة، وتتأسس الدلالة المعجمية في منهج المفسر؛ وهكذا تكون الدلالة اللغوية مفتاحاً للحكم الشرعي وبياناً له. وورد في الآية (٢٢) في دلالة الفعل: (يَأْتَلِ): من الألية وهو اليمين،<sup>(١)</sup> وأكثر ما يستعمل في الحلف على الامتناع<sup>(٢)</sup>. وله وجه آخر في المعنى من قولك: ألوت في كذا أي قصرت<sup>(٣)</sup>، ونلاحظ في بيان دلالة هذا الفعل أن المفسر قد جمع بين الدلالة اللغوية المحضة للفظ، ثم بيان الدلالة الوظيفية الشرعية التي ترتبط بأسباب نزول الآية؛ وفي ذلك انتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام.

الملاحظ في هذه الأمثلة وسواها... أن المفسر في المجمل لا يكتفي بإيراد المعنى الرئيس للفظ، بل يعضده بالمعنى الفرعي أو الثانوي أو الهامشي، وهنا نسجل ظاهرة دلالية معجمية مهمة؛ هي التمييز بين مراتب الألفاظ من حيث العموم والتخصيص.

ب- المبدأ الثاني: الاكتفاء بـ «المعنى الرئيس» أو «المركزي»؛ وهو المعنى المفرد والأساس للكلمة؛ في مثل ما نجد في الآية الأولى من سورة النور؛ ﴿سُورَةٌ

١- جاء في لسان العرب: والألية علي فعيلة والألياً، كله: اليمين، والجمع ألياً؛ قال الشاعر: قَلِيلُ الْأَلْيَا حَافِظٌ لِيَمِينِهِ، وَإِنْ سَبَقَتْ مِنْهُ الْأَلْيَةُ بَرَّتْ، وَرَوَاهُ ابْنُ خَالَوَيْهِ: قَلِيلُ الْإِيْلَاءِ، يَرِيدُ الْإِيْلَاءَ فَحَذَفَ الْبَاءَ، وَالْفِعْلُ أَلَى يُؤَلَى إِيْلَاءً: حَلَفَ، وَتَأَلَى يَتَأَلَى تَأَلِيًّا وَتَأَلَى يَأْتَلِي أَتْلَاءً. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا يَأْتَلِي أُولَ الْأَفْضَلِ مِنكُمُ﴾ [النور: ٢٢]. للتوسع ينظر: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، مصدر سابق، مادة (ألا).

٢- نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ حين حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدري؛ لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة أقسموا ألا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك؛ وللتوسع في القصة كاملة ينظر: الإمام البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، كتاب التفسير، الباب ١١، رقم الحديث ٤٧٥٧، ص ١١٩١.

٣- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٦٣.

أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ في بيان معنى ﴿يَبِّنَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي واضحات المعنى؛ لتكون مبعث التذكير والعظة<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك ما جاء في الآية الثانية (٠٢) في دلالة الفعل ﴿فَأَجْلِدُوا﴾: الضرب بالسوط على الجلد، أي البشرية،<sup>(٣)</sup> كما يقال: بَطَنَهُ وَجْهَهُ وَرَأْسَهُ، إِذَا ضَرَبَهُ فِي تِلْكَ الْأَعْضَاءِ<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في الآية السابعة (٧) في بيانه للاسم ﴿لَعْنَتَ﴾؛ واللَّعْنُ: الإبعاد من رحمة الله على وجه التحقير<sup>(٥)</sup>. وقد عرض الشيخ كعباش في تفسيره لظواهر دلالية معجمية متعددة كانت من صميم الدرس اللغوي العربي قديماً وحديثاً؛ من نحو:

١- المشترك اللفظي: (Homonymy)<sup>(٦)</sup> وهو كل كلمة لها عدة معانٍ حقيقية غير مجازية، ويمكن عده من جماليات اللغة العربية، بما يضيفه

١- بَانَ الشَّيْءُ يَبِينُ بَيَانًا: اتَّضَحَ فَهُوَ بَيِّنٌ، وَكَذَا أَبَانَ الشَّيْءُ فَهُوَ مُبِينٌ، وَأَبْنَتْهُ أَنَا أَيَّ أَوْضَحْتُهُ. للتوسع ينظر: الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، مصدر سابق، مادة (بين) ص ٢٩.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٦.  
٣- جلدُهُ: ضَرَبَ جلدَهُ، نَحْو: بَطَنَهُ وَظَهَرَهُ، أَوْ ضَرَبَهُ بِالْجِلْدِ، نَحْو: عَصَاهُ إِذَا ضَرَبَهُ بِالْعَصَا، وَقَالَ تَعَالَى: فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً [النور: ٠٤]. للتوسع ينظر: الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، باب حرف الجيم، ص ١٩٩.

٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٦.  
٥- لَعْنَةٌ، كَمَنْعُهُ: طَرْدُهُ، وَأَبْعَدُهُ، فَهُوَ لَعِينٌ وَمَلْعُونٌ، ج: مَلَاعِينٌ، وَالْأَسْمُ: اللَّعَانُ وَاللَّعَانِيَّةُ وَاللَّعْنَةُ، مَفْتُوحَاتٍ. وَاللَّعْنَةُ، بِالضَّمِّ: مَنْ يَلْعَنُهُ النَّاسُ. لَعْنَةٌ: الْكَثِيرُ اللَّعْنِ لَهُمْ، ج: لَعْنٌ، وَامْرَأَةٌ لَعْنٌ، فَإِذَا لَمْ تَذَكَّرِ الْمَوْصُوفَةَ، لَعِينَةٌ.. لَعِينٌ: مَنْ يَلْعَنُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَالْمَخْزِيُّ الْمُهْلِكُ. تَلَاعَنَ: التَّشَاتَمَ، وَالتَّمَاجُنَ. التَّعَنَّ: أَنْصَبَ فِي الدِّعَاءِ عَلَى نَفْسِهِ. مَلَاعَنَ: مَوَاضِعَ التَّبَرُّزِ. لَاعَنَ امْرَأَتَهُ مَلَاعَنَةً وَلَاعَانًا وَتَلَاعَنًا، وَالتَّعَنَّ: لَعْنٌ بَعْضُ بَعْضًا. تَلَاعَنَ: التَّعْدِيْبُ. للتوسع ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، مادة (لعن)، ص ١٢٣١. وموضع الاستشهاد به في: محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير

سورة النور، مصدر سابق، ص ٣٩. وتحقير اللعْن يبدو أن المفسر حمله على المعاني اللغوية السابقة.  
٦- جاء في تعريف المشترك اللفظي: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين، فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة): السيوطي جلال الدين (ت ٩١١هـ)، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تخ: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د. ط، ١٩٨٦، ص ٣٦٩.

على بناء العبارات وتركيبها؛ وهو ما نجد في مثل الآية (٣١) من سورة النور في توضيحه لدلالة ﴿لِبُعُولَتِهِمْ﴾ جمع بعل؛ وهو الزوج، وأصله الربُّ والمالك. ﴿أَنْذَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ [الصفات: ١٢٥] <sup>(١)</sup>.

ومن ذلك أيضا لفظ ﴿وَالْفَوَاعِدُ﴾ [النور: ٦٠]: القَوَاعِدُ: جمع قاعد؛ أي النساء اللاتي قعدن عن الحيض والإنجاب <sup>(٢)</sup>. فلفظ القواعد من المشترك اللفظي الذي يحمل أكثر من معنى؛ من نحو: قواعد البناء؛ أسسه؛ في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]؛ وقواعد الهدج خشباته الجارية مجرى قواعد البناء <sup>(٣)</sup>.

وتطلق لفظة القواعد على سوى ذلك؛ فقد يُراد به سنن اللغة ونظامها، وقد نعني بها قوانين السلامة وضوابط السلوك الاجتماعي.

ومن ذلك لفظ ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ﴾ [النور: ٦٣]: فلدعاء الرسول ثلاثة احتمالات:

أ- هو من الدعوة لأمر مهم؛ فدعاؤه ليس كدعوة أحدكم، فليس لكم الخيار في استجابة دعوته.

ب- الدعاء بمعنى النداء؛ أي لا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضاً.

ج- دعاؤه بمعنى طلبه من الله؛ بمعنى احذروا دعاءه عليكم لأن دعوته مستجابة <sup>(٤)</sup>.

١- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٩١.

٢- المصدر نفسه، ص ١٨٢.

٣- ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص ٦٧٩.

٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٩٤.

ومن ذلك لفظة (الدين<sup>(١)</sup>) من الآية (٢٥) من السورة؛ إنما جاء بمعنى الجزء، وربما ورد في غير هذا السياق بمعنى الطاعة أو الانقياد للشريعة؛ في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلَدِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِسْلَمٌ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]. ومن ذلك لفظة ﴿ءَايَاتٍ﴾ من الآية (٤٦) من السورة: تستعمل الآية في القرآن الكريم، ويقصد بها علامات قدرة الله على صفحة الكون مما خلقه وأبدع صنعه، فهي آيات صامتة، ويقصد بها آيات الوحي المنزل من القرآن الكريم؛ وهي الآيات الناطقة؛ وهي المقصود في هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

٢- الترادف: (Synonyme)<sup>(٣)</sup> هو من جوانب ثراء اللغة العربية واتساعها<sup>(٤)</sup>؛ وهو من عناصر الدلالة المعجمية التي أشار إليها الشيخ كعباش بالمثال في سياق تفسيره للآية (٢٧) من السورة النور في دلالة الفعل ﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾ إذ قال: استئناس جعله بعض العلماء مرادفاً لمعنى الاستئذان بينما يراه آخرون أعم وأشمل<sup>(٥)</sup>. ومن وجوه البيان القرآني هنا الاستئناس أو الاستئذان، وهو

١- الدين: الجزء، وقد دنته، ديناً، ودينياً، والإسلام، وقد دنته، والعادة، والعبادة، والمواظب من الأمطار، أو اللبن منها، والطاعة، كالدينة، والذل، والداء، والحساب، والقهر، والغلبة، والسلطان، والملك، والحكم، والسيرة، والتدبير، والتوحيد، واسمّل جميع ما يتبع الله عز وجل به، والملة، والورع، والمعصية، والإكراه، دين من الأمطار: ما يعاهد موضعاً، فصار ذلك له عادة، والحال، والقضاء. دنته أديته: خدمته، وأحسنّت إليه، وملكته، وأقرضته وأقرضت منه. ديان: القهار، والقاضي، والحاكم، والسائس، والحاسب، والمجازي الذي لا يضيع عملاً، بل يجزي بالخير والشر. مدين: العبد، مدينة: الأمة، لأن العمل أذلّهما، ، . للتوسع ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، مادة (دين)، ص ١١٩٨.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٥٥.  
٣- جاء في تعريف الترادف: في اللغة هو ما اختلف لفظه واتفق معناه؛ أو هو إطلاق عدة كلمات على مدلول واحد؛ كالأسد والسبع والليث وأسامة و... والتي تسمى مسمى واحداً) للتوسع ينظر: السيوطي جلال الدين (ت ٩١١هـ)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، مصدر سابق، ص ٤٠٧.  
٤- اختلف علماء العربية بين مثبت ومنكر لهذه الظاهرة في اللغة؛ وينسحب الأمر على الأصوليين والفقهائ حول وجود الترادف في القرآن الكريم. للتوسع ينظر: محمد نور الدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط ١، ١٩٩٧، ص ١٠٩.  
٥- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٧٦.

فعل يسبق فعل التسليم الوارد في هذه الآية. وإلى جانب المشترك اللفظي والترادف يجد الدارس أن المفسر عرض في تفسيره لظواهر معجمية أصيلة أخرى؛ مما وقف عليه في ألفاظ السورة وتراكيبها.

## ٢- الدلالة الصوتية

تعرف هذه الدلالة اللغوية من طبيعة الأصوات واستبدالها، ومن الملامح الصوتية التطريزية المرتبطة بالأداء مثل (النبر، والمقطع، والتنغيم، والوقف...)،<sup>(١)</sup> وتبدو الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم جلية من خلال إيقاع نظامه الصوتي وموسيقاه البارزة في نسيج حركاته وأصواته وفواصله؛ ولا يخفى على أحد ما يتركه هذا الجانب من النظام اللغوي من أثر كبير في النفس البشرية، وما يولده من أحاسيس حين القراءة والتلاوة والسماع. وتظهر أكثر وضوحاً في القراءات القرآنية التي حملت تلوينات صوتية متنوعة؛ تعكس في جوهرها القصد الرباني في التيسير والتسهيل على عباده في فهم كتابه والأخذ بأحكامه.

وقد حمل تفسير الشيخ كعباش إشارات صوتية بليغة؛ تظهر مكانة التشكيل الصوتي في البناء اللغوي للنص القرآني. فعلى صعيد الحركات الصوتية بينما تظلم به من دور تمييزي في تغيير دلالة الألفاظ بين الجمع والإفراد، والقلة والكثرة وسواهما من المعاني؛ ومن ذلك ما جاء في تحقيقه اللغوي في الآية (٢١) من السورة في بيان لفظة ﴿خُطِّبَتْ﴾. جمع خطوة، وهو ما بين القدمين؛ من خطأ يخطو خطأ، والواحدة منها خطوة - بفتح الخاء -، وأما الجمع فيجيء بفتح الخاء وضمها وسكون الطاء وضمها، والمراد بها هنا السيرة والطريقة<sup>(٢)</sup>. فقد تتبع الشيخ التحول الصوتي للحركات ما بين الإفراد والجمع، وكذا الاختيار ما بين الحركات

١- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المكتبة الأنجلو المصرية، ط ٥، ١٩٧٥، القاهرة، مصر، ص ١٥٥.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٦٢.



وهو ما يمكن إرجاعه إلى طبيعة الاستعمال اللهجي في العربية.

ومن ملاحظاته في بيان الدور الذي تضطلع به الأصوات في تحول دلالة اللفظ؛ في الآية (٣٢) من سورة النور؛ وقوفه عند الفعل ﴿وَأَنكحُوا﴾: أي زوّجوا، مزيد بالهمزة وبدونها يكون بمعنى "تزوج" ﴿وَلَا تَنكحُوا الْمُسْرِكَتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١]؛ وماضيه: أنكح<sup>(١)</sup>؛ فهنا نجد ظاهرة صرفية صوتية أصلها زيادة الصوت ونقصانه.

ونجده في بيانه لدلالة اللفظ ﴿لُجِّي﴾<sup>(٢)</sup> في الآية (٤٠) من سورة النور يقول: «لُجِّي» نسبة إلى اللجة - بضم اللام - وهي معظم الماء وبالفتحة: اللجة؛ الصخب في أصوات الناس. ويقال التج الأمر إذا عظم واختلط، والجمع لجج<sup>(٣)</sup>.

نستنتج من خلال هذين القولين ما تؤديه الحركات الصوتية القصيرة من فتح وضم وكسر في تغيير دلالة الألفاظ وتوجيه معناها. وتشارك الحركات الطويلة في أداء الوظيفة نفسها في تشكيل النص القرآني؛ ومن ذلك ما أشار إليه المفسر في سياق تفسيره للآية (٣٣) في بيان دلالة اللفظ ﴿أَلْبَغَاءِ﴾. مصدر من بَاغَتِ الجارية إذا تعاطت الزنا بالأجر واتخذته حرفة. الوصف منه «بَغِيٌّ» يجمع على بَغَايَا، ولا يقال: بَعَتٌ؛ لأن ذلك من البغي [الظلم]<sup>(٤)</sup>.

نلاحظ من خلال هذا التحقيق اللغوي للمفسر أن الحركات الطويلة أدت وظيفتها التمييزية في التفريق بين معنيين مختلفين وهما البغاء والبغي (الظلم)؛ وذلك بالنظر إلى المكون الصوتي لفعليهما؛ وهو وجود الحركة الطويلة في وسط

- ١- نفسه، ص ١٠٥.
- ٢- لُجِّي: الجماعة الكثيرة، وَمُعْظَمُ الماء، كَاللُّجَّةِ، فِيهِمَا، وَمِنْهُ: بَحْرُ لُجِّي، وَالسِّيفُ، وَجَانِبُ الْوَادِي، وَالْمَكَانُ الْحَزَنُ مِنَ الْجَبَلِ، وَلُجَّةُ: الْأَصْوَاتُ، وَالْجَلْبَةُ. وَالتَّجَّتِ الْأَصْوَاتُ: اخْتَلَطَتْ، ، ، . لِلتَّوَسُّعِ يَنْظُرُ: الْفَيْرُوزُ أَبَادِي، الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، مَصْدَرُ سَابِقٍ، مَادَّةُ (لُجَّجٌ)، ص ٢٠٣.
- ٣- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق ص ١٣٦.
- ٤- المصدر نفسه، ص ١١٤.

الفعل (باغت، وبغت). ومن ذلك ما أشار إليه من تحول في الحركة الصوتية الطويلة في آخر الفعل ﴿زَكَ﴾ في الآية (٢١) من السورة: زكا يزكو: صلح، يقال زكا الزرع إذا صلح وماغا<sup>(١)</sup>.

ومن الظواهر الصوتية المميزة في بعض القراءات القرآنية: التسهيل؛ أي التخفيف في نطق الهمزة تجنباً لثقلها، وميلاً إلى تقليل الجهد العضلي في النطق. وهو ما أشار إليه المفسر في سياق تفسيره للآية (٥٢) من السورة. يقول: (ويقال: الزناء<sup>(٢)</sup> من فعل زاني بصيغة المفاعلة، ويخفف همزة فيكون مقصوراً. الزنا: وهو كل اتصال غير شرعي بين رجل وامرأة، فإن تم ذلك بعوض فهو البغاء)<sup>(٣)</sup>.

وهو ما نجده أيضاً في بيانه لدلالة ﴿سَنَا بَرْقِي﴾ من الآية (٤٣) من السورة؛ بقوله: السَنَا<sup>(٤)</sup> - بالقصر - ضوء البرق؛ وبريق النار، والسنا - بالمد - الشرف والرفعة<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك ما نجده في الآية ٣٩ من سورة النور في بيان دلالة لفظة ﴿الظَّمَّانُ﴾: العطشان، يجمع ظمَاءً وَعِطَاشٌ، وقد تخفف همزته فيقال: الظَّمَّانُ<sup>(٦)</sup>.

وربما أشار الشيخ المفسر - من غير تصريح - إلى نوع من المماثلة الصوتية<sup>(٧)</sup> البارزة في بعض الأصوات، كما هو الحال في الآية ٣٠ من سورة النور؛ فالفعل ﴿يَعْضُؤُا﴾: من مادة الغض؛ أي النقص أو الحفظ ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي

١ - محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق ص ٦٢.

٢ - ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص ٣٨٤.

٣ - محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٧.

٤ - السَنَا في اللغة: السَنَى: ضَوْءُ الْبَرْقِ، وَبُنْتُ مُسْهَلًا لِلصَّفْرَاءِ وَالسُّودَاءِ وَالْبَلْغَمِ، وَيَمْدٌ، وَضَرْبٌ مِنَ الْحَرِيرِ، وَوَادٍ يَنْجِدُ. سَنَاءٌ: الرَّفْعَةُ. أَسْنَاهُ: رَفَعَهُ، ، . للتوسع ينظر: الفيروزبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، مادة (سنى)، ص ١٢٩٦.

٥ - محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٤٤.

٦ - المصدر نفسه، ص ١٣٦.

٧ - ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص ١٧٩.

مَشِيكَ وَأَعْضُضٌ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿ [لقمان: ١٩] . و غَضَّ بصره بمعنى صرفه عن التحديق في شخص أو تثبيت النظر إلى شيء ما، ويكون ذلك إما حياء أو احتشاماً أو خوفاً أو مذلة<sup>(١)</sup>؛ فحرفا الضاد جاءا مدغمين في سورة النور؛ وفي الشاهد فك إدغامهما. كما في الآية (٣١) من سورة النور في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ .

### ٣- الدلالة الصرفية

تستمد هذه الدلالة من الصيغ الصرفية وأبنيتها؛ كالمشتقات، وأبنية المصادر وصيغ الجموع والتثنية والإفراد في الأسماء، والزيادة في الأفعال؛ وما يلحقها من صور الإعلال والقلب والإبدال. فكل تغير في بنية الكلمات سواء بالزيادة أو النقصان يؤدي بالضرورة إلى التغير في دلالاتها؛ وقد شاعت في الدرس اللغوي عبارة جامعة واصفة لهذه الظاهرة؛ ((كل زيادة في المبنى زيادة في المعنى))؛ ويوضح ذلك ابن جني (ت ٣٩٢هـ) عندما يجعل: (الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم: قَطَعَ وَقَطَعَ، وَكَسَرَ وَكَسَّرَ، زادوا في الصوت لزيادة المعنى واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه)<sup>(٢)</sup>. وقد أخذ هذا النوع من الدلالة عند الشيخ كعباش حيزاً معتبراً من تحقيقاته اللغوية في تفسيره لسورة النور؛ ففي سياق بيانه لدلالة الألفاظ في السورة؛ تتبع أبنية الألفاظ وأوجه اشتقاقها الصرفي، والمقارنة بين صيغها الاسمية والفعلية؛ وإخضاعها للميزان الصرفي.

عرض المفسر لأبنية المشتقات في نحو؛ ما نجد في تفسيره للآية الثانية (٥٢)

١- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٨٦.  
٢- ابن جني أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تخ، علي ناصف النجدي، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، ١٩٩٤، ج ٢، ص ٤٥.

من السورة بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾: اسم فاعل من فعل زنى يزني. وفي سياق بيانه لدلالة لفظة (لي) في الآية (١١) من السورة يعرض لصيغة اسم الفاعل وصيغة المبالغة (الأفك): من أفك يَأفكُ فهو أفك (اسم فاعل على وزن فاعل) وأفك (صيغة مبالغة على وزن فَعَال): الكذب الصراح<sup>(١)</sup>. وفي بيانه لدلالة لفظة ﴿الْكَنْبَ﴾ في الآية (٣٣) من السورة: الكتاب: والمكاتبه<sup>(٢)</sup> مصدر كاتب<sup>(٣)</sup>؛ مفاعلة بين اثنين يكتب بينهما صكَّ اتفاقية على أمر ما، والمكاتبه في المصطلح الشرعي: أن يكتب السيد عبده على مال يؤديه مقسِّطاً عليه لأجل يتفقدان عليها<sup>(٤)</sup>.

ووقف المفسر عند دلالات صيغ الجموع والإفراد في الأسماء؛ مثل لفظة ﴿طَائِفَةٌ﴾؛ - واللفظة في أصل بنيتها اسم مشتق من فعل طَافَ - في الآية (٥٢) من السورة؛ الطائفة: جماعة من الاثنين فصاعداً، ولا يقال للواحد طائفة<sup>(٥)</sup>. وفي لفظة ﴿عُصْبَةٌ﴾ في الآية (١١)؛ العُصْبَةُ<sup>(٦)</sup>، والعصبة: الجماعة تكون من العشرة إلى الأربعين.

ومن ذلك ما جاء في بيان دلالة لفظة ﴿بِقِيَعَةٍ﴾<sup>(٧)</sup> في الآية (٣٩)؛ ما انبسط

- ١- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٤٥.
- ٢- من ألفاظ الأحكام الدالة على مسألة شرعية هي «مسألة المكاتب» التي اختلف فيه العلماء في حكمها الشرعي؛ للتوسع ينظر: ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي (ت ٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، تخ: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٣، ٢٠٠٣، بيروت، لبنان، ج ٥٣، ص ٣٩٧.
- ٣- فاعل: فعل ثلاثي مزيد بألف؛ وتزاد ألفه لثلاثة معان وهي: المفاعلة، والتكثير، والمولاة. للتوسع حول دلالة هذه الصيغة ينظر: الاسترباذي رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تخ: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٩٨٢، ج ٥١، ص ٩٦. و سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، مصدر سابق، ج ٥٤، ص ٦٨.
- ٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١١٤.
- ٥- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٧، ص ٤٥.
- ٦- العُصْبَةُ (بالضم)، من الرِّجَالِ والحَيْلِ والطَّيْرِ: ما بَيْنَ العَشْرَةِ إلى الأربَعين، كالعصبة (بالكسر)؛ واعتصبوا: صاروا عُصْبَةً. للتوسع ينظر: الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مادة (عَصَب)، ص ١١٥.
- ٧- قَوْعٌ: المسطح يُلقَى فيه التَّمْرُ أو البُرُّ، ج: أقوَعٌ. قَاعٌ: أرضٌ سَهْلَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ، قد انْفَرَجَتْ عنها الجبال والأكامُ، ج: قِيعٌ وقِيعَةٌ وقِيعَانٌ وأقوَعٌ وأقوَعٌ. للتوسع ينظر: الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مادة (قَوْع)، ص ٧٥٧.

من الأرض واتسع ولم يكن فيه نبت؛ قيل: هي جمع قاع كحبيرة جمع حبار، وقيل: هو مفرد غلب لفظ الجمع فيه؛ ويقال في الجمع: أقوع وأقواعٌ وقيعان.

وفي نحو بيانه لدلالة اللفظ ﴿وَالْأَصَالِ﴾ في الآية (٣٦) الْأَصَالِ: مفردة أصيلٌ؛ آخر النهار؛ ويقال: الغدو والرواح. عبّر العرب به عن خروج الرعاة بأغنمهم في الصباح ورجوعهم بها في المساء؛ ثم استعمل لكل خروج في ذينك الوقتين.

وفي بيان لدلالة لفظ (مُنْج) في الآية (٤٣)؛ خِلَالِ: جمع خَلَلٌ<sup>(١)</sup>؛ وهي الفرج ومخارج القطر منه، فالسحب شبيهه بالغربال لتوزيع قطرات الماء حتى لا تفسد ما في الأرض<sup>(٢)</sup>.

وصيغ الأفعال بأنواعها تدل على الحدث وزمانه، وما يتصل بهذه الأفعال من حروف الزيادة، والتوكيد، واللواحق وما يدخلها من التضعيف وغيره. كل ذلك له أثره في توجيه المعنى<sup>(٣)</sup>؛ فمِمَّا يُوَثِّرُ فِي دَلَالَةِ أُنْبِيَةِ الْأَفْعَالِ الصَّرْفِيَةِ مَا يَلْحَقُهَا مِنْ حُرُوفِ الزِّيَادَةِ الَّتِي إِذَا أُضِيفَ بَعْضُهَا إِلَى بَنِيَةِ الْفِعْلِ لُتُخْرِجَهُ إِلَى عِدَّةِ دَلَالَاتٍ حَسَبِ حُرُوفِ الزِّيَادَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ كَعَبَاشٍ فِي سِيَاقِ بَيَانِ دَلَالَةِ الْفِعْلِ الْأَمْرِ ﴿وَأَنْكِحُوا﴾ من [النور: ٣٢]: أي زوجوا، مزيد بالهمزة وبدونها يكون بمعنى «تزوَّج» في مثل قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١]<sup>(٤)</sup>. وفي بيان دلالة الفعل المضارع المجزوم ﴿وَلَيْسَتَّعَفِّفَ﴾<sup>(٥)</sup> في

- ١- خَلَلٌ: مُنْفَرَجٌ مَا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، خَلَلٌ مِنَ السَّحَابِ: مَخَارِجُ الْمَاءِ.. كَخَلَالِهِ.. هُوَ خَلَلْتُهُمْ وَخَلَلْتُهُمْ وَخَلَلْتُهُمْ: بَيْنَهُمْ. لِلتَّوَسُّعِ يَنْظُرُ: الْفَيْرُوزُ أَبَادِي (ت١١٧هـ)، الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، مَادَّةُ (خَلَلٌ)، ص ٩٩٤.
- ٢- مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ سَعِيدِ كَعَبَاشٍ، شَرْحُ الصَّدُورِ لِتَفْسِيرِ سُورَةِ النَّوْرِ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ، ص ١١٤.
- ٣- عَبْدِ الْغَفَّارِ حَامِدِ هَلَالٍ، عِلْمُ الدَّلَالَةِ اللَّغَوِيَّةِ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، ص ٣٢.
- ٤- مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ سَعِيدِ كَعَبَاشٍ، شَرْحُ الصَّدُورِ لِتَفْسِيرِ سُورَةِ النَّوْرِ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ، ص ١٠٥.
- ٥- وَالْفِعْلُ اسْتَعْفَى عَلَى وَزْنِ اسْتَفْعَلَ؛ وَأَشْهُرُ مَعَانِيهِ: الطَّلَبُ وَالسُّؤَالُ صَرِيحًا أَوْ تَقْدِيرًا، وَلِلتَّحْوِيلِ، وَلِلإِعْتِقَادِ، وَلِلإِتِّخَاذِ، وَقَدْ يَجِيءُ لِمَعَانٍ أُخْرَى غَيْرِ مُضْبُوطَةٍ. لِلتَّوَسُّعِ يَنْظُرُ: الْاسْتِرْبَازِيُّ رَضِيَ الدِّينُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ (ت١٦٨٦هـ)، شَرْحُ شَافِيَةِ ابْنِ الْحَاجِبِ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ، ج ١، ص ١١٠.

سورة النور الآية (٣٣)؛ طلب أن يكون عفيفاً.<sup>(١)</sup> وقيل: إن زيادة السين والتاء هنا للمبالغة لا للطلب، فيكون بمعنى عَفَّ يَعْفُ<sup>(٢)</sup>.

وفيما يخص الأسماء فقد حمل التفسير إشارة إلى أصل بعض الأبنية، ومن ذلك بيانه لدلالة اللفظ «التحية» في قوله تعالى: ﴿تَحِيَّاتٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَاتٌ طَيِّبَةٌ﴾ [النور: ٦١]؛ في قوله: التحية أصلها من الحياة؛ لأن العرب قبل الإسلام يقولون: «حياك الله وبياك»، فجاء الإسلام فرفعها إلى طلب السلامة للمؤمن دنيا وأخرى<sup>(٣)</sup>.

#### ٤ - الدلالة النحوية

وهي التي تختص بدلالات نظام الجمل وترتيبها، وما يلحقها من تغييرات في البناء والتركيب؛ كالحذف والتقدير، والتقديم والتأخير؛ وربما استعمل بعض الدارسين المعاصرين مصطلح «الدلالة التركيبية» لوصف هذه الدلالة؛ لا سيما إذا كان هناك ربط بين البنية والوظيفة. ولا يخفى (أن نظام الجملة العربية، أو هندستها يحتم ترتيباً خاصاً لو اختل أصبح من العسير أن يفهم المراد منها)<sup>(٤)</sup>.

استرعى هذا النوع من الدلالة اللغوية نظر الشيخ كعباش فنال قسطاً وافراً ومهماً من تفسيره للسورة، إذ خصّه بالدراسة والتحليل؛ وذلك من خلال تحديد مواقع الألفاظ ووظائفها النحوية، وترتيبها في الجمل، وفي كثير من ألفاظ القرآن الكريم ترتبط الوظائف النحوية بأوجه القراءات القرآنية؛ ومن ذلك ما عرض له

١- عَفَّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْأَطْمَاعِ الدُّنْيَةِ يَعْفُ عَفَّةً وَعَفَاً وَعَفَافاً وَعَفَافَةً، فَهُوَ عَفِيفٌ وَعَفٌّ، أَيْ كَفَّ وَتَعَفَّفَ وَاسْتَعَفَّفَ وَأَعْفَهُ اللَّهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً؛ فَسَرَهُ ثَعْلَبٌ فَقَالَ: لِيَضْبُطَ نَفْسَهُ بِمَثَلِ الصُّومِ فَإِنَّهُ وَجَاءَ. وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفِهِ اللَّهُ. لِتَوْسِعَ يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ أَبُو الْفَضْلِ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرَمٍ (٥٧١١هـ)، لِسَانِ الْعَرَبِ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ، مَادَةٌ (عَفَفَ).

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٠٦.

٣- المصدر نفسه، ص ١٨٦.

٤- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص ٤٨.

الشيخ كعباش في تفسيره للآية (٥٦) في قوله تعالى: ﴿أَزْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾ بقوله: قراءة نافع والجمهور<sup>(١)</sup> بالنصب على المفعول المطلق، وخبر ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ محذوف مقدر هكذا: فشهادة أحدهم واجبة أو لازمة<sup>(٢)</sup>.

كما عرض الشيخ لتراكيب الشرط وبين التقدير في جوابها المحذوف<sup>(٣)</sup> والتي تكررت في سورة النور أربع (٥٤) مرات في الآيات ١٠، ١٤، ٢٠، ٢١-؛ في مثل الآية (١٠) العاشرة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ وضح ذلك بقوله: جواب الشرط مقدر هكذا: لأصبحتم في عنت وخرج، ولانتقم بعضكم من بعض، وحذفه لقصد التهويل<sup>(٤)</sup>.

وتكرار هذا التركيب اللغوي: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ له دلالاته الأخلاقية والاجتماعية، يقول المفسر: (هذا التذكير الإلهي بفضل الله ورحمته على المؤمنين في شأن تزكية النفس، وأن ذلك يتم بفضل الله، لأنه تعالى لو كان يجازينا بالعدل والميزان لما أفلحنا في الحساب، فكم من الألفاظ الإلهية في «حادثة الإفك» تحققت للمجتمع المسلم، وكم من خير عظيم لحقه منها وإن خفي على كثير من الناس)<sup>(٥)</sup>.

كما بين الشيخ كعباش أنماط الإسناد ودلالاته التركيبية<sup>(٦)</sup>، وما يلحق هذا الأنماط من تقديم وتأخير، أو حذف وتقدير.

١- وفي قراءة حفص عن عاصم بالرفع، وتعرب «أَزْبَعُ» في هذه الحالة خبر للمبتدأ «شَهَادَةٌ». للتوسع ينظر: فتحي الطيب الخماسي، مصحف القراءات؛ لأشهر القراءات المتداولة في العالم الإسلامي، إشراف: علي أبو الخير، دار الخير، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٩، ص٣٥٠.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٤٨.

٣- ينظر في أسلوب الشرط ومعاني أدواته: الاسترأباضي رضي الدين محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ)، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تخ: يحي بشير مصري، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٩٦، القسم ٢، الجزء ١، ص١٣٩٧.

٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٣٩.

٥- المصدر نفسه، ص٦٥.

٦- ينظر في أنماط الإسناد ودلالاته: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأباضي (ت٦٨٦هـ)، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، مصدر سابق، القسم الأول ج ١، ص١٦.

ومن ذلك ما ورد في دلالة الفعلين: ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾<sup>(١)</sup> في الآية الأولى من السورة حيث: أسند الإنزال إلى الله تعالى، ليدل ذلك على عظم شأنها، و«فرضناها» بمعنى أوجبنا العمل بها على اعتبار ما ورد فيها من الأحكام أو بمعنى التعيين كما ثبت ذلك في علم الله<sup>(٢)</sup>.

وتحدث في السياق نفسه عن التناسب في تعاقب أنماط الجمل في السورة؛ ومن ذلك ما جاء في تفسيره للآية (٣٥) من السورة، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جملة معترضة بين الآية السابقة: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: ٣٤]، والآية اللاحقة: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ﴾، فقال معللاً ذلك: ومناسبة موقع جملة ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ﴾ بعد جملة: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ إن الآيات القرآن نوراً، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] ... فكان قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كلمة جامعة لمعان جمّة تتبع معاني النور في إطلاقه في الكلام<sup>(٣)</sup>.

وحمل تفسير هذه السورة إشارات متفرقة لحروف المعاني، وما تضطلع به من وظائف نحوية ودلالية في سياقها التركيبي في غير موضع من السورة؛ ومن ذلك بيانه لوظيفة ألف التعريف ولامه «ال»<sup>(٤)</sup> في الاسمين: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [النور:

١- أَنْزَلْنَاهَا صفة لسورة؛ والنَّصْبُ عَلَى وَجْهَيْنِ، على معنى أَنْزَلْنَا سُورَةَ، كما تقول: زيداً ضربته، وعلى معنى اتل سورة أنزلناها. وَفَرَضْنَاهَا بتخفيف الراء، ويقرأ بالتشديد في الراء؛ فمن قرأ بالتخفيف فمعناه: ألزمتكم العمل بما فرض فيها، ومن قرأ بالتشديد فعلى وجهين؛ أحدهما على معنى التأكيد؛ على معنى أنا فرضنا فيها فروضاً كثيرة، وعلى معنى بينا وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام. للتوسع ينظر: الزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تخ: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ١٩٨٨، ج ١، ص ٢٧.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٤.

٣- المصدر نفسه، ص ١٢٣.

٤- تدخل ألف التعريف ولامه عَلَى اسمين: متمكن وغير متمكن فالذي هو غير متمكن «الذي» و«التي». والمتمكن قولنا: «رجل»، ثم يكون ذلك للجنس والتعريف. للتوسع ينظر: ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، الصحاحي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٩٩٧، ص ٦٣.



٥٢]: دخلت «ال» الجنسية عليه، فهو يفيد تحقق الوصف في الموصوف لا غير؛ أي كل من اتصف بالزنا سيّداً كان أو عبداً محصناً أو غير محصن<sup>(١)</sup>.

وعرض لحرف «لولا» والمعاني النحوية السياقية له في سورة النور التي تكررت في السورة سبع (٥٧) مرات في الآيات ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٠، ٢١؛ فقد جاءت شرطية تفيد معنى الامتناع للوجود في أربعة مواضع سبقت الإشارة إليها، كما جاءت بمعنى التحضيض بالأداة «لولا» التي بمعنى «هلا» في نحو الآيتين (١٢) و(١٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾، هذا التركيب اللغوي تكرر مرتين ليحمل معنى التوبيخ والتقريع<sup>(٢)</sup> المصدر بـ «لولا»، وقد جاء في الآية (١٣) بصيغة: ﴿لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ﴾ للمعنى نفسه، وهو التوبيخ، ليذكر بما شرعه الله لهم في القذف ووجوب الاستناد في ذلك إلى أربعة شهود، وقد أعقب هذا التوبيخ بأسلوب لغوي بلاغي وهو الحصر<sup>(٣)</sup> ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ للمبالغة في تصوير شناعة موقف الإفك، وقد ورد التحضيض بالحرف بـ «ألا» في الآية (٢٢) وهو قوله تعالى: ﴿الْأَلْحَبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. للدعوة إلى السعي في أعمال البر<sup>(٤)</sup>. وهذا التلاحم بين الأساليب النحوية والبلاغية في كشف الدلالات اللغوية يعد الطريق الأمثل لإيضاح البيان القرآني وأوجه إعجازه؛ ويؤكد ذلك الترابط الشديد بين علم النحو وعلم المعاني والبلاغة بشكل عام في قراءة النصوص وفهمها؛ وهو ما

- ١- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٧.
- ٢- جاء في شرح الرضي لكافية ابن الحاجب عن حروف التحضيض: اعلم أن معناها إذا دخلت في الماضي: التوبيخ واللوم على ترك الفعل. ومعناها في المضارع الحض على الفعل والطلب له، فهي في المضارع بمعنى الأمر. للتوسع ينظر: الاسترأبادي رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، مصدر سابق، القسم ٥٢، الجزء ٥١، ص ١٣٨٦.
- ٣- الحصر في هذه الآية تحقق بضمير الفصل «هم»، وقد ذكر العلماء له ثلاث فوائد: تأكيد المسند إليه، والاختصاص، وبيان أن المسند خبر لا صفة، يعنون أنه يفيد التأكيد إذا لم يفد الاختصاص. فإن أفيد القصر بطريق آخر كأن يكون الخبر معرّفاً «بال» دل ضمير الفصل على تأكيد الحصر، سواء كان من قصر المسند على المسند إليه أو العكس. للتوسع ينظر: صباح عبيد دراز، أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط ٥١، ١٩٨٦، ص ١٣٥.
- ٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ٥٤، ٦٣.

أحسب أنه يحتاج إلى دراسة مفردة مستفيضة في هذا التفسير.

وعطفًا على ما سلف في بيان أسس منهج العلامة «محمد بن إبراهيم سعيد كعباش»؛ يمكن القول إن هذا النص التفسيري لسورة النور قد مال به صاحبه إلى منحى الاتجاه التفسيري اللغوي راغبًا من توظيف اللغة مسلكًا أمينًا لإصابة الحق في تفسير القرآن وتأويله، وربما ذلك ما عناه قديمًا الطبري (ت ٣١٠هـ) بقوله في أحق المفسرين بإصابة الحق: (مَا كَانَ عِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَذَلِكَ عِلْمٌ تَأْوِيلٌ غَرِيبٌ وَإِعْرَابٌ، لَا يُوَصَّلُ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمْ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَأَحَقُّ الْمَفْسَّرِينَ بِإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ الَّذِي إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ لِلْعِبَادِ السَّبِيلُ، ، وَأَوْضَحُهُمْ بَرَهَانًا فِيمَا تُرْجَمُ وَبَيْنَ مَنْ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ مُدْرِكًا عِلْمَهُ مِنْ جِهَةِ اللِّسَانِ، إِمَّا بِالشَّوَاهِدِ مِنْ أَشْعَارِهِمُ السَّائِرَةِ، وَإِمَّا مِنْ مَنْطِقِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ الْمُسْتَفِيضَةِ الْمَعْرُوفَةِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ ذَلِكَ الْمَتَأَوَّلُ وَالْمَفْسَّرُ، ، )<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا النهج جعل الشيخ كعباش من التحليل اللغوي لأبنية الألفاظ القرآنية وأصواتها وتراكيبها مجالًا رحبًا لتفسيره السهل والمبسط لمعاني القرآن الكريم؛ حتى يفهم خطابه العامة والخاصة من الناس؛ مستفيدًا من رحابة اللغة العربية واتساعها، وما ألهمته التفاسير القديمة والحديثة من آليات النظر المعرفي في أبنية ألفاظ القرآن الكريم وإعرابها، وإن كنت قصرت كلامي على مقولات المفسر فإظهارا لجهده التفسيري وإبرازًا لأرائه؛ إلا أنه يجب التأكيد أن صرح نصه التفسيري ينهض على تفاسير عدة؛ أمدته القدرة على المراجعة والمقابلة بين المعاني الطافحة بها والترجيح بينها، واكتفى في بعض الأحيان في الاستشهاد بها بما تضمنته من دلالات لغوية، يسرت له التعبير عن مقاصده التفسيرية، ومن أشهر هذه التفاسير التي تردد ذكرها:

١- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تخ: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠١، ج ١، ص ٨٨.

- جامع البيان عن تأويل أيّ القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).
- وتفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)<sup>(١)</sup>.
- والتفسير الكبير للإمام محمد الرازي فخر الدين (ت ٦٠٤هـ)<sup>(٢)</sup>.
- وتفسير القرآن العظيم لابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ).
- تفسير التحرير والتنوير للمفسر محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٣م).
- وفي رحاب القرآن الكريم للمفسر إبراهيم بن عمر بيوض (ت ١٩٨١م)<sup>(٣)</sup>.
- وغيرهم من المفسرين قدامى ومحدثين ممن برعوا في تفاسيرهم في عرض جوانب الدلالة اللغوية في القرآن الكريم.

هذه بعض الجوانب الدلالية اللغوية التي طُفِحَ بها نص تفسير الشيخ كعباش؛ والتي أحسب أنها تسهم في الاقتراب من النص القرآني وإدراك معانيه؛ وليس يخلو هذا النمط من الأبحاث من أهمية في فهم كتاب الله ووجوه إعجازه الخالدة؛ (فعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارةً أبين وأثور، كان أنفع وأنجع. والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي

١- ينظر: الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تخ: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٢٠٠٣، ٠٣٣.

٢- ينظر: الرازي الإمام محمد فخر الدين (ت ٦٠٤هـ)، التفسير الكبير، بيروت، لبنان، ط ١٩٨١، ٠١.

٣- ينظر: إبراهيم بن عمر بيوض (ت ١٩٨١م)، في رحاب القرآن الكريم، تخ: الشيخ الناصر بن محمد المرموري، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط ٢٠٠٠، ٠١.

سَمِعْتَ اللهُ عز وجل يمدحُه. ويدعو إليه ويحثُّ عليه. بذلك نطقَ القرآن، وبذلك تفاعرتُ العربُ، وتفاضلتُ أصنافُ العَجَمِ<sup>(١)</sup>.

### الخاتمة

والذي نخلص إليه بعد دراسة منهج العلامة محمد بن إبراهيم سعيد كعباش في تفسيره لسورة النور مبلغ الأثر للدلالة اللغوية في توجيه المعنى في القرآن الكريم واستنباط أحكامه؛ قصد تسهيل فهمها للعامة من الناس؛ وقد أظهر علماء التفسير قديماً وحديثاً حرصهم على إجادة علوم اللغة العربية وإتقانها، فكانت تفاسيرهم منهلاً عذباً لاستقامة المنهج وسلامة التصور، وصورة ناصعة للمنهج اللغوي السليم؛ ومن أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة:

- ١- إسهام المفسرين قديماً وحديثاً في وضع أسس الممارسة اللغوية الدلالية؛ بأبحاثهم المتنوعة عن الدلالة اللغوية؛ وكانت محاولاتهم في إدراك سنن اللغة العربية وكنه أسرارها المطيئة المثلى لتحقيق مقاصدهم الشرعية.
- ٢- كشفت الدراسة عن تنوع مصادر الدلالة اللغوية عند المفسر الشيخ كعباش، لتظهر للدارس صورة المفسر المدرك لمراتب الاستشهاد اللغوي وصحته، والذي يتدرج من القرآن الكريم، فالحديث الشريف، ثم كلام العرب؛ شعراً ونثراً. ليصل به إلى الارتكاز على أقوال علماء السلف والمفسرين.
- ٣- بدت الدلالة اللغوية ذات أثر واضح عند المفسر؛ فهي الوسيلة الأنجع عنده للوصول إلى معاني الآيات القرآنية؛ وهو حين يريد توضيح ما تضمنته آية من الآيات من الأحكام؛ ينطلق مما أسماه بـ «التحقيق اللغوي» لها ثم ينتقل إلى الشرح والتفسير؛ وهذا المنهج اللغوي له أهميته في استنباط الأحكام

١- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تخ: علي أبو ملح، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (٥.ط)، ٢٠٠٢، ص ٨١.

الشرعية المتضمنة في السورة، ويعزز من القيمة اللغوية والبلاغية لهذا التفسير.

٤- هيمنت الدلالة المعجمية على التفسير؛ لأنها تحقق مقاصد المفسر في تفسيره؛ وهي التيسير والتسهيل لألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه؛ حتى يفهم العامة من الناس الأحكام الشرعية المتضمنة في آيات السورة؛ ولهذا صح وصفها بالدلالة الاجتماعية؛ والمفسر لا يكتفي في أحيان كثيرة بإيراد وجه واحد لمعنى اللفظ بل يقلبه على وجوهه المختلفة؛ وقد رأينا هذا المسلك في تفسير الطبري (ت ٣١٠هـ) الذي (يَعْمَدُ إِلَى تَحْلِيلِ الْأَلْفَاظِ تَحْلِيلًا مُعْجَمِيًّا، وَذَلِكَ بِتَوْجِيهِ الْكَلِمَةِ إِلَى أَصْلِهَا، أَوْ مَفَارِقَتِهَا عَنْ شَبِيهَاتِهَا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسَالِبِ الَّتِي اتَّخَذَهَا أَصْحَابُ مُعْجَمِ اللُّغَةِ فِي بَيَانِ دَلَالَةِ الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ)<sup>(١)</sup>.

٥- من منهج المفسر الأخذ بالدلالة الصوتية؛ وهو ما يظهر مكانة البناء الصوتي وإيقاعه في النص القرآني؛ إذ عرض للحركات الصوتية قصيرة وطويلة وأثرها في تغيير دلالة الألفاظ القرآنية، إلى جانب رصده لظواهر صوتية ترتبط بالقراءات القرآنية مثل التسهيل والتخفيف.

٦- كانت للمفسر عناية خاصة بالدلالة الصرفية تجلت في تتبعه للتغيرات التي طرأت على صيغ المفردات القرآنية في السورة، وما أحدثته الزيادة في المباني من تغير في المعاني وما أكسب ذلك من خصوصية للتعبير القرآني.

٧- اعتنى المفسر عناية خاصة بالدلالة النحوية في إيضاح الجانب التركيبي للنص القرآني؛ من خلال تحديد الوظائف النحوية للألفاظ القرآنية في سياقها التركيبي، وبيان أنماط الإسناد اللغوي، وما يلحقه من حذف وتقدير أو تقديم

١- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٢هـ، ص ١٩٠.

- أو تأخير؛ وعرض لحروف المعاني لما تضطلع به من وظائف نحوية ودلالية.
- ٨- ألهمت التفاسير القديمة والحديثة المفسر الشيخ كعباش أسس التحليل اللغوي، وآليات النظر المعرفي في أبنية ألفاظ القرآن الكريم وإعرابها ودلالاتها.
- ٩- وجامع القول أن من أسس المنهج التفسيري عند العلامة «محمد بن إبراهيم سعيد كعباش» في سورة النور الميل إلى منحى الاتجاه التفسير اللغوي راغباً من توظيف اللغة مسلماً أميناً لإصابة الحق في تفسير القرآن وتأويله.

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبراهيم أنيس (ت ١٩٧٧م)، الأصوات اللغوية، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٥، ١٩٧٥.
- إبراهيم أنيس (ت ١٩٧٧م)، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٥، ١٩٨٤.
- إبراهيم بن عمر بيوض (ت ١٩٨١م)، في رحاب القرآن الكريم، تحقيق: الشيخ الناصر بن محمد الرموري، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط ١، ٢٠٠٠م.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط ٥، ١٩٩٨م.
- الاسترأباضي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، شرح الرضي لشافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م.
- الاسترأباضي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق: يحي بشير مصري، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٩٩٦م.
- أبو الأعلى المودودي (ت ١٩٧٩م)، تفسير سورة النور، تر: محمد عاصم الحداد، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٦٠م.
- الألباني محمد ناصر الدين (ت ١٩٩٩م)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٩٩٥م.
- الألباني محمد ناصر الدين (ت ١٩٩٩م)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٨م.
- إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت ط ١، ١٩٨٢م.
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٢م.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق: إبراهيم عوض، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط ٢٠٠٢، ١٩٧٥.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تح: علي أبو ملح، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (د.ط)، ٢٠٠٢م.
- ابن جنبي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٦م.
- ابن جنبي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي ناصف النجدي، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، ١٩٩٤م.
- الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام (ت ٢٣١هـ)، تقديم ومراجعة: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢٠٠٢، ١٩٩٤م.
- الرازي، أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر (ت ٢٧٧هـ)، الزينة معجم اشتقاقي في المصطلحات الدينية والثقافية، تحقيق: سعيد الغامبي، منشورات الجمل، بغداد، د.ط، ٢٠١٥.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د.ط، ١٩٨٦م.
- الرازي، محمد فخر الدين (ت ٦٠٤هـ)، التفسير الكبير، بيروت، لبنان، ط ٠١، ١٩٨١م.
- الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط ٠٤، ٢٠٠٩م.
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ٠١، ١٩٨٨.
- زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ٠١، ١٩٩١م.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٠٣، ٢٠٠٣م.



- ابن زيدون (ت٤٦٣هـ)، ديوان ابن زيدون، تحقيق: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٠٢، ١٩٩٤.
- سعيد الأفغاني (ت١٩٩٧م)، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٠١، ١٩٨٧م.
- سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، انشراح الصدور في تدبر سورة النور، دار العاصمة، الرياض، ط٠١، ٢٠٠٥م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٠٣، ١٩٨٨م.
- السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، ١٩٩٦م.
- السيد محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٠١، ٢٠٠٣م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر (ت٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، ١٩٨٦.
- الشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي الحسنيني (ت٨١٦هـ)، التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د. ط، ١٩٨٥م.
- صباح عبيد دراز، أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط٠١، ١٩٨٦م.
- طاهر الجزائري، ابن الشيخ صالح بن أحمد (ت١٩٢٠م)، أشهر الأمثال، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط٠١، ٢٠١٢م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط٠١، ٢٠٠١م.
- ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي (ت٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٠٣، ٢٠٠٣م.

- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ١، ١٣٧٩هـ.
- ابن فارس أحمد بن زكريا الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، الصحاحي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٧م.
- فتحي الطيب الخماسي، مصحف القراءات؛ لأشهر القراءات المتداولة في العالم الإسلامي، إشراف: علي أبو الخير، دار الخير، دمشق، ط ١، ٢٠٠٩م.
- الفيروز آبادي أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ٢٠٠٥م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٩٩٩م.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ط، ١٣٧٢هـ.
- مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.
- مجموعة من المؤلفين، فعاليات مهرجان ختم تفسير القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، دار الكتاب الملكي، بئر التوتة، ط ١، ٢٠١٥م.
- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، المطبعة العربية، غرداية، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين أبو الفضل (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة دار الجليل، بيروت، (د. ط)، ١٩٨٨م.
- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، د. ط، ١٣٦٤هـ.

- محمد نور الدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٧.
- محمود أحمد الزين، أهمية اللغة العربية في فهم القرآن والسنة، دائرة الشؤون الإسلامية، دبي، ط١، ٢٠٠٩ م.
- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢ هـ.
- النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢ م.

## References:

- The Holy Quran.
- Ibrahim Anis, Linguistic Sounds, Anglo-Egyptian Library, Cairo, T05, 1975.
- Ibid, Semantics, The Anglo-Egyptian Library, Cairo, I 05, 1984.
- Ibrahim bin Omar Baywad (1989), in Rihab al-Quranah, Investigation: Sheikh Nasser bin Mohammed al-Murmuri, Publications of the Ministry of National Heritage and Culture, Muscat, Sultanate of Oman, T01, 2000.
- Ahmad Mukhtar Omar, Semantics, World of Books, Cairo, I 05, 1998.
- Al-Astrabadi, Radhi Al-Din Muhammad bin Al-Hassan (d. 686 AH), Sharh Al-Radhi by Kafia Ibn Al-Hajib, Auditing: Yahya Bashir Masri, published Imam Mohammed Bin Saud Islamic University, Riyadh, I 01, 1996.
- Ibid, Sharh Al-Radhi for Shafi'a Ibn Al-Hajib, Auditing: Muhammad Noor Al-Hassan and others, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Ed. 01, 1982.
- Abu al-Ala al-Mawdudi (d. 1979 AD), the interpretation of Surat al-Nur, see: Muhammad Asim al-Haddad, Dar al-Fikr, Damascus, ed. 01, 1960.
- Al-Albani Muhammad Nasser al-Din (1999 CE), Sahih al-Jami' al-Saghir and its Increase, Islamic Office, Beirut, (3th edition), 1988.
- Ibid, a series of authentic hadiths and some of their jurisprudence, Al-Maaref Library, Riyadh, (01th edition)1995.
- Emile Badi Yacoub, Arabic philology and characteristics, Dar Al-Alam for Millions, Beirut, (I 01), 1982.
- Al-Bukhari Abu Abdullah Muhammad bin Ismail (d. 256 AH), Sahih Al-Bukhari, Dar Ibn Katheer, Damascus, , (I 02), 2002.
- Al Tirmidhi, Abu Issa Mohammed Bin Issa(d. 279 AH), Al Jami' Alsahih (The Right Compilations). Auditing: Ibrahim Awad. Mustafa Al-Halabi Library, Cairo, (2nd ed.), 1975.
- Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr (d. 255 AH), Al-Bayan and al-Tabyeen, Auditing: Ali Abu Melhem, Al-Hilal House and Library, Beirut, Lebanon, (D. i), 2002.
- Ibn Jani, Abu al-Fath Othman (d. 392 AH), Al Khasais, Auditing: Muhammad Ali al-Najjar, Dar al-Kutub al-Masria, Cairo, (d. I), 2006.

- Ibid, almuhtasab fi tabyiyn wujuh shiwadh alqarra'at wal'iidah eanha, Auditing: Ali Nassef Al-Najdi, Abdel-Fattah Ismail Shalaby, Committee for the Revival of Islamic Heritage, Ministry of Endowments, Cairo, Egypt, 1994.
- Alkhatib altabriziu, sharah diwan 'abi tmam(t231h), Auditing: raji al'asmari, Arab Book House, Beirut, (I 02), 1994.
- Al-Razi, Abu Hatim Muhammad bin Idris bin Al-Mundhir (d. 277 AH), Al-Zaina, an etymological glossary in religious and cultural terms, Auditing: Saeed Al-Ghanmi, Al-Jamal Publications, Baghdad, Dr. I, 2015.
- Al-Razi, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir (d. 660 AH), Mukhtar al-Sahah, Library of Lebanon Publishers, Beirut, (Dr. I), 1986.
- Al-Razi, Muhammad Fakhruddin (d. 604 AH), altafsir alkabiru, Beirut, Lebanon, (I 01), 1981.
- Al-Ragheb Al-Isfahani (d. 425 AH), Vocabulary of the Words of the Qur'an, Auditing: Safwan Adnan Dawoodi, Dar Al-Qalam, Damascus, (I 04), 2009.
- Al-Zajaj, Abu Ishaq Ibrahim bin Al-Sarri (d. 311 AH), The meanings of the Qur'an and its syntax, Auditing: Abd al-Jalil Abdo Shalabi, World of Books, Beirut, (I 01), 1988.
- Zakaria bin Muhammad al-Ansari (d. 926 AH), alhudud al'aniqat waltaerifat aldaqiqat, Auditing: Mazen Al-Mubarak, Dar Al-Fekr Al-Muasara, Beirut, (Ed 02), 1991.
- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Jarallah Mahmoud bin Omar Al-Khwarizmi (d. 538 AH), tafsir alkishaf ean haqayiq altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawili, Auditing: Khalil Mamoun Shiha, Dar Al-Maarifa, Beirut, Lebanon, (I 03), 2003.
- Ibn Zaydoon (d. 463 AH), Diwan Ibn Zaydun, Auditing: Youssef Farhat, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, (Ed 02), 1994.
- Saied Al-Afghani (d. 1997 AD), in Fundamentals of Grammar, Islamic Office, Beirut, (Ed. 01), 1987.
- Suleiman bin Ibrahim bin Abdullah Al-Lahim, explaining the breasts in Surat Al-Nour, Dar Al-Asimah, Riyadh, (Ed. 01), 2005.
- Sibawayh, Abu Bishr Amr bin Othman bin Qanbar (d. 180 AH), The Book, Investigation: Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo, Egypt, . (3th ed.)1988.

- Alsyd Muhammad Amim Al-Ihssan Al-Mujddi Al-Barakti, Fiqh Definitions, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, (Ed. 01), 2003.
- Alsyd Ahmed Abdel Ghaffar, Linguistic Perception among Scholars of Fundamentals of Jurisprudence, University Knowledge House, Alexandria, (D.T.), 1996.
- Al-Suyuti, Jalal Al-Din Abd Al-Rahman Bin Kamal Al-Din Abi Bakr (d. 911 AH), Al-Mizhar in Language Sciences and its Types, Auditing: muhamad jadin al-mawalaa, muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, eali muhamad albjawy, The Modern Library, Beirut, (d. I), 1986.
- Al Sharif Al-Jarjani Ali bin Muhammad bin Ali al-Hassani (d. 816 AH), Dictionary of Definitions/Semantic Dictionary, Auditing: The Library of Lebanon Publishers, Beirut, (Dr. I), 1985.
- Sabah Obeid Draz, methods of minors in the Noble Qur'an and their rhetorical secrets, Al-Amana Press, Cairo, (I 01), 1986.
- Taher Al-Jazaeri, abn alshaykh salih bin ahmd (d. 1920 AD), the most famous proverbs, Hindawi Foundation for Education and Culture, Cairo, (I 01), 2012.
- Al-Tabari, Abu Ja'far Muhammad bin Jarir (d. 310 AH), Jami' al-bayan `an ta'wil 'ay alQur'an, (Tafsir al-Tabari), Ed: Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, Hajar House for Printing and Publishing, Cairo, Egypt, (I 01), 2001.
- Ibn al-Arabi Abu Bakr Muhammad bin Abdullah al-Maliki (d. 543 AH), the provisions of the Qur'an, Auditing: Muhammad Abdul Qadir Atta, House of Scientific Books, Beirut, (I 03), 2003.
- Al-Asqalani Ahmad bin Ali bin Hajar (d. 852 AH), Fath Al-Bari explaining Sahih Al-Imam Al-Bukhari, Auditing: Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz, Muhammed Fouad Abdel-Baqi, Moheb Al-Din Al-Khatib, Salafi Library, Al-Madinah Al-Munawwarah, i 01, 1379 AH.
- Ibn Faris Ahmed bin Zakaria al-Razi Abu al-Hussein (d. 395 AH), Al-Sahibi fi Fiqh al-Lughah, Auditing: Ahmed Hassan Basaj, Dar Al-Kutub Al-Alamiya, Beirut, Lebanon, (I 01), 1997.
- Fathi Al-Tayeb Al-Khamasi, Qur'an of Recitations, for the most famous readings in the Islamic world, Auditing: Ali Abu Al-Khair, Dar Al-Khair, Damascus, (01nd ed.), 2009.
- Al-Firuz abadi 'abu tahir majid aldiyn muhamad bin yaequb bin muhamad bin 'Ibrahim alshyrazy (d. 817 AH), Al-Qamus al-Muhit, the Al-Risala Foundation, Beirut, 08th edition, 2005.

- Ibn Kathir, Imad al-Din Abu al-Fida 'Ismail bin Omar (d. 774 AH), tafsir al Qura'n, Thebes House for Publishing and Distribution, Riyadh, (2nd ed.), 1999.
- Ibn Majah, Muhammad ibn Yazid al-Qazwini (d. 275 AH), Sunan ibn Majah, Auditing: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, Arab Books Revival House, Cairo, (Dr. I), 1372 AH.
- Malik bin Anas (d. 179 AH), Al-Muwatta, Auditing: Muhammad Fouad Abd Al-Baqi, the Arab Heritage Revival House, Beirut, (i 01), 1985.
- A group of authors, the activities of the festival of sealing the interpretation of the Noble Qur'an by His Eminence Sheikh Mohammed ben Brahim Said Kaabeche, Royal Book House, Bir Toutah, (I 05), 2015.
- Mohammed ben Brahim Said Kaabeche, Expanding breasts in the exegesis of Surah An-Nur, The Arab Press, Ghardaia, (2nd ed.), 2007.
- Ibn Mandhoor, Muhammad bin Makram Jamal Al-Din Abu Al-Fadl (d. 711 AH), Lisan Al-Arab(Arabs' Language), Dar Al-Jeel Edition, Beirut, (Dr. I), 1988.
- Mohamed Fouad Abdel Baqi, Indexed Dictionary of the Holy Qur'an Vocabularies, the Egyptian Book House, Cairo, (d. I), 1364 AH.
- Muhammad Nūr al-Dīn Munajjid, the synonym in the Holy Qur'an between theory and practice, Dar al-Fikr, Damascus, (I 01), 1997.
- Mahmoud Ahmad Al-Zain, The Importance of the Arabic Language in Understanding the Quran and Sunnah, Department of Islamic Affairs, Dubai, (t01), 2009.
- Mused bin Suleiman bin Nasser Al-Tayyar, The Linguistic Interpretation of the Noble Qur'an, Dar Ibn Al-Jawzi, Riyadh, Saudi Arabia, (I 01), 1432 AH.
- Al-Nisaboori, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah Al-Hakim (d. 405 AH), Al-Mustadrak Ali Al-Sahaheen). Auditing: Mustafa Abdel-Qader Atta, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, (2nd ed.), 2002.



**UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI  
AL WASL UNIVERSITY**

**AL WASL UNIVERSITY JOURNAL**  
**Specialized in Humanities and Social Sciences**  
**A Peer-Reviewed Journal**

**GENERAL SUPERVISOR**

**Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman**  
Vice Chancellor of the University

**EDITOR IN-CHIEF**

**Prof. Khaled Tokal**

**DEPUTY EDITOR IN-CHIEF**

**Dr. Lateefa Al Hammadi**

**EDITORIAL SECRETARY**

**Dr. Abdel Salam Abu Samha**

**EDITORIAL BOARD**

**Dr. Mujahed Mansoor**

**Dr. Emad Hamdi**

**Dr. Abdel Nasir Yousuf**

**Translation Committee: Mr. Saleh Al Azzam, Mrs. Dalia Shanwany,  
Mrs. Majdoleen Alhammad**

**ISSUE NO. 62**

**Dhu al-Qa'dah 1442H - June 2021CE**

**ISSN 1607- 209X**

This Journal is listed in the “**Ulrich’s International Periodicals Directory**”  
under record No. 157016

e-mail: [research@alwasl.ac.ae](mailto:research@alwasl.ac.ae), [awuj@alwasl.ac.ae](mailto:awuj@alwasl.ac.ae)

---



## SCIENTIFIC ADVISORY BOARD

### **Prof. Salah Fadal**

Ain Shams University - The Head of Arabic Language Academy – Cairo

### **Prof. Kotb Rissouni**

University of Sharjah – UAE

### **Prof. Benaissa Bettahar**

University of Sharjah – UAE

### **Prof. Saleh M. Al-Fouzan**

King Saud University – KSA

### **Prof. Jamila Hida**

Université Mohammed I Ouajda - Morocco

## Al Wasl University in Brief

Al Wasl University is one of the academic institutions registered by Ministry of Education (MOE) in UAE. In accordance with the ministerial order No. 107 of 2019, the College of Islamic and Arabic Studies has changed name into Al Wasl University.

**The university's development has encountered through two basic stages:**

### **The First Stage:**

The primary nucleus of the university was established in 1986-1987 under the name "College of Islamic and Arabic Studies" by Mr. Juma Al Majid and supervised and taken care by a truehearted group of the people of this country, who appraise the value of knowledge and high rank of education.

- ◆ The Government of Dubai took care of this blessed step which was incorporated by the decision of the Board of Trustees issued in 1407 AH corresponding to the academic year 1986-1987 AD.
- ◆ On 02/04/1414 AH, corresponding to 18/4/1993 AD, H.H Sheikh Nahyan bin Mubarak Al Nahyan, Minister of Higher Education and Scientific Research of the UAE issued the decision No. (53) of the year 1993 granting the license to the college as a Higher Education institution.

### **1. Bachelor Program:**

- ◆ Order No. (77) of the year 1994 was issued as relating to the equivalence of the bachelor's degree in Islamic and Arabic studies issued by the college with the first university degree in Islamic studies.
- ◆ Later, the order No. (55) of the year 1997 was issued concerning the equivalence of the bachelor's degree in Arabic language granted by the College of Islamic and Arabic Studies in Dubai with the first university degree in this specialization.
- ◆ On 24/5/2017, the Board of Trustees, decided to open the doors for enrollment in graduate studies for male students, specializing in Shari'a and Arabic for the academic year 2017-2018.
- ◆ The college celebrated the first graduating batch on the 23rd Sha'ban 1412 AH, 26th December 1992 AD under the patronage of his Highness Sheikh Maktoum Bin Rashid Al Maktoum, Vice President and Prime Minister and Ruler of Dubai (may Allah have mercy on him).
- ◆ The College celebrated the graduation of the second batch of male students and its first female batch on 29/10/1413 AH, 21/4/1993 AD.
- ◆ Since its establishment in the academic year 1406/1407 AH, 1986/1987 AD till 2019/2020, the number of the graduates reached students a total of 12473: 9883 females and 2590 males.
- ◆ By June 2020, the college has graduated 31 males' batches and 30 female batches specialized in Islamic Studies. Arabic Studies graduates are 17 batches of males and 23 of female batches.

### **2. Post Graduate Program:**

- ◆ Graduate program was established in the academic year 1995/1996 AD to award the candidates the Master's degree in Islamic Studies/Shari'a and Arabic Language and Literature. This was followed by implementing Doctoral Program in Fiqh/Jurisprudence, which launched in 2004/2005 AD.
- ◆ Doctoral program of Arabic Language and Literature (in both literature/criticism and linguistics/grammar departments) started in 2007/2008.
- ◆ In 1997, Order No.56 was issued to announce the accreditation of the degree of the higher diploma in Islamic Fiqh/Jurisprudence awarded by the college.
- ◆ This was followed by the issuance of Oder No. (57) of 1997 AD for the master's degree equivalency in Islamic Shari'a (Fiqh)/Jurisprudence and Usul Al Fiqh (Principles of Fiqh).
- ◆ On 24/2/2017, Mohammed bin Rashid Global Center for Endowment and Waqf announced awarding the Endowment logo (Waqf) for the College of Islamic & Arabic Studies in Dubai.
- ◆ The total number of male and female graduates in the postgraduate program till the date of issuance the issue has reached 275 (193 master's degree and 82 doctorate's degree.).

### **The Second Stage:**

The name of the (College of Islamic & Arabic Studies) has been changed according to the ministerial decision No. 107 for the year 2019 into (Al Wasl University) which also received several updates in:

**Vision:**

Al Wasl University aspires to be a leading regional and global institution offering outstanding programs, approaches and scientific research.

**Mission:**

Al Wasl University seeks to provide high quality undergraduate and graduate programs, enhancing research capabilities and developing positive thinking in a university environment characterized by originality, modernity and innovation.

**Board of Trustees:**

The Board of Trustees supervises the general affairs of the university and directs it to achieve its objectives. The board, in addition to its Chairman (the founder of the university), includes a number of distinguished figures who combine knowledge, opinion and experience, representing scientific, social, economic and administrative sectors in the United Arab Emirates.

**University Colleges:**

The university includes the following colleges:

- ◆ College of Islamic Studies.
- ◆ College of Arts.
- ◆ College of Management.

**Study Program:**

- ◆ The duration of the study to gain the bachelor's degree is (four years) for the holders of the secondary school certificate of Shari'a or general secondary school in its branches: scientific and literary or its equivalent.
- ◆ The study program is based on the credit hours system and has been implemented since the academic year 2001/2002 AD.
- ◆ The student should commit to attend and follow-up the determined courses and researches.
- ◆ The study duration of the master's program is two years and the Ph.D. program is of three years, with a preparatory year included in both.

**Scientific Research and Community Service:**

The scientific research at the university is based on stable factors and fundamentals, including:

1. Conferences: The University holds a number of annual, internationally- refereed conferences such as:
  - ◆ International Scientific Symposium in Al Hadith Al-Sharif. It is held every 2 years. Its tenth version was in 2020-2021 AD.
  - ◆ The International Arabic Language Conference. It runs every two years, The first conference was held in 2020 AD.
  - ◆ The Islamic Studies International Conference. It runs every two years.
  - ◆ The International Conference for Post-Studies. It also runs every two years, The first conference was held in 2019 AD.
  - ◆ The International Linguistics Symposium, it run every year. The first symposium was held in 2021 AD.
2. Refereed journals: The University issues this scientific refereed journal twice a year. It publishes research and studies for professors and scholars from inside and outside the university.
3. The Scientific book: The university supervises this project, which has, so far, produced (29) books.
4. The project of printing outstanding theses and dissertations: The university is keen to offer free printing and distribution services of unique academic publications.

## Subscription Slip

We would like to subscribe in Al Wasl University Journal, for the period of .....

..... years, starting from .....

- Name in full: .....

- Address: .....

- Telephone: .....

- Email: .....

- Fees: .....

## Subscription Fees

Source	Period		Fees		
	Year	Copies	Institutions	Individuals	Students
Inside UAE	One year	2	100 AED	80 AED	50 AED
	Two Years	4	200 AED	150 AED	100 AED
Outside UAE	One Year	2	50 \$	40 \$	30 \$
	Two years	4	100 \$	80 \$	60 \$

### Method of Payment:

- Inside the UAE: Cash deposit at the Journals office at the University Campus, or bank transfer.

- Outside the UAE: Bank transfer to:

- Al Wasl University.

### Dubai Islamic Bank – Dubai

IBAN No. : AE030240001520816487801

The deposit slip should be sent to this address:

Editor in chief of Al Wasl University Journal,

PO Box: 34414 Dubai – United Arab Emirates – Telephone: 0097143706557

Email: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae



## Rules of Publishing

### First:

The Journal of the Al Wasl University for Islamic and Arabic Studies publishes original or translated scientific research in Arabic, English or French . The research presented to the journal must be original, genuine in its theme, objective in nature, comprehensive, of academic novelty and depth, and does not contradict Islamic values and principles. The research papers will be published after being evaluated by referees from outside the editorial board, according to the standard academic rules.

### Second:

All research work presented for publication in the journal must comply with the following conditions:

1. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
2. All researches must following the journal publication rules.
3. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
4. The journal accepts unpublished sections of theses.
5. The researcher does not have the right to publish his research elsewhere or present it for publication unless he receives a written permission from the editor in chief of the journal.
6. Research which embodies Quran quotes or Prophetic sayings (Ahadith) is required to be properly marked and foot-noted.
7. The research must be word-processed using Word 2010, single- spaced, font size 16, with a minimum of 20 pages (about 5000 words) and a maximum of 30 pages (about 7500 words). In case the research paper exceeds 30 pages, an amount of 20 AED is to be charged for every extra page.
8. For international publication, a Soft copy of the research (Word 2010) should be submitted with research's name (both in English and Arabic) and his occupation/title, as per the provided form.
9. An Arabic abstract of 120 words as well as an English one (150) words, should be added. Abstracts should include research objectives, problem, methodology and final conclusion.

Five key words, at least, should be included.

10. A list of works cited and Bibliography should be added, as translated into English for international publication.

11. Tables, figures and additional illustrations referred to should be numbered referenced as per their relevance in the body of the research. They are to be indexed properly and included in a separate annex section.

12. The following methodology should be implemented in the documentation process:

- ◆ Works cited should be sequenced by order and indicated parenthetically in the text of the research. They are to be foot-noted, as per their occurrence on a page.
- ◆ When a reference is cited for the first time, full citation details are to be added as such: Author's name, Book name, editor or translator's name (if any), publishing house, country, edition number (if any), and date (if any). For referencing papers taken from periodicals, Author's name, title, journal/periodical name, issuing body, country, volume number, date and pages in the journal/periodical.
- ◆ When the reference is mentioned for the second time, an indication of the author/reference name is to be included. If same reference is quoted twice in a row, an Ibid mark is to be indicated.
- ◆ Explanations and footnotes are to be preceded by an asterisk\*.
- ◆ List of works cited/bibliography should be included, following typical referencing rules.

13. Researcher is committed to doing all the modification suggested by the committee of reviewers and provide the journal with the revised version along with the modification/Errata report.

14. The journal only accepts proofread papers. All papers must be proofread.

**Third: Other Rules:**

1. The texts should be provided in both source language and the new target language.
2. Two abstracts (1 Arabic, the other in English or French) should be added. The abstract should be of no more than 120 words with key words being indicated.
3. The translated material should be audited or published previously in a reputed magazine.
4. The translated material should be of at least 7 pages (A4) and up to 20, of no more than 6000 words.
5. The translated material should be a non-forced one, with no ellipsis or translation loss, unless for translation necessity.

6. Text should be cohesive and coherent.
7. Upon the first mention of the original author, full citation of the author should be indicated.
8. The translation should be preceded by a brief introduction that indicated topic importance, significance and results.

**Fourth:**

1. Published points of view do represent their owners. They do not, by any means, represent the journal.
2. Submitted papers are to be kept under the possession of the journal, either published or not.
3. Publication is subject to many factors, e.g. Versatility of topics and universities.
4. The journal has all right to make superficial modification on the research, without affecting its content.
5. The journal has the right to publish approved researches in periodicals and other journals.
6. After the publication, the research can have a PDF copy of the volume in which his research has been published.

**Fifth: Publication Fees:**

- ♦ As a contribution from Al Wasl University Journal to enriching the research movement in the United Arab Emirates in particular, and all Arab and Islamic countries in general, the magazine does not bear researchers any fees, except for what was previously mentioned previously.
- ♦ All correspondence should be sent to the following address:

**Editor in Chief, Journal of the Al Wasl University,  
P.O. Box 34414 - Dubai, United Arab Emirates  
Tel: 00-971-4-3706557 - Fax: 00-971-4-3964388  
Email: research@alwasl.ac.ae - awuj@alwasl.ac.ae**



# Contents

- **PREFACE**  
Editor in Chief ..... 17-19
- **Supervisor’s Word: Libraries and Sources of Information:  
Stepping into the Future**  
General Supervisor ..... 20-22
- **Articles** ..... 23
- **The Eloquent and Rhetoric Role of Pause in Enunciation of Arabic and  
in the Holy Qur’an**  
Dr. Ali Yahya Nasr Abdel Rahem ..... 25-74
- **Deliberation in Legal Texts: UAE Child Law as a Model**  
Dr. Ranya Ahmed Rasheed Shaeen ..... 75-98
- **Dialogue Education in the light of the Prophet's Sunnah -Its concept,  
Purposes, Ways of Implementations in Our Contemporary Reality**  
Dr. Emad Hamdy Ibrahim ..... 99-132
- **Objective Evaluation of the familial performance of a Working Mother:  
an Investigative, Analytical Survey on Working Mothers, enrolled in  
Ajman University**  
Dr. Amel Beichi ..... 133-166
- **Reneging on Consensual Division and its Jurisprudential Provisions:  
A Comparative Study**  
Dr. Orwa Ikrima Sabri ..... 167-216
- **Narratives and Cultural Shifts**  
Assoc. Prof. Ahmed Elwany ..... 217-258

- **The Unique Discourse about Turning away from Holy Quran:  
A Descriptive, Pragmatic Study**  
Dr. Mahmoud Ali Othman Othman ..... 259-304
  
- **Term (Objective Correlative) A Second Reading**  
Prof. Fathi “mohammad rafeeq” Abu Morad  
Prof. Naser hasan eid yacoub ..... 305-364
  
- **Combating Cyber Crimes According to Provisions of the UAE and  
Egyptian Criminal Laws (A Comparative Jurisprudence Study)**  
Prof. Ahmed Elmurdi Saeed Omar  
Dr. Mohmmmed Alnazer Alzaen Abullahi ..... 365-402
  
- **The Approach of the Scholar Mohammed bin Ibrahim Saeed Kabash  
in his book (i.e. Sharh Al-Sudur - Surat Al-Nur) the Impact of  
Pragmatic Linguistic in Revealing Interpretative Meanings**  
Dr. Ibrahim Brahimi ..... 403-454

## PREFACE

**Editor in Chief: Prof. : Khaled Tokal**

The 62nd issue of Al Wasl University Journal is out and is packed with a wealth of empirical and cognitive research areas. The issue encompasses a number of serious studies in Arabic, Islamic studies, Education, and Law, providing a clear indication that the Al Wasl University Journal's expansion of research within the fields of Humanities and Social Sciences. The research papers proposed have increased in quality as a result of upgrading arbitration standards to the international ones.

This development comes as a part of the university's overall strategic improvement plan that is expected to achieve Al Wasl University mission and vision as a leading institution in the UAE. In addition to that, Al Wasl University has begun to diversify its programs to serve the UAE community and to achieve its ambitions for educational and scientific advancement. The Library and Information Sciences Program, College of Management was launched in January. This is to be followed by more programs in other colleges as well. Such continuous efforts merely prove Al Wasl University to be a model of strategic development, enhancement, and community service. They also represent the university management futuristic vision towards effectiveness.

The issue at hand contains ten research papers as follows:

### **The First Research: “The Eloquent and Rhetoric Role of Pause in Enunciation of Arabic and in the Holy Qur'an”**

This research investigates the performative role of pauses in declaring enunciated speech's message. In addition, the research declares both its role in separating between overlapping structures and as an eloquence factor. In doing that, the researcher has recorded a lot of textual proofs, mostly in Quran and other classical resources. He has concluded that each pause was intended to bring about a certain eloquent and rhetoric goal. Pauses then, are seen to have a huge role in enunciation, mainly in attaining the communicative and emotional message of the language.

### **The Second Research: “Deliberation in Legal Texts: UAE Child Law as a Model”**

It is a research in Argumentation. It aims at highlighting the use of deliberation in legal texts by modelling on UAE Child Law. The research unveils the three paradigms

of deliberation in discourse as well its effect on the recipient as a goal-oriented tool in argumentative, written discourses.

### **The Third Research: “Dialogue Education in the light of the Prophet's Sunnah Its concept, Purposes, Ways of Implementations in Our Contemporary Reality”**

To achieve the sought after/inevitable diversity in empirical research areas, this research has been added to unify the visions between various branches. The significance of this study stems to demonstrate the importance of dialogue education to extend the roots of this communication and its results in convergence and co-existence between the members and communities of society. The study, thus, established a scientific rooting of the concept of dialogue education in the Prophet's Sunnah and ways to implement it in the light of our contemporary reality.

### **The Fourth Research: “Objective Evaluation of the familial performance of a Working Mother: an Investigative, Analytical Survey on Working Mothers, enrolled in Ajman University”**

As the title shows, this paper falls within the field of education. To achieve the goal of the research, a social sample scan has been conducted on a number of working mothers affiliated with Ajman University during the academic year (2019-2020). The research reached the conclusion that generalization of the scale is to be given due attention. At the meantime, achieving balance between job and family duties is highly required.

### **The Fifth Research: “Reneging on Consensual Division and its Jurisprudential Provisions: A Comparative Study”**

It is a study on the rulings of reneging on consensual division. It includes a demonstration of the meaning of division, its types, and whether it is to be considered a sale or an excretion. The research also tackles cases of reneging on consensual division, especially with cases of inheritance, debt, will or a new heir without violating shares.

### **The Sixth Research: “Narratives and Cultural Shifts”**

The research paper aims at shedding light on the issue of applying narratology in the study of texts, explaining the negative consequences of the absence of the functional role as a focus of the critical process; the research arises from appreciating the narration texts, because the narrative texts are completely affected by the

cultural contexts. Therefore, the research believes that the theory should cope up with what goes around in the society, such as Transformations and developments. The cultural studies of the narrative texts will contribute to figure out the text's hidden meanings conducted by an objective critical vision. And called for formulating a cultural narratology theory.

### **The Seventh Research: “The Unique Discourse about Turning away from Holy Quran: A Descriptive, Pragmatic Study”**

The research urges to highlight the phenomenon of the semantic mastery of the uniquenesses in the context of the Holy Quran, Adopting the descriptive-analytical approach as a way to reach relevant results that can be summarized in the fact that the phenomenon of the artistic semantic consistency of the Qur'anic authors is related to the relations between the successive structures that enable the unique to be exclusive in context to perform the intended meaning accurately, and no one else is indispensable for it; To prove its technical construction. The study recommended the continuation of monitoring the phenomenon of semantic mastery of Quranic Uniquenesses.

### **The Eighth Research: “Term (Objective Correlative) A Second Reading”**

This study aims to find out the meaning of the term "objective correlative" by monitoring its different translations into Arabic according to its chronology and revealing its nature, conception and the main components of this expression. And essence, using the mechanisms and means of the integrative approach in description and analysis. This study comes to some conclusions, such as: The expression "objective correlative" focuses on the external sensitive correlative of the inner feeling of the poet. The different practical experiences are polarizing on constructive and stylistic forms that are able to express, form and visualize.

### **The Ninth Research: “Combating Cyber Crimes According to Provisions of the UAE and Egyptian Criminal Laws” (A Comparative Jurisprudence Study)**

This research aims to highlight the fight against cybercrime, it defines the nature of cybercrime, the dangers arising from it, the classification of cybercriminals, the diversification of crimes, and the reasons why it is difficult to detect them. It contains an introduction, five sections, and a conclusion, mentioning the most important results and recommendations.

## **The Tenth Research: The Approach of the Scholar Mohammed bin Ibrahim Saeed Kabash in his book (i.e. Sharh Al-Sudur -Surat Al-Nur) the Impact of Pragmatic Linguistic in Revealing Interpretative Meanings**

This research aims to highlight the impact of Pragmatic Linguistic in Revealing Interpretative Meanings in his book Sharh al-Sudur for the interpretation of Surat al-Nur by its author, Muhammad Kabash, he highlights the importance of Pragmatic Linguistic in the science of interpretation in general, and indicating its sources for Muhammad Kabash, using the descriptive-analytical approach. The research includes an introduction, five chapters and a conclusion, then the most important results.

## **Supervisor's Word:**

### **Libraries and Sources of Information: Stepping into the Future By the General Supervisor: Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman**

With the wealth of books and sources of human knowledge in various disciplines, libraries preserve the cultural and human heritage in different languages. They are considered the tool for creating conscious, educated generations that assume their social and even life responsibilities in general.

The role of the library is, thus, not limited to preserving heritage within its walls. The library is also responsible for enriching cultural dialogue with events it hosts such as: seminars; panel discussions, poetry nights. Those events have the mission of calling for constructive dialogue to build a pattern of thinking that benefits the individual and establishes a society capable of dealing with the various issues that ripple communities, either in a physical, direct way or even virtually. Virtual libraries have become very popular lately. They have helped in acquiring knowledge and practicing multiple skills. In short, libraries are effective indicators of the progress, development and ability of countries and societies to plan for stepping into the future.

University libraries derive their vision, mission and objectives from the University's vision, mission, and objectives. It is their responsibility to keep pace with the latest scientific trends of global libraries, which seek to provide sources of information and update their policies and procedures in accordance with the rapid technological and cognitive development we are witnessing in our time. They should align the process of providing sources of information with their countries societal and cultural aspirations. Hence the importance of a library's cooperation with other sources of information, thereby gaining experience, in order to better respond to beneficiaries needs.

#### **Libraries in the UAE:**

The UAE is working to achieve global leadership and excellence in all fields, including promoting scientific research and uplifting intellectual and cultural creativity. This takes place by applying the latest and the best, international practices. To achieve this, school and public libraries have been developed. Likewise, information centers have been updated and provided with the latest releases to diversify their

sources, in all fields. Due attention has been given to technology. This has been demonstrated through the establishment of The National Bibliography of the UAE, a database containing all the bibliographic information of books on the UAE. Working has also started on the launch of the UAE National Libraries Guide, to provide national statistics and indicators in the field of libraries. Another example is that of The Emirates Digital Library, an online platform that seeks to support and strengthen the potential and pillars of the industry and dissemination of knowledge among members of uae society, by highlighting the intellectual and cognitive production of the UAE and strengthening its role in supporting the infrastructure of a competitive economy. For a list of knowledge. The Smart Library is, yet another instance. It is a bilingual library that seeks to avail a knowledge sources in Both Arabic and English, where it seeks to maintain and offer resources in the form of books, magazines, and reference materials. In addition to that, The National Library Index aims to develop libraries and field data to local, promote cultural life.

Our county's wise leadership has always been keen on feeding public libraries with both paper and electronic resources. This is crowned by noble initiatives by institutions such as the Mohammed Bin Rashid Knowledge Foundation and the Juma al-Majid Heritage and Culture Center.

### **Al Wasl University...An Effective World in Harmony with Country/State Strategies**

Since Al Wasl University must be effectively in tune with this continuing development in the UAE, it has established a scientific research prosecutor, with its strategic plan to take care of the library and information resources, by developing and strengthening office work policies and procedures, through adopting standard reference criteria that the Library is guiding and through developing the library's comprehensive briefing for faculty members and students, as well as attention to the human beings by developing their knowledge and skills through giving them various different courses and by Participating in global databases and information networks that are connecting universities in the UAE. Moreover, a plan has been drawn up for scientific seminars, cultural discussions and research competitions, and is already working to do so really in accordance with the university's keenness to provide the library with resources of knowledge first and foremost.



### **Al Wasl University Electronic Library:**

Believing in the importance of global technological development in the field of information data, the University has launched the first phase of its project of Al Wasl University Electronic Library in cooperation with Juma al-Majid Center for Culture and Heritage, which aims to launch fifteen thousand e-books (15,000) on the Internet, and is seeking to provide an automated index on its page on the resources of paper and electronic information by a Symphonic/Harmonic system.

### **Library and information sciences program.**

What Al Wasl University is doing not only in taking care of the library and information resources, but also has thought about how to play its role as a distinguished academic center in the UAE. So, I have considered in establishing an educational program to graduate specialists in library sciences and information resources to achieve this growing need in the UAE and Gulf labor market for this specialization. Thus, it has initiated a feasibility study on the program. The feasibility study also revealed that this introduction of a program in library and information sciences, with the aim of qualifying human cadres and staff with knowledge competence and skilled work in the UAE and Arab labor market, is an urgent necessity especially in the knowledge economy, and doubled it almost every two hours, and within the global economy relying on both human intelligence and artificial intelligence especially with the presence of thousands of educational institutions from kindergarten level to university, each with its own specialized library in its field, and the presence of hundreds of institutions of ministries, especially the Ministry of Culture, including public libraries scattered throughout the country.

Accordingly, the University has begun to establish the Department of Library and Information Sciences, and has formed a specialized committee that has hired experts from outside the university, and others from inside and outside the UAE, to prepare a self-study for this program, submitted by the University to the Ministry of Education, and has already been accredited to start work in the second semester of this academic year.

At the end of this speech, I can only express my thanks, gratitude and appreciation to His Excellency Mr. Juma Al Majid, founder and patron of the University since its inception at the end of the last century, with all sincerity and enthusiasm, overcoming all obstacles; cultivating the spirit of challenge and the desire for achievement, to open the way for development and improvement. Thus, Al-Wasl University will be among the top universities in the world.



UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI  
AL WASL UNIVERSITY

# Al Wasl University Journal

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal - Biannual

(The 1st Issue published in 1410 H - 1990 C)

June - Dhu al-Qa'dah  
2021 CE / 1442 H

62

**Issue No. 62**  
Email: [research@alwasl.ac.ae](mailto:research@alwasl.ac.ae)  
Website: [www.alwasl.ac.ae](http://www.alwasl.ac.ae)